٤٦٢

تفسير كنز الدقائق

للمفسر الكبير والمحقق النحرير

العالم العارف

الميرزا محمد المشهدي

ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المتوفى حدود عام ١١٢٥ هـ

الجزء الثاني

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 016495010

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Qummi

٤٦٢

تفسير

كنز الدقائق

للمفسّر الكبير والمحقّق النحرير

العالم العارف

الميرزا محمد المشهدي

ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمّي المتوفّى حدود عام ١١٢٥ هـ

الجزء الثاني

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

2273
.8772
juz' 2

كنز الدقائق

(ج ٢)

■ تأليف: المفسّر المحدّث الميرزا محمّد المشهدي القمي □

■ تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي □

■ الموضوع: تفسير □

■ الكمية: ٣٠٠٠ نسخة □

■ الطبعة: الأولى □

■ التاريخ: رمضان المبارك ١٤١٠ □

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 016495010

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

إن هذا الكتاب هو الجزء الثاني من تفسير كنز الدقائق الذي اعتمدنا في أكثر موارده على نسخة خطّية تفضّل علينا بها مدير مكتبة مجلس الشورى الاسلامي سماحة الفضيلة الأخ عبدالحسين الحائري زيدت إفاضاته، والتي تمتاز بمميّزات قيّمة منها تقريظ لآية الله العظمىٰ آقا جمال الخوانساري وتقريظ للعلامة المجلسي ـقدّس سرّهماـ ومنها توضيحات من نفس المؤلّف ـرحمه اللهـ.

وقد أُشير في الجزء الأول الى هذين التقريظين قبل عثورنا على هذه النسخة، ولذلك ارتأينا درج صورتهما في هذا الجزء، واللتان وقعت إحداهما في أول النسخة والاخرى في ظهر الصفحة الأخيرة (آخر سورة الكهف).

وأخيراً نشكر الاخوة من أهل الفضل والتحقيق سيّما الشيخ علي أكبر الأحمدي وأبوجعفر الكعبي والحاج محي الدين الواعظي ونجاح موسى عيسى الذين بذلوا جهدهم في تحقيق هذا الكتاب ومقابلته سائلين الله سبحانه لهم ولنا التوفيق إنّه خير موفّق ومعين.

مؤسّسة النشر الاسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

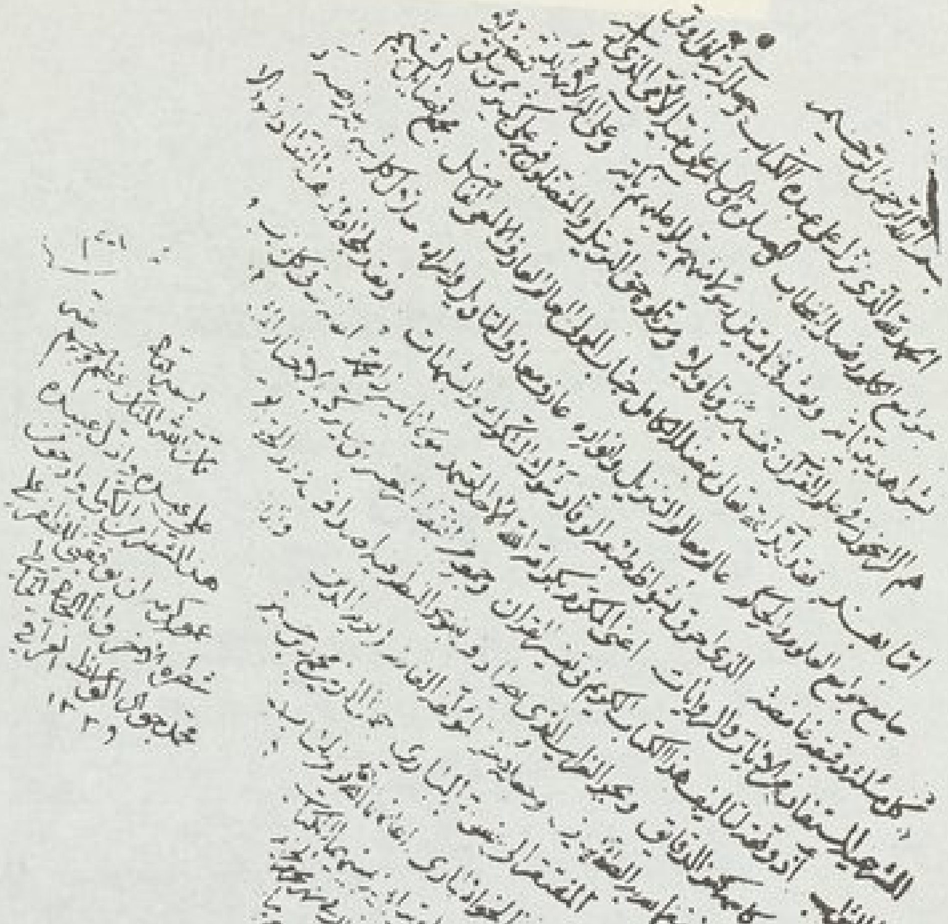

صورة فتوغرافية لتقريظ آقا جمال الدين الخوانساري ـ قدّس سرّه ـ

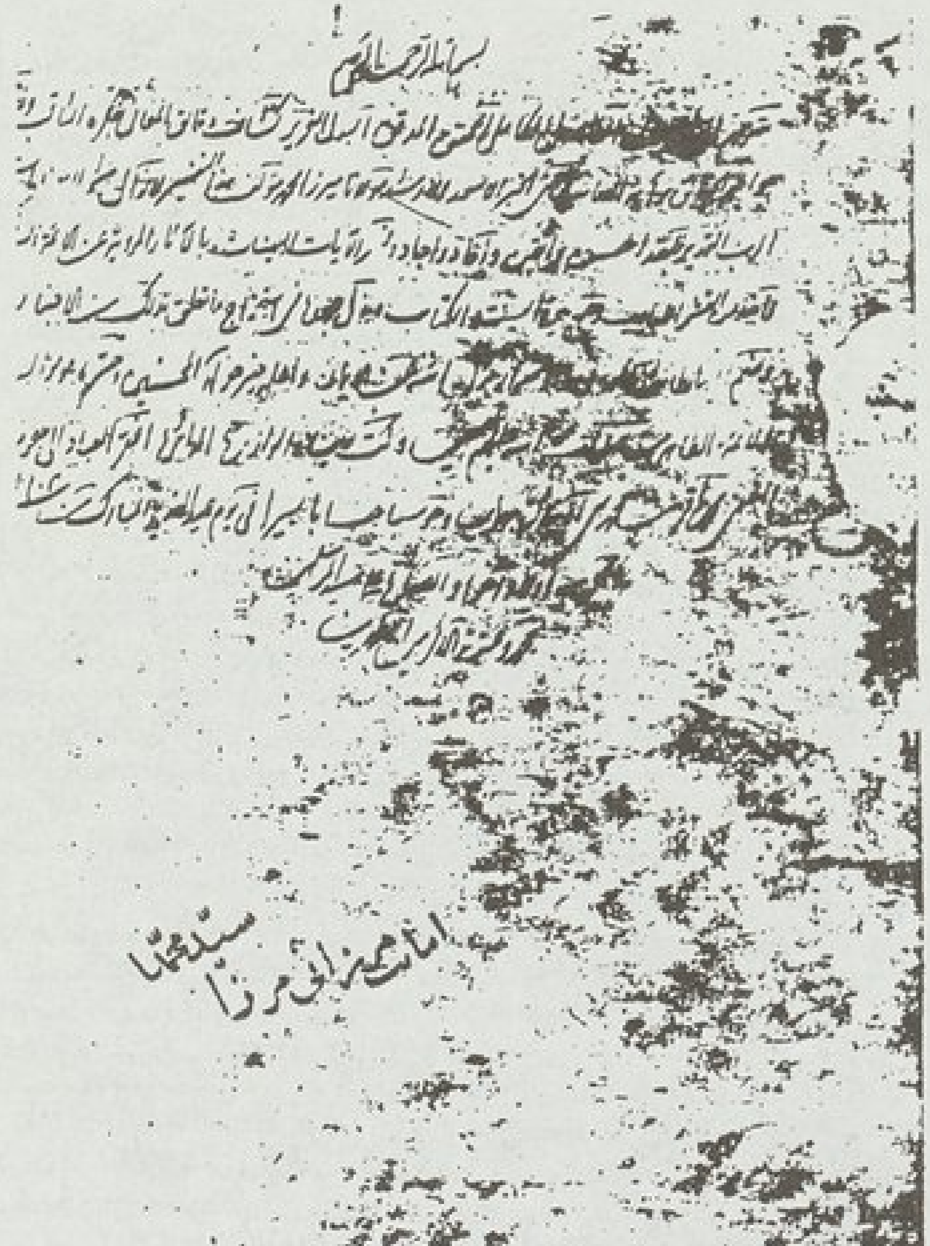
بسم الله الرحمن الرحيم

صورة فتوغرافية لتقريظ العلاّمة المجلسي ـقدّس سرّهـ

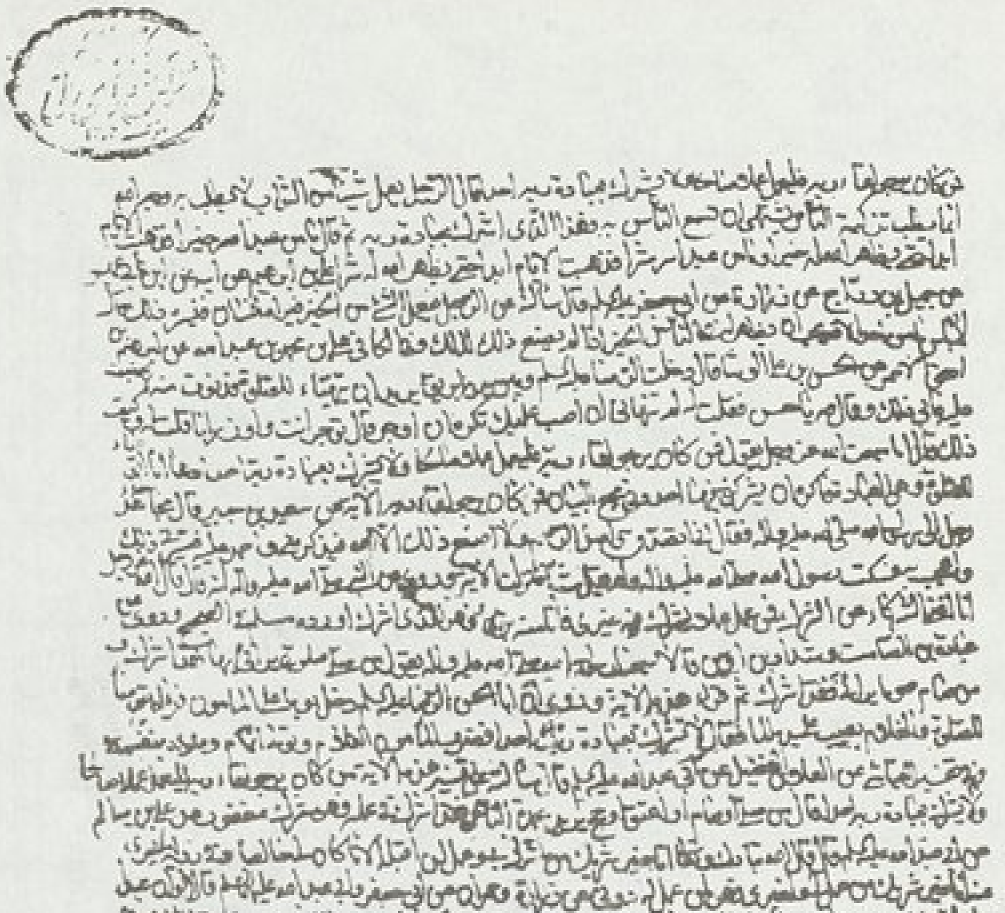

صورة فتوغرافية للصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾

في كتاب ثواب الاعمال: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من قرأ البقرة وآل عمران جاءتا يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيايتين[1][2].

الٓمٓ: قد مرّ بعض إشاراته في أوّل سورة البقرة.

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وأمّا «الم» في أوّل آل عمران فمعناه: أنا الله المجيد[3].

وفي تفسير العياشي: خيثمة الجعفي، حدّثني أبو لبيد المخزومي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): ياأبا لبيد إنّه يملك من ولد العباس اثنا عشرة، يقتل بعد الثامن منهم أربعة تصيب أحدهم الذبحة فتذبحه، هم فئة قصيرة أعمارهم، قليلة

---

(١) الغياية بالغين المعجمة واليائين المثناتين من تحت، كل شيء أظل الإنسان من فوق رأسه، مثل السحابة والظلّ، وفي الحديث تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنّها غمامتان او غيايتان، لسان العرب: ج١ ص١٤٤.

(٢) ثواب الاعمال: ص١٣٠ ثواب من قرأ سورة البقرة وآل عمران ح١.

(٣) معاني الأخبار: ص٢٢ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن ح١.

مدّتهم، خبيثة سيرتهم، منهم الفويسق الملقب بالهادي، والناطق، والغاوي. ياأبا لبيد إنّ في حروف القرآن المقطعة لعلماً جمّاً، إنّ الله تبارك وتعالى أنزل: «الم ذلك الكتاب» فقام محمّد (صلّى الله عليه وآله) حتّى ظهر نوره، وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين، ثم قال: وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار. وليس من حروف مقطّعة حرف ينقضي أيّام، إلّا وقائم من بني هاشم عند انقضائه. ثم قال: الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون، فذلك مائة واحدى وستون، ثم كان بدو خروج الحسين بن علي (عليه السلام) «الم الله»، فلمّا بلغت مدّته قام قائم ولد العباس عند «المص»، ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ«الر» فافهم ذلك وعه واكتمه[١].

وإنّما فتح الميم في المشهورة، وكان حقّها أن يوقف عليها لإلقاء حركة الهمزة عليها، ليدلّ على أنها في حكم الثابت، لأنّها أُسقطت للتخفيف لا للدرج، فإنّ الميم في حكم الوقف كقولهم: واحد اثنان، لا لالتقاء الساكنين، فإنّه غير محذور في باب الوقف، ولذلك لم يحرّك [الميم] في لام.

وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين.

وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الأصل.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ: قد مرّ تفسيره فلاحاجة إلى تكريره.

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ: أي القرآن منجّماً.

بِٱلْحَقِّ: بالعدل، أو بالصدق في إخباره، أو بالحجج المحقّقة أنّه من عندالله. وهو في موضع الحال عن المفعول.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: من الكتب.

وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ: جملة على موسى وعيسى.

في اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن القاسم، عن محمد بن

---

(١) تفسير العياشي: ج٢ ص ٣ ح٣.

مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾

سليمان، عن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان(١).

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أُنزلت التوراة في ستّ مضت من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في إثني عشر ليلة من شهر رمضان، وأُنزل الزبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ليلة القدر(٢).

قيل: التوراة مشتقة من الورى الذي هو إخراج النار من الزناد(٣) سمّي بها لإخراج نور العلم منه. والإنجيل من النجل بمعنى الولد، سمّي به لأنّه يتولّد منه النجاة.

ووزنهما تفعلة وافعيل، وهو تعسّف، لأنّهما اسمان أعجميّان، ويؤيّد ذلك أنّه قرئ الإنجيل بفتح الهمزة، وهو ليس من أبنية العرب.

مِن قَبۡلُ: تنزيل القرآن.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٢٨ - ٦٢٩، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح٦.

(٢) لم نعثر عليه في الكافي، ووجدناه في نور الثقلين: ج١ في ذيل هذه الآية ح١٠ نقلاً عن الكافي.

(٣) الزند والزندة: خشبتان يستقدح بهما، فالسفلى زندة. والأعلى زند، ابن سيدة: الزند العود الأعلى الذي يقتدح به النار، والجمع أزند وأزناد وزنود وزناد وأزاند جمع الجمع. لسان العرب: ج٣ ص١٩٥ لغة زند.

هُدًى لِّلنَّاسِ: أي لكل من انزل إليه.

وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ: قيل: يريد به جنس الكتب الالهية، فإنّها فارقة بين الحق والباطل، ذكر ذلك بعد الكتب الثلاثة، ليعمّ ماعداها أو القرآن، وكرّر ذكره بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً وإظهاراً لفضله، من حيث إنّه يشركهما في كونه وحياً منزلاً، ويتميز بأنّه معجز يفرّق به بين المحق والمبطل، أو المعجزات.

ويحتمل أن يكون المراد به محكمات القرآن، أفردها لزيادة شرفها ونفعها.

وفي أصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن سنان أو غيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن القرآن والفرقان، أهما شيئان أو شيء واحد؟ فقال (عليه السلام): القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به[١].

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله: «الم الله لااله الآ هو الحيّ القيّوم نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان» قال: هو لكلّ أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدّق فيه من كان قبله من الأنبياء[٢].

وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) وروبه مثل مافي تفسير العياشي[٣].

وفي كتاب علل الشرائع: باسناده الى أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه سأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال له: سمّي الفرقان فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات والسور، أنزلت في غير الألواح وغيره من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق[٤] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٠ كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح١١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٢ ح ١ مع اختلاف يسير.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص٩٦، في تفسير قوله تعالى: «الم الله لا إله إلاّ هو» الآية وتفسير العياشي: ج ١ ص١٦٢ ح١.

(٤) علل الشرائع: ص ٤٧٠ باب النوادر ح ٣٣.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

وفي الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) عند ختم القرآن: (وفرقانا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك)[1].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ: من كتب منزلة كانت أو غيرها.

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ: بسبب كفرهم، ولاشك أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) من أعظم آيات الله، والكافرين به والمنكرين لحقّه «لهم عذاب شديد».

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ: غالب لايمنع من التعذيب.

ذُو ٱنتِقَامٍ: تنكيره للتعظيم، أي انتقام لايقدر مثله أحد، ولايعرف كنهه أحد. والنقمة: عقوبة المجرم، والفعل منه نقم بالفتح والكسر، وهو وعيدجيء به بعد تقرير التوحيد وإنزال الكتب والآيات لمن أعرض عنها.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ: كلياً كان أو جزئياً، إيماناً أو كفراً.

فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ: خصّصهما، إذ الحس لايتجاوزهما، وقدم الأرض ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، ولأنّ المقصود ما اقترف فيها.

---

(١) الصحيفة السجادية: دعاء ٤٢ دعاؤه (عليه السلام) عند ختم القرآن.

هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ: وهذا ردّ على ما ذهب إليه بعض الحكماء من وجود القوّة المصورة، وقرئ «تصوركم» أي صوركم لنفسه وعبادته.

كَيْفَ يَشَآءُ: من الصور المختلفة، مشابهاً لصورة أبيه أو لا.

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى جعفر بن بشير، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثم خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولن أحد هذا لايشبهني ولايشبه شيئاً من آبائي(١).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن نوح بن شعيب، رفعه عن عبدالله ابن سنان، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أتى رجل من الأنصار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: هذه ابنة عمّي وامرأتي، لاأعلم منها إلّا خيراً، وقد أتتني بولد شديد السواد، منتشر المنخرين، جعد قطط، أفطس الأنف، لاأعرف شبهه في أخوالي ولافي أجدادي، فقال لامرأته: ماتقولين؟ قالت: لاوالذي بعثك بالحق نبياً ما أقعدت مقعده منّي منذ ملكني أحداً غيره، قال: فنكس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ملياً، ثم رفع بصره إلى السماء، ثم أقبل على الرجل فقال: يا هذا أنه ليس من أحد إلّا بينه وبين آدم تسعة وتسعين عرقاً كلّها تضرب في النسب، فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الشبه لها، فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك، ولاأجداد أجدادك، خذ إليك ابنك، فقالت: المرأة: فرّجت عنّي يا رسول الله(٢).

محمد بن يحيى، وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن إسماعيل بن عمر، وعن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ للرحم أربع سبل، في أيّ سبيل سلك فيه الماء كان منه الولد،

---

(١) علل الشرائع: ج١ ص ٩٧ الباب ٩٣ العلّة التي من أجلها لايجوز أن يقول الرجل لولده هذا لايشبهني ولايشبه آبائي ح١.

(٢) الكافي: ج٥ ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ كتاب النكاح، باب النوادر، ح٢٣.

واحد واثنان وثلاث وأربع ولايكون إلى سبيل أكثر من واحد[١].

علي بن محمد، رفعه، عن محمد بن حمران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق للرحم أربعة أوعية فما كان في الأوّل فللأب، وما كان في الثاني فللأُم، وما كان في الثالث فللعمومة، وما كان في الرابع فللخؤولة[٢].

وذلك التصوير بعد مكث النطفة في الرحم أربعين يوماً.

يدلّ عليه ما رواه في كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى محمد بن عبدالله بن زرارة، عن علي بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: تعتلج[٣] النطفتان في الرحم، فأيتهما كانت أكثر، جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه، وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو الله عزّوجلّ في تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثم يبعث الله عزّوجلّ ملك الأرحام فيأخذها، فيصعد بها إلى الله عزّوجلّ، فيقف منه ماشاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عزّوجلّ مايشاء[٤] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: إذ لايعلم، ولايفعل جملة مايعلمه، ولايقدر أن يفعل مثل ما يفعله، غيره.

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ: إشارة إلى كمال قدرته، وتناهي حكمته.

قال البيضاوي: قيل: هذا احتجاج على من زعم أنّ عيسى كان ربّاً، فإنّ وفد بني نجران لمّا حاجّوا فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نزلت السورة من أولها إلى نيّف وثمانين آية، تقريراً لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم[٥].

---

(١) الكافي: ج٦ ص١٦ ـ ١٧ كتاب العقيقة، باب أكثر ماتلد المرأة، ح١.

(٢) الكافي: ج٦ ص١١٧ كتاب العقيقة، باب أكثر ماتلد المرأة، ح٢.

(٣) اعتلج القوم اتخذوا صراعاً وقتالاً، وفي الحديث: إن الدعاء ليلقي البلاء فيعتلجان، اي يتصارعان (لسان العرب: ج٢ ص٣٢٦ لغة علج).

(٤) علل الشرائع: ج١ ص٨٩ الباب ٨٥ علّة النسيان والذكر، وعلّة شبه الرجل بأعمامه وأخواله، ح٤.

(٥) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١ ص١٤٩، في تفسير قوله تعالى «هوالذي يصوركم» الآية.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: احكمت عبارتها، بأن حفظت من الإجمال والاشتباه.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصله، يردّ إليها غيرها، والقياس (امّهات) فأفرد على تأويل واحدة، أو على أنّ الكلّ بمنزلة آية واحدة.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: محتملات، لايتّضح مقصودها، لإجمال، أو مخالفة ظاهر.

والعلّة في ذلك ما رواه في كتاب الاحتجاج عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه يقول: ثم إنّ الله جلّ ذكره لسبقة رحمته، ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كلامه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لايعرفه إلّا من صفا ذهنه ولطف حسّه وصحّ تميزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لايعرفه إلّا الله وأنبياؤه والراسخون في العلم. وإنّما فعل ذلك لئلا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الائتمار لمن ولّاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعززاً وافتراءً على الله، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله (صلّى الله عليه وآله)[١].

واعلم أن قسمين ممّا ذكر في الخبر داخل في المحكم المذكور في الآية.

وأمّا قوله: «كتاب أحكمت آياته» فمعناه: أنّها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ.

وقوله: «كتاباً متشابهاً» فمعناه يشبه بعضه بعضاً في صحّة المعنى وجزالة اللفظ.

و«أُخر» جمع أخرى: ولم ينصرف، لأنّه وصف معدول من الاخر ولايلزم معرفته، لأنّ معناه: انّ القياس أن يعرّف ولم يعرّف، لانّه معرف في المعنى، أو من آخر من بهذا المعنى.

في أُصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن محمد بن أورمة،

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص٢٥٣ احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل وفيه لسعة رحمته.

عن علي بن حسّان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُم الكتاب» قال: أميرالمؤمنين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام)، «وأخر متشابهات» قال: فلان وفلان[1]، وللحديث تتمّة أخذت منه موضع الحاجة.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ: ميل عن الحق وعدول.

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ: بظاهره، أو بتأويل غير منقول عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، أو فلان وفلان.

ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ: طلب أن يفتتنوا أنفسهم والناس عن دينهم.

وفي مجمع البيان: قيل: المراد بالفتنة هنا الكفر، وهو المروي عن أبي عبدالله (عليه السلام)[2].

وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ: طلب ان يأولوه على ما يشتهونه.

قيل: يحتمل أن يكون الداعي إلى الاتّباع مجموع الطلبتين، أو كلّ واحدة منها على التعاقب، والأوّل يناسب المعاند، والثاني يلائم الجاهل.

وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدّثنا محمد بن أحمد بن ثابت، قال: حدّثنا الحسن ابن أحمد بن سماعة، عن وهب بن جعفر، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إنّ القرآن زاجر وآمر، يأمر بالجنة ويزجر عن النار، وفيه محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فيؤمن به ويعمل به. وأمّا المتشابه فيؤمن به ولايعمل به وهو قول الله: «وأما الذين» وقرأ إلى «كل من عند ربنا»، وقال: آل محمّد الراسخون في العلم[3].

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥ: أي الذي يجب أن يحمل عليه.

---

(١) الكافي: ج١ ص٤١٤ ـ ٤١٥ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، قطعة من ح١٤.

(٢) مجمع البيان: ج٢ ص٤١٠ سورة آل عمران.

(٣) لم نعثر عليه في تفسير علي بن ابراهيم ووجدناه في تفسير العياشي: ج١ ص١٦٢ ح٤.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: أي الذين ثبتوا وتمكّنوا فيه.

وفي تتمة الحديث السابق، أنّ الراسخين في العلم أمير المؤمنين والأئمّة (عليهم السلام)(١).

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يحدّث أن حُيَياً وأبا ياسر ابني أخطب ونفراً من يهود أهل نجران أتوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل الله عليك «الم»؟ قال: بلى. قالوا: أتاك بها جبرائيل من عندالله تعالى؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعثت أنبياء قبلك، وما نعلم نبياً منهم أخبرنا مدّة ملكه وما أجل امته غيرك. قال: فاقبل حيي بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون. فهذه إحدى وسبعون سنة، فعجب ممن يدخل في دين مدّة ملكه وأجل أُمته إحدى وسبعون سنة! قال: ثم أقبل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال له: يا محمّد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم قال: هاته. قال: «المص». قال: هذه أثقل وأطول، (الألف) واحد، و(اللام) ثلاثون، و(الميم) أربعون، و(الصاد) تسعون، فهذه مائة واحدى وستون سنة. ثم قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال (صلّى الله عليه وآله): «الر» قال: هذه أثقل وأطول، (الألف) واحد، و(اللام) ثلاثون، و(الراء) مائتان، [ثم قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)]: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال: «المر». قال: هذه أثقل وأطول، (الألف) واحد، و(اللام) ثلاثون، و(الميم) أربعون، و(الراء) مائتان، ثم قال له: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم.

قالوا: قد التبس علينا أمرك، فما ندري ما أُعطيت! ثم قاموا عنه، ثم قال أبو ياسر للحييّ أخيه: مايدريك لعل محمّداً قد جمع له هذا كله وأكثر منه.

قال: فذكر أبو جعفر (عليه السلام) انّ هذه الآيات أُنزلت فيهم: «منه آيات

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير علي بن ابراهيم ووجدناه في تفسير العياشي: ج١ ص١٦٢ ح٢.

محكمات هنّ أُم الكتاب واُخر متشابهات» قال: وهي تجري في وجه آخر [على] غير تأويل حييّ وأبي ياسر وأصحابهما(١).

أقول: وهذا الوجه هو مامرّ من أنّ المراد بالمحكمات والمتشابهات الأئمة وأعدائهم.

وبعضهم وقفوا على (الله) وفسروا المتشابه بما استأثره بعلمه.

يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ: استئناف موضّح لحال الراسخين، أو حال منهم، أو خبر، إن جعلته مبتدأ.

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا: أي كل من المحكم والمتشابه من عنده. وعلى كون المراد بالمتشابه فلان وفلان، كونه من عنده بمعنى خلقه له وعدم جبره على الاهتداء، كما هو طريقة الابتلاء والتكليف.

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ: مدح للراسخين، أو لمن يتذكّر أنّ العالم بالمتشابه لايكون غير الراسخين الذين هم الأئمة.

روى محمد بن يعقوب، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن أيوب بن الحرّ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله(٢).

ويؤيّد مارواه أيضاً، عن علي بن محمد، عن عبدالله بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما (عليهما السلام) في قول الله عزّوجلّ: «وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم» قال: فرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله عزّوجلّ جميع ماأنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان [الله] لينزل عليه شيئاًلم يعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه(٣) وكيف لايعلمونه، ومنهم مبدأ العلم وإليهم

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٣ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن ح٣.

(٢) الكافي: ج١ ص ٢١٣، كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الأئمة (عليهم السلام)، ح١.

(٣) الكافي: ج١ ص٢١٣، كتاب الحجة، باب انّ الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام)، ح٢.

منتهاه، وهم معدنه وقراره ومأواه.

وبيان ذلك مارواه الشيخ محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن عبدالله بن سليمان، عن حمران بن أعين [عن أبي عبدالله عليه السلام] قال: إنّ جبرائيل (عليه السلام) أتىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) برمانتين، فأكل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إحداهما، وكسر الأُخرى بنصفين، فأكل نصفاً، وأطعم علياً نصفاً، ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

ياأخي هل تدري ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا، قال: أمّا الأُولىٰ فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأمّا الاخرى فالعلم، أنت شريكي فيه، فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلّم الله محمّداً (صلّى الله عليه وآله) [علماً] إلّا وأمره أن يعلّمه علياً (عليه السلام)[1].

ويؤيّده ماروواه أيضاً عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عبدالحميد، عن منصور بن يونس، عن ابن أُذينة، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: نزل جبرئيل (عليه السلام) على محمّد (صلّى الله عليه وآله) برمانتين من الجنة، فلقيه علي (عليه السلام) فقال له: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقال: أمّا هذه فالنبوّة ليس لك فيها نصيب. وأمّا هذه فالعلم، ثم فلقها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نصفين فأعطاه نصفها، أخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نصفها ثم قال: أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم و الله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حرفاً ممّا علّمه الله عزّوجلّ إلّا وقد علّمه علياً ثمّ انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره[2].

وأوضح من هذا بياناً ما رواه أيضاً عن أحمد بن محمد، عن عبدالله الحجّال، عن أحمد بن محمد الحلبي، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك اني أسألك عن مسألة، فههنا أحد يسمع كلامي؟ قال:

---

(١) الكافي: ج١ ص٢٦٣، كتاب الحجّة، باب ان الله عزّوجل لم يعلم نبيه علماً إلّا... ح١.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٦٣، كتاب الحجّة، باب ان الله (عزّوجل) لم يعلّم نبيه علماً إلّا... ح٣.

فرفع أبو عبدالله (عليه السلام) ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثم قال: ياأبا محمد سل عمّا بدا لك ، قال: قلت: جعلت فداك أنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علّم علياً باباً يفتح منه ألف باب! قال: فقال: ياأبا محمد علّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت[1] ساعة في الأرض ثم قال: إنّه لعلم وما هو بذاك ، قال: ثم قال: ياأبا محمد إنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ماالجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن املائه من فلق فيه[2]، وخط عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ، فقال لي: أتأذن لي ياأبا محمّد قال: قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ماشئت، قال: فغمزني بيده، قال: حتّى أرش هذا، كأنّه مغضب[3]، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك . ثم سكت ساعة، ثمّ قال: إنّ عندنا الجفر، وما يدريهم ماالجفر؟ قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم[4] فيه علم النبيّين والوصيّين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنّ هذا هو العلم. قال: إنّه لعلم وليس بذاك . ثم سكت ساعة، ثمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام) وما يدريهم مامصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا

---

(١) نكت الأرض بالقضيب: وهو أن يؤثر فيها بطرفه فعل المفكّر المهموم، لسان العرب: ج٢ ص١٠٠ مادة (نكت).

(٢) الفلق: الشقّ، كلّمني فلان من فلق فيه وفلق فيه: اي شقّه، لسان العرب: ج١٠ ص٣١٠ مادة (فلق).

(٣) أي أخذ بشدّة (مرآة العقول: ج٣ ص٥٥).

(٤) قال الجوهري: الأدم جمع الأديم وقد يجمع على أدمة، وفي القاموس: الأديم الجلد أو أحمره او مدبوغه، جمعه أدمة وأدام، والأدم اسم للجمع، وقال: الجفر من أولاد الشاء ماعظم واستكرش، أو بلغ أربعة أشهر، والبئر لم تطو أو طوى بعضها، والجفر: جعبة من جلود لاخشب فيها أو من خشب لاجلود فيها (مرآة العقول: ج٣ ص٥٥).

ثلاث مرات، والله مافيه من قرآنكم حرف واحد[١]، قال: قلت: هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثمّ قال: وإن عندنا علم ماكان وعلم ماهو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هوالعلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، قال: قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم؟ قال: مايحدث بالليل والنهار، والأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة[٢].

وممّا ورد في غزارة علمهم (صلوات الله عليهم):

ما رواه أيضاً (رحمه الله) قال: روى عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة. وعدّة من أصحابنا منهم عبدالأعلى [وأبو عبيدة] وعبدالله بن بشر الخثعمي، أنهم سمعوا أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّي لأعلم مافي السماوات وما في الارض، وأعلم مافي الجنّة، وأعلم مافي النار، وأعلم ماكان وما يكون، ثم سكت هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله عزّوجلّ، يقول: «فيه تبيان كل شيء»[٣][٤].

وممّا ورد في غزارة علمهم (صلوات الله عليهم):

ماروواه أيضاً عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن

---

(١) مافيه من قرآنكم: أي فيه علم بما كان وما يكون. فان قلت: في القرآن أيضاً بعض الأخبار؟ قلت: لعلّه لم يذكر فيه مافي القرآن. فإن قلت: يظهر من بعض الأخبار اشتمال مصحف فاطمة (عليها السلام) أيضاً على الأحكام؟ قلت: لعلّ فيه ماليس في القرآن. فإن قلت: قد ورد في كثير من الأخبار اشتمال القرآن على جميع الأحكام والأخبار مما كان أو يكون؟ قلت: لعلّ المراد به مانفهم من القرآن لامايفهمون (عليهم السلام) منه، ولذا قال (عليه السلام): قرآنكم، على أنّه يحتمل أن يكون المراد لفظ القرآن، ثم الظاهر من أكثر الأخبار اشتمال مصحفها (عليها السلام) على الأخبار فقط، فيحتمل ان يكون المراد عدم اشتماله على أحكام القرآن (مرآة العقول: ج٣ ص٥٦).

(٢) الكافي: ج١ ص٢٣٨، كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة... ح١.

(٣) قال تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» النحل: ٨٩.

(٤) الكافي: ج١ ص٢٦١، كتاب الحجّة، باب ان الأئمة يعلمون علم ماكان وما يكون... ح٢. وفيه: ثم مكث هنيئة.

إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبدالله بن حمّاد، عن سيف بن تمار قال: كنا مع أبي عبدالله (عليه السلام) وجماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: وربّ الكعبة وربّ البنية -ثلاث مرات- لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر (عليهما السلام) اعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم مايكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وراثة[1].

ويؤيّد هذا ويطابقه مارواه أصحابنا من رواة الحديث من كتاب الأربعين رواية أسعد الإربلي، عن عمّار بن خالد، عن إسحاق الأزرق، عن عبدالملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة حواري عيسى رق فيه مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة: وذلك لمّا تشاجر موسى والخضر (عليهما السلام) في قصّة السفينة والجدار والغلام، ورجع موسى إلى قومه فسأله أخاه هارون عمّا استعلمه من الخضر وشاهده من عجائب البحر؟ فقال موسى (عليه السلام): بينا أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر، ورمى بها نحو المشرق، وأخذ منه ثانية ورمى بها نحو المغرب، ثم أخذ ثالثة. ورمى بها نحو السماء، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر.

فبهت أنا والخضر من ذلك، وسألته عنه؟ فقال: لاأعلم، فبينا نحن كذلك فإذا بصيّاد يصيد في البحر، فنظر إلينا، وقال: مالي أراكما في فكرة من أمر الطائر؟ فقلنا له: هو ذاك، فقال: أنا رجل صيّاد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيّان لا تعلمان؟ فقلنا: لانعلم إلّا ماعلّمنا الله عزّوجلّ، فقال: هذا طائر في البحر يسمّى مسلماً، لأنه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم مسلم، فإشارته برمي الماء من منقاره نحو المشرق والمغرب والسماء والأرض والبحر يقول: إنه يأتي في آخر الزمان نبي يكون

---

(١) الكافي: ج١ ص ٢٦٠، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون... ح١ وفيه: جماعة من الشيعة.

علم أهل المشرق والمغرب وأهل السماء والأرض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر، ويرث علمه ابن عمه ووصيّه، فعند ذلك سكن ما كنّا فيه من المشاجرة، واستقلّ كلّ واحد منا علمه بعد أن كنا معجبين بأنفسنا، ثم غاب عنا، فعلمنا أنه ملك بعثه الله إلينا، ليعرفنا نقصنا حيث ادّعينا الكمال[1].

وممّا ذكر في معنى فضلهم (عليهم صلوات الله) ماذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) في كتابه مصباح الأنوار بإسناده إلى رجاله قال: وروى عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنا ميزان العلم وعلي كفّتاه، والحسن والحسين حباله، وفاطمة علاقته، والأئمّة من بعدهم يزنون المحبّين والمبغضين[2].

وفي كتاب الاحتجاج: روي عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل يقول (عليه السلام) فيه: وقد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: «وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم»[3].

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم[4].

وفي روضة الكافي ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزّ ذكره: «الم ۝ غلبت الروم ۝ في أدنى الأرض» قال: فقال: يا أبا عبيدة إنّ لهذا تأويلاً لايعلمه إلّا الله والراسخون في العلم من آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)[5] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

---

(١) بحارالأنوار: ج ١٣ ص٣١٢، كتاب النبوّة، باب ١٠ قصة موسى حين لقي الخضر، ح٥٢.

(٢) مصباح الأنوار: في الباب الخامس، في علم علي، وفيه (عن أبي جعفر) بدل (جعفر بن محمد) مخطوط.
بحارالأنوار: ج٢٣، ص ١٠٦، كتاب الإمامة، باب ٧، ح٦.

(٣) الاحتجاج: ج١ ص٢٤٨، س٧، احتجاجه (ع) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة.

(٤) نهج البلاغة: ص ٢٠١ الخطبة ١٤٤ في فضل أهل البيت، صبحي الصالح.

(٥) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٩ باب ٤٤ ح ٣٩٧.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله «الم ه غلبت الروم ه في أدنىٰ الأرض» قال: يا أبا عبيدة انّ لهذا تأويلاً لايعلمه إلّا الله والراسخون في العلم من الأئمة (عليهم السلام)(١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

حدّثنا محمد بن أحمد بن ثابت، قال حدّثنا الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إنّ القرآن زاجر وآمر يأمر بالجنة ويزجر عن النار، وفيه محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فيؤمن به ويعمل به وأمّا المتشابه فيؤمن به ولايعمل به وهو قول الله: «وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا» وآل محمد (عليهم السلام) الراسخون في العلم(٢).

حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن بريد بن معاوية، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ماأنزل الله من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه التأويل وأوصياؤه من بعده يعلمونه قال: قلت: جعلت فداك أنّ أبا الخطاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً، قال: وما كان يقول؟ قلت: قال: إنّكم تعلمون علم الحلال والحرام والقرآن قال: إنّ علم الحلال والحرام والقرآن يسير في جنب العلم الذي يحدث في الليل والنهار(٣).

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن داود ابن فرقد، عمّن حدّثه، عن ابن شيرمة قال: ماذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن

---

(١) تفسير القمي: ج٢ ص ١٥٢ سورة الروم.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص٣١٦ ح٢٩ نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٣١٧ ح٣٠ نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

محمد (عليه السلام) إلّا كاد أن يتصدّع قلبي، قال: حدّثني أبي، عن جدي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى للناس بغير علم وهو لايعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك[١].

بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): ياهشام إن الله ذكر اولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الحلية وقال: «الراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذّكر إلّا أولوا الألباب»[٢].

أحمد بن محمد، عن محمد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): نحن الراسخون في العلم[٣] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن أيوب بن الحر وعمران بن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله[٤].

علي بن محمد، عن عبدالله بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما (عليهما السلام) في قول الله عزّوجلّ «وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم» فرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم، وقد علّمه الله عزّوجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، والذين لايعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله: «يقولون آمنا

---

(١) الكافي: ج ١ ص٤٣ كتاب فضل العلم، باب النهي عن القول بغير علم، ح٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص١٥ كتاب العقل والجهل، قطعة من ح١٢.

(٣) الكافي: ج١ ص ١٨٦ كتاب الحجة، باب فرض طاعة الائمة، ح٦.

(٤) الكافي: ج١ ص ٢١٣ كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الأئمة (عليهم السلام)، ح١.

به كلّ من عند ربّنا» والقرآن خاصّ وعامّ ومحكم ومتشابه وناسخ و منسوخ فالراسخون في العلم يعلمونه(١).

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أورمة، عن علي بن حسّان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: الراسخون في العلم أميرالمؤمنين والأئمة من بعده (عليهم السلام)(٢).

وباسناده إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): فإن قالوا: من الراسخون في العلم؟ فقل: من لايختلف في علمه، فإن قالوا: فمن هو ذاك؟ فقل: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) صاحب ذلك، فهل بلّغ أو لا؟ فإن قالوا: قد بلّغ، فقل: هل مات (صلّى الله عليه وآله) والخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف؟ فإن قالوا: لا، فقل: إنّ خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مؤيّد، ولايستخلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من لم يحكم بحكمه وإلّا من يكون مثله إلّا النبوة، وإن كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يستخلف في علمه أحداً فقد ضيّع من في أصلاب الرجال ممّن يكون بعده(٣).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: مانزلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ واكتبها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله عزّوجلّ أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولاعلماً أملاه عليّ فكتبته، وما ترك الله شيئاً علّمه الله عزّوجلّ من حلال ولاحرام، ولاأمر ولانهي، وما كان وما يكون من

---

(١) الكافي: ج١ ص٢١٣ كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام)، ح٢.
(٢) الكافي: ج١ ص٢١٣ كتاب الحجّة، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام) ح٣.
(٣) الكافي: ج١ ص٢٤٥، كتاب الحجة، باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر، قطعة من ح١ وفيه: عن أبي جعفر الثاني.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفاً واحداً [١] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

واعلم: أنّ التفسير بالرأي للمتشابه حرام، ومن فسّره برأيه كافر.

يدلّ عليه ماروواه في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى عبدالرحمن ابن سمرة، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب [٢].

وما رواه في كتاب التوحيد بإسناده إلى الريّان بن الصلت، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): قال الله جلّ جلاله: ماآمن بي من فسّر برأيه كلامي [٣].

ولاخفاء أنّ المراد تفسير المتشابه وتأويل المحكم بالرأي بغير مايدلّ عليه ظاهره. وبذلك يظهر عدم إيمان أكثر المفسّرين ممّن يفسّرون القرآن برأيهم، ويأولونه على مذاقهم، ممّن نقلنا بعض تأويلاتهم في أوائل التفسير، تقدمة لهذا التصريح، وعدم إيمان أهل السنّة والجماعة، فإنّه لاريبة لأحد في أنّهم لايردّون المتشابهات إلى الراسخين الذين هو الأئمة (عليهم السلام) ويفسّرون الراسخين أيضاً برأيهم، ولايعنون منه النبيّ والأئمة (عليهم السلام)، فتبصّر.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا: من مقالة الراسخين، وقيل: استئناف.

---

(١) كمال الدين: ج١، ص٣٨٤، باب ٢٤ ماروي عن النبيّ في النص على القائم (عليه السلام) قطعة من ح٣٧.

(٢) كمال الدين: ج١ ص٢٥٧، باب ٢٤ ماروي عن النبيّ في النص على القائم (عليه السلام) قطعة من ح١.

(٣) التوحيد: ص٦٨ باب٢ التوحيد ونفي التشبيه، قطعة من ح٢٣.

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

والمعنى: لا تزغ قلوبنا عن نهج الحقّ، وهو من الراسخين خضوع في مقام العبوديّة.

وقيل: لا تبلنا ببلايا تزيغ فيه قلوبنا.

بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا: إلى الحقّ.

و«بعد» نصب على الظرف، و«إذ» في محل الجر بإضافته إليه، وقيل: إنّه بمعنى (إن).

وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً: تزلفنا إليك، ونفوز بها عندك، أو توفيقاً للثبات على الحقّ، أو مغفرة للذنوب، أو الأعم.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ: لكلّ سؤال.

في تفسير العياشي، عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): أكثروا من أن تقولوا: «ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا» ولا تأمنوا الزيغ[١].

وفي تهذيب الأحكام في الدعاء بعد صلاة الغدير، المسند إلى الصادق (عليه السلام): ربّنا إنّك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك وأمرتنا أن نكون مع الصادقين فقلت: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[٢] وقلت: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[٣] فسمعنا وأطعنا ربّنا، فثبّت أقدامنا وتوفّنا مسلمين مصدّقين لأوليائك ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب[٤].

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص١٦٤ ح٩.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) التوبة: ١١٩.
(٤) التهذيب: ج٣ ص١٤٧ باب٧ صلاة الغدير، ح١.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ
وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١

وفي هذا الخبر دلالة على أنّ المراد بالدعاء بعدم الإزاغة، عدم الإزاغة عن الولاية.

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ: لحساب يوم، أو جزائه.

لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ: في وقوعه، ووقوع ماأخبر بوقوعه فيه.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ: فإنّ الإلهيّة تنافيه. وللإشعار به وتعظيم الموعود به، لوّن الخطاب.

قال البيضاوي: واستدل به الوعيدية، وأجيب بأنّ وعيد الفسّاق مشروط بعدم العفو، لدلائل منفصلة، كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً[1] [2].

ويرد على هذا الجواب: إنّ العفو بالتوبة موعود، بخلاف العفو بدونه، واشتراط وعيد الفسّاق بعدم العفو لامعنى له، إذ لايسمّى أضربك إن لم أعف وعيداً، كما يسمّى أعطيك إن جئتني وعداً، فتأمّل يظهر الفرق.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ: الظاهر أنّه عام في الكفرة. وقيل: المراد وفد نجران أو

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص١٥٠، في تفسيره لقوله تعالى: «إن الله لايخلف الميعاد».

(٢) احتج الجبائي بهذه الآية على القطع بوعيد الفسّاق، قال: وذلك لأنّ الوعيد داخل تحت لفظ الوعد، بدليل قوله تعالى: «أن قد وجدنا ماوعدنا ربّنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربّكم حقا» والوعد والموعد والميعاد واحد، وقد أخبر في هذه الآية أنّه لايخلف الميعاد فكان هذا دليلاً على أنّه لايخلف في الوعيد.

قلنا: لم لايجوز أن يكون ذلك كما في قوله: «فبشّرهم بعذاب أليم» وقوله: «ذق إنّك أنت العزيز ←

اليهود، أو مشركوا العرب.

لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا: أي من رحمته، أو طاعته على معنى البدليّة، أو من عذابه.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ: حطبها. وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها.

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ: متصل بما قبله، أي لن تغني عنهم أموالهم، كما لم تغن عن اولئك، أو توقد بهم كما توقد باولئك. أو استئناف مرفوع المحل وتقديره أن دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب.

وهو مصدر دأب في العمل: كدح فيه، فنقل إلى معنى الشأن.

وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: عطف على آل فرعون أو استئناف.

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ: حال بتقدير قد، أو استئناف بتفسير حالهم على التقدير الأول، وخبر على التقدير الثاني.

وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ: تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة.

وفي الآية دلالة على أنّ الكفّار طريقتهم واحدة في الكفر والعذاب والخلود فيه، سواء فيه الذين كفروا بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والذين كفروا قبله.

ويظهر منه: أن المنكرين للولاية المحكوم عليهم بكفرهم، دأبهم كدأب آل فرعون في ذلك، لايجوز إطلاق اسم الإسلام بالمعنى المقصود منه عليهم، كما لايجوز إطلاقه على آل فرعون، وإن جاز إطلاقه عليهم بمعنى آخر، كما جاز إطلاقه على فرعون أيضاً، بمعنى أنّه أسلم لإبليس، أو أسلم لهواه، أو غير ذلك.

الكريم» وأيضاً لم لايجوز أن يكون المراد منه أنّهم كانوا يتوقعون من أوثانهم أنّها تشفع لهم عندالله، فكان المراد من الوعد تلك المنافع. وذكر الواحدي في البسيط طريقة أخرى فقال: لم لايجوز أن يحمل هذا على ميعاد الأولياء دون وعيد الأعداء، لأنّ خلف الوعيد كرم عند العرب قال: والدليل عليه أنّهم يمدحون بذلك، قال الشاعر:

إذا وعد السراء أنجز وعده ... وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه

(التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص١٨٣ آل عمران: ٩).

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ: في مجمع البيان: روي محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله: قال لمّا أصاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قريشاً ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يامعشر اليهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ماأنزل الله بهم، فقد عرفتم أنّي نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، فقالوا: يامحمد لايغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً[1] لاعلم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا لعرفت إنّا نحن الناس، فأنزل الله هذه الآية[2].

وروى أيضاً عن عكرمة وسعيد بن جبير، عن ابن عباس، ورواه أصحابنا[3][4].

وقال البيضاوي: أي قل لمشركي مكة ستغلبون، يعني يوم بدر[5].

وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، على أنّ الأمر للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) بأن

---

(١) الأغمار: جمع غمر بالضم، ورجل غمر وغمِر: لاتجربة له بحرب ولاأمر ولم تحنّكه التجارب (لسان العرب: ج٥ ص٣٢ لغة غمر).

(٢) و(٣) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤١٣ في شأن نزول آية ١٢ من سورة آل عمران.

(٤) و رواه السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ١٥٨ عن ابن عباس وعكرمة وقتادة.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران «قل للذين كفروا» الخ.

يحكي لهم ماأخبره به من وعيدهم بلفظه[١].

وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ: تمام مايقال لهم، أو استئناف. وتقديره: بئس المهاد جهنم، أو مامهدوه لأنفسهم.

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ: قيل: الخطاب لقريش، وقيل: للمؤمنين.

فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا: يوم بدر.

في مجمع البيان: أنّ الآية نزلت في قصّة بدر، وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار. واختلف في عدد المشركين، فروي عن علي بن مسعود أنّهم كانوا ألفاً[٢].

فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ: وهم المؤمنون.

وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ: وهم مشركوا قريش.

يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ: أي يرى المشركون المؤمنين مثليهم. أويرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين. وكانوا ثلاثة أمثال لهم، ليثبتوا لهم ويتيقّنوا بالنصر الذي وعدهم في قوله: «فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»[٣].

وقرئ بها بالبناء للمفعول، أي يريهم الله، أو يريكم ذلك بقدرته.

و«فئة» بالجر على البدل من «فئتين» والنصب على الاختصاص، أو الحال من فاعل «التقتا».

رَأْىَ ٱلْعَيْنِ: رؤية ظاهرة معاينة.

وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ: كما أيد أهل بدر.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ: أي في التقليل والتكثير، أو غلبة القليل، أو وقوع [الأمر] على ماأخبر به الرسول الله (صلّى الله عليه وآله).

لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ: لعظة لذوي البصائر، وقيل: لمن أبصرهم.

---

(١) المصدر السابق. (٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤١٤ في تفسير الآية ١٣ من سورة آل عمران.

(٣) الأنفال: ٦٦.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ: أي المشتهيات، سمّاها شهوات، مبالغة، و إيماء إلى أنّهم انهمكوا في محبّتها حتّى أحبّوا شهوتها، كقوله تعالى: «أحببت حب الخير»[1].

وذهب الأشعري إلى أن المزيّن هو الله تعالى، لأنّه الخالق للأفعال، والدواعي كلّها عندهم، ويقولون: زينة ابتلاء، أو لأنّه يكون وسيلة إلى السعادة الأُخرويّة، إذا كان على وجه يرتضيه الله، أو لأنّه من أسباب التعيش وبقاء النوع.

والمعتزلة إلى أنّه الشيطان.

والجبائي فرق بين المباح والمحرم[2]. وهو الصواب.

مِنَ ٱلنِّسَآءِ: في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن أبي عبدالله البرقي، عن الحسن بن أبي قتادة، عن رجل، عن جميل بن درّاج قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) مايتلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذّة أكثر لهم من لذة النساء، وهو قول الله عزّوجلّ: «زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين» الى آخر الآية. ثم قال: وإنّ أهل الجنّة مايتلذّذون بشيء من الجنّة أشهى عندهم من النكاح، لاطعام ولاشراب[3].

وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ: قناطير جمع قنطار.

---

(1) ص: ٣٢. (٢) انوار التنزيل: ج١ ص١٥١، في تفسيره لآية ١٤ من سورة آل عمران.

(٣) الكافي: ج٥ ص ٣٢١، كتاب النكاح، باب حب النساء، ح ١٠.

وفي مجمع البيـان: اختلف في مقـدار القنطار، قيـل: هو ملاء مسك ثور ذهباً، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام): انتهى[١].

واختلف في أنّه فعلال أو فنعال، والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم: بدرة مبدرة.

مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ: صفة للقناطير. ويحتمل التعلق بـ«المقنطرة» على تضمين معنى المملوّة.

وفي كتاب الخصال: عن محمد بن يحيى العطار، رفع الحديث قال: الذهب والفضّة حجران ممسوخان، فمن أحبها كان معهما[٢].

وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ: أي المعلّمة، من السومة، وهي العلامة، أو المرعيّة من أسام الدابة وسومها، أو المطهمة التامّة الخلق من السوم في البيع، لأنّها يسام كثيراً، أو من السومة كأنّها علم في الحسن.

وَٱلْأَنْعَـٰمِ: الإبل والبقر والغنم.

وَٱلْحَرْثِ: في اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن نوح بن شعيب، عن عبدالله الدهقان، عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إن أوّل ماعصي الله عزّوجلّ به ستّ: حبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الطعام، وحبّ النوم، وحبّ الراحة، وحبّ النساء[٣].

وفي كتاب الخصال: عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): الفتن ثلاث: حب النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان. ومن أحب النساء لم ينتفع بعيشته، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة، ومن أحب الدينار والدرهم فهو

---

(١) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤١٧، سورة آل عمران: ١٤.

(٢) الخصال: باب الاثنين ص ٤٣ ح٣٨.

(٣) الكافي: ج٢ ص٢٨٩، كتاب الإيمان والكفر، باب في اصول الكفر وأركانه، ح٣.

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

عبد الدنيا[١].

ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: إشارة إلى ماذكر، أي هو متمتع في هذه الحياة الدنيا التي مدّتها قليلة.

وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ: أي المرجع. وهو تحريض على استبدال ماعنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الناقصة الفانية.

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ: تقرير لما عنده.

لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا: استئناف لبيان ماهو عنده.

وقيل: يجوز أن يتعلّق اللام بـ«خير»، ورفع «جنات» بتقدير: هو جنات، ويؤيّده قراءة من جرّها، بدلاً من خير.

وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ: ممّا يستقذر من النساء.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ «فيها أزواج مطهّرة» قال: لايحضن ولايحدثن[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «وأزواج مطهّره» قال: في الجنّة، لايحضن ولايحدثن[٣].

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ: وهو أكبر، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر في جميع

---

(١) الخصال: ص١١٣ باب الثلاثة، الفتن ثلاث، قطعة من ح ٩١.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص١٦٤ ح١١ (٠) تفسير القمي: ج١ ص٩٨، في تفسير ـه «وأزواج مطهرة».

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

القرآن بضم الراء ماخلا الحرف الثاني في المائدة، وهو قوله: «رضوانه سبل السلام»[١] وهما لغتان[٢].

وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ: فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، ويعلم استعداد المتقين لما أعدّ لهم.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ: صفة للمتقين، أو للعباد، أو مدح منصوب أو مرفوع. ويحتمل الاستئناف.

رتّب المغفرة والوقاية من النار على الإيمان بالفاء، إشعاراً بأنّه يستلزمها، وهو كذلك، لأنّ المراد به الإيمان بالله ورسوله وجميع ما جاء به الرسول الذي أعظمه الولاية.

ٱلصَّٰبِرِينَ: في البأساء والضرّاء.

وَٱلصَّٰدِقِينَ: في الأقوال والأعمال.

وَٱلْقَٰنِتِينَ: الخاشعين.

وَٱلْمُنفِقِينَ: أموالهم في سبيل الله.

وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ: أي المصلّين وقت السحر. في مجمع البيان: رواه الرضا (عليه السلام)، عن أبيه، عن أبي عبدالله (عليه السلام)[٣].

وروي عن أبي عبدالله (عليه السلام): انّ من استغفر سبعين مرّة من وقت السحر، فهو من أهل هذه الآية[٤].

---

(١) المائدة: ١٦. (٢) أنوار التنزيل: ج١ ص١٥٢ في تفسيره **لآية ١٥** من سورة آل عمران.

(٣) و(٤) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤١٩ في بيان **معنى** الآية ١٦ من سورة آل عمران.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: من قال من وتره إذا أوتر: استغفر الله وأتوب إليه، سبعين مرّة وهو قائم، فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة، كتبه الله من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله تعالى[١].

وروي في من لايحضره الفقيه: عن عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) مثله[٢].

وفي تفسير العياشي: عن مفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك تفوتني صلاة الليل، فاصلّي صلاة الفجر، فلي أن اصلّي بعد صلاة الفجر مافاتني من صلاة وأنا في صلاة قبل طلوع الشمس؟ فقال: نعم ولكن لا تُعلم به أهلك ،فيتخذه سنّة،فيبطل قول الله عزّوجلّ «والمستغفرين بالأسحار»[٣].

وقال البيضاوي: حصر مقامات السالك على أحسن ترتيب، فإنّ معاملته مع الله تعالى: إمّا توسل وإمّا طلب. والتوسّل إمّا بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها، وإمّا بالبدن وهو إمّا قولي وهو الصدق، وإمّا فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة. وإمّا بالمال وهو الإ نفاق في سبيل الخير. وإمّا الطلب فهو الاستغفار، لأنّ المغفرة أعظم المطالب، بل الجامع لها. وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها ،وكمالهم فيها ،أولتغاير الموصوفين بها[٤].

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: أي بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالّة عليها،

---

(١) الخصال: ص٥٨١، أبواب السبعين وما فوقه، ثواب من استغفر الله عزّوجلّ في الوتر سبعين مرة، ح٣.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج١ ص٣٠٩ ،باب دعاء قنوت الوتر، ح٤

(٣) تفسير العياشي: ج١ ص ١٦٥ ح ١٧.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١ ص١٥٢، في تفسيره لقوله تعالى: «والمستغفرين بالأسحار».

أو شهد به لنفسه.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ: بالاستغفار، أو شهدوا كما شهد.

وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ: وهم الأئمة (عليهم السلام) بالاحتجاج عليه، أو شهدوا كما شهد. وعلى المعنى الأوّل في شهد استعارة تبعيّة حيث شبّه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد.

قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ: مقيماً للعدل في حكمه وقضائه.

وانتصابه على الحال من «الله»، وإنّما جاز إفراده بها، ولم يجز جاء زيد وعمرو راكباً؟ لعدم اللبس، أو عن «هو» والعامل فيها معنى الجملة، أي تفرّد قائماً، أو أحقّه لأنّها حال مؤكّدة. أو على المدح، أو الصفة للمنفي.

وفيه ضعف للفصل، وهو داخل في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالاً عن الضمير.

وقرئ: القائم بالقسط، على البدل من «هو» خبر، أو الخبر لمحذوف.

وفي تفسير العياشي: عن جابر قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية: «شهد الله أنّه لاإله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط لاإله إلّا هو العزيز الحكيم» قال أبو جعفر (عليه السلام): «شهد الله أنّه لاإله إلّا هو» فإنّ الله تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه وهو كما قال، فأمّا قوله: **«والملائكة»** فإنّه أكرم **الملائكة بالتسليم** لربّهم، وصدقوا وشهدوا كما شهد لنفسه، **وأمّا قوله: «وأُولوا العلم** قائماً بالقسط» فإنّ أُولي العلم الأولياء والأوصياء، وهم قيام بالقسط، **والقسط هو** العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أميرالمؤمنين (عليه السلام)[1].

فعلى هذه الرواية: «قائماً» حال عن «أُولي العلم»، و إفراده على تأويل كلّ واحد والإشعار بأنّ كلّ واحد منهم قائم به، لئلّا يتوهم أنّ القسط قائم بمجموعهم من حيث هو مجموع.

وفي ذلك التفسير عن مرزبان القمي قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام)

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص ١٦٥ ح ١٨.

عن قول الله تعالى: «شهد الله أنه لاإله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط» قال: هو الإمام[١].

وفي بصائر الدرجات: عن عبدالله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسين ابن علي الوشا، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قلت: «وأؤلوا العلم قائماً بالقسط» قال: الإمام[٢].

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: كرّره للتأكيد ومزيد الاعتناء، فيبنى عليه قوله:

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ: فيعلم أنّه الموصوف بهما. وقدّم «العزيز» لتقدّم العلم بالقدرة على العلم بحكمته، ورفعهما على البدل من الضمير، أو الصفة لفاعل «شهد» وقد ذكر في أوّل الفاتحة ماروي في فضل هذه الآية عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن عثمان العمري (رحمه الله) قال: لما ولد الخلف المهدي (صلوات الله عليه) سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثمّ سقط لوجهه ساجداً لربّه تعالى ذكره، ثمّ رفع رأسه وهويقول: «شهد الله أنّه لاإله إلّا هو والملائكة» إلى آخر الآية[٣].

وفي أُصول الكافي: علي بن محمد، عن عبدالله بن إسحاق العلوي، عن محمد بن زيد الرزامي، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في حديث طويل يذكر فيه (عليه السلام) مواليد الأئمة (صلوات الله عليهم) وفيه يقول (عليه السلام): وإذا وقع من بطن امّه، وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فأمّا وضعه يديه على الأرض فإنّه يقبض كل علم الله أنزله من السماء إلى الأرض. وأمّا رفعه رأسه إلى السماء فإنّ منادياً ينادي من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة من الأُفق الأعلى باسمه واسم أبيه يقول: يافلان بن فلان أثبت تثبت، فلعظيم ماخلقتك، أنت صفوتي من خلقي

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٦ ح ١٩.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٣٢٣ ح ١٩ سورة آل عمران، نقلاً عن بصائر الدرجات.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٣ الباب الثاني والأربعون ح ١٣.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾

وموضع سرّي وعيبة علمي وأميني على وحيي وخليفتي في أرضي. لك ولمن تولّاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحللت جواري. ثم وعزّتي وجلالي لأُصلينّ من عاداك أشد عذابي، وإن وسّعت عليه في دنياي من سعة رزقي. فإذا انقضى الصوت ـصوت المنادي ـ أجابه هو واضعاً يديه رافعاً رأسه إلى السماء، يقول: «شهد الله أنّه لاإله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط لاإله إلّا هو العزيز الحكيم» فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأوّل والعلم الآخر واستحقّ زيادة الروح في ليلة القدر[1].

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ: جملة مستأنفة مؤكّدة للأولى، أي لادين مرضي عندالله، إلّا الإسلام وهو التوحيد والتورّع بالشرع الذي جاء به محمّد (صلّى الله عليه وآله) الذي لايتم إلّا بالولاية يدل على ذلك مارواه الشيخ الطوسي (رحمه الله) في أماليه قال: حدّثنا أبو عبدالله محمد بن النعمان (رحمه الله)، قال: حدّثنا الشيخ أحمد بن محمد بن الحسن [بن الحسن بن الوليد قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا محمد ابن الحسن] الصفار (رحمه الله)، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن المفضّل بن عمر، عن الصادق (عليه السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): أُعطيت تسعاً، لم يعطها أحد قبلي سوى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لقد فتحت لي السبل، وعلمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، ولقد نظرت إلى الملكوت بإذن ربي فما غاب عنّي ماكان قبلي ولاما يأتي بعدي، فإن بولايتي أكمل الله لهذه الامّة دينهم وأتمّ عليهم النعم ورضي لهم الاسلام، إذ يقول

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٨٥ كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة، قطعة من ح١.

يوم الولاية لمحمّد (صلّى الله عليه وآله): يامحمد أخبرهم أني أكملت لهم اليوم دينهم وأتممت عليهم النعم ورضيت إسلامهم، كل ذلك منّ الله [به] عليّ، فللّه الحمد[1].

ولافرق بينه وبين الإيمان في المتعلّق، و إنّما الفرق بأنّه يقال له الإيمان: بعد رسوخه ودخوله في القلب، وقبل ذلك يسمّى إسلاماً.

يدلّ على ذلك مارواه في أُصول الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عمّن ذكره، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): إنّ الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون[2].

وما رواه عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: الإسلام لايشرك الإيمان، والإيمان يشرك الإسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لايشرك الإيمان، وقد قال الله عزّوجلّ «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» فقول الله عزّوجلّ أصدق القول والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[3].

وفي الآية دلالة على ذلك، حيث أفادت أن ليس ديناً مرضيّاً عندالله سوى الإسلام. ولو كان الإسلام أعمّ، بمعنى أنّ الإسلام كان عبارة عن الإقرار بالتوحيد والنبوّة، والإيمان عبارة عنهما وعن الإقرار بالولاية لكان الإقراران بدون الولاية ديناً مرضيّاً عنده، وليس كذلك بالاتفاق منّا.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٠٨ ح ١.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٧٣ كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، قطعة من ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦ كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإيمان يشرك الإسلام... قطعة من ح ٥.

لايقال: الآية دلت على أنّ الدين المرضي ممّا يصدق عليه الإسلام، ولم يدلّ على أنّ كل إسلام دين مرضي، فلعل ذلك باعتبار بعض أفراده. وأيضاً يكفي في كونه مرضياً، كونه ممّا يحقن به الدم وترتّب بعض الأحكام عليه ولايلزم كونه ممّا يثاب عليه ويصير سبب نجاة في الآخرة.

لأنّا نقول: في الجواب عن الأوّل: إنّ تعريف جزئي الجملة يفيد انحصار كلّ منهما في صاحبه كما حقّق في موضعه، فيفيد أن الإسلام لايكون ديناً غير مرضي أصلاً.

وعن الثاني: أنّ المتبادر الصريح من كونه مرضياً عندالله كونه ممّا يثيب عليه في الآخرة. وأمّا كونه مرضياً بالمعنى الذي ذكرته فمّا لاينقاد له الذهن، فلايحمل عليه بوجه.

وقرأ الكسائي بالفتح على أنه بدل «أنّه».

وقرئ «إنّه» بالكسر، و«أن» بالفتح على وقوع الفعل على الثاني وإعتراض مابينهما. أو إجراء «شهد» مجرى قال تارة، وعلم أخرى، لتضمّنه معناهما.

وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: في دين الإسلام، فقال قوم: حقّ، وقال قوم: مخصوص بالعرب، ونفاه آخرون مطلقا. أو في التوحيد، فثلث النصارى، وقالت اليهود: عزير بن الله.

«**والذين اوتوا الكتاب**» أصحاب الكتب المتقدمة، وقيل: اليهود والنصارى، وقيل: هم قوم موسى اختلفوا بعده، وقيل: هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى.

إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ: أي من بعد ماجائهم الآيات الموجبة للعلم.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ: وعيد لمن كفر منهم.

وفي الاية دلالة على كفر من تمكّن من العلم بدين الحق، وأنكر، وإن لم يحصل له العلم باعتبار تهاونه.

وبذلك يظهر كفر من سمع من أهل السنّة من أهل تقليدهم، أنّ ديناً غير دينهم موجود يتديّن به غيرهم، وتهاون في تحصل العلم مع تمكّنه منه.

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ
وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ
ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

فَإِنْ حَآجُّوكَ: في الدين بعد إقامة الحجج وجادلوك عناداً.

فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ: أخلصت له نفسي، لا أشرك فيها أحداً.

وعبّر بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة، ومظهر القوى المدركة.

وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ: عطف على الضمير المرفوع للفصل، أو مفعول معه.

وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ: الذين لا كتاب لهم، كمشركي العرب.

ءَأَسْلَمْتُمْ: كما أسلمت بعد إقامة الحجة، أم أنتم باقون على كفركم. وفيه تعيير لهم بالبلادة، أو المعاندة.

فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟: فقد انتفعوا بالهداية.

وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ: فلم يضروك، إذ ما عليك إلّا التبليغ، وقد بلغت.

وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ: وعد للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) وللمؤمنين، و وعيد للمتولّين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ: هم أهل

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

الكتاب الذين في عصره. قتل أولوهم الأنبياء ومتابعيهم ومشايعيهم ورضوا به. وقصدوا قتل النبيّ والمؤمنين، ولكن الله عصمهم.

ونقل أنّ بني إسرائيل قتلوا ثلاثة وأربعين نبيّاً من أوّل النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنى عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار[1].

وقرأ حمزة: يقاتلون الذين[2].

فبشرهم: خبر المبتدأ، ودخول الفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. ويمنع سيبويه دخول الفاء في خبر إن كـ«ليت ولعل ولذلك» قبل الخبر.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: كقولك: زيد -فافهم- رجل صالح. وبينه وبينها فرق فإنّها لا تغير معنى الجملة، بخلافها. وقد دخلت الفاء في خبر «إن» في قوله: «إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم»[3].

وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ: في الدنيا يدفع عنهم الخزي واللعن، وفي الآخرة يدفع عنهم العذاب.

وفي إيراد الجمع إشعار بأنّ خزيهم وعذابهم عظيم على تقدير وجود الناصرين، لايمكن لواحد منهم دفعه.

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال: قال رسول الله

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٢٣ بيان المعنى لآية ٢١ من سورة آل عمران.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٣ في تفسير آية ٢١ من سورة آل عمران. (٣) الجمعة: ٨.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

(صلّى الله عليه وآله): لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عندالله تبارك وتعالى من رجل قتل نبيّاً أو إماماً، أو هدم الكعبة التي جعلها الله تعالى قبلة لعباده، أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً[1].

وفيه: فيا علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه: إحذروا السفلة، فإنّ السفلة من لا يخاف الله، فيهم قتلة الأنبياء وهم أعداؤنا[2].

وفي أُصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن يونس بن ظبيان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «إن الله عزّوجلّ يقول: ويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيّة. أبي يغترّون، أم علي يجترؤون، فبي حلفت لا تيحنّ لهم فتنة تترك الحليم منهم حيراناً»[3].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: أي حظاً وافياً، والتنكير للتعظيم.

﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾: أي التوراة، أو جنس الكتب السماويّة، و«من» للتبعيض، أو للتبيين.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: أي يدعوهم محمد إلى القرآن، ليحكم

---

(١) الخصال: ص ١٢٠ باب الثلاثة لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عندالله عزّوجلّ من ثلاثة، ح ١٠٩.

(٢) الخصال: ص ٦٣٥ باب علم أميرالمؤمنين أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه، قطعه من ح ١٠.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٩ كتاب الإيمان والكفر، باب اختتال الدنيا بالدين، ح ١ وفيه: «يختلون» بدل «يجتلبون».

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ
فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

بينهم، أو التوراة. لما نقل أنه (عليه السلام) دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ فقال: على دين إبراهيم، فقال له نعيم: إنّ إبراهيم كان يهودياً، فقال: هلمّوا إلى التوراة ليحكم بيننا وبينكم، فأبيا[1].

وقيل: نزلت في الرجم، وقد اختلفوا فيه.

وقرئ «ليحكم» على البناء [للمفعول] فيكون الاختلاف فيما بينهم.

ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ: استبعاد لتولّيهم مع علمهم بأنّ الرجوع إليه واجب.

وَهُم مُّعْرِضُونَ: حال من «فريق» لتخصيصه بالصفة، أي وهم قوم عادتهم الإعراض عن الحق، وهو نهاية التقريع.

ذَٰلِكَ: أي الإعراض.

بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ: بسبب تسهيلهم أمر العذاب.

وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ: من قولهم السابق، أو أنّ آبائهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنّه تعالى وعد يعقوب أن لايعذب أولاده. إلّا تحلّة القسم، وتكرير الكذب والافتراء يصيّره في صورة الصدق عند قائله ومفتريه.

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ: تكذيب لقولهم: «لن تمسّنا النار إلا أياماً» ولغرورهم بما كانوا يفترون.

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٤ في تفسير آية ٢٢ من سورة آل عمران.

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾

وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ: جزاء ما كسبت.

قال البيضاوي: وفيه دليل على أنّ العبادة لاتحبط، وأن المؤمن لايخلد في النار، لأنّ توفية إيمانه وعمله لايكون في النار، ولاقبل دخولها، فإذن هي بعد الخلاص[١].

ويرد عليه في الأوّل. أنه على تقدير الإحباط يصدق على النفس المحسنة التي أحبطت حسنته بالسيئة التي صدرت عنها، أنّها وفيّت ماكسبت، بمعنى أنّها لحسنتها لم تعاقب بالسيئة التي صدرت عنها.

وفي الثاني: أنّه يمكن توفية إيمانه وعمله في النار، بأن يخفّف عذابه عن قدر ماينبغي لسيئته، لإيمانه وعمله.

والتحقيق: أنّ المؤمن يعني الموالي للأئمة (عليهم السلام) لايدخل النار، وغيره يدخل ولايخرج، ومناط الإيمان ماجعله الله ورسوله إيماناً، لاما جعله كل حزب إيماناً وعدّه عملاً صالحاً. فكم من يعدّ نفسه مؤمناً، وهو مؤمن بنفسه وهواه، وكم ممّن يعدّ نفسه موالياً، وهو ممّن يوالي الشيطان.

وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ: الضمير لـ «كل نفس» على المعنى، لأنّه في معنى كلّ إنسان.

قُلِ ٱللَّهُمَّ: الميم عوض عن حرف النداء، ولذلك لايجتمعان، وقد وقع في الشعر ضرورة[٢].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٥٤ في تفسيره لآية ٢٥ من سورة آل عمران.

(٢) كقول أمية بن أبي الصلت:

←

وهو من خصائص هذا الإسم، كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته، وتاء القسم.

وقيل: أصله يا الله آمنّا بخير، فخفف بحذف حرف النداء ومتعلّقات الفعل وهمزته.

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: على الحقيقة، وهو صفة لله. وعند سيبويه نداء ثان، فإن الميم عنده يمنع الوصفية.

﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: أي تعطي منها ماتشاء من تشاء وتسترد، فالملك الأول عام والأخيران بعضان منه.

وقيل: المراد بالملك النبوّة، ونزعها نقلها من قوم إلى قوم.

وفي روضة الكافي: بإسناده إلى عبدالأعلى مولى آل سام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء» أليس قد آتى الله عزّوجل بني أُمية الملك ؟ قال: ليس حيث تذهب، إنّ الله عزّوجلّ آتانا الملك وأخذته بنوأُميّة بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر، فليس هو للذي أخذه[1].

فالمراد بإيتاء الملك بناء على هذا الخبر، جعل الملك لأحد وجعله جائز التصرّف فيه، لاالتسليط على الملك كما يتوهم بعض الأوهام وذهب إليه، وهو مولى آل سام. وهو الآن لمن جعل الله الملك له وجعله قائماً فيه.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾: في الدنيا أو في الآخرة أو فيها بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾: أي ما هو فعلك خير والشرّ ممّا يرجع إلينا مع كون الشرّ مقدوراً لك أيضاً.

إنّي إذا ما حدث ألمّا ... أقول: يا اللهمّ يا اللهمّا

(شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٢٦٥ شاهد «٣١٠»).

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٦ ح ٣٨٩.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: خيراً كان أو شراً، لكن مايصدر عن يدك وقدرتك، هو الخير، هذا.

وقال البيضاوي: ذكر الخير وحده؟ لأنّه المقضي بالذات، والشر مقضي بالعرض، إذ لايوجد شر جزئي مالم يتضمّن خيراً كلياً، أو لمراعاة الأدب في الخطاب أو لأنّ الكلام وقع فيه، إذ روي أنه (عليه السلام) لـمّا خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون، فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيه المعاول، فوجهوا سلمان إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بخبره، فجاء فأخذ المعول منه، فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها، لكأن [بها] مصباحاً في جوف ليلة[1]، فكبّر وكبّر معه المسلمون، وقال: أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقال: أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، ثم ضرب الثالثة فقال: أضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبرائيل أنّ أُمتي ظاهرة على كلّها، فأبشروا، فقال المنافقون: ألا تتعجّبون؟! يمنّيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة [ومدائن كسرى]، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق، فنزلت. ونبّه على أنّ الشر أيضاً بيده، بقوله: «إنّك على كلّ شيء قدير»[2] انتهى كلامه.

وهذا بناء على زعمه الكاسد ممّا ذهب إليه الأشعرية: من أن الخير والشر كليهما من أفعال الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. بل مايصدر عنه تعالى ممّا ظاهره الشر من التعذيب والخزي والإماتة والتمريض وغير ذلك فهو خير في الواقع وحسن بالنظر إلى مصالحه وحكمه، كيف والشر قبيح يقبح صدوره عنه تعالى.

• • •

---

(١) في المصدر: في جوف بيت مظلم.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١ ص ١٥٤ ـ ١٥٥ سورة آل عمران في تفسيره لآية الملك.

تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾

تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ : أي تزيد في النهار وتنقص من الليل، وبالعكس، أوتعقب أحدهما الآخر، والولوج: الدخول في مضيق.

وفي كتاب الأهليلجة، قال: الصادق (عليه السلام): بعد أن ذكر الليل والنهار يلج أحدهما في الآخر، ينتهي كل واحد منهما إلى غاية معروفة محدودة في الطول والعرض على مرتبة ومجرى واحد[1].

وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ : تنشئ الحيوانات من موادها وتميتها، أو تخرج الحيوان من النطفة والنطفة منه، أو تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.

وفي كتاب معاني الأخبار: وسئل الحسن بن علي بن محمد (عليهم السلام) عن الموت ماهو؟ فقال: هو التصديق بما لايكون. حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الصادق (عليه السلام) قال: إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً، فإنّ الميّت هو الكافر، إن الله عزّوجلّ يقول: «يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي» يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[2].

وفي مجمع البيان «وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» قيل: معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٦٥ كتاب التوحيد، باب ٥ الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالأهليلجة.

(٢) معاني الأخبار: ص ٢٩٠ باب معنى الموت ح ١٠.

لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

(عليها السلام)[١].

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبوبكر (الميت) بالتخفيف[٢].

وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ: في مهج الدعوات عن أسماء بنت زيد قالت: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به اجاب «قل اللهم مالك الملك» إلى «بغير حساب»[٣].

وقد مرّ في أول الفاتحة مايدلّ على فضل هذه الآية أيضاً.

لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ: نهي عن موالاتهم والاستعانة بهم.

مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ: في موضع الصفة لـ«أولياء» أو الحال إن جوّزت عن النكرة، والمعنى: أنهم لايتخذوهم أولياء بدل المؤمنين، فيكون إشارة إلى أن المؤمنين أحقّاء بالموالاة، وفي موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة، فإنّ الله ولي الذين آمنوا.

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ: أي اتخاذ الكافرين أولياء.

فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ: من الولاية، لأنّه ترك موالاة المؤمنين الذين وليهم الله، و والى عدو الله.

إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً: أي لايجوز موالاتهم في شيء من الأحوال إلّا في

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٢٨ في بيان معنى آية الملك من سورة آل عمران.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٥ في تفسيره لآية ٢٧ من سورة آل عمران.

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ص ٣١٧ (ط إيران ١٣٢٣) ومن ذلك مانذكره في تعيين الاسم الأعظم.

حالة أن تتقوا منهم، أي تخافوا من جهتهم.

و«تقاة» مصدر، امّا بمعنى مايجب اتقاءه فيكون مفعولاً به، أو بمعناه فيكون مفعولاً مطلقاً، والفعل معدّى بـ(من)لأنّه في معنى تحذروا وتخافوا.

وقرأ يعقوب: (تقية)(١).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه لبعض اليونانيين: وامرك أن تستعمل التقيّة في دينك، فإنّ الله يقول: «لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا أن تتقوا منهم تقاة» وإيّاك ثم إيّاك أن تتعرّض للهلاك وأن تترك التقيّة التي أمرتك بها فإنّك شائط بدمك ودماء إخوانك معرض لنعمك ولنعمهم للزوال مذلّهم في أيدي أعداء الله وقد امرك بإعزازهم(٢).

وفي تفسير العياشي: عن الحسين بن زيد بن علي، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) [عن أبيه عليه السلام] قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: لاإيمان لمن لا تقيّة له، ويقول: فإنّ الله يقول: «إلّا أن تتقوا منهم تقاة»(٣).

وفي أُصول الكافي: علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن إسماعيل الجعفي، ومعمر بن يحيى بن بسام، ومحمد بن مسلم وزرارة قالوا: سمعنا أبا جعفر (عليه السلام) يقول: التقيّة في كلّ شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحلّه الله له(٤).

علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: التقية ترس الله بينه وبين خلقه(٥).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: في موالاة الكفار من غير ضرورة، وترك التقية في

---

(١) أنوار التنزيل ج ١ ص ١٥٥ في تفسيره لآية ٢٨ من سورة آل عمران.

(٢) الاحتجاج: ص ٢٣٩ احتجاجه على من قال: بزوال الأدواء بمداوات الأطباء... ط. بيروت.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٦ ح ٢٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٠ كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح ١٨.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٠ كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح ١٩.

قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

حال الضرورة. وذكر النفس ليعلم أن المحذور منه عقاب [يصدر] منه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح.

وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ: تأكيد للتهديد. و إتيان الظاهر موضع الضمير، للمبالغة.

قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ: يعلم السر منكم والعلن.

وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: فيعلم ماتضمرونه وما تخفونه.

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: فيقدر على تعذيبكم وخزيكم إن لم تنتهوا عن مانهيتم عنه.

يَوْمَ: منصوب بـ«تود» أو اذكر، مضاف إلى.

تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا: أي تجد صحائف أعمالها، أو جزاء أعمالها، من الخير حاضراً.

وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ: أي محضراً.

تَوَدُّ: حال على تقدير تعلق «يوم» باذكر، من الضمير في عملت أو خبر لـ«ماعملت من سوء»، و«تجد» مقصور على «ماعملت من خير». ولا تكون «ما» شرطية لارتفاع «تود».

وقرئ: «ودت» وعلى هذا يحتمل أن تكون «ما» شرطية.

لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا: بتأويل المصدر، مفعول «تود» أي تود كون

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

الأمد البعيد بينها وبين عملها.

وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ: التكرير للتأكيد.

وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ: إشارة إلى أن النهي للرأفة، رعاية لمصالحهم، وأنه لذو مغفرة وذو عقاب فيجب أن ترجى رحمته ويخشى عقابه.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي: المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على مايقربها إليه. ومحبة العباد مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره، ورغبتهم فيها، وهي مستلزمة لاتباع الرسول في جميع ماجاء به، ومن جملته بل العمدة فيه اتباع الأئمة (عليهم السلام).

يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ: جواب للأمر، أي يرضى عنكم ويتجاوز عن ذنوبكم، عبّر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة، أو المقابلة.

وفي روضة الكافي: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) في حديث طويل يقول: فيه: ومن سره أن يعلم أن الله يحبه، فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عزّوجلّ لنبيه (صلّى الله عليه وآله): «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» والله لايطيع الله عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولاوالله لايتبعنا عبد أبداً إلّا أحبه الله، ولاوالله ولايدع أحد اتباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولاوالله لايبغضنا أحد أبداً إلّا عصى الله، ومن كان عاصياً لله أخزاه، وأكبه على وجهه في النار والحمد لله رب العالمين[1].

وفيها خطبة لأميرالمؤمنين (عليه السلام) وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها (عليه

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٤ رسالة أبي عبدالله إلى جماعة الشيعة، آخرح ١ وفيه: ومن مات عاصياً.

السلام) بعد أن ذكر النبيّ (صلّى الله عليه وآله): فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم» فاتباعه (صلّى الله عليه وآله) محبة الله، ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنّة[١].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إني لأرجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الأمة، إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثم تلا: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» ثم قال: ياحفص الحب أفضل من الخوف، ثم قال: والله ماأحب[الله]من أحب الدنيا ووالى غيرنا. ومن عرف حقنا وأحبنا فقد أحب الله تبارك وتعالى[٢].

وفي كتاب الخصال: عن سعيد بن يسار قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): هل الدين إلّا الحب؟ إن الله تعالى يقول: «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»[٣].

وعن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام): إنّ الناس يعبدون الله تعالى على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدون فَرَقاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة، ولكني أعبده حبّاً له فتلك عبادة الكرام وهو الأمن لقوله تعالى: «وهم من فزع يومئذٍ آمنون»[٤] ولقوله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فمن أحبّ الله أحبه الله ومن أحبه الله كان من الآمنين[٥].

وفي تفسير العياشي: عن زياد، عن أبي عبيدة الحذاء قال: دخلت على أبي

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦ خطبة الوسيلة لأميرالمؤمنين (عليه السلام).
(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٢٨ ح ٩٨.
(٣) الخصال: ص ٢١ باب الواحد (الدين هو الحب) ح ٧٤.
(٤) النمل: ٨٩.
(٥) الخصال: ص ١٨٨ باب الثلاثة (الناس يعبدون الله عزّوجلّ على ثلاثة أوجه) ح ٢٥٩.

جعفر (عليه السلام) فقلت: بأبي أنت وأُمي ربما خلا بي الشيطان فخشيت نفسي، ثم ذكرت حبّي إياكم وانقطاعي إليكم فطابت نفسي، فقال: يازياد ويحك وما الدين إلّا الحبّ ألا ترى إلى قول الله تعالى: «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»[1].

وعن بشير الدهقان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قد عرفتم في منكرين كثير وأُحببتم في مبغضين كثير، وقد يكون حبّاً لله في الله ورسوله، وحبّاً في الدنيا، فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله، وما كان في الدنيا فليس شيء، ثم نفض يده، ثم قال: إن هذه المرجئة[2] وهذه القدرية[3] وهذه الخوارج[4] ليس منهم أحد إلّا يرى أنه على الحق، وأنكم إنما أحببتمونا في الله، ثم تلا: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم»[5] «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[6] «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله»[7] «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»[8].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧ ح ٢٥.

(٢) المرجئة بالميم ثم بالراء ثم بالهمزة بغير تشديد من الأرجاء بمعنى التأخير، عند أكثر اللغويين، وبالياء بدل الهمزة من غير تشديد أيضاً، وقد وقع الخلاف في تفسير اللفظة، فقيل: هم فرقة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلاعمل، كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل، أي أخروه، لأنهم يريدون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم. وقيل: هم فرقة من المسلمين يعتقدون أنه لايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة (تنقيح المقال: ج ٣ في عد المذاهب الفاسدة ص٨٦).

(٣) القدرية وهم على ما في المجمع وغيره المنسوبون إلى القدر، يزعمون أن كل عبد خالق فعله، ولايرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيئته، فنسبوا إلى القدر، لأنه بدعتهم وضلالتهم، وفي شرح المواقف قيل: القدرية هم المعتزلة، لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم. وفي الحديث: لايدخل الجنة قدري، وهو الذي يقول: لايكون ماشاء الله ويكون ماشاء إبليس انتهى، وروي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إن القدري مجوس هذه الأمة. (تنقيح المقال: ج٣ في عد المذاهب الفاسدة ص٨٦).

(٤) وهم فرقة من فرق الإسلام، سموا خوارج لخروجهم على علي (عليه السلام). ذكر المؤرخون أنه (عليه السلام) قتل منهم يوم النهروان ألفي نفس (مجمع البحرين: لغة خرج).

(٥) النساء: ٥٩.

(٦) الحشر: ٧. (٧) النساء: ٨٠. (٨) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧ ح ٢٦.

وعن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلّا الحب؟ إن الله يقول: «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» وقال: «يحبون من هاجر إليهم»[١] وهل الدين إلّا الحب[٢].

وعن ربعي بن عبدالله قال: قيل لأبي عبدالله (عليه السلام) جعلت فداك، انا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟ فقال: اي والله، وهل الدين إلّا الحب، قال الله تعالى: «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»[٣].

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ: لمن تحبّب إليه بطاعته واتباع رسوله (صلّى الله عليه وآله).

قال البيضاوي: روي أنّها نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقيل: نزلت في وفد نجران لمّا قالوا: إنا نعبد المسيح حبّاً لله، وقيل: في أقوام زعموا على عهده (عليه السلام) أنهم يحبّون الله، فامروا أن يجعلوا لقولهم تصديقاً من العمل[٤].

ولنعم ماقال صاحب الكشاف هنا: وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر[٥] ويصعق، فلا تشك في أنه لايعرف ماالله، ولايدري مامحبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته[٦] إلّا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة، فسمّاها الله بجهله ودعارته، ثمّ صفق وطرب ونعر

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧، قطعة من ح ٢٧.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧ ح٢٨.

(٤) انوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١ ص ١٥٦ في تفسيره لقوله تعالى «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني» من سورة آل عمران.

(٥) النعرة: صوت في الخيشوم، قال الراجز:

إني ورب الكعبة المستورة   والنعرات من أبي محذورة

يعني آذانه، ونعر الرجل ينعر تعيراً (لسان العرب: ج٥ ص٢٢٠ لغة نعر).

(٦) يقال: صعق الرجل صعقة، أي غشي عليه من صوت يسمعه كالهدّة الشديدة (لسان العرب: ج١٠ ص١٩٨ لغة صعق).

قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

وصعق على تصوّرها، وربما رأيت المنيّ قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته، وحق العامة على حواليه قد ملؤا أدرانهم[1] بالدموع لما رققهم من حاله قال:

احبّ ابا ثروان من حبّ تمرة — واعلم انّ الرّفق بالجار ارفق
و والله لولا تمره ما حببته — ولا كان أدنى من عبيدٍ ومشرق[2]

قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ: يحتمل المضي والمضارعة، بمعنى فإن تتولوا.

فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ: لايرضى عنهم ولايغفر لهم. ووضع المظهر موضع المضمر، لقصد العموم، والدلالة على أن التولّي كفر، وأنه ينفي محبة الله، ومحبته مخصوصة بالمؤمنين.

وفي الآية، مع ماذكر من الأخبار في بيانها، دلالة صريحة على كفر من تولّى عن الولاية، فتبصّر.

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ: لـمّا أوجب طاعة الرسول وأولاده الأوصياء، وبيّن أنها

---

(١) الدرَن بالتحريك: الوسخ وقد درن الثوب بالكسر دَرنا فهو دَرِن (لسان العرب: ج١٣ ص١٥٣ لغة درن).

(٢) لغيلان بن شجاع النهشلي، يقول: أحب هذا الرجل من أجل حب تمره، وأعلم أن الرفق بالجار أرفق منه بغيره، اي أشد رفقا، ويروى: ابا مروان، وفيه استعطاف لأبي مروان وطلب الرفق منه بالشاعر. ولا كان أدنى، أي أقرب إلى من عبيد ومشرق، وهما ابناه (تلخيص من هامش الكشاف: ج١ ص٣٥٣).

الجالبة لمحبته، عقب ذلك ببيان مناقب الرسل وآلهم -الذين أوصياء الرسول منهم- تحريضاً عليها.

﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: وآله: إسماعيل و إسحاق وأولادهما، ودخل فيهم الرسول (صلّى الله عليه وآله) وأولاده الأوصياء (عليهم السلام).

في مجمع البيان: إنّ آل إبراهيم هم آل محمد الذين هم أهله، ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله مطهّرين معصومين منزّهين عن القبائح، لأنّه سبحانه لا يختار ولا يصطفي إلّا من كان كذلك، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة، ثم قال: وهو المروي عن أبي عبدالله (عليه السلام)[1].

وفي تفسير العياشي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض» قال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة[2].

وفي شرح الآيات الباهرة: روى الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) عن روح ابن رواح، عن رجاله، عن إبراهيم النخعي، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقلت: يا أبا الحسن أخبرني بما أوصى إليك رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟ فقال: سأُخبركم، إنّ الله اصطفى لكم الدين وارتضاه وأتم عليكم نعمته، وكنتم أحقّ بها وأهلها، وأنّ الله أوحى إلى نبيه أن يوصي إليّ فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): **ياعلي احفظ وصيتي وارفع ذمامي واوف بعهدي وانجز عداتي [واقض ديني] وقوّمها واحيي سنتي وادع إلى ملتي**، لأنّ الله تعالى اصطفاني واختارني، فذكرت دعوة أخي موسى (عليه السلام) فقلت: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي كما جعلت هارون من موسى، فأوحى الله عزّوجلّ إليّ أنّ علياً وزيرك وناصرك والخليفة من بعدك، ثمّ ياعلي أنت من أئمة

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٣٣ في بيان معنى آيتي ٣٣ و٣٤ من سورة آل عمران، والظاهر أنّ قوله: (وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام) لاعلاقة له بما نقله أولاً.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص ١٦٨ ح٢٩.

الهدى وأولادك منك ، فأنتم قادة الهدى والتقى والشجرة التي أنا أصلها وأنتم فرعها، فمن تمسك بها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد هلك وهوى، وأنتم الذين أوجب الله تعالى مودتكم وولايتكم والذين ذكرهم الله في كتابه ووصفهم لعباده، فقال عزّوجلّ من قائل: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم» فأنتم صفوة الله من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران، وأنتم الأُسرة من إسماعيل والعترة الهادية من محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين)(١).

وفي عيون الأخبار في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمة في حديث طويل، وفيه: فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): إنّ الله تعالى أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، فقال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا (عليه السلام): في قوله تعالى: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»(٢).

وَءَالَ عِمْرَانَ: آله: موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر، وقيل: عيسى ومريم بنت عمران بن ثاثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال العالم (عليه السلام): نزل (آل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) فأسقطوا آل محمّد من الكتاب(٤)(٥).

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب، ووجدناه في تفسير البرهان ج١ سورة آل عمران ص٢٧٩ ح١٦ نقلا عن الأمالي.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٣٠ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا مع المأمون. ح ١.

(٣) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ في تفسير آية ٣٣ من سورة آل عمران.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص١٠٠ في تفسير آية «انّ الله اصطفى آدم ونوحاً..» الآية.

(٥) سيأتي من المصنف انكار ان يكون اسقاط من القرآن اوزيادة فيه.. وسنعرض له في تعاليق آتية..

ونقول هنا: ان رواياتٍ هكذا، وبهذه الصراحة في وقوع التحريف في الكتاب العزيز، تخالف نصّ القرآن اولاً.. وصحيح الروايات ثانياً.. قال تعالى: «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه».

←

وفي مجمع البيان: وفي قراءة أهل البيت (عليهم السلام): وآل محمّد على العالمين[١].

وفي تفسير العياشي عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً» فقال: هو آل إبراهيم وآل محمّد على العالمين، فوضعوا اسماً مكان اسم[٢] [٣].

وقال: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون».

وفي رسالة ابي جعفر (عليه السلام) الى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرّفوا حدوده..» (الكافي: ج٨ ص٥٣ ح١٦).

فقد صرّح الامام الباقر (عليه السلام) أنهم لم يمسّوا حروفه وعباراته شيئاً، وانما عمدوا الى تأويله وتفسيره على غير الوجه. وهو تحريف بالمبنى.

وكذلك في حديث ابي بصير مع الامام الصادق (عليه السلام) سأله عن السبب في عدم ذكر اهل البيت صريحاً في القرآن، فاجابه الامام (عليه السلام) انه سبحانه انما ذكر في القرآن اصول الشريعة وكليات الاحكام، اما الفروع والجزئيات، فوكول الى بيان الرسول (صلّى الله عليه وآله) يبينها للناس على سواء.

فلو كان هناك تحريف في لفظ الكتاب لما صحّ هذا الجواب (الكافي: ج١ ص٢٨٦ ح١).

وعليه، فحيث دلّ صريح الكتاب وصحيح الروايات على عدم التحريف، فكل ماورد على خلاف ذلك، فهو مردود على اهله، ويضرب به عرض الجدار.

نعم لو احتمل تأويلاً مقبولاً اوّلناه ولو بعيداً، لانه اولى من الطرح مهما امكن.. وقد حاول العلماء تأويل هكذا روايات الى ارادة الاسقاط من التفسير، اي هكذا كانت الآية تفسّر فغيروا تفسيرها الى غير ذلك..

على انا ذكرنا عند الكلام عن «صيانة القرآن من التحريف» ان هذا التفسير المشتهر بتفسير «علي بن إبراهيم القمي» ليس من تأليفه، وانما هو تأليف تلميذه «ابي الفضل العلوي» المجهول، وقد اهمله اصحاب التراجم.. وهذا قد اخذ شطراً من املاءات القمي، واضاف اليه شطراً من تفسير ابي الجارود، الملعون المطرود، فزج بينهما مزجاً، وكانت حصيلته هذا التفسير الموجود اليوم، المنسوب الى القمي نسبةً غير صحيحة، وهو جفاء صريح..

اذن فلا يمكن الاعتماد على روايات جاءت في هذا التأليف غير معلوم النسب.

(١) مجمع البيان ج ١ ـ ٢ ص ٤٣٣ في بيان معنى آية ٣٣ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٨، سورة آل عمران، ح ٣٠.

(٣) هذه الرواية ايضاً منقولة عن تفسير مقطوع الاسانيد، كان في اصله تفسيراً مسنداً ذا اعتبار ووزن ←

عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ: قيل: فيه دلالة ظاهرة على تفضيلهم على الملائكة، وقد مرّ مافيه في سورة البقرة.

وفي كتاب الخصال.: عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة، إلى أن قال: واختار من البيوت أربعة فقال تعالى: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»(١).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال في وصيّة له: ياعليّ، إنّ الله عزّوجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثمّ اطّلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين(٢).

وفي عيون الأخبار: في باب مجلس الرضا (عليه السلام) عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء (صلوات الله عليهم) حديث طويل يقول فيه الرضا (عليه السلام): أمّا قوله عزّوجلّ في آدم: «وعصى آدم ربه فغوى» فانّ الله عزّوجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنّة، وكانت المعصية من آدم (عليه السلام) في الجنّة لافي الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتتم مقادير أمر الله عزّوجلّ، فلما أُهبط إلى

ثمين، لكن مع الاسف الشديد، عمد بعض من لاخبرة له الى استنساخ هذا السفر القيم فاسقط اسناد رواياته طرّاً لغرض الاختصار او لغاية أخرى اعقبت أسفاً وضياعاً مرّاً.. وعلى اي حال، فان هذا الكتاب كسابقه (في التعليق المتقدم) ساقط عن درجة الاعتبار غير صالح للاستناد اليه، لانه مبتور مقطوع الاسانيد.

وعلى فرض الصحة فالرواية محمولة على ارادة التفسير، والاّ فهي معارضة باصحّ منها سنداً واظهر متناً ودلالة، فضلاً عن معارضة الكتاب وصحيح الروايات..

(١) الخصال: ص ٢٢٥ باب الأربعة إن الله «عزّوجلّ» اختار من كل شيء أربعة، قطعة من ح٥٨.

(٢) الخصال: ص ٢٠٦ باب الأربعة الاطلاعات الأربع من الله عزّوجلّ إلى الدنيا، ح ٢٥.

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾

الارض وجعل حجّة وخليفة عصم لقوله عزّوجلّ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»[١].

وفيه في باب مجلس آخر للرضا (عليه السلام) عند المأمون في عصمة الأنبياء (عليهم السلام) حديث طويل وفيه يقول (عليه السلام): وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وانّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لايذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله تعالى: «وعصى آدم ربّه فغوى ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى» وقال عزّوجلّ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»[٢].

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ: حال، أو بدل من الآلين، أو منها ومن نوح. أي أنهم ذرية واحدة منشعبة بعضها من بعض، أو بعضها من بعض في الدين.

والذرية: الولد، فعلية من الذرء، أو فعولة من الذرء، أُبدلت همزتها ياءً ثم قلبت الواو ياء وأُدغمت.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة:بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): فلمّا قضى محمّد (صلّى الله عليه وآله) نبوته واستكملت

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٩٢ باب ١٤.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٩٦ باب ١٥.

أيامه، أوحى الله عزّوجلّ إليه أن يامحمّد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنّي لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم. وذلك قوله عزّوجلّ: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»[1].

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد **ابن الفضل**، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله[2].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس، عن هشام [بن الحكم] في حديث بريه[3] [أنه] لمّا جاء معه إلى أبي عبدالله (عليه السلام) فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، فحكى له هشام الحكاية[4]، فلمّا فرغ قال أبو الحسن لبريه: يابرية كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ماأوثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن (عليه السلام) يقرأ الإنجيل، فقال برية: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، أو مثلك، قال: فقال: فآمن بريه وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه. فدخل هشام وبريه والمرأة على أبي عبدالله (عليه السلام) فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى (عليه السلام) وبين بريه، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): «ذرية

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج١ ص ٢١٧ الباب الثاني والعشرون، اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وإنّ الأرض لاتخلو من حجة ح٢.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١١٧ حديث آدم (عليه السلام) مع الشجرة، ح ٩٢.

(٣) في بعض نسخ الكافي (بُرَيْهَة) في المواضع كلها، وهو جاثليق من جثالقة النصارى، والحديث طويل وتمامه في كتاب التوحيد للصدوق (قدّس سرّه): ص ٢٧٠ باب ٣٧ الرد على الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة، ومامن إله إلاّ إله واحد ح١، والبحار: ج١٠ ص٢٣٤ باب ١٦ احتجاجات موسى بن جعفر (عليه السلام)، ح١.

(٤) أي ماجرى بينه وبين بريهة من الاحتجاج.

بعضها من بعض والله سميع عليم» فقال بريه: أنّى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا: إنّ الله لايجعل حجّة في أرضه يُسأل عن شيء، فيقول: لاأدري(١).

وفي تفسير العياشي: عن أحمد بن محمد، عن الرضا، عن أبي جعفر (عليه السلام): من زعم أنّه قد فرغ من الأمر فقد كذب، لأنّ المشيئة لله في خلقه يريد مايشاء ويفعل مايريد قال الله عزّوجلّ: «ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»، آخرها من أوّلها وأوّلها من آخرها، فإذا أُخبرتم بشيء منها بعينه أنّه كائن وكان في غيره منه، فقد وقع الخبر على ما أخبرتم عنه(٢).

أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت [له]: ما الحجة في كتاب الله إن آل محمّد هم أهل بيته؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمّد هكذا نزلت على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم. ولايكون الذريّة من القوم إلا نسلهم من أصلابهم، وقال: اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور(٣) وآل عمران وآل محمّد(٤).

وفي كتاب المناقب لابن شهرآشوب: أنّ علياً (عليه السلام) قال لابنه الحسن (عليه السلام): اجمع الناس، فاجتمعوا، فأقبل فخطب الناس، فحمدالله وأثنى عليه وتشهّد، ثم قال: أيّها الناس إنّ الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لاينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلّا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولايكون علينا دولة إلّا كانت لنا العاقبة «ولتعلمنّ نبأه بعد حين»(٥)، ثمّ نزل وجمع بالناس وبلغ أباه فقبل بين عينيه، ثم قال: بأبي وأمي «ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»(٦).

---

(١) الكافي: ج ١ ص٢٢٧ كتاب الحجة، باب إن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عندالله (عزّوجل).. ح١.
(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص١٦٩ ح ٣٢.
(٣) سبأ: ١٣.
(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٩ ح ٣٥.
(٥) ص: ٨٨.
(٦) مناقب آل طالب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ١٢ باب إمامة أبي محمد الحسن بن علي، فصل في علمه وفصاحته.

وممّا جاء في معنى الاصطفاء مارواه في شرح الآيات الباهرة عن الشيخ الطوسي «رحمه الله» قال: روى أبو جعفر القلانسي، قال: حدّثنا الحسين بن الحسن، قال: حدّثنا عمرو بن أبي المقدام، عن يونس بن حباب، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مابال أقوام إذا ذكروا آل إبراهيم وآل عمران استبشروا وإذا ذكروا آل محمّد اشمأزت قلوبهم، والذي نفس محمّد بيده لو أن أحدهم وافى بعمل سبعين نبياً يوم القيامة ماقبل الله منه حتى يوافي بولايتي وولاية علي بن أبي طالب (عليهما السلام)[١].

وفي روضة الكافي: علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «توقد من شجرة مباركة» فأصل الشجرة المباركة إبراهيم (عليه السلام) وهو قول الله عزّوجلّ: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد» وهو قول الله عزّوجلّ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم»[٢] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال محمد بن أشعث بن قيس الكندي للحُسين (عليه السلام): ياحسين بن فاطمة أيّة حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك ؟ فتلا الحسين (عليه السلام) هذه الآية: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض» الآية [ثم] قال: والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم، والعترة الهادية لمن آل محمّد[٣]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: **بأقوال الناس وأعمالهم، فيصطفي من له المصلحة في اصطفائه.**

---

(١) لايوجد عندنا هذا الكتاب، ورواه الشيخ الطوسي في أماليه: ج ١ ص ١٤٠ الجزء الخامس، بسند آخر.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٨١ تفسير آيات من القرآن ح ٥٧٤.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ١٣٤ المجلس الثلاثون ح ١.

قيل: أو «سميع» بقول امرأة عمران «عليم» بنيتها.

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي: فينتصب به «إذ» أو بإضمار اذكر.

وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى.

وأمّا ماروي في أُصول الكافي؛ عن أحمد بن مهران وعلي بن إبراهيم جميعاً، عن محمد بن علي، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) أنّه قال لرجل نصراني: أمّا أم مريم فاسمها مرثا، وهي وهيبة بالعربية[(١)].

فمحمول على تعدد الاسم، وسيأتي في الخبر: أن اسمها حنة.

وقيل: كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم، أكبر من هارون وموسى وهو المراد، وزوجته.

ويردّه كفالة زكريا، فإنّه كان معاصراً لابن ماثان، وتزوّج ابنته ايشاع، وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الأب[(٢)].

مُحَرَّرًا: معتقاً لخدمته لاأشغله بشيء، أو مخلصاً للعبادة.

ونصبه على الحال.

نقل أنها كانت عاقراً عجوزاً فبينا هي في ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه، فحنت إلى الولد وتمنته، فقالت: اللّهم إنّ لك علي نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من خدمه، فحملت بمريم وهلك عمران. وكان هذا النذر مشروعاً عندهم في الغلمان، فلعلها بنت الأمر على التقدير، أو طلب ذكراً[(٣)].

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٧٩ كتاب الحجة، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، قطعة من ح٤.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٧ تفسير آية ٣٥ من سورة آل عمران.

(٣) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٧ تفسير آية ٣٥ من سورة آل عمران.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

فَتَقَبَّلْ مِنِّي: ما نذرته.

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ: لقولي.

الْعَلِيمُ: بنيتي.

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ: الضمير لما في بطنها، وأنّثه لأنه كان مؤنثاً، أو لأن أنثى حال عنه، والحال وصاحبها واحد بالذات، أو على تأويل مؤنث كالنفس، ولفظه خبر، ومعناه تحسر.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ: استئناف من الله، تعظيماً لموضوعها.

وقرأ عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (وضعت) على أنه من كلامها تسلية لنفسها، أي ولعلّ لله فيه سراً، أو الأنثى كانت خيراً.

وقرئ (وضعت) على خطاب الله تعالى لها.

وفي أصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله أوحى إلى عمران: أني واهب [لك] ذكراً سوياً مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدّث عمران امرأته حنّة بذلك وهي أم مريم، فلمّا حملت كان حملها بها عند نفسها غلاماً «فلمّا وضعتها قالت ربّ إنّي وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى» ولا تكون البنت رسولاً، يقول الله (عزّوجلّ): «والله أعلم بما وضعت» فلمّا وهب الله [تعالى] مريم عيسى، كان هو الذي بشّر به عمران ووعده إيّاه، فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً

فكان في ولده أو ولد ولده، فلا تنكروا ذلك[١].

وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ : واللام فيهما للعهد، أي ليس الذكر الذي طلبت كالأُنثى التي وهبت، فيكون بياناً لقوله «والله أعلم بما وضعت» أو للجنس بمعنى وليس الذكر والأُنثى سواء فيما نذرت، فيكون من قولها.

وفي تفسير العياشي: عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: «إنّي نذرت لك ما في بطني محرّراً» المحرّر يكون في الكنيسة لايخرج منها، فلما وضعتها أُنثى «قالت ربّ إنّي وضعتها أُنثى» «وليس الذكر كالأُنثى» والأُنثى تحيض فتخرج من المسجد، والمحرّر لايخرج من المسجد[٢].

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ : عطف على ماسبق من قولها، وما بينهما اعتراض، وإنما ذكرت ذلك لربّها تقرّباً إليه وطلباً لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، فإنّ مريم في لغتهم: العابدة.

وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ : أُجيرها بحفظك.

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ : المطرود، من الرجم بمعنى الطرد بالحجارة.

وفي تفسير العياشي: عن سعد الأسكاف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لقي إبليس عيسى بن مريم فقال: هل نالني من حبائلك شيء؟ قال: جدّتك التي قالت: «ربّ إنّي وضعتها أُنثى» إلى «الشيطان الرجيم»[٣].

وفي أمالي الشيخ: بإسناده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حديث طويل يذكر فيه تزويج فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما أكرمه به النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وفيه يقول (عليه السلام): ثمّ أتاني فأخذ بيدي فقال: قم بسم الله، وقل: على بركة الله وماشاء الله لاقوة إلّا بالله توكلت على الله، ثمّ جاءني

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٣٥ كتاب الحجّة، أبواب التاريخ، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، وكان في ولده أو ولد ولده فإنه هو الذي قيل فيه، ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٠ ح ٣٧.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧١ ح ٤٠.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

حتى أقعدني عندها (عليها السلام) ثمّ قال: اللّهم أنّها أحب خلقك إليّ فأحبها وبارك في ذريتها واجعل عليها منك حافظاً أني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم[(١)].

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا: فرضي بها في النذر مكان الذكر.

بِقَبُولٍ حَسَنٍ: بوجه يقبل به النذائر، وهو إقامتها مقام الذكر، وتقبّلها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة.

قال البيضاوي: روي أنّ حنّة لـمّا ولدتها لفتّها في خرقة وحملتها إلى المسجد و وضعتها عند الأحبار وقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها، لأنّها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فإنّ بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فقال زكريا: أنا أحق بها، لأن عندي خالتها، فأبوا إلّا القرعة، وكانوا سبعة وعشرين، فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم، فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفّلها [زكريا][(٢)].

ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير مضاف، أي بذي قبول حسن، وأن يكون «تقبّل» بمعنى استقبل، كتقصي وتعجل، أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن.

---

(١) الأمالي: ج ١ ص ٣٨ س ١٩ الجزء الثاني عشر.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٨ في تفسير قوله تعالى: «فتقبلها ربها بقبول حسن».

وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا: مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها.

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا: شدّد الفاء حمزة والكسائي وعاصم، وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على أنّ الفاعل هو الله وزكريا مفعول، وخفّف الباقون ومدّوا زكريا مرفوعاً.

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ: أي الغرفة التي بني لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه ومقدمه سمّي به، لأنّه محل محاربة الشيطان.

وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا: جواب «كلما» وناصبه.

وفي تفسير العياشي: وفي رواية حريز عن أحدهما (عليهما السلام) قال: نذرت مافي بطنها للكنيسة، أن تخدم العباد، وليس الذكر كالأنثى في الخدمة، قال: فشبت، وكانت تخدمهم وتناولهم حتى بلغت، فأمر زكريا أن يتخذ لها حجاباً دون العباد، وكان يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء فهنالك دعا وسأل ربه أن يهب له ذكراً فوهب له يحيى[1].

قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا: من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه، والأبواب مغلقة عليك؟

قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ: فلا تستبعد.

إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ: بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاق تفضلاً به، وهو يحتمل أن يكون من كلامها، وأن يكون من كلام الله.

وفي تفسير العياشي: عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ امرأة عمران لمّا نذرت مافي بطنها محرّراً، قال: المحرّر للمسجد إذا وضعته وأدخل المسجد فلم يخرج من المسجد أبداً، فلمّا ولدت مريم «قالت ربّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنّي سميّتها مريم وإنّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» فساهموا عليها (فساهم عليها النبيون خ ل)، فأصاب القرعة زكريا، وهو زوج اختها، وكفّلها، وأدخلها المسجد، فلمّا بلغت مايبلغ النساء

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٠، ح ٣٨.

من الطمث، وكانت أجمل النساء، فكانت تصلّي فيضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريا، فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، فقال: «أنى لك هذا قالت هو من عندالله هنالك دعا زكريا ربّه» قال: «وإنّي خفت الموالي من ورائي»[١] إلى ماذكر الله من قصة يحيى وزكريا[٢].

وفيه أيضاً عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن فاطمة (عليها السلام) ضمنت لعلي (عليه السلام) عمل البيت والعجن[٣] والخبز وقمّ البيت[٤]، وضمن لها علي (عليه السلام) ماكان خلف الباب [من] نقل الحطب وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يافاطمة هل عندك شيء؟ قالت: لاوالذي عظّم حقّك ماكان عندنامنذثلاثةأيام إلّاشيء نقريك به[٥]، قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمّك شيئاً، إن جاءك بشيء عفوي وإلّا فلاتسأليه قال: فخرج (عليه السلام) فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً، ثم أقبل به وقد أمسى فلقي مقداد بن الأسود فقال للمقداد: ماأخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع والذي عظّم حقّك يا أميرالمؤمنين، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) حي؟ قال: ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) حي، قال: فهو أخرجني وقد استقرضت ديناراً، وسنؤثرك[٦] به، فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالساً، وفاطمة تصلّي وبينهما شيء مغطى، فلمّا فرغت اختبرت[٧] ذلك الشيء، فإذا جفنة من خبز ولحم، قال: يافاطمة أنّى لك هذا؟ قالت: «هو من عندالله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب» قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ألا أحدّثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريا إذا دخل على مريم المحراب، فوجد عندها رزقا، قال: يامريم أنى لك هذا قالت هو من عندالله إنّ الله

---

(١) مريم: ٥. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٠ ح ٣٦. (٣) العجين: المصدر.

(٤) قمّ الشيء قمّاً كنسه (لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٩٣ لغة قمم).

(٥) ثلاثة ايام شيء نقريك به: المصدر. (٦) سأوثرك: المصدر. (٧) احضرت: المصدر.

يرزق من يشاء بغير حساب، فأكلوا منها شهراً، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم (عليه السلام)، وهي عندنا[١].

وفي شرح الآيات الباهرة نقل الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) في كتاب مصباح الأنوار بحذف الإسناد قال: روي عن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي (عليه السلام) ذات يوم فقال لفاطمة (عليها السلام): هل عندك شيء نغتذيه؟ فقالت: لاوالذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ماأصبح الغداة عندي إلّا شيء أُوثرك به على نفسي وعلى ابني الحسن والحسين، فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): يافاطمة ألّا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئاً، فقالت: ياأبا الحسن إني لأستحيي من إلهي أن تكلف نفسك مالا تقدرعليه، فخرج علي (عليه السلام) من عندها واثقاً بالله وبحسن الظن به فاستقرض ديناراً فأخذه ليشتري به مايصلحهم فعرض له المقداد بن الأسود (رضوان الله عليه)، وكان يوماً شديد الحر وقد لوّحته الشمس من فوقه وآذته من تحته، فلمّا رآه أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنكر شأنه فقال له: يامقداد ماأزعجك الساعة من رحلك؟ فقال: ياأبا الحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي، فقال: ياأخي لايسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك، فقال: ياأبا الحسن رغبة إلى الله وإليك أن تخلّي سبيلي، ولا تكشفني عن حالتي، فقال: ياأخي لايسعك أن تكتمني حالك، فقال: ياأبا الحسن أمّا إذا أبيت فوالذي أكرم محمّد بالنبوة وأكرمك بالوصية ماأزعجني من رحلي إلّا الجهد وقد تركت عيالي جياعاً، فلمّا سمعت بكاهم لم تحملني الأرض خرجت مهموماً راكباً رأسي، هذه حالتي وقصتي، قال: فانهملت عينا علي بالبكاء حتى بلت دموعه كريمته، فقال: احلف بالذي حلفت به أن ما أزعجني إلّا الذي أزعجك، وقد اقترضت ديناراً، فهاكه، أُوثرك به على نفسي، فدفع إليه الدينار ورجع فدخل المسجد فسلم فردّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) السلام، وقال: ياأبا الحسن هل عندك عشاءٌ تعشيناه، فنقبل معك، فمكث أميرالمؤمنين (عليه السلام) مطرقاً لايحير جوابا حياءً

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧١ ح ٤١.

من رسول الله (صلّى الله عليه وآله). وكان قد عرّفه الله ماكان من أمر الدينار ومن أين وجهه بوحي من الله يأمره أن يتعشى عند علي تلك الليلة، فلمّا نظر إلى سكوته قال: ياأبا الحسن مالك لاتقول: لا، فأنصرف عنك، أو نعم، فأمضي معك، فقال: حباً وكرامة، اذهب بنا، فأخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بيد أميرالمؤمنين وانطلقا حتى دخلا على فاطمة (صلوات الله عليها وعليهم أجمعين) وهي في محرابها، قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فلمّا سمعت كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خرجت من مصلاها وسلّمت عليه، وكانت أعزّ الناس عليه، فردّ عليها السلام، ومسح يده على رأسها، وقال: يابنتاه كيف أمسيت يرحمك الله؟ قالت: بخير، قال: عشينا رحمك الله وقد قعد، فأخذت الجفنة و وضعتها بين يدي رسول الله وعليّ (صلّى الله عليه وآلها)، فلمّا نظر أميرالمؤمنين إلى الطعام وشم ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شحيحاً، فقالت له فاطمة: سبحان الله ماأشح نظرك وأشده، فهل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً استوجب به السخطة منك؟ فقال: وأي ذنب أعظم من ذنب أصبت اليوم، أليس عهدي بك وأنت تحلفي بالله مجتهدة انك ماطعمت طعاماً منذ يومين؟ فنظرت إلى السماء وقالت: إلهي تعلم مافي سمائك وأرضك اني لم أقل إلّا حقاً، فقال لها: يافاطمة أنّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه، ولم أشم مثل ريحه قط، ولم آكل أطيب منه؟ قال: فوضع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) كفّه المبارك على كتف أميرالمؤمنين (عليه السلام) وهزّها، ثم هزّها ثلاث مرّات، [ثم] قال: ياعلي هذا بدل دينارك، هذا أجر دينارك من عندالله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثم استعبر باكياً، وقال: الحمد لله الذي أبى لكما أن يخرجكما من الدنيا حتى يجريك ياعلي مجرى زكريا، ويجريك يافاطمة مجرى مريم بنت عمران، وهو قوله تعالى: «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عندالله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»[1].

---

(١) لايوجد لدينا كتاب الآيات الباهرة. ونقله الشيخ في مصباح الأنوار في الباب الحادي عشر في ←

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ: في ذلك المكان أو في ذلك الوقت.

وهنا، وثم، وحيث، تستعار للزمان.

لمّا رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله، أو لـمّا رأى الفواكه في غير أوانها تنبّه لجواز ولادة العاقر من الشيخ، فسأل ربه.

قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً: كما وهبتها لحنة العجوز العاقر.

إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ: مجيبه.

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا (عليه السلام) في أول يوم من المحرم فقال: يابن شبيب أصائم أنت؟ فقلت: لا، فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا (عليه السلام) ربه عزّوجلّ، فقال: «ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنّك سميع الدعاء» فاستجاب الله له، وأمر الملائكة فنادت زكريا «وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدّقاً» فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله تعالى استجاب الله تعالى له، كما استجاب لزكريا (عليه السلام)[1].

مناقب الزهراء وفضلها (مخطوط) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٥٩ تاريخ سيدة النساء، باب٣ مناقبها وبعض أحوالها (عليها السلام)، ح٥١. تفسير فرات بن إبراهيم: ص٢١، مع اختلاف يسير فيها.

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٩٩ باب٢٨ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة، قطعة من ح ٥٨.

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن رجل عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من أراد أن يحبل له، فليصل ركعتين بعد الجمعة يطيل فيهما الركوع والسجود، ثم يقول: اللهم إني أسألك بما سألك به زكريا (عليه السلام)، إذ قال: «رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»[١] اللهم هب لي ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، اللهم باسمك استحللتها وفي أمانتك اخذتها، فإن قضيت في رحمها ولداً، فاجعله غلاماً ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً، ولا شركاً[٢].

وفي مجمع البيان: روى الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إنّي من أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد، فقال ادع الله وأنت ساجد «ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين» قال: فقلت: فولد علي والحسين[٣].

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ: أي من جنسهم، كقولهم: زيد يركب الخيل، فإنّ المنادى ملك، وقرأ حمزة والكسائي: فناديه بالإمالة والتذكير.

وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ: أي قائماً في الصلاة، و«يصلّي» صفة «قائم»، أو خبر آخر، أو حال أخرى، أو حال عن الضمير في قائم.

وفي من لايحضره الفقيه: وقال الصادق (عليه السلام): إنّ طاعة الله عزّوجلّ خدمته في الأرض، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثمّ نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلّي في المحراب[٤].

أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ: أي بأن الله.

وقرأ نافع وحمزة وابن عامر بالكسر على إرادة القول، أو لأنّ النداء نوع منه. وقرأ

---

(١) الأنبياء: ٨٩.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٤٨٢ كتاب الصلاة، باب صلاة من أراد أن يدخل بأهله ومن أراد أن يتزوج ح٣.وأورده أيضاً في ج ٦ ص ٨ كتاب العقيقة، باب الدعاء في طلب الولد ح٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٦٠ في بيان معنى آية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٠٨ باب ٣٠ فضل الصلاة ح ٦٢٣.

حمزة والكسائي يبشرك من الابشار، ويحيى أعجمي، وإن جعل عربياً، فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل.

مُصَدِّقًا: حال من (يحيى).

بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ: أي بعيسى، سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى من دون أب، أو بكتاب الله، سمي بها تسميته للكل باسم جزئه.

وَسَيِّدًا: يسود قومه ويفوقهم بالعصمة، لأنه كان نبياً.

وَحَصُورًا: مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي.

ونقل: أنه مر بصبيان فدعوه إلى اللعب، فقال: ماللعب خلقت[1].

وفي مجمع البيان: حصوراً لايأتي النساء، وهو المروي عن أبي عبدالله (عليه السلام)[2].

وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ: ناشئاً منهم، أو كائناً من عداد من لم يأت كبيرة ولاصغيرة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي، عمّن حدثه، عن إسماعيل بن أبي رافع، عن أبيه أبي رافع قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) -وقد ذكر عيسى بن مريم (عليهما السلام)-: فلمّا أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نورالله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا، خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك، فلم يزل شمعون في قومه يقوم بأمر الله عزّوجلّ ويهتدي بجميع مقال عيسى (عليه السلام) في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به كان مؤمناً، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتى استخلص ربّنا تبارك وتعالى وبعث في عباده نبياً من الصالحين وهو يحيى بن زكريا، فمضى شمعون وملك عند ذلك أردشير بن بابكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي ثماني سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريا (عليهما السلام) فلمّا

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٩ في تفسير آية ٣٩ من سورة آل عمران.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٣٨ في بيان معنى آية٣٩من سورة آل عمران.

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

أراد الله عزوجلّ أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصية في ولد شمعون ويأمر الحواريين وأصحاب عيسى بالقيام معه، ففعل ذلك، وعندها ملك سابور بن أردشير ثلاثين سنة حتى قتله الله، وعلم الله ونوره وتفصيل حكمته في ذرية يعقوب ابن شمعون ومعه الحواريون من أصحاب عيسى (عليه السلام)، وعند ذلك ملك بختنصر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا، وخرب بيت المقدس، وتفرقت اليهود في البلدان[1].

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ: استبعاداً من حيث العادة، أو استعظاماً وتعجباً، أو استفهاماً عن كيفية حدوثه.

وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ: أدركني كبر السن.

قال البيضاوي: وكان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون[2].

وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ: لا تلد، من العقر وهو القطع، لأنها ذات عقر من الأولاد.

قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ: «كذلك الله» مبتدأ مؤخر وخبر، مقدم للقرينة أي الله على مثل هذه الصفة.

و«يفعل مايشاء» بيان له، أي مايشاء من العجائب، وهو إنشاء الولد من شيخ

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢٥ س ١١ الباب الثاني والعشرون اتصال الوصية من لدن آدم، ح ٢٠.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٩، في تفسير آية ٤٠ من سورة آل عمران.

فان وعجوز عاقر.

و«كذلك» خبر مبتدأ محذوف، أي الأمر كذلك.

و«الله يفعل مايشاء» جملة أُخرى لبيان أنّه يفعل مايريده من العجائب، أي أنت وزوجك كبير وعاقر، والله يفعل مايشاء من خلق الولد.

ويحتمل أن يكون «كذلك» مفعولاً مطلقاً لـ«يفعل» ويكون ذلك إشارة إلى ماتعجب منه، أي الله يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل، أي إنشاء الولد من الفاني والعاقر، أو إشارة إلى مابيّنه من حالتهما، أي الذي يفعل مايشاء من خلق الولد كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر.

قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ ءَايَةً: علامة أعلم بها أنّ ذلك الصوت من الله، ويكون عبادة يتدارك بها مادخله من تلك الهبة، وذلك لأنّه إذا جعل له آية وأوحى إليه الآية من الله عبادة وشكراً للموهبة يعلم أنّ صوت الملائكة بأمر الله ووحيه، ويخضع لله تعالى شكراً لنعمه.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ زكريا لمّا دعا ربّه أن يهب له ولداً فنادته الملائكة بما نادته به أحب أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله، فأوحى إليه أنّ آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام. قال: فلمّا أمسك لسانه ولم يتكلّم، علم أنّه لايقدر على ذلك إلّا الله، وذلك قول الله: «ربّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزاً»[1].

وعن حماد، عمّن حدّثه، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: لمّا سأل ربّه أن يهب له ذكراً فوهب له يحيى، فدخله من ذلك، فقال: «ربّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزاً» فكان يومئ برأسه، وهو الرمز[2].

قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ: أي الله أوحى إليه أنّ آيتك وعبادتك ألا تكلّم الناس في ثلاثة أيام وتخلص المدّة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٢ ح ٤٣. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٢ ح ٤٤.

إِلَّا رَمْزًا: إشارة برأسك، وأصله التحرك، ومنه الراموز للبحر، والاستثناء منقطع، وقيل: متصل، والمراد بالكلام مادلّ على الضمير.

هذا إذا قرأ (يمسك) في الخبر الأول على البناء للفاعل وإرجاع ضميره إلى زكريا. وأمّا إذا قرأ على البناء للمفعول، أو يجعل فاعل الإمساك هوالله سبحانه، فالحلّ مانقله البيضاوي من أنّ المعنى: «اجعل لي آية» علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار، «قال» آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام» أي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً[1].

وقرئ رمز كخدم جمع رامز، ورمز كرسل جمع رموز على أنّه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله:

متى ماتلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطار[2]

وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا: في أيام الإمساك عن الكلام مع الناس، وهو مؤكد لما قبله، مبيّن للغرض منه.

قال البيضاوي: وتقييد الأمر بالكثير، يدل على أنّه ليس للتكرار[3].

وفيه أنّه لعل التقييد لتأكيد مايفيده الأمر، فلايدل على المدّعي.

وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ: من الزوال إلى الغروب، وقيل: من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل.

وَالْإِبْكَارِ: من طلوع الفجر إلى الضحى.

وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار.

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٩ في تفسير آية ٤١ من سورة آل عمران.

(٢) لعنترة يخاطب عمارة بن زياد العبسي، لما قال لقومه: ليتني لقيته فأرحتكم منه وأعلمتكم أنه عبد. قال متى تلاقني حال كوننا منفردين عن غيرنا، تخف مني فترتعد أطراف اليتيك، فارتعادها كناية عن الخوف، وتستطاراً مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة الفاً، والفاعل ضمير المخاطب، كان الخوف يطيره (تلخيص من هامش الكشاف: ج١ ص ٣٦١ في هامش تفسير آية ٤١ من سورة آل عمران.

(٣) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسير آية ٤١ من سورة آل عمران.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ
وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ
وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ:

قال البيضاوي: كلّموها شفاهاً كرامة لها، ومن أنكر الكرامة زعم أنّ ذلك كان معجزة لزكريا. أو أرهاصاً لنبوة عيسى (عليه السلام) فإنّ الإجماع على أنّه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله: «وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً»[1] وقيل: ألهموها انتهى[2].

ويمكن أن يقال من قبل منكر الكرامة: لايكون الكرامة لمن لم يكن فيه نص بالكرامة، وأمّا من حصل له التخصيص بالتنصيص كمريم وفاطمة (صلوات الله عليهما) فهو بمنزلة الاستثناء، والمقصود أنّه لايجوز الكرامة لمن سواه كوقوع المعجزة للأنبياء والأئمة فإنهم يتخصصون بها، ولايلزم من وقوع شيء لأحد جواز وقوعه لكل أحد شرعاً وإن لم يمتنع عليه عقلاً، والمجوز وقوعه لكل أحد بوقوعه لبعض، التبس عليه معنى الجواز فتبصر.

قيل: الاصطفاء الأول تقبّلها من امها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة، وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب، والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها عمّا قذفته اليهود بإنطاق

---

(١) يوسف: ١٠٩، والنحل: ٤٣.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسيره لقوله تعالى «وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك» الآية من سورة آل عمران.

الطفل، وجعلها وابنها آية للعالمين[(١)].

والأظهر أنّ الاصطفاء الأول، اصطفاءها من ذرية الأنبياء، والثاني اصطفاءها لولادة عيسى (عليه السلام) من غير فحل.

وتطهيرها، طهرها من أن يكون في آبائها وامهاتها وفي نفسها سفاح.

وقيل: وتطهيرها ممّا يستقذر من النساء.

وينافيه ظاهر ماسبق في الخبر من قوله: فلمّا بلغت مايبلغ النساء من الطمث.

وأمّا ماروواه العياشي في تفسيره عن الحكم بن عيينة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله في الكتاب: «إذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» اصطفاها مرّتين، والاصطفاء إنّما هو مرّة واحدة، قال: فقال: ياحكم إن لهذا تأويلاً وتفسيراً، فقلت له: ففسره لنا أبقاك الله، فقال: يعني اصطفاءه إياها أولاً من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهّرها [من] أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحا، واصطفاها بهذا في القرآن «يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين» شكراً لله[(٢)].

فالظاهر أنّ السائل قد خفي عليه الاصطفاء الأول، وانحصر الاصطفاء عنده في الثاني، وسأل فبيّنه (عليه السلام) له وسكت عن الثاني لظهوره عنده.

وفي مجمع البيان: «واصطفاك على نساء العالمين» أي [على نساء] عالمي زمانك، لأنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيدة نساء العالمين، وهو قول أبي جعفر (عليه السلام). وقد روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: فضّلت خديجة على نساء أُمتي كما فضّلت مريم على نساء العالمين، وقال أبو جعفر (عليه السلام) معنى الآية: واصطفاك من ذرية الأنبياء وطهّرك من السفاح واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل وزوج[(٣)].

---

(١) من قوله: قيل إلى هنا من كلام البيضاوي لاحظ تفسيره للآية السابقة.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٣ قطعة من ح ٤٧.

(٣) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٤٠ في بيان معنى آية ٤٢ من سورة آل عمران.

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: قيل: أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها، وقدّم السجود على الركوع إمّا لكونه كذلك في شريعتهم، أو للتنبيه على أنّ الواو لا توجب الترتيب، أو ليقترن «اركعي» بالراكعين، للإيذان بأنّ من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلّين[(١)].

وقيل: يحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولايركع، وفيه من يركع، فامرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لايركع[(٢)].

وقيل: المراد بالقنوت إدامة الطاعة، كقوله: «أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً»[(٣)]، وبالسجود الصلاة كقوله: «وادبار السجود»[(٤)] وبالركوع الخشوع والاخبات[(٥)].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: إنّما سمّيت فاطمة (عليها السلام) محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يافاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يافاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عزّوجلّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين[(٦)].

وفي اصول الكافي: بإسناده الى علي بن محمد الهرمزي عن ابي عبدالله الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: لمّا قبضت فاطمة (عليها السلام) دفنها أميرالمؤمنين (عليه السلام) سرّاً وعفا على موضع قبرها ثمّ قال: فحول وجهه الى قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسيره لقوله تعالى «يامريم اقنتي...» من سورة آل عمران.
(٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٣٦٢ في تفسيره لقوله تعالى «واركعي مع الراكعين» من سورة آل عمران.
(٣) الزمر: ٩. (٤) ق: ٤٠.
(٥) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسيره لقوله تعالى «يامريم اقنتي...» من سورة آل عمران.
(٦) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٢ باب ١٤٦ العلّة التي من أجلها سميت فاطمة محدّثة، ح ١.

وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي(١). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي نهج البلاغة: من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً: ومنّا خير نساء العالمين، ومنكم حمّالة الحطب(٢).

وفي من لايحضره الفقيه: روى المعلى بن محمد البصري، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عبدالله بن الحكم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): إنّ علياً وصيّي وخليفتي، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي(٣)، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: أيما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجّت بيت الله الحرام وزكّت مالها وأطاعت زوجها ووالت علياً دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة، وأنها لسيدة نساء العالمين، فقيل له: يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال (عليه السلام): ذاك لمريم بنت عمران، وأمّا ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يافاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين(٤)، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: أيّها الناس اسمعوا قولي واعقلوه عنّي، فإنّ الفراق قريب، أنا إمام البرية

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٨ باب مولد الزهراء فاطمة (عليها السلام)، ح ١.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٨٧، رقم (٢٨) ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً، صبحي الصالح.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٧٤ كتاب الوصية، باب الوصية من لدن آدم ح ٥٤٠٢. وأيضاً أورده في ج٤ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، ص ٤٢٠ ح ٥٩٢٠.

(٤) الأمالي للصدوق: المجلس الثالث والسبعون ص٣٩٣ قطعة من ح١٨.

ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

ووصي خير الخليقة وزوج سيدة نساء هذه الأمة[١].

ذَٰلِكَ: أي ماذكرنا من قصص زكريا ويحيى ومريم.

مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ: من الغيوب التي لم تعرفها إلّا بالوحي.

وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ: قيل: أقداحهم للاقتراع في نهر أردن.

وقيل: أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة تبركاً[٢].

والمراد تقرير كونه وحياً على سبيل التهكم بمنكريه، فإنّ طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع، وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم، فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان، ولايظن به عاقل. ليعلموا.

أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ: معمول لما دلّ عليه «يلقون أقلامهم».

وفي كتاب الخصال: عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أول من سوهم [عليه] مريم بنت عمران، وهو قول الله تعالى: «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم» والسهام ستة[٣].

وفي من لايحضره الفقيه مثله[٤].

وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ: تنافساً في كفالتها.

---

(١) الأمالي للصدوق: المجلس الثامن والثمانون ص٤٨٤ قطعة من ح ٩.

(٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسير آية ٤٤ من سورة آل عمران.

(٣) الخصال: ص ١٥٦ باب الثلاثة، أول من سوهم عليه، قطعة من ح ١٩٨.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج٣ ص ٥١ باب الحكم بالقرعة، قطعة من ح ٣٣٨٨.

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

في تفسير علي بن إبراهيم: قال: لمّا ولدت، اختصموا آل عمران فيها، وكلّهم قالوا: نحن نكفلها، فخرجوا وضربوا بالسهام بينهم وخرج سهم زكريا، فكفلها زكريا[١].

وفي تفسير العياشي: عن الحكم بن عيينة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): قال لنبيه محمّد (صلّى الله عليه وآله) يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى، يا محمّد «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك» في مريم وابنها وبما خصّها منه، وفضّلها وكرّمها حيث قال: «وما كنت لديهم» يا محمّد، يعني بذلك ربّ الملائكة «إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم» حين ايتمت من أبيها[٢].

وفي رواية أُخرى عن ابن أبي خرزاد: «أيهم يكفل مريم» حين أُيتمت من أبيها «وما كنت لديهم» يامحمد إذ يختصمون في مريم [عند ولادتها بعيسى بن مريم] أيّهم يكفلها ويكفل ولدها، قال له: أبقاك الله فمن كفلها؟ فقال: أما تسمع لقوله الآية[٣].

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ: بدل من «إذ قالت» الأولى، أو من «إذ يختصمون» بناء

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ١٠٢ في تفسيره لقوله تعالى «و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم»، وفيه: فتكفلها زكريا.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٣، قطعة من ح ٤٧ وفيه: خصّها الله به وفضّلها وأكرمها... لرب الملائكة.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٣، ح ٤٨.

على أنّ الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك: لقيته سنة كذا.

﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: المسيح لقبه، من الألقاب المادحة، وأصله مشيحاً بالعبرانية، ومعناه: المبارك كقوله: «وجعلني مباركاً»[1].

وعيسى معرّب اليسوع، ومشتقهما من المسح، لأنّه مسح بالبركة، أو بما طهّره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو مسحه جبرائيل، ومن العيس، وهو بياض يعلوه حمرة كالراقم على الماء.

فإن قلت: لم قيل: اسمه المسيح عيسى بن مريم، وهذه ثلاثة أشياء، الاسم منها عيسى، وأمّا المسيح والابن فلقب وصفة.

قلت: الاسم للمسمّى علامة يعرف بها، ويتميّز بها عن غيره، فكأنّه قيل: الذي يعرف به ويتميّز ممّن سواه. مجموع هذه الثلاثة.

ويحتمل أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف، وابن مريم صفته.

وأن يكون كلّ من الثلاثة اسماً، بمعنى أن كلاً منها يميّز تمييز الأسماء، ولا ينافي تعدد الخبر أفراد المبتدأ، فإنّه اسم جنس مضاف.

وانّما قيل: ابن مريم، والخطاب لها تنبيهاً على أنه يولد من غير أب، إذ الأولاد تنسب إلى الآباء، ولا تنسب إلى الأم إلّا إذا فقد الأب.

﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾: حال مقدرة من «كلمة» الموصوفة بقوله «منه» والتذكير للمعنى، ووجاهته في الدنيا بالنبوة.

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: بالشفاعة.

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: من الله، وقيل: إشارة إلى علو درجته في الجنّة، وقيل: إلى رفعه [إلى] السماء وصحبته الملائكة.

* * *

(١) مريم: ٣١.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦
قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧
وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا: أي حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت.

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) أكان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذٍ نبياً حجة الله غير مرسل[1]، أما تسمع لقوله حين قال: «أني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً»[2]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

---

(١) قوله (غير مرسل) إذ لم يرسل إليه الإنجيل في تلك الحال ولم يكن مأموراً بأحكامه وتبليغه ولكن كان نبياً عالماً بالتوراة تابعاً لها، وقال: (إني عبدالله) قدم العبودية على إعطاء الكتاب والنبوة، لتقدمها في الواقع، وليندفع توهم ربوبيته أول مرة، وأراد بالكتاب التوراة. وفي لفظ الماضي حيث قال: (آتاني وجعلني) دلالة واضحة على أنه كان حين التكلم نبياً عالماً بالتوراة. ولو اريد بالكتاب الإنجيل كما زعم، لأشكل، لأنه إن أعطي الإنجيل كما جعل نبياً في ذلك الوقت لكان رسولاً، فلا يوافق قوله (غير مرسل) اللهم إلا أن يحمل قوله (أتاني الكتاب) على مجاز المشارفة، أو على أنّ محقق الوقوع كالواقع، أو على القضاء السابق بقرينة عدم إرسال الإنجيل إليه في ذلك الوقت، ولايلزم منه أن يحمل قوله (وجعلني نبياً) على هذه الأمور، لعدم وجود قرينة صارفة له عن ظاهره، وبالجملة حمل أحد اللفظين المتجاورين على المجاز لقرينة، لايوجب حمل الآخر عليه مع عدمها (شرح أصول الكافي للمازندراني: ج ٦ ص ٣٤٧).

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٨٢ كتاب الحجة باب حالات الأئمة في السن قطعة من ح ١.

والمهد مصدر سمّي به ما يمهّد للصبي من مضجعه.

والكهل من وَخَطَه الشيب ورأيت له بجالة[١].

ولذا قيل: والمراد «وكهلاً» بعد نزوله، لأنه رفع شاباً. وذكر أحواله المختلفة المتنافية، إشارة إلى أنه ممكن، ليس بإله.

وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ: حال ثالث من «كلمة» أو ضميرها الذي في «يكلّم».

قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ: تعجّب، وقيل: استبعاد عادي، أو استفهام عن أنّه يكون بتزوّج أو غيره.

قَالَ: جبرائيل، أو الله وجبرائيل حكى لها قوله تعالى:

كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ: أي كما يقدر أن يخلق الأشياء بأسباب و مواد متدرجاً يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.

وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ: أمّا كلام مبتدأ ذكر تطييباً لقلبها وإزاحة لما همّها من خوف اللوم على أنّها تلد من غير زوج، أو عطف على «يبشرك» أو «وجيهاً».

و«الكتاب» الكتبة، أو جنس الكتب المنزلة. وتخصيص الكتابين لفضلها.

وقرأ عاصم ونافع بالياء.

° ° °

(١) الكهل: الرجل إذا وخطه الشيب ورايت له بجالة، وفي الصحاح الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب (لسان العرب: ج ١١ حرف اللام- لغة كهل).

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ: منصوب بمقدر على إرادة القول، والتقدير ويقول: أرسلت رسولاً، أو بالعطف على الأحوال المتقدّمة. وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته، أو للردّ على من زعم أنّه مبعوث إلى غيرهم.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) في حديث طويل يقول فيه: ثمّ إنّ الله عزّوجلّ أرسل عيسى (عليه السلام) إلى بني إسرائيل خاصة، وكانت نبوّته ببيت المقدس[1].

أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ: متعلّق برسولاً على تضمين معنى النطق، أي ناطقاً بأنّي إلى آخره، والآية مايذكر بعده وهو:

أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ: نصب بدل من «أني» أو جر بدل من «آية» أو رفع على هي أني، والمعنى: اقدر واصوّر لكم مثل صورة الطير.

فَأَنفُخُ فِيهِ: الضمير للكاف، أو في ذلك المثل.

فَيَكُونُ طَيۡرَۢا: فيصير طياراً.

بِإِذۡنِ ٱللَّهِ: بأمره، ونبّه به على أنّ إحياءه من الله لامنه.

---

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ج١ ص ٢٢٠ باب ٢٢ اتصال الوصية من لدن آدم وأن الأرض لاتخلو من حجة... قطعة من ح ٢.

وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائراً بألف وهمزة.

وفي كتاب الخصال: عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله: أخبرني عن ستة لم يركضوا في رحم؟ فقال: آدم، وحواء، وكبش إسماعيل، وعصا موسى، وناقة صالح، والخفّاش الذي عمله عيسى ابن مريم فطار بإذن الله[١].

وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ: الذي ولد أعمى والممسوح العين.

وَالْأَبْرَصَ: الذي به البرص.

نقل أنه ربما يجتمع عليه الوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى، وما يداوى إلّا بالدعاء[٢].

وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ: كرّره لدفع توهم الألوهية، فإنّ الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية.

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى أبي يعقوب البغدادي قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء [والعصى] وآلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمّداً (صلّى الله عليه وآله) بالكلام والخطب فقال له أبوالحسن (عليه السلام): إن الله تعالى لما بعث موسى -إلى أن قال- وإن الله تعالى بعث عيسى (عليه السلام) في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عندالله تعالى بما لم يكن عندهم مثله، وإنّما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى وأثبت به الحجةَ عليهم[٣].

---

(١) الخصال: ص٣٢٢ باب الستة (ستة لم يركضوا في رحم) ح٨.

(٢) رواه البيضاوي: ج ١ ص ١٦١ عند تفسيره لقوله تعالى «وابرء الأكمه والأبرص» الآية. وفي الدر المنثور: ج٢ص٣٢ما لفظه (وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً). وفي الكشاف: ج١ ص ٣٦٤ أيضاً مثله، وفي مجمع البيان: ج١-٢ ص٤٤٥، أيضاً مثله.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٧٨ باب ٣٢ في ذكر ماجاء عن الرضا من العلل، ح١٢.

وفي روضة الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن ابن محبوب، عن أبي جميلة، عن أبان بن تغلب وغيره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه سئل هل كان عيسى بن مريم أحيى أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدّة و ولد؟ فقال: نعم، إنّه كان له صديق مواخ له في الله تعالى وكان عيسى (عليه السلام) يمرّ به وينزل عليه، وإنّ عيسى (عليه السلام) غاب عنه حيناً ثم مرّ به ليسلم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه؟ فقالت: مات يارسول الله، قال اتحبين أن تريه؟ قالت: نعم، فقال لها: فإذا كان غداً فآتيك حتى أُحييه لك بإذن الله تبارك وتعالى، فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عيسى (عليه السلام) ثمّ دعا الله عزّوجلّ فانفرج القبر وخرج ابنها حياً، فلمّا رأته أُمه ورآها بكيا فرحمهما عيسى (عليه السلام) فقال عيسى: أتحبّ أن تبقى مع أمك في الدنيا؟ فقال له: يانبيّ الله بأكل ورزق ومدّة، أم بغير أكل و[لا] رزق و[لا] مدّة؟ فقال له عيسى (عليه السلام): بأكل ورزق ومدّة، تعمّر عشرين سنة وتزوّج ويولد لك، قال: نعم إذاً، قال: فدفعه عيسى إلى أمه فعاش عشرين سنة و ولد له[1].

وفي الكافي: علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن ربيع ابن محمد، عن عبدالله بن سليم العامري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا (عليهما السلام) وكان سأل ربّه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له: ماتريد مني؟ فقال له: أُريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: ياعيسى ماسكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود عليّ حرارة الموت. فتركه فعاد إلى قبره[2].

وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ: بالمغيّبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها.

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٣٣٧، حديث الذي أحياه عيسى ح ٥٣٢.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٦٠ كتاب الجنائز، باب النوادر ح ٣٧.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثنا أحمد بن محمد الهمداني، قال: حدّثني جعفر ابن عبدالله، قال: حدّثنا كثير بن عياش، عن زياد بن المنذر، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) في قوله: «وانبئكم بما تأكلون وما تدّخرون» فإن عيسى (عليه السلام) كان يقول لبني إسرائيل: إنّي رسول الله إليكم و«إنّي اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وابرأ الأكمه والأبرص» والأكمه هو الأعمى، قالوا: مانرى الذي تصنع إلّا سحراً، فأرنا آية نعلم أنّك صادق؟ قال: أرأيتكم إن اخبرتكم «بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم» يقول: ماأكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا، وما ادخرتم بالليل، تعلمون انّي صادق؟ قالوا: نعم، فكان يقول [للرجل]: أنت أكلت كذا وكذا وشربت كذا وكذا ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين[(١)].

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ: موفقين للإيمان، فإنّ غيرهم لاينتفع بالمعجزات، أو مصدّقين بالحق غير معاندين.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي (عليهم السلام) أنه قال: أنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لعلي (عليه السلام) في أثناء كلام طويل:

فإنّ هذا عيسى بن مريم يزعمون أنه تكلّم في المهد صبياً، قال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك، ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء يحرك شفتيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأي أهل مكة قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حتّى فزعت الجن والإنس والشياطين وقالوا: حدث في الأرض حدث.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٢ في تفسيره لقوله تعالى «إني أخلق لكم من الطين» الآية.

قال له اليهودي: فإنّ عيسى يزعمون أنّه خلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فكان طيراً بإذن الله عزّوجلّ.

فقال له علي: لقد كان كذلك ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) قد فعل ماهو شبيه بهذا، إذ أخذ يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً، ثم قال للحجر: انفلق، فانفلق ثلاث فلق يسمع لكل فلقة منها تسبيحاً لايسمع للأخرى، ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته، ولكلّ غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس، ثمّ قال لها: انشقي، فانشقت نصفين ثم قال لها: التزقي فالتزقت، ثمّ قال لها: اشهدي لي بالنبوة، فشهدت.

ثم قال له اليهودي: فإنّ عيسى يزعمون أنه قد أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى.

فقال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) أُعطي ماهو أفضل [من ذلك]، أبرأ ذا العاهة من عاهته، فبينا هو جالس (عليه السلام) إذ سأل عن رجل من أصحابه؟ فقالوا: يارسول الله إنّه قد صارمن البلاء كهيئة الفرخ [الذي] لاريش عليه، فأتاه (عليه السلام) فإذا هو كهيئة الفرخ من شدة البلاء فقال له: قد كنت تدعو في صحتك دعاء؟ قال: نعم، كنت أقول: يا ربّ أيما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فعجّلها لي في الدنيا، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ألا قلت: اللّهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فقالها: فكأنّما نشط من عقال وقام صحيحاً وخرج معنا. وقد أتاه رجل من جهينة أجذم ينقطع من الجذام فشكا إليه (صلّى الله عليه وآله) فأخذ قدحاً من الماء فتفل فيه، ثم قال: امسح به جسدك، ففعل فبرئ حتى لم يوجد عليه شيء وبقد أُتي بأعرابي أبرص فتفل من فيه عليه فما قام من عنده إلّا صحيحاً.

ولئن زعمت أنّ عيسى (عليه السلام) أبرأ ذوي العاهات من عاهاتهم فإنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله) بينا هو في بعض أصحابه إذ هو بامرأة فقالت: يارسول الله إنّ ابني قد أشرف على حياض الموت كلّما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب، فقال

النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وقمنا معه فلما أتيناه قال له: جانب يا عدوالله ولي الله، فأنا رسول الله، فجانبه الشيطان فقام صحيحاً، وهو معنا في عسكرنا.

ولئن زعمت أنّ عيسى بن مريم أبرأ العمياء، فإنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله) قد فعل ماهو أكبر من ذلك. إنّ قتادة بن ربعي كان رجلاً صحيحاً فلمّا كان يوم أُحد أصابته طعنة في عينه فبدرت حدقته فأخذها بيده، ثم أتى بها النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، فقال يارسول الله: إنّ امرأتي الآن تبغضني، فأخذها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من يده ثم وضعها مكانها، فلم تكن تعرف إلّا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الأُخرى. ولقد جرح عبدالله بن عتيك وبانت يده يوم حنين، فجاء إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ليلاً فمسح عليه يده فلم يكن تعرف من اليد الأُخرى. ولقد أصاب محمد بن مسلمة يوم كعب بن الأشرف مثل ذلك في عينه ويده فمسحها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلم يستبينا. ولقد أصاب عبدالله بن أنيس مثل ذلك في عينه فمسحها فما[1] عرفت من الأُخرى. فهذه كلها دلالة لنبوته (صلّى الله عليه وآله).

قال له اليهودي: فإنّ عيسى يزعمون أنّه أحيى الموتى بإذن الله.

قال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك، ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) سبّحت في يده تسع حصيات فسمع نغماتها في جحودها[2] ولاروح فيها لتمام حجة نبوته، ولقد كلّمة الموتى من بعد موتهم واستغاثوه ممّا خافوا تبعته، ولقد صلى بأصحابه ذات يوم فقال: ماههنا من بني النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب الجنة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي، وكان شهيداً.

و إن زعمت أنّ عيسى كلّم الموتى، فلقد كان لمحمّد (صلّى الله عليه وآله) ماهو أعجب من هذا: إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لـمّا نزل بالطائف وحاصر أهلها بعثوا إليه شاة مسلوخة مطليّة بسمّ، فنطق الذراع منها فقالت: يارسول الله لا تأكلني فإنّي مسمومة، فلو كلّمته البهيمة وهي حيّة لكانت من أعظم حجج الله (عز

---

(١) في النسخة ـ أ ـ: (ما) والصحيح ما أثبتناه.
(٢) كذا في النسخة ـ أ ـ: وفي المصدر جمودها.

ذكره) على المنكرين لنبوته فكيف وقد كلّمته من بعد ذبح وسلخ وشوي، ولقد كان (صلّى الله عليه وآله) يدعو بالشجرة فتجيبه، وتكلّمه البهيمة، وتكلّمه السباع، وتشهد له بالنبوّة ويحذرهم عصيانه، فهذا أكثر مما أعطى عيسى.

قال له اليهودي: إنّ عيسى تزعمون أنّه أنبأ قومه بما تأكلون وما يدّخرون في بيوتهم.

قال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك، ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) فعل ماهو أكبر من هذا، إن عيسى أنبأ قومه بما يأكلون من وراء الحائط، ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) أنبأ عن موتة وهو عنها غائب ووصف حربهم ومن اشهد[1] منهم وبينه وبينهم مسيرة شهور، وكان يأتيه الرجل يريد أن يسأله عن شيء فيقول (صلّى الله عليه وآله): تقول أو أقول؟ فيقول: بل قل يا رسول الله، فيقول: جئتني في كذا وكذا حتى فرغ من حاجته، ولقد كان يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لايترك من أسرارهم شيئاً، منها: ماكان بين صفوان بن أمية وبين عمير بن وهب، فقال: جئت في فكاك ابني، فقال له: كذبت، بل قلت لصفوان وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم: والله الموت أهون لنا من البقاء مع ماصنع محمد بنا، وهل حياة بعد أهل القلب؟ فقلت أنت: لولا عيالي ودين عليّ لأرحتك من محمّد، فقال صفوان: على أن أقضي دينك وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن مايصيبهن من خير أو شر، فقلت أنت: فاكتمها عليّ وجهزني حتى أذهب فأقتله، فجئت لتقتلني، قال: صدقت يارسول الله، فأنا أشهد أن لاإله إلّا الله وأنك رسول الله، وأشباه هذا ممّا لايحصى[2].

وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم،

---

(١) كذا في نسخة أ. والصحيح: استشهد.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص ٢٢٣ س١٤، احتجاجه (عليه السلام) على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وكثير من فضائله مع تقديم وتأخير وحذف وإسقاط لبعض الجمل.

عن مثنى الحناط، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فقلت له: وأنت ورثت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟ قال: نعم، قلت: رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وارث الأنبياء علم كلّما علموا؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ قال لي: نعم بإذن الله، ثم قال: ادن مني ياأبا محمد فدنوت منه فمسح على وجهي وعلى عيني، فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيء في البلد، ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا ولك ماللناس وعليك ماعليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً[١]؟ قلت: أعود كما كنت. فمسح على عيني، فعدت كما كنت، فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال: أشهد أن هذا حقّ كما أنّ النهار حق[٢].

وفي كتاب التوحيد: في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع أصحاب الأديان والمقالات، قال الرضا (عليه السلام): لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجّه معهم علي بن أبي طالب فقال: اذهب إلى حبانة[٣] فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يافلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمّد قوموا بإذن الله (عزّوجلّ) فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، وأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم أن محمّداً قد بعث نبياً، وقالوا: وددنا أنّا كنّا أدركناه فنؤمن به. ولقد أبرأ الأكمه والأبرص كلّمه البهائم والطير والجنّ والشياطين، ولم نتخذه رباً من دون الله (عزّوجلّ)[٤].

---

(١) دل على أن ذا البلية لايحاسب ويغفر له مالايغفر لغيره (شرح الأصول للمازندراني: ج٧ ص ٢٣٧.

(٢) الكافي: ج١ ص ٣٩١ كتاب الحجة، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي، ح٣.

(٣) كذا في نسخة ـ ١ ـ والصحيح جبانة والجبانة الصحراء وتسمى بها المقابر، لأنّها تكون في الصحراء تشبيه للشيء بموضعه، ومنه الحديث: إنما الصلاة يوم العيد على من خرج إلى الجبانة، والجبان بدون الهاء الصحراء أيضاً كالجبانة ومنه حديث المباهلة: وأبرز أنت وهو إلى الجبان (مجمع البحرين، لغة جبن).

(٤) كتاب التوحيد: ص ٤٢٣ باب ٦٥ ذكر مجلس الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) مع أهل الأديان وأصحاب المقالات، قطعة من ح١ س٥.

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ: عطف على (رسولاً) على الوجهين، أومنصوب بإضمار فعل دلّ عليه (قدجئتكم) أي وجئتكم مصدّقاً.

وَلِأُحِلَّ لَكُم: مقدر بإضمار فعل دلّ عليه (قدجئتكم) أي وجئتكم لاحل، أو مردود على قوله (قد جئتكم بآية) أي جئتكم لأُظهر آية ولأُحل، أو على معنى (مصدّقاً) أي جئتكم لأصدّق ولأُحل كقولهم: جئتك معتذراً ولأُطيّب قلبك.

بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ: أي في شريعة موسى (عليه السلام) كالشحوم والثروب[1] والسمك ولحوم الإبل، والعمل في السبت.

وفي الآية دلالة على أن شرعه كان ناسخاً لشرع موسى (عليه السلام).

وفي تفسير العياشي: عن محمد الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كان بين داود وعيسى بن مريم (عليهما السلام) أربعمائة سنة، وكان شريعة عيسى أنّه بعث بالتوحيد والإخلاص، وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى، وأنزل عليه الإنجيل، وأخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين، وشرع له في الكتاب أقام الصلاة مع الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم الحرام وتحليل الحلال، وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود، ليس فيها قصاص، ولاأحكام حدود، ولافرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى في

---

(١) الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء وجمعه ثروب، والثرب الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين وشاة ثرباء عظيمة الثرب (لسان العرب ج ١ ص ٢٣٤ لغة ثرب).

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

التوراة، وهو قول الله في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل «ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم» وأمر عيسى من معه ممن اتبعه من المؤمنين أن يؤمنوا لشريعة التوراة والإنجيل[1].

وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ: الظاهر أنّ قوله «وجئتكم بآية من ربكم» تكرير لما قبله، أي قد جئتكم بآية بعد أُخرى مما ذكرت لكم. والأول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها إلى الحكم، ولذلك رتب عليه بالفاء قوله (فاتّقوا الله) أي أني جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتّقوا الله في المخالفة وأطيعوا لي فيما أدعوكم إليه، ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل، فقال: «إن الله ربي وربكم» إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد، وقال: «فاعبدوه» إشارة إلى استكمال القوة العملية، فإنّه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي، ثم قرّر ذلك بأنّ بيّن: إنّ الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود عليه بالاستقامة.

وقيل: معناه وجئتكم بآية أُخرى ألهمنيها ربكم، وهو قوله «إن الله ربي وربكم» فإنّه دعوة الحق المجمع عليه فيما بين الرسل، الفارقة بين النبيّ والساحر، أو جئتكم على أنّ الله ربي وربكم، وقوله «فاتقوا الله وأطيعون» اعتراض.

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ: قيل: تحقق كفرهم عنده، تحقّق مايدرك

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص ١٧٥ ح ٥٢.

بالحواس.

وفي تفسير العياشي: وروي عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله: «فلما أحسّ عيسى منهم الكفر» أي لـمّا سمع ورأى أنهم يكفرون(١).

فعلى هذه الرواية كان الاحساس مستعملاً في معناه الحقيقي، ولايكون استعارة تبعية كما في الأول.

قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ: جمع ناصر، و حمله على (من) لإرادة المتعدد منه، أو للمبالغة في كونه ناصراً.

إِلَى ٱللَّهِ: ملتجئاً إلى الله، أو ذاهباً أو ضاماً إليه.

ويحتمل تعلقه بـ(أنصاري) على تضمين الإضافة، أي من الليف(٢) يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري.

وقيل: (إلى) ههنا بمعنى مع، أو في، أو اللام.

قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ: حواري الرجل صفوته وخالصته ،من الحور، وهوالبياض الخالص، ومنه الحواريات للحضريّات لخلوص ألوانهن ونظافتهن.

قال: فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلّا الكلاب النوابح(٣).

وفي وزنه الحوالي، وهو الكثير الحيلة. سمي به أصحاب عيسى (عليه السلام)، قال: لخلوص نيتهم ونقاء(٤) سريرتهم. وقيل: كانوا ملوكاً يلبسون البيض، استنصرهم عيسى على اليهود. وقيل: قصّارون يحورون الثياب ويبيّضونها.

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير العياشي وذكره علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٣ في تفسيره لقوله تعالى «فلما أحس عيسى» الآية.

(٢) كذا في نسخة ـ أ ـ والصحيح الذين.

(٣) للحارث بن جلزة اليشكري، يقول: فقل للنساء الحضريات الصافيات البياض يبكين غيرنا، كناية عن أنه ليس من أهل التنعم، ثم نهى عن أن يبكيهم إلّا الكلاب التي تساق معهم للصيد، أو التي جرت عادتها بأكل قتلاهم في الحرب، أو التي تنبحهم إذا أقبلوا على أصحابها، كناية عن أنّه من أهل البدو والغزو (عن هامش الكشاف: ج ١ ص٣٦٦).

(٤) في نسخة ـ أ ـ: وفقاء، والصحيح ما أثبتناه لاقتضاء سياق الكلام.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ: في دينه.

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ: الذي دعوت إليه.

وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ: لتشهد يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ: في كتبك.

وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ: أي عيسى (عليه السلام) فيما دعى إليه.

فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ: بوحدانيتك، أو مع الأنبياء الشاهدين. وقيل: أو مع أمة محمّد (صلّى الله عليه وآله) فإنّهم شهداء على الناس[1].

وَمَكَرُواْ: أي الذين أحسّ منهم الكفر من اليهود، بأن وكّلوا عليه من يقتله غيلة.

وَمَكَرَ ٱللَّهُ: بأن رفع عيسى والقى شبهه على غيره حتى قتل.

والمكر حيلة يجلب بها الغير إلى المضرّة. وإسناده إلى الله على سبيل الأزدواج.

وفي عيون الأخبار عن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «سخر الله منهم»[2] وقوله: «الله يستهزئ بهم»[3] وقوله تعالى: «ومكروا ومكر الله» وعن قوله عزّوجلّ: «يخادعون الله وهو خادعهم»[4].

---

(١) نقله في الكشاف: ج ١ ص ٣٦٦ في تفسيره لقوله تعالى «فاكتبنا مع الشاهدين».

(٢) التوبة: ٧٩.

(٣) البقرة: ١٥.

(٤) النساء: ١٤٢.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥﴾

فقال: إنّ الله (عزّوجل) لايسخر ولا يستهزئ، ولايمكر ولا يخادع، ولكنّه (عزّوجلّ) يجازيهم جزاء السخرية، وجزاء الاستهزاء، وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[1].

وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ: أقدرهم على أيصال الضرّ إلى الغير.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ: ظرف لـ (مكر الله) وقيل: أو لـ (خير الماكرين) أو لمضمر مثل وقع ذلك.

يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ: أي مستوفي أجلك، عاصماً إيّاك من قتلهم، أو قابضك من الأرض، من توفيت مالي

وقيل: أو متوفّيك نائماً، وقيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه، وقيل: أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج.

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ: إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي، وذلك في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان.

في كتاب الخصال: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ـ في حديث طويل يذكر فيه الاغسال في شهر رمضان ـ: وليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي مات فيها أوصياء الأنبياء، وفيها رفع عيسى (عليه السلام)[2].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص١٢٦ باب ١١ ماجاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد قطعة من ح١٩.

(٢) الخصال: ص٥٠٨، باب السبعة عشر، الغسل في سبعة عشر موطناً، قطعة من ح١.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي من سوء جوارهم. أو قصدهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: إنّ عيسى (عليه السلام) وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثناعشر رجلاً فأدخلهم بيتاً، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إن الله أوحى إليّ، أنه رافعي إليه الساعة ومطهّري من اليهود، فأيّكم يلقى إليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، فقال: فأنت هوذا، فقال لهم عيسى: أما إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا يانبيّ الله، فقال عيسى: أتحسّ بذلك في نفسك؟ فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى أنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى (عليه السلام)، فقتل وصلب، وكفر الذي قال له عيسى تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة[1].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن إسماعيل بن أبي رافع عن أبيه[2] قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ جبرئيل (عليه السلام) نزل عليّ بكتاب فيه خبر الملوك، ملوك الأرض، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل، وهو حديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

قال: لما ملك أشج بن أشجان[3]، وكان يسمى الكيّس، وكان قد ملك

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٣ في تفسيره لقوله تعالى: «إنّي متوفيك ورافعك إليّ».

(٢) في المصدر: عن محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع.

(٣) معرب (اشك بن اشكال) كذا في الهامش.

مائتين وستاً وستين سنة، في سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عزّوجلّ عيسى ابن مريم (عليه السلام) واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله، و زاده الإنجيل، وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله وبرسوله، فأبى أكثرهم إلّا طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا دعا ربه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلّا طغيانا وكفراً، فأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيما عندالله ثلاث وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادّعت أنها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنّما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه، ولاعلى قتله وصلبه، لأنّهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله «ولكن رفعه الله» بعد أن توفاه (عليه السلام)، فلمّا أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفة على المؤمنين ففعل ذلك[1].

قوله «بعد أن توفاه» يحتمل أن يكون معناه، بعد أن قبضه من الأرض، أو بعد أن أماته عن الشهوات العائقة، أو أماته موتاً حقيقياً كما ذهب إليه البعض، أو بعد أن قرّر في علمه أن يستوفي أجله، وهذا أبعد.

وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ: يعلونهم بالحجة أو السيف.

ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم، ولايتفق لهم ملك ولادولة.

ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ: فيه تغليب المخاطبين على غيرهم.

فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ: من أمر الدين.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٢٤ باب ٢٢ اتصال الوصية من لدن آدم وأنّ الأرض لاتخلو من حجة لله (عزّوجلّ) على خلقه إلى يوم القيامة قطعة من ح ٢٠.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ: من اليهود وغيرهم.

فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا: بضرب الجزية والهوان.

وَٱلْآخِرَةِ: بالنار.

وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ: يسعون في استخلاصهم.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ: أي في الدنيا والآخرة.

وقرأ حفص بالياء.

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ: ويحب المؤمنين.

ذَٰلِكَ: أي نبأ عيسى وغيره ممّا تقدّم.

مبتدأ وخبره.

نَتْلُوهُ عَلَيْكَ

وقوله:

مِنَ ٱلْآيَٰتِ: حال من الهاء.

ويحتمل أن يكون هو الخبر، و«نتلوه» حالاً والعامل فيه معنى الإشارة، وأن يكونا خبرين، ويحتمل أن يكون «ذلك» منصوباً بما يفسره «نتلوه».

وَٱلذِّكْرِ: أي القرآن، وقيل: اللّوح.

ٱلْحَكِيمِ: المشتمل على الحكم، أو المحكم عن تطرّق الخلل إليه.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ: أي شأنه الغريب كشأن آدم.

خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ: جملة مفسرة لوجه الشبه، وهو أنّه خلق بلا أب كما خلق آدم بلا أب، بل وبلا أمّ أيضاً، شبه حاله بما هو أغرب، إفحاماً للخصم بطريق المبالغة.

ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن: أي إنشأ بشراً، والمراد بالخلق، خلق القالب، أو المراد قدر تكوينه، ثم كونه، ويحتمل أن يكون «ثم» لتراخي الخبر.

فَيَكُونُ: حكاية حال ماضية.

في تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن ابن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام): أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وكان سيّدهم الأهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم، فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلّوا، فقال أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم، فلمّا فرغوا دنوا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالوا: إلى ماتدعونا؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث، قالوا: فمن أبوه؟ فنزل: الوحي على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لهم: ماتقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح، فسألهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه؟، فبهتوا، فأنزل الله تبارك وتعالى «إن مثل عيسى عندالله» الآية[1].

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ: «الحقّ» مبتدأ، و«من ربك» خبره، أي الحقّ المذكور من

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٤، في تفسيره لقوله تعالى «إن مثل عيسى» الآية.

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١

الله، أو خبر مبتدأ محذوف و«من ربك» صفة، أو حال منه، ويحتمل تعلّقه به.

فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ: الخطاب إن كان للنبيّ، فلزيادة التهيّج على الثبات، أوللتعريض وإن كان لكلّ سامع فعلى أصله.

فَمَنْ حَآجَّكَ: من النصارى.

فِيهِ: في عيسى.

مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ: أي البيّنات الموجبة للعلم.

فَقُلْ تَعَالَوْا۟: هلموا بالعزم والرأى.

نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ: أي يدع كلّ منّا ومنكم نفسه وأعزه أهله إلى المباهلة، ويحملهم عليها. وإنّما قدّمهم على النفس، لأنّ الرجل يخاطر بنفسه لهم، فهم أهمّ عنده.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي عبدالله (عليه السلام): وأمّا قوله «فمن حاجك»، الآية، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فباهلوني، فإن كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: السيد والعاقب والأهتم، إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنّه ليس بنبيّ، وإن باهلنا بأهل بيته خاصّة فلانباهله، فإنّه لايقدّم أهل بيته إلّا وهو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومعه أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إن هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه علي بن أبي

طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين (عليهما السلام) ففرقوا، وقالوا لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): نعطيك الرضا، فاعفنا عن المباهلة، فصالحهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على الجزية، وانصرفوا[١].

فقد ظهر: من دعى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من الأبناء، هو الحسن والحسين، ومن النساء فاطمة، وبقي عليٌّ لايدخل في شيء إلّا في قوله «وأنفسنا» فهو نفس الرسول (صلّى الله عليه وآله).

وقد صح في الخبر أنّه (عليه السلام) وقد سأله سائل عن بعض أصحابه، فأجابه عن كلٍّ بصفته، فقال: فعليّ؟ فقال (صلّى الله عليه وآله): إنّما سألتني عن النسا، ولم تسألني عن نفسي[٢].

﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾: بأن نلعن الكاذب منّا.

والبهلة بالضم والفتح اللعنة، وأصله الترك، من قولهم: بهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار[٣].

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر قال: التبتل أن تقلب كفيك في الدعاء إذا دعوت، والابتهال أن تقدّمها وتبسطها[٤].

وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن مخلد أبي الشكر، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٤ في تفسيره لقوله تعالى «إن مثل عيسى عندالله» الآية وقد مرّ آنفاً.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٣ في بيان معنى قوله تعالى: «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم» الآية.

(٣) ومنه الحديث (لايحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحلّ صرار ناقة بغير إذن صاحبها فإنّه خاتم أهلها، من عادة العرب أن تصرّ ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المرعى سارحة، ويسمون ذلك الرباط صراراً، فإذا راحت عشياً حلّت تلك الأصرّة وحلبت (النهاية ج٣ لغة صرر).

(٤) معاني الأخبار. ص ٣٦٩، باب معنى الرغبة والرهبة والتبتل والابتهال والتضرع والبصبصة في الدعاء، قطعة من ح٢.

قال: الساعة التي تباهل فيها مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[١][٢].

﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: عطف فيه بيان.

وفي كتاب الخصال: في احتجاج علي (عليه السلام) على أبي بكر قال: فانشدك بالله أبي ردّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك؟ وبأهلك وولدك؟ قال: بكم[٣].

وفيه أيضاً: في مناقب أميرالمؤمنين (عليه السلام) وتعدادها، قال (عليه السلام): والرابعة والثلاثون فإنّ النصارى ادّعوا أمراً، فأنزل الله (عزّوجل) فيه «فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» فكانت نفسي نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والنساء فاطمة، والأبناء الحسن والحسين، ثم ندم القوم، فسألوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الاعفاء، فعفى عنهم، وقال: والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمّد، لو باهلونا لمسخهم قردة وخنازير[٤].

وفي روضة الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن ابن ظريف، عن عبدالصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): مايقولون لكم في الحسن والحسين (عليهما السلام) قال قال: ينكرون علينا إنّهما إبنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال: فأي شيء احتججتم عليهم يا أبا الجارود قلت: احتججنا عليهم بقول الله (تعالى) لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) «قل تعالوا ندع أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا

---

(١) قوله: الساعة التي تباهل فيها إلخ لأنّه وقت استجابة الدعاء، وينبغي طلب هذا الوقت للمباهلة إن أمكن وإلّا فيجوز في غيره (شرح اصول الكافي للمازندراني: ج ١٠ ص٢٦٧ كتاب الدعاء).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥١٤ كتاب الدعاء، باب المباهلة، ح ٢.

(٣) الخصال: ص ٥٥٠، أبواب الأربعين وما فوقه، احتجاج أميرالمؤمنين على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة، ح ٣٠.

(٤) الخصال: ص ٥٧٦ أبواب السبعين وما فوقه، لأميرالمؤمنين (عليه السلام) سبعين منقبة لم يشركه فيها أحد من الأئمة، ح ١.

ونساءكم وانفسنا وانفسكم» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[١].

بإسناده إلى أبي اسحاق، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: فالابتهال رفع اليدين وتمديدهما وذلك عند الدمعة[٢].

وبإسناده الى مروك بياع اللؤلؤعمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: وهكذا الابتهال ومد يديه تلقاء وجهه الى القبلة، ولا تبتهل حتى تجري الدمعة[٣].

عدّة من اصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابيه، عن فضالة، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): والابتهال تبسط يدك وذراعيك، والابتهال حين ترى اسباب البكاء[٤].

وبإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: وأمّا الابتهال فرفع يديك تجاوز بها رأسك[٥].

وبإسناده الى محمد بن مسلم وزرارة قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): والابتهال ان تمد يديك جميعاً[٦].

وهذه الاحاديث طوال أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي: عن جرير[٧]، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) سئل عن فضائله فذكر بعضها، ثم قالوا له: زدنا، فقال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أتاه حبران من أحبار اليهود من أهل نجران فتكلما في أمر عيسى فأنزل هذه الآية «ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه» الى آخر الآية، فدخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخذ بيد علي والحسن والحسين وفاطمة، ثم خرج ورفع كفّه الى السماء وفرّج بين أصابعه ودعاهم الى

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ ح ٥٠١.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٩ قطعة من ح ١.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٠ قطعة من ح ٣.
(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٠ قطعة من ح ٤.
(٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٠ قطعة من ح ٥.
(٦) الكافي: ج ٢ ص ٤٨١ قطعة من ح ٧.
(٧) في المصدر: حريز.

المباهلة قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام): وكذلك المباهلة يشبك يده في يده ثم يرفعهما الى السماء، فلما رآه الحبران قال احدهما لصاحبه: وان كان نبياً لنهلكن وان كان غير نبيّ كفانا قومه فكفانا وانصرفا[١].

عن أبي جعفر الاحول، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): ماتقول قريش في الخمس؟ قال: قلت: تزعم أنّه لها، قال: ماأنصفونا والله ولو كان مباهلة ليباهلن بنا، ولئن كان مبارزة ليبارزن بنا ثم نكون وهم على سواء[٢].

وفي مجمع البيان: وقال (عليه السلام): إنّ كلّ بني بنت ينسبون الى أبيهم إلّا أولاد فاطمة فانّي أنا أبوهم[٣].

وفي عيون الاخبار في باب جمل من اخبار موسى بن جعفر (عليه السلام) مع هارون الرشيد لمّا قال له: كيف تكونون ذرية رسول الله وانتم اولاد ابنته؟ حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) لهارون: أزيدك يا أميرالمؤمنين، قال: هات، قلت: قول الله تعالى: «فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءَك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءَنا وابناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» ولم يدّع احد إنّه أدخل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) تحت الكساء عند المباهلة للنصارى إلّا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين فكان تأويل قوله عزوجل: «ابناءَنا» الحسن والحسين و«نساءَنا» فاطمة «وأنفسنا» علي بن أبي طالب على أنّ العلماء قد إجتمعوا على أنّ جبرائيل قال يوم أُحد: يامحمد إنّ هذه لهي المواساة من عليّ قال: لأنّه منّي وأنا منه[٤].

وفيه في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة حديث طويل، وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل فسّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا (عليه السلام): فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً فأوّل ذلك قوله عزّوجلّ، الى أن قال: وأمّا الثالثة حين

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٥ ح ٥٤.
(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٦ ح ٥٦.
(٣) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨ ص ٣٦١.
(٤) عيون الاخبار: ج ١ ص ٦٩ قطعة من ح ٩.

ميّز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيه (صلّى الله عليه وآله) بالمباهلة بهم في آية المباهلة، فقال عزّوجلّ: يامحمد فمن «حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءَنا وابناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» فأبرز النبيّ (صلّى الله عليه وآله) علياً والحسن والحسين وفاطمة (صلوات الله عليهم) وقرن أنفسهم بنفسه هل تدرون مامعنىٰ قوله: «وأنفسنا وأنفسكم» «قالت العلماء: عنى به نفسه، قال أبوالحسن (عليه السلام): غلطتم إنّما عني به علي بن أبي طالب (عليه السلام) وممّا يدلّ على ذلك قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله): لينتهين بنو وليعة أو لابعثن اليهم رجلاً كنفسي، يعني علي ابن أبي طالب (عليه السلام) [وعنى بالابناء الحسن والحسين عليهما السلام][1] وعنى بالنساء فاطمة (عليها السلام) فهذه خصوصية لايتقدّمهم فيها أحد وفضل لايلحقهم فيه بشر وشرف لايستبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي كنفسه[2].

وفيه عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): ياعلي من قتلك فقد قتلني ومن ابغضك فقد ابغضني ومن سبّك فقد سبّني لأنّك منّي كنفسي، وروحك من روحي، وطينتك من طينتي[3].

وفي كتاب علل الشرائع: عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام): حديث طويل ذكرته بتمامه في سورة يونس عند قوله تعالى «فان كنت في شك» الآية ففيه: أنّ المخاطب بذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يكن في شكّ ممّا أنزل الله (عزّوجل) ولكن قالت الجهلة: كيف لايبعث إلينا نبياً من الملائكة إنّه لم يفرق بينه وبين غيره في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحىٰ الله (عزّوجلّ) الى نبيه (صلّى الله عليه وآله) «فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك» بمحضر من الجهلة هل بعث الله (عزّوجلّ) رسولاً قبلك إلّا وهو يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ولك بهم أُسوة و إنّما قال: «وان كنت في شك» ولم يقل

(١) مابين المعقوفتين ليس في النسخة ـ أ ـ واثبتناه من المصدر لإكمال المعنى.

(٢) عيون الأخبار: ج ١ ص ١٨١ قطعة من ح ١. (٣) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٣١ قطعة من ح ٥٣.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

ولكن ليتبعهم كما قال له (عليه السلام) «فقل تعالوا ندع أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة وقد عرف أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين وكذلك عرف النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه صادق فيما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه[1].

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن سعيد الاردني، عن موسى بن محمد بن الرضا، عن أخيه[2] أبا الحسن الرضا (عليه السلام) في هذه الآية: «قل تعالوا ندع ابناءَنا وابناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله» عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة وقد علم أنّ نبيه مؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين[3].

وفيه عن المنذر، قال: حدثنا علي (عليه السلام) قال: لمّا نزلت هذه الآية «قل تعالوا ندع ابناءَنا وابناءَكم وأنفسنا وأنفسكم» الآية قال: أخذ بيد علي وفاطمة وابنيهما (عليهما السلام) فقال رجل من اليهود: لا تفعلوا فيصيبكم عنت الوجوه فلم يدعوه[4].

وفي شرح الآيات الباهرة: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) صالحهم على ألفي حلّة وثلاثين درعاً وثلاثين فرساً، وكتب بذلك كتاباً ورجعوا إلى بلادهم[5].

إِنَّ هَٰذَا: أي ماقص من نبأ عيسى ومريم.

---

(١) علل الشرائع: ص ١٢٩ باب ١٠٧ ح ١. (٢) في هامش النسخة ـ أ ـ: (إنّه سمع جدّه ظ).

(٣)و(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٦ و١٧٧ح ٥٥ و٥٨.

(٥) لم نعثر عليه في شرح الآيات الباهرة بل وجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص١١٧.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ : بجملتها خبر «إنّ» أو هو فصل يفيد أنّ ماذكره في شأن عيسى ومريم حقّ، دون ماذكروه وما بعده خبر، واللاّ دخلت فيه، لأنّه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن يدخل على المبتدأ وههنا دخول «إنّ» عليه مانع، فأخر.

وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ : زيادة «من» لزيادة الاستغراق، لتأكيد الردّ على النصارى في تثليثهم.

وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ : لايساويه أحد في القدرة التامّة.

ٱلْحَكِيمُ : ولافي الحكمة البالغة، ليشاركه في الإلهيّة.

فَإِن تَوَلَّوْا۟ : عن التوحيد.

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ : إيراد المظهر، ليدلّ على أنّ التولّي إفساد للدين والاعتقاد.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ : قيل: يعمّ أهل الكتابين، وقيل: يريد به وفد نجران، أو يهود المدينة.

تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : لايختلف فيها الرسل والكتب، وهي:

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ : أي نوحّده بالعبادة.

وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا : لانجعل له غيره شريكاً في استحقاق العبادة.

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ : ولانقول عزير ابن الله، ولا المسيح

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾

ابن الله، ولانطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل، لأنّ كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا.

وفي مجمع البيان: وقد روي لـمّا نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، فقال (عليه السلام): اما كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم؟ فقالوا: نعم، فقال النبيّ (عليه السلام) هو ذاك [1].

فَإِن تَوَلَّوۡاْ: عن التوحيد.

فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ: أي لزمتكم الحجّة فوجب عليكم أن تعرفوا وتسلّموا بأنّا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدل وصراع أو غيرهما: أعترف بأنّي أنا الغالب، وسلّم لي الغلبة.

ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون، حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره.

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ: ويدّعي كلّ فريق أنّ إبراهيم كان على دينهم، اليهود يدّعون يهوديّته، والنصارى نصرانيّته.

وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ: التي ثبت بها اليهوديّة.

وَٱلۡإِنجِيلُ: التي ثبت به النصرانيّة.

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ: أي بعد إبراهيم. أُنزلت التوراة بعده بألف سنة، والإنجيل بألفي سنة، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلّا بعده بأزمنة متطاولة.

أَفَلَا تَعۡقِلُونَ: حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال.

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٥ في بيان معنى قوله تعالى: «قل ياأهل الكتاب تعالوا...» الآية.

هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

هكذا قاله المفسرون، وفيما قالوه إشكال من وجهين:

الأوّل: أنه يمكن أن يقال من قبل اليهود والنصارى: إنّ كون إبراهيم منهم لايتوقف على نزول التوراة والإنجيل في زمانه، لإمكان إيحاء اليهوديّة أو النصرانيّة إليه، ثم أنزل التوراة والإنجيل على طبق ماأُوحي إليه سابقاً.

الثاني: أنّه قد تواتر أنّ إبراهيم (عليه السلام) كان مسلماً، وقد دلّت عليه الآية وشيعة، مع أنّ الإسلام والتشيّع إنّما ثبت بالقرآن الذي بعده، فما هو جوابكم فهو جوابهم.

والأظهر أنّ مضمون الآية، والله أعلم، أنّ كلاً من اليهود والنصارى يدّعي أنّ إبراهيم كان على الدين الذي هم عليه الآن من اليهوديّة التي حدثت بعد التوراة، والنصرانيّة التي حدثت بعد الإنجيل بالتحريف والتبديل، فقال الله تعالى: «لم تحاجّون في إبراهيم» وتدّعون أنّه كان على ماأنتم عليه الآن، وهو حدث بتحريفكم بعد إنزال التوراة والإنجيل بعد إبراهيم، بمدد متطاولة وما كان له أصل من الله حتى يحتمل أن يوحيه إلى إبراهيم ويكون هو عليه قبل إنزال التوراة والإنجيل، «أفلا تعقلون».

وحينئذ لا يرد عليه شيء من الإشكالين، والله أعلم بحقيقة الحال.

هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ: «ها» حرف تنبيه، نبّهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها.

و«أنتم» مبتدأ، و«هؤلاء» خبره، و«حاججتم» جملة أُخرى مبيّنة للأولى، أي أنتم هؤلاء الحمقى، وبيان حماقتكم، إنكم جادلتم فيما لكم به علم ممّا وجدتموه في التوراة والإنجيل من نعت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عناداً، فلِمَ تجادلون فيما لاعلم

مَاكَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾

لكم به ولا ذكر له في كتابكم، من أنّ إبراهيم كان على اليهوديّة أو النصرانية التي نحن عليها؟.

وقيل: «هؤلاء» بمعنى الذين و«حاججتم» صلته.

وقيل: «هاأنتم» أصله، أأنتم، على الاستفهام، للتعجيب من حماقتهم، فقلبت الهمزة هاء.

وقرأ نافع وأبو عمرو «ها أنتم» حيث وقع، بالمدّ من غير همزة، وورش[١] أقل مدّاً، وقيل: بالهمزة من غير ألف بعد الهاء، والباقون بالمدّ والهمزة، والبزّي[٢] يقصر المدّعلى أصله[٣].

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ: ماحاججتم فيه، أوّله العلم.

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ: أي لا تعلمونه، أولستم ممّن له العلم.

مَاكَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا: بعدما قرّر أنّ إبراهيم لم يكن على اليهوديّة والنصرانيّة التي هم عليه الآن.

نفى عنه اليهوديّة والنصرانيّة مطلقاً، ولمّا كان يوهم ذلك كونه على غير الحق،

---

(١) ورش: هو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبو سعيد، وورش لقب له، لقّب به فيما يقال لشدّة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. وورش مأخوذ من الورش، والورش شيء أبيض يصنع من اللبن، وقيل: هو مأخوذ من ورشت الطعام ورشاً، إذا تناولت منه يسيراً «تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: ص١٤».

(٢) البزّي: هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذن المكي، توفي بمكة سنة أربعين ومائتين (المصدر والصفحة).

(٣) لاحظ آرائهم في ذلك، في تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: ص٩٩.

لأنّ أصل اليهوديّة والنصرانيّة لم يكن غير حقّ، نفي ذلك الوهم بقوله:

وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا : مائلاً عن العقائد الزائفة.

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ : تعريض بأنّهم مشركون، لإشراكهم به عزيراً والمسيح وردّ لادّعاء المشركين أنّهم على ملّة إبراهيم.

وفي روضة الكافي: علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لاشرقيّة ولاغربيّة، يقول: لستم بيهود فتصلّوا قبل المغرب ولانصارى فتصلّوا قبل المشرق وأنتم على ملّة إبراهيم (عليه السلام) وقد قال الله (عزّوجلّ): «ماكان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»[1].

في اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ) «حنيفاً مسلماً»[2] قال: خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان[3].

مُّسْلِمًا: منقاداً لله فيما شرّع له، لأنّ اليهوديّة صارت شرعاً في أيّام موسى، والنصرانيّة في بعثة عيسى، ولم يكونا مشروعين قبل ذلك، والمشروع حينئذٍ هو الإسلام.

وفي تفسير العيّاشي: عن عبيدالله الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): ماكان إبراهيم يهوديّاً ولانصرانياً، لايهوديّاً يصلّي

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٣٨١ قطعة من ح ٥٧٤.

(٢) قوله: حنيفاً مسلماً، الحنيف المسلم المنقاد، وهو المائل إلى الدين الحقّ، وهو الدين الخالص، ولذلك فسّره (عليه السلام) بقوله: «خالصاً لله مخلصاً» عبادته عن ملاحظة غيره مطلقاً، ثم وصفه على سبيل التأكيد بقوله (ليس فيه شيء من عبادة الأوثان) أي الأوثان المعروفة، أو الأعمّ منها، فيشمل عبادة الشياطين في إغوائها، وعبادة النفس في أهوائها، وقد نهى جل شأنه عن عبادتها فقال: «ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان» وقال: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٨ ص٤٦ كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص ح١.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٦٨﴾

إلى المغرب ولانصرانياً يصلّي إلى المشرق، ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد (صلّى الله عليه وآله)[1].

إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ: أي أقربهم به، من الوليّ بمعنى القرب.

لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ: من أُمته.

وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟: لموافقتهم له في أكثر ما شرّع لهم.

والمراد بـ«الذين آمنوا» هم الأئمة وأتباعهم.

وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ: ينصرهم ويجازيهم الحسنى بإيمانهم.

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشا، عن مثنى، عن عبدالله بن عجلان، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه[2] وهذا النبيّ والذين آمنوا» قال: هم الأئمة (عليهم السلام) ومن اتبعهم[3].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦٠.

(٢) قوله «ان أولى الناس بإبراهيم» أي أخص الناس بإبراهيم وأقربهم منه للذين اتبعوه من أُمته وهذا النبيّ لموافقته له في اصول شريعته، والذين آمنوا بهذا النبيّ إيماناً حقيقياً وهم الأئمة (عليهم السلام) ومن اتبعهم من الشيعة، وفيه قطع لافتخار كل من نسب نفسه إليه في النسب، أو الذين مع مخالفته له في اصول شريعته التي من جملتها تعيين الخليفة. هذا إذا قرئ «النبيّ» بالرفع على أنه خبر بعد خبر لـ«ان». وأما إن قرئ بالنصب على العطف بالهاء في «اتبعوه» أو بالجر على العطف بإبراهيم، فيظهر معناه بأدنى تأمل، ويتعين حينئذٍ تفسير «الذين آمنوا» بالأئمة، لابهم وبمن اتبعهم، ويفتقر في قراءة الجر إلى تقدير والسياق قرينة له، فليتأمل (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٧ ص ٥٨).

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤١٦ كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٢٠.

وفي تفسير العياشي: عن علي بن النعمان عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: هم الأئمة وأتباعهم[١].

وفي مجمع البيان: قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): إن أولى الناس بالأنبياء أعملهم بما جاؤوا به، ثم تلا هذه الآية...، قال: إنّ وليّ محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإنّ عدوّ محمّد من عصى الله وإن قربت قرابته[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): أنتم والله من آل محمّد، فقلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: نعم والله من أنفسهم، ثلاثاً، ثم نظر إليّ ونظرت إليه، فقال: ياعمر إن الله يقول في كتابه: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين»[٣].

وفيه في حديث طويل، وفيه يقول (صلّى الله عليه وآله): ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلّا قالوا: يامحمّد احتجم وامر أُمّتك بالحجامة، وإذا فيها رجل أشمط الرأس واللحية[٤] جالس على كرسي، فقلت: ياجبرئيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله؟ فقال: هذا يامحمد أبوك إبراهيم، وهذا محلك ومحل من اتقى من أُمّتك، ثم قرأ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين»[٥].

حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لكأنّي أنظر إلى القائم (عليه السلام) وقد

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦٢.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٨ في بيان معنى قوله تعالى: «ان اولى الناس بإبراهيم» الآية.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٥.

(٤) في حديث أنس (لو شئت أن أعد شمطات كن في رأس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فعلت) الشمط: الشيب والشمطات الشعرات البيض التي كانت في شعر رأسه. (النهاية: ج٢ ص٥٠١ لغة شمط).

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٩.

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه، ثم يقول: ياأيها الناس من يحاجّني في الله، فأنا أولى بالله، أيها الناس من يحاجّني بآدم فأنا أولى بآدم، أيها الناس من يحاجّني في نوح فأنا أولى بنوح، أيها الناس من يحاجّني بإبراهيم فأنا اولى بإبراهيم، والحديث طويل اخذت منه موضع الحاجة[١].

وفي نهج البلاغة: من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً: وكتاب الله يجمع لنا، ماشذّ عنّا، وهو قوله سبحانه: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»[٢] وقوله تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله ولي المؤمنين» فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة[٣].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي في خطبة لعلي (عليه السلام) وفيها، قال الله عزّوجلّ «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي» وقال عزّوجلّ «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فنحن أولى الناس بإبراهيم، ونحن ورثناه، ونحن أولوا الأرحام الذين ورثنا الكعبة، ونحن آل إبراهيم[٤].

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ: قيل: نزلت في اليهود لمّا دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية[٥]. و«لو» بمعنى (أن).

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير القمي ونقلناه عن تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٢٩٤ ح ١٨٦.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٨٧ س ٦ ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً، صبحي السالح.

(٤) الاحتجاج: ص ١٦٠ س ٢١، احتجاجه على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها.

(٥) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٣٧٢ في تفسيره لقوله تعالى: «ودّت طائفة من أهل الكتاب» الآية.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢

وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ : وما يتخطاهم إلاّ ضلاً، ولايعود وباله إلاّ عليهم، إذيضاعف به عذابهم، أويزيد به ضلالتهم ورسوخهم فيها، أومايضلّون إلاّ أمثالهم.

وَمَا يَشۡعُرُونَ : وزره واختصاص ضرره بهم.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ: الدالة على نبوة محمّد ممّا نطقت به التوراة والإنجيل.

وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ: إنـها آيات الله، أو بالقرآن، أو أنتم تشهدون نعته في الكتابين، أوتعلمون بالمعجزات أنّه حقّ.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ : بالتحريف وإبراز الباطل في صورة الحقّ، أوبالتقصير في الميزبينهما.

وقرئ «تلبّسون» بالتشديد، و«تلبسون» بفتح الباء.

وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ: من نبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله)

وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ: عالمين بما تكتمونه، أوأنتم من أهل العلم.

وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ : أي لعلهم يشكّون في دينهم، ظنّاً بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم.

قيل: المراد بالطائفة، اثني عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أوّل النهار، ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد

وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

محمّداً بالنعت الذي ورد في التوراة، لعلّ أصحابه يشكّون فيه.

وقيل: كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة: آمنوا بما أُنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلّوا إليها أوّل النهار، ثم صلّوا إلى الصخرة آخره، لعلّهم يقولون: هم أعلم منّا، وقد رجعوا، فيرجعون[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا آخره» قال: نزلت في قوم من اليهود قالوا: آمنا بالذي جاء محمد بالغداة وكفروا به بالعشي[2].

وفي رواية أبي الجارود: عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون» فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لمّا قدم المدينة وهو يصلّي نحو بيت المقدس أعجب ذلك اليهود، فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت[3] اليهود من ذلك، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلّى محمّد الغداة واستقبل قبلتنا، فآمنوا بالذي أنزل على محمّد وجه النهار واكفروا آخره، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المسجد الحرام لعلهم يرجعون إلى قبلتنا[4].

وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ : أي لا تقرّوا عن قصد قلب إلّا لأهل

---

(١) نقلها في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٣ في تفسير قوله تعالى «وقالت طائفة من أهل الكتاب».

(٢ و٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٥ في تفسير قوله تعالى «وقالت طائفة من أهل الكتاب» الآية. (٣) وجد يجد... عليه غضب، وجد يوجد وجداً ـ له حزن (المنجد).

يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

دينكم، أولا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم، فإن رجوعهم أرجى.

قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ: يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته.

أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ: تعليل لمحذوف، أي دبّرتم وقلتم ذلك لأجل أن يؤتى، أي الحسد حملكم على ذلك، أو لا تؤمنوا على المعنى الثاني، أي لا تظهروا إيمانكم للمسلمين، لئلا يزيد ثباتهم، أو للمشركين فيدعوهم إلى الإسلام. وعلى هذا قوله «إن الهدى» الخ اعتراض، يدلّ على أنّ كيدهم لا يجدي.

ويحتمل أن يكون خبر إنّ، و«هدى الله» بدلاً من (الهدى).

وقرأ ابن كثير: «أن يؤتي» على الاستفهام، للتقريع.

وقرئ على أن النافية، فيكون من كلام الطائفة.

أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ: عطف على «يؤتى» على الوجهين الأوّلين، وعلى الثالث معناه حتى يحاجّوكم، يعني: أنّ هدى الله أن يؤتي أحد مثل ما أُوتيتم حتى يقدر على محاجّتكم، والواو ضمير الأحد، لأنّه في معنى الجمع[1].

قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ: لا ينفع في جلبه أمثال هذه التدابير.

وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ: الفضل.

عَلِيمٞ: بمن يصلح له الفضل.

يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ: من غير استيجاب سابق منه.

وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ: وفضله عظيم، أعظم ممّا حصل لكم من الحطام

---

(١) قال في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٣ عند تفسير الآية ما لفظه (والضمير في يحاجوكم، لأحد، لأنه في معنى الجمع) وقال في الهامش: أي حيث كان نكرة في سياق النفي، كما وصفه بالجمع في قوله «فما منكم من أحد عنه حاجزين».

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

الحقير الذي اكتسبتموه بالتحريف والكتمان والكفر.

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ: نقل: إن عبدالله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتي أُوقية ذهباً فأدّاه إليه[1].

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ: نقل: أن فنحاص بن عازوراء استودعه قرشيّ آخر ديناراً فجحده[2].

وقيل: المأمونون على الكثير النصارى، إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة[3].

وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمر (يؤدّه) بإسكان الهاء، وقائلون باختلاس الهاء، والباقون بإشباع الكسرة.

إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا: أي إلّا أن تأخذه منه قبل المفارقة.

ذَٰلِكَ: أي ترك الأداء المذكور.

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ: أي بسبب قولهم واعتقادهم أن ليس علينا في شأن من ليس من أهل الكتاب وعلى ديننا سبيل وعتاب.

---

(١) نقل الأقوال والحديث في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص١٦٧، وفي الكشاف: ج١ ص٣٧٤ أيضاً عند تفسيرهما لقوله تعالى: «ومن أهل الكتاب من أن تأمنه» الآية. ونقل الأقوال والحديث المروي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في مجمع البيان: ج٢ ص٤٦٢ في بيان النزول والمعنى للآية الشريفة. (٢) و(٣) نفس المصدر السابق.

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ: بقول ذلك.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ: أنهم كاذبون.

وقيل: عامل اليهود رجالاً من قريش، فلمّا أسلموا تقاضوهم، فقالوا: سقط حقكم حيث تركتم دينكم، وزعموا أنّه كذلك في كتابهم[1].

وفي مجمع البيان: روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): لمّا قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله، مامن شيء كان في الجاهلية إلّا وهو تحت قدمي إلّا الأمانة فإنّها مؤداة إلى البرّ والفاجر[2].

بَلَىٰ: إثبات لما نفوه، أي بلى عليهم سبيل.

مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ: استئناف مقرّر للجملة التي سدّت (بلى) مسدّها، والضمير مجرور بإضافة العهد، من الإضافة إلى الفاعل لو رجع إلى (من) ومن الإضافة إلى الفاعل أو المفعول لو رجع إلى (الله). وعموم المتقين ناب الراجع من الخبر إلى (من)[3].

وأشعر بأنّ التقوى ملاك الأمر، وهو يعمّ الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي.

---

(١)و(٢) نفس المصادر السابقة.

(٣) توضيح ما أفاده (قدس سره) يظهر ممّا قاله في الكشاف: ج١ ص ٣٧٥، حيث قال في تفسيره: فإن قلت: فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى (من)؟ قلت: عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ : يستبدلون.

بِعَهْدِ ٱللَّهِ : بما عهد الله عليهم، أو بما عاهدوا الله عليه من الإيمان بالرسول واداء الأمانات.

وَأَيْمَـٰنِهِمْ : وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمننّ به ولننصرنّه.

وفي مجمع البيان: وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: من حلف على يمين كاذبة ليقطع به مال أخيه المسلم، لقي الله وهو عليه غضبان، وتلا هذه الآية[١].

ثَمَنًا قَلِيلًا : متاع الدنيا من الرئاسة وأخذ الرشوة والذهاب بمال أخيهم المسلم ونحو ذلك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وقوله: «ان الذين يشترون بعهد الله ثمناً قليلاً» قال: يتقربون الى الناس بأنهم مسلمون فيأخذوه منهم ويخونون وما [هم][٢] بمسلمين على الحقيقة[٣].

وفي أمالي شيخ الطائفة (قدس سره) بإسناده الى أبي وائل، عن عبدالله، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال من حلف على يمين يقطع بها مال أخيه لقي الله (عزّوجلّ) وهو عليه غضبان فأنزل الله (عزّوجلّ) ذلك في كتابه: (ان الذين يشترون بعهدالله ايمانهم ثمناً قليلاً) قال: فبرز الاشعث بن قيس فقال فيّ نزلت خاصمت الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقضى عليّ باليمين[٤].

أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ :

وفي عيون الاخبار: عن الرضا (عليه السلام) حديث طويل في تعداد الكبائر وبيانها من كتاب الله، وفيه يقول الصادق (عليه السلام): واليمين الغموس لأنّ الله

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٤ في بيان معنى قوله تعالى: «إن الذين يشترون بعهدالله» الآية.

(٢) مابين المعقوفتين ليس من النسخة ـ أ ـ وأثبتناه من المصدر لاقتضاء سياق الكلام..

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٦.

(٤) الإمالي: ج ١ ص ٣٦٨.

تعالى يقول: «ان الذين يشترون بعهدالله وايمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم في الاخرة»[١].

و في كتاب الخصال: عن الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: الناس أربعة فمنهم من له خلق ولاخلاق له، ومنهم من له خلاق ولاخلق له، ومنهم من لاخلق له ولاخلاق فذلك من شرّ الناس ومنهم من له خلق وخلاق فذلك من خير الناس[٢].

وفي اصول الكافي: علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: وأنزل في العهد «ان الذين يشترون» الآية والخلاق النصيب، فمن لم يكن له نصيب فبأي شيء يدخل الجنة[٣].

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ: بما يسرّهم، أو بشيء أصلاً، ويسألهم الملائكة يوم القيامة، أولا ينتفعون بكلمات الله وآياته، أو كناية عن غضبه عليهم.

وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ: فإنّ من سخط على غيره أعرض عن الكلام معه والنظر إليه، كما أنّ من اعتدّ بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه.

وفي كتاب التوحيد: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) وقد سأله رجل عمّا اشتبه عليه من الآيات: وأمّا قوله «ولاينظر إليهم يوم القيامة» أنه لايصيبهم بخير، وقد تقول العرب: والله ماينظر إلينا فلان، وإنّما يعنون بذلك لايصيبنا منه بخير، فذلك النظر ههنا من الله (تبارك وتعالى) إلى خلقه، فنظره إليهم رحمة لهم[٤].

وَلَا يُزَكِّيهِمْ: قيل: ولايثنى عليهم.

وفي تفسير الامام: ولايزكيهم من ذنوبهم، وقد مرّ.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: على مافعلوا.

قيل: نزلت في أحبار حرّفوا التوراة وبدّلوا نعت محمّد (صلّى الله عليه وآله)

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٢٤ قطعة من ح٣٣. (٢) الخصال: ج١ ص٢٣٦ ح٧٧.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٢، كتاب الإيمان والكفر، باب آخر منه، وفيه أنّ الإسلام قبل الإيمان (باب بدون عنوان، ح١ س٤.

(٤) التوحيد: ص ٢٦٥ باب الرد على الثنوية والزنادقة، الحديث ٥ س ٧.

وحكم الأمانات وغيرها، وأخذوا على ذلك رشوة[١].

وقيل: في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به[٢].

وقيل: في ترافع كان بين أشعث بن قيس ويهودي في بئر وأرض وتوجّه الحلف على اليهوديّ[٣].

وفي أمالي شيخ الطائفة (قدّس سرّه): بإسناده إلى أبي وائل، عن عبدالله، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال: من حلف على يمين ليقطع بها مال أخيه، لقي الله (عزّوجلّ) وهو عليه غضبان، فأنزل الله (عزّوجل) تصديق ذلك في كتابه «ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً» قال: فبرز الأشعث بن قيس فقال: فيّ نزلت خاصمت إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: إن هذا البئر على أرض في الجاهلية، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ألك بيّنة؟ فقال: لا، قال: فيمينه، قال: يذهب والله بأرضي، فقال: إن ذهب بأرضك كان ممّن لاينظر الله إليه يوم القيامة، ولايزكيه ولهم عذاب أليم[٤].

و في عيون الاخبار: عن الرضا قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وعلى من قاتلهم، وعلى المعين، وعلى من سبهم «اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم»[٥].

وفي اصول الكافي [بإسناده][٦] الى ابن أبي يعفور قال: سمعت ابا عبدالله يقول: ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الاسلام نصيباً[٧].

علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن

---

(١) الكشاف: ج ١ ص ٣٧٦ في تفسيره لمعنى الآية الشريفة، وفي انوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص١٦٨، ومجمع البيان: ج ٢ ص٤٦٣ في شأن نزول الآية.

(٢) و(٣) نفس المصادر السابقة. (٤) الأمالي: ج ١ ص ٣٦٨.

(٥) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٣٣ ح٦٥.

(٦) مابين المعقوفتين اضفناه لاقتضاء السياق. (٧) الكافي: ج ١ ص ٣٧٤ ح١٢.

مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وانزل في العهد أنّ الذين يشترون بعهدالله وإيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولايكلّمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب اليم، والخلاق النصيب فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأيّ شيء يدخل الجنة؟[1].

محمد بن جعفر، عن محمد بن عبدالحميد، عن عاصم بن حميد، عن ابي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ثلاثة لايكلّمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك جبار، ومقلّ مختال[2].

وفي الكافي: بإسناده إلى محمد بن مسلم، عن ابي عبدالله (عليه السلام): قال: ثلاثة لايكلّمهم الله يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: الشيخ الزاني، والديوث والمرأة توطئ فراش زوجها[3].

وبإسناده الى محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ثلاثة لايكلّمهم الله ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم منهم: المرأة توطئ فراش زوجها[4].

وفي من لايحضره الفقيه: وروى محمد بن أبي عمير، عن أبي اسحاق بن هلال، عن أبي عبدالله (عليه السلام): أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: ألا أُخبركم بأكبر الزنا؟ قالوا: بلى، قال: هي امرأة توطئ فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فيلزمه زوجها فتلك التي لايكلّمها الله، ولاينظر إليها يوم القيامة ولايزكّيها ولها عذاب أليم[5].

وفي مجمع البيان: وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال اخيه المسلم

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٢ قطعة من ح ١.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣١١ ح ١٤.
(٣) الكافي: ج ٥ ص ٥٣٧ ح ٧.
(٤) الكافي: ج ٥ ص ٥٤٣ ح١.
(٥) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٧٦ ح ٣١.

لقى الله وهو عليه غضبان، وتلى هذه الآية[١].

وفي كتاب الخصال: عن ابي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: ثلاثة لايكلّمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: الناتف شيبه والناكح نفسه والمنكوح في دبره[٢].

عن الاعمش، عن صالح، عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ثلاثة لايكلّمهم الله يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: رجل بايع إماماً لايبايعه إلّا لدنيا إن أعطاه منها مايريد وفي له وإلّا لم يف، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فصدّقه فأخذها ولم يعط فيها ماقال، ورجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل[٣].

وفي تفسير العياشي: عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: ثلاثة لايكلّمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: من جحد إماماً، أو ادعى إماماً من غير الله، أو زعم أنّ لفلان وفلان في الاسلام نصيباً[٤].

وعن محمد الحلبي قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: الديوث من الرجال، والفاحش المتفحش، والذي يسأل الناس وفي يده ظهر غنى[٥].

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم: المرخي ذيله من العظمة، والمزكّي سلعته بالكذب، ورجل استقبلك بود صدره فيواري وقلبه ممتلئ غشّاً[٦].

وفي شرح الآيات الباهرة وفي كتاب مصباح الأنوار للشيخ الطوسي (رحمه

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٦٤.

(٢) الخصال: ج ١ ص ١٠٦ ح ٦٨.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٠٦ ح ٧٠.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٨ ح ٦٥.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٨ ح ٦٧.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٩ ح ٦٩.

الله): بإسناده إلى محمد بن إسماعيل قال: حدّثنا أبو الحسن المثنى قال: حدّثنا علي ابن مردويه قال: حدّثنا داود بن سليمان الفارابي قال: حدّثني علي بن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي ابن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): حرم الله الجنة على ظالم أهل بيتي وقاتلهم وسابيهم والمعين عليهم، ثم تلا هذه الآية «اولئك لاخلاق لهم في الآخرة» الآية(١).

وفي هذا المعنى مارواه الشيخ محمد بن يعقوب (رحمه الله) قال: روي عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشا، عن داود الحمّار(٢)، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: ثلاثة لايكلّمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم(٣) يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم(٤)، من ادعى إمامة ليست له من الله، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً(٥)(٦).

---

(١) مصباح الأنوار للشيخ الطوسي: ص ٣٠ الباب الثاني مخطوط في المكتبة العامة لآية... المرعشي النجفي.

(٢) الحمّار بالحاء المهملة والميم المشددة والراء أخيراً كذا عن خط الشهيد، ولعلّه بائع الحمير كالنمّار والبغال أو مكريها (تنقيح المقال: ج١ ص٤٠٨ تحت رقم ٣٨٣١).

(٣) ليس في الحديث جلة (ولاينظر إليهم يوم القيامة) ولكنها موجودة في الشرح كما سيجيء قريباً.

(٤) قوله: «ثلاثة لايكلّمهم الله» أي لايكلّمهم كلام رضى، بل كلام سخط، مثل «اخسئوا ولا تكلّمون» أو هو كناية عن الإعراض وسلب الرحمة منه، ومعنى (لاينظر إليهم) لايحسن إليهم، وليس المراد نفي الرؤية عنهم، لأنّ الرؤية العينيّة بالنسبة إلى الكلّ غير متحقّقة، والرؤية العلمية بالنسبة إلى الجميع ثابتة، فلاوجه للتخصيص على التقديرين. وخصص يوم القيامة، لأنّ الإحسان غير منتف منهم في الدنيا. ومعنى «لايزكّيهم» لايطهرهم من الذنوب لعظمتها، أو لايثني عليهم، لأنّ من لايثنيه سبحانه يعذبهم، ولهم في الآخرة عذاب أليم، مؤلم موجع (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٦ ص٣٢٦).

(٥) الكافي: ج ١ ص ٣٧٣ كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، ح٤.

(٦) الظاهر عدم الوثوق بصحة الخبر، وذلك أولاً لعدم القطع بأنّ داود الحمّار، هو داود بن سليمان الحمّار الثقة كما ادعاه في تنقيح المقال فيحتمل التعدد كما لايخفى، وثانياً الظاهر أنّه معارض بما
←

وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾

وفي هذا الخبر دلالة على حرمة القول بإسلام أهل السنة، وكون القائل بإسلامهم مساوياً لهم في أنه لا ينظر الله إليهم ولا يكلّمهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، فتبصر.

وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ: يفتلونها[1] بقراءة، فيميلونها عن المنزل إلى المحرف، أو يعطفونها بشبه الكتاب، من لواه يلويه، فتله وثناه.

وقرأ ابن كثير (يلؤن) على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها.

لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ: الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله (يلون).

وقرئ بالياء، والضمير أيضاً للمسلمين.

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ: تأكيد لقوله «ما هو من الكتاب» وزيادة تشنيع عليهم، وبيان لأنهم يقولون ذلك تصريحاً لا تعريضاً.

قال البيضاوي: وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى[2]

رواه في الكافي: ج ٢ ص ٣١١ باب الكبر، ح ١٤ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك جبار، ومقلّ مختال، فليتأمل.

(١) الفتل: ليّ الشيء كليّك الحبل وكفتل الفتيلة (لسان العرب: ج ١١ ص ٥١٤ لغة فتل).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٨ في تفسيره لقوله تعالى «وما هو من عند الله».

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

وغرضه، خذله الله، أنّه ليس في هذا ردّ لمذهب الأشاعرة.

وفيه: أنّه لو كان فعل العبد فعل الله، لزم الكذب في قوله «وما هو من عندالله» لأنّه على هذا التقدير كلّ مفترياتهم من عندالله ومن فعله، واختصاصهم بكونهم كاسبين له ومباشرين لا تصافه لايمنع صدق كونه من عندالله عليه، وإن صحّح إضافته إليهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: فان منهم لفريقاً يلون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عندالله وما هو من عندالله» قال: كان اليهود يقرؤن شيء ليس في التوراة ويقولون هو في التوراة فكذّبهم [1].

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ: تسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمدفيه.

عن ابن عباس: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، وغيّروا التوراة، وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم [2].

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ: ردّ لعبدة عيسى.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٦.

(٢) رواه في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٧ في تفسيره لقوله تعالى: «ويقولون هو من عندالله».

وفي مجمع البيان: قيل: إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا: يامحمد أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله أن يعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني، ولابذلك أمرني، فنزلت[1].

وفي البيضاوي: وقيل: قال رجل: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا بعضاً، أفلا نسجد لك؟ قال: لاينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحقّ لأهله[2].

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾: أي ولكن يقول ذلك.

والربانيّ منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كاللحياني والرقباني، وهو الشديد المتمسك بدين الله وطاعته.

﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: بسبب كونكم معلمين الكتاب، ودارسين له، فإنّ فائدة التعليم والتعلّم معرفة الحقّ والخير للاعتقاد والعمل.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب «تعلمون» بالتخفيف، أي بسبب كونكم عالمين. وقرأ «تدرسون» من التدريس، وتدرسون من أدرس بمعنى درس، كأكرم وكرم. ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس.

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٦ في نقله شأن نزول «ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب» الآية. وفي تفسير الدر المنثور: ج٢ ص٢٥٠ أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يامحمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصرانيّ يقال له الرئيس: أو ذاك تريده منّا يامحمد؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): معاذ الله... أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره، مابذلك بعثني، ولابذلك أمرني، فأنزل الله في ذلك من قولهما. الآية.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٨ في تفسيره لقوله تعالى: «كونوا عباداً لي».

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

وفي كتاب عيون الأخبار في باب ماجاء عن الرضا (عليه السلام) في وجه دلائل الأئمة (عليهم السلام) والردّ على الغلاة والمفوّضة (لعنهم الله) في حديث طويل. وفيه فقال المأمون: يا أبا الحسن: بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويجاوزون عليكم الحدّ؟ فقال الرضا (عليه السلام): حدّثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن علي ابن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً، قال الله تعالى: «ما كان لبشر» الى آخر الآية، فقال علي (عليه السلام): يهلك فيّ اثنان -ولاذنب لي- محبّ مفرط ومبغض مفرط، وانا أبرأ إلى الله تعالى ممن يغلوا فينا فيرفعنا فوق حدّنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى[1].

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾: قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم و يعقوب بفتح الراء، عطفاً على «يقول» و يكون (لا) إمّا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: «ما كان لبشر» أي ماكان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه، ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، أو غير مزيدة على معنى أنّه ليس له أن يأمر بعبادته، ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً، بل ينهى عنه.

والباقون بالرفع على الاستئناف، ويحتمل الحال بتقدير وهو يأمركم، أولا يأمركم.

وقرأ أبو عمرو على أصله لرواية الدودي باختلاس الضم.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٠٠ باب ٤٦ ماجاء عن الرضا في وجه دلائل الأئمة والردّ على الغلاة والمفوّضة (لعنهم الله) قطعة من ح ١.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: كان قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النصارى زعموا: أنّ عيسى ربّ، واليهود قالوا: عزير ابن الله، فقال الله: «ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً»[1].

أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ: أي البشر لمستنبئ، وقيل: الله.

بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ: قال البيضاوي: دليل على أنّ الخطاب للمسلمين، وهم المستأذنون لأن يسجدوا له[2].

وفيه أنّه لا دلالة فيه لجواز الخطاب بأنتم مسلمون لليهود والنصارى، بمعنى أنكم كنتم مسلمين قبل ادّعاء الربوبيّة لهذه الأشياء

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ: قيل: إنّه على ظاهره، وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان اتلأمم به أولى.

وفي مجمع البيان: وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): أنّ الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا (صلّى الله عليه وآله) أن يخبروا أُممهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه[3].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ١٠٦ في تفسيره لقوله تعالى: «ولا يأمركم أن تتخذوا».

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص١٦٩ قاله في تفسيره لقوله تعالى «بعد إذ أنتم مسلمون».

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٨ في بيان معنى قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين».

وقيل معناه: إنّه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأُمم[١].

وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل، والمعنى: وإذ أخذ الله الميثاق الذي واثقه الأنبياء على أممهم[٢].

وقيل: المراد أولاد النبيين على حذف المضاف، وهم بنو إسرائيل، وسماهم نبيين تهكماً، لأنّهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوّة من محمّد، لأنّا أهل الكتاب، والنبييون كانوا منّا[٣].

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام): أنه طرح عنها لفظ الأُمم[٤].

وقال الصادق (عليه السلام): تقديره: وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيّها، والعمل بما جاء به وإنّهم خالفوهم فيما بعد[٥].

﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾: اللام موطئة للقسم، لأنّ أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف. و(ما) يحتمل الشرطية والخبرية.

وقرأ حمزة «لِما» بالكسر على أن ما مصدرية، أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجئ رسول مصدّق له أخذ الله الميثاق.

وقرئ لما بمعنى حين أتيتكم، أو لمن أجل ما أتيتكم، على أنّ أصله (لمن ما) بالإدغام فحذفت إحدى الميمات الثلاث استثقالاً.

وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون بصيغة المتكلم مع الغير، فإن كان أخذ الميثاق على النبيين، فإيتاء الكتاب والحكمة إليهم أنفسهم، وإن كان على الأمم، فإيتاؤهما إلى أنبيائهم، وهو الإيتاء إليهم.

﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾: وهو محمّد (صلّى الله عليه وآله)

---

(١) و(٢) و(٣) أورد الأقوال الثلاثة في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص١٦٩ في تفسيره لقوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» الآية.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٠ ح ٧٣ والحديث طويل.

(٥) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٨ في بيان معنى قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» وتمامه «وما وفوا به وتركوا كثيراً من شريعته وحرفوا كثيراً منها».

المصدّق لما معهم من الكتب السابقة، لكونه موصوفاً بصفات ذكرت فيها لخاتم النبيين.

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ: جواب القسم، وسادّ مسادّ الشرط على تقدير، وأحدهما على تقدير أُخرى، أي أخذ الميثاق على النبيين، أو على أُممهم، أو عليهم وعلى أُممهم، لتؤمننّ بذلك الرسول ولتنصرنّه، ونصرته (عليه السلام) من الأنبياء السابقة أن يخبروا أُممهم بأن يؤمنوا به و بأوصيائه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن سنان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): أوّل من سبق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى أن قال: ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على الانبياء له بالأمان وعلى ماينصر أميرالمؤمنين فقال: (و إذ أخذ ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) يعني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «لتؤمنن به ولتنصرن» يعني أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) تخبروا أُممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة (عليهم السلام)[1].

وفي مجمع البيان: وقد روي عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: لم يبعث الله نبيّاً آدم ومن بعده إلّا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمّداً وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه وأمره أن يأخذ العهد بذلك على قومه[2] من جملة نصرته (عليه السلام) أن ينصر أميرالمؤمنين (عليه السلام) في الرجعة.

وفي تفسير العياشي: عن حبيب السجستاني قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» فكيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه وكيف يؤمن عيسى بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) وينصره ولم يدركه فقال ياحبيب إنّ القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلّا حروف اخطأت بها الكتبة وتوهمّها الرجال وهذا وهم فأقرأها «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧. (٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٦٨.

لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» هكذا أنزلها الله ياحبيب فوالله ماوفت امة من الأمم التي كانت قبل موسى بما أخذ الله عليها من الميثاق لكلّ نبي بعثه الله بعد نبيّها[1] كلاماً طويلاً في تكذيب الأمم انبيائها تركناه خوف الإطالة.

عن بكير قال: قال ابو جعفر (عليه السلام): إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار بالربوبيّة ولمحمّد (صلّى الله عليه وآله) بالنبوّة وعرض الله على محمّد (صلّى الله عليه وآله الطيبين) وهم أظلّة قال: وخلقهم من الطين التي خلق منها آدم قال: وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرض عليهم وعرّفهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[و]وعلياً (عليه السلام) ونحن نعرفهم في لحن القول[2].

عن زرارة قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام): أرأيت حين أخذ الله الميثاق على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له؟ قال: نعم يازرارة وهم ذرّ بين يديه، وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبيّة[له]،ولمحمّد (صلّى الله عليه وآله) بالنبوّة، ثم كفل لهم بالارزاق وأنساهم وديعته وأيدت في قلوبهم معرفته فلابدّ من أن يخرج الى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق فمن جحد ماأخذ عليه الميثاق لمحمد (صلّى الله عليه وآله) لم ينفعه إقراره لربّه بالميثاق ومن لم يجحد ميثاق محمّد (صلّى الله عليه وآله) نفعه الميثاق لربّه[3].

عن فيض بن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: وتلا هذه الآية «وإذ أخذ الله الآية» قال: لتؤمننّ برسول الله ولتنصرنّ أميرالمؤمنين، قلت: ولتنصرنّ أميرالمؤمنين؟ قال: نعم من آدم فهلمّ جرا، ولايبعث الله نبياً ولارسولاً إلّا ردّ إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أميرالمؤمنين[4].

عن سلام بن المستنير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لقد تسمّوا باسم

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٠ قطعة من ح ٧٣. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ ح ٧٤.
(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨١ ح ٧٥. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨١ ح ٧٦.

ماسمّى الله به أحدا إلّا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وما جاء تأويله، قلت: جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال: إذا جمع الله أمامه النبيين والمؤمنين حتى ينصروه وهو قول الله تعالى «وإذ أخذ الله» الآية ويومئذ يدفع راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اللّواء إلى على بن أبي طالب فيكون أمير الخلائق كلّهم أجمعين، يكون الخلائق كلّهم تحت لوائه ويكون هو أميرهم[١].

وفي شرح الآيات الباهرة: روي عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال: إنّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء أن يخبروا امتهم بمبعث رسول الله وهو محمّد (صلّى الله عليه وآله) ونعته وصفته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه ويقولوا هو مصدّق لما معكم من كتاب وحكمة وإنّما الله أخذ ميثاق الأنبياء ليؤمن به ويصدّقوا بكتابه وحكمته كما صدّق بكتابهم وحكمتهم وقوله: «ولتنصرنه» يعني ولتنصروا وصيّه[٢].

وروى الحسن بن أبي الحسن الديلمي (رحمه الله) في كتابه[٣] بإسناده عن فرج بن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول وقد تلا هذه الآية: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به» يعني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «ولتنصرنه» يعني وصيّه أميرالمؤمنين (عليه السلام)، ولم يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلّا وأخذ عليه الميثاق لمحمّد بالنبوّة ولعليّ بالإمامة[٤].

وذكر صاحب كتاب الواحدة[٥] قال: وروى أبو محمد الحسن بن عبدالله

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨١ ح ٧٧.

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب ووجدته في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١٢٠ و١٢١.

(٣) يظهر من كتاب أعيان الشيعة أن له تفسيراً، لاحظ كتاب أعيان الشيعة الطبعة الحديثة: ج ٤ ص٦٢٩ ولاحظ أيضاً كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٤ ص٢٧١ تحت رقم ١٢٥٧.

(٤) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٢٩٤ ح ٤.

(٥) لاحظ ترجمته في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٢٥ ص ٧ تحت رقم ٣٥ ونقل عن ابن النديم أنّ الكتاب في الأخبار والمناقب والمثالب، وهو في ثمانية أجزاء، وكانت نسخة من كتاب الواحدة موجودة عند ابن طاووس، نقل عنه في تصانيفه مثل اليقين انتهى. والظاهر أنّه كانت ←

الأطروش الكوفيّ قال: حدّثنا أبو عبدالله جعفر بن محمد البجليّ قال: حدّثني أحمد ابن محمّد بن خالد البرقيّ قال: حدّثني عبدالرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه): إنّ الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمّداً (صلّى الله عليه وآله) وخلقني وذرّيتي، ثم تكلّم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجب على خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء حيث لاشمس ولاقمر ولاليل ولانهار، ولاعين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه، وذلك قبل أن يخلق خلقه، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عزّوجل «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» يعني لتؤمننّ بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) ولتنصرن وصيّه، وسينصرونه جميعاً، وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمّد (صلّى الله عليه وآله) بنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمّداً (صلّى الله عليه وآله) وجاهدت بين يديه وقتلت عدوّه ووفيت بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمّد (صلّى الله عليه وآله) ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله وذلك لمّا قبضهم الله إليه وسوف ينصرونني ويكون لي مابين مشرقها إلى مغربها، وليبعثهم الله من آدم إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله) وكلّ نبيّ مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً، فيا عجباً وكيف لاأعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبّون زمرة زمرة بالتلبية لبّيك لبّيك، ياداعي الله قد أظلّوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأوّلين والآخرين حتى ينجز الله ماوعدهم في قوله (عزّوجل) «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني

نسخة منه عند الفيض الكاشاني فإنّه ينقل عنه أيضاً كما سيأتي، والله أعلم.

لايشركون بي شيئاً»[١] أي يعبدونني آمنين لايخافون أحداً في عبادتي ليس عندهم تقية، وإنّ لي الكرّة بعد الكرّة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرّات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات وأنا قرن من حديد، الحديث[٢].

قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي: أي عهدي، سمّي به، لأنّه يوصر، أي يشدّ.

وقرئ بالضمّ. وهو إما لغة كعبر وعبر، أو جمع إصار، وهو مايشدّ به.

قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ: أي فليشهد بعضكم لبعض.

وقيل: الخطاب للملائكة.

وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ: وأنا أيضاً على إقراركم وتشاهدكم شاهد، وهو تحذير عظيم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: مابعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرا إلّا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو قوله «لتؤمننّ به» يعني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «ولتنصرنه» يعني أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم قال لهم في الذرّ[٣] «أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري» أي عهدي «قالوا أقررنا» قال الله للملائكة «اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين»[٤].

وعن الصادق (عليه السلام): ثم قال لهم في الذرّ: «أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري» أي عهدي، قال الله للملائكة «فاشهدوا»[٥].

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) كتاب الصافي للفيض الكاشاني: ج ١ ص ٣٢٥ في تفسير قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» الآية.

(٣) في النسخة ـ أ ـ (الدنيا) والصحيح ما أثبتناه من المصدر.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٦ في تفسيره لقوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق» الآية.

(٥) هذه الجملة تتمّة للحديث السابق بإسقاط قوله (وعن الصادق عليه السلام) لاحظ تفسير علي ابن إبراهيم.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

وفي مجمع البيان: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: اعقررتم وأخذتم العهد بذلك على أممكم؟ قالوا: أي قال الأنبياء وأممهم: أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به، قال الله: فاشهدوا بذلك على أممكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أممكم[1].

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ: بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ: المتمرّدون من الكفرة.

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ: عطف على الجملة المتقدّمة، والهمزة متوسطة بينهما، للإنكار، أو محذوف، تقديره: أيتولّون فغير دين الله يبغون. وتقديم المفعول، لأنّه المقصود بالإنكار.

والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب. وبالتاء عند الباقين على تقدير: وقل لهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ثم قال (عزوجل) «أفغير دين الله يبغون» قال: أفغير هذا الدين قلت لكم أن تقرّوا بمحمّد ووصيّه (صلّى الله عليه وآله)[2].

وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا: أي طائعين بالنظر واتّباع الحجّة، وكارهين بالسيف ومعاينة مايلجأ إلى الإسلام، كشقّ الجبل، وإدراك الغرق، والإشراف على الموت، أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٨ في بيان المعنى لقوله تعالى: «و إذ أخذ الله ميثاق» الآية مع تقديم وتأخير لبعض الكلمات، فلاحظ.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٧.

كالكفرة فإنّهم لايقدرون أن يمتنعوا عمّا قضى عليهم.

وفي مجمع البيان: «طوعاً وكرهاً» فيه أقوال: إلى قوله: وخامسها أنّ معناه أُكره أقوام على الإسلام، وجاء أقوام طائعين وهو المروي عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «كرها» أي فرقاً من السيف[1].

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ: وقرئ بالياء على أنّ الضمير لـ(من).

وفي تفسير العياشي: عن عمار بن الأحوص، عن أبي عبدالله (عليه السلام): أنّ الله (تبارك وتعالى) خلق في مبدأ الخلق بحرين، أحدهما عذب فرات والآخر مُلح اجاج، ثم خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات، ثم أجراه على البحر الاجاج فجعله حماً مسنوناً، وهو خلق آدم، ثم قبض قبضة من كتف آدم الأيمن فذرأها في صلب آدم فقال: هؤلاء في الجنة ولاأُبالي، إلى قوله: فاحتجّ يومئذٍ أصحاب الشمال وهم ذرّ على خالقهم، فقالوا: ياربّنا بم أوجبت لنا النار وأنت الحكم العدل من قبل أن تحتجّ علينا وتبلونا بالرسل وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا؟ فقال الله (تبارك وتعالى) لمالك خازن النار: مر النار تشهق، ثم يخرج عنقاً منها، فخرجت لهم، ثم قال الله لهم: «ادخلوها طائعين، فقالوا: لاندخلها طائعين، قال: ادخلوها طائعين، أو لأُعذبنكم بها كارهين، قالوا: إنّا هربنا إليك منها وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا وصيّرتنا من أصحاب الشمال، فكيف ندخلها طائعين، ولكن ابدأ أصحاب اليمين في دخولها كي يكون قد عدلت فينا وفيهم». قال أبو عبدالله (عليه السلام): فأمر أصحاب اليمين وهم ذرّ بين يديه بقوله تعالى: «ادخلوا هذه النار طائعين» قال: فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً، فصيّرها الله عليهم برداً وسلاماً ثم أخرجهم منها، ثم إنّ الله (تبارك وتعالى) نادى في أصحاب اليمين أصحاب الشمال: ألست بربّكم؟ قال أصحاب اليمين: بلى ياربّنا نحن بريّتك وخلقك مقرنين طائعين، وقال أصحاب الشمال: بلى ياربّنا نحن بريّتك وخلقك كارهين، وذلك قول الله تعالى «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً

(١) مجمع البيان: ج٢ ص٤٧٠ في بيان المعنى لقوله تعالى: «طوعاً وكرهاً».

«وإليه ترجعون ٭» قال: توحيدهم لله[١].

عن عباية الأسدي أنّه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون» أكان ذلك بعد؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين، قال: كلا والذي نفسي بيده حتى تدخل المرأة بمن عذب آمنة، لاتخاف حيّة ولاعقرباً فما سوى ذلك[٢].

عن صالح بن ميثم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله: «وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً» قال: ذلك حين يقول علي (عليه السلام): أنا أولى الناس بهذه الآية «وأقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت، بلى وعداً عليه حقاً» إلى قوله «كاذبين»[٣][٤].

عن رفاعة بن موسى قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً» قال: إذا قام القائم (عليه السلام) لايبقى أرض إلّا نودي فيها شهادة أن لاإله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله[٥].

عن ابن بكير قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون» قال: انزلت في القائم (عليه السلام) إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردّة والكفّار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لايبقى في المشارق والمغارب أحد إلّا وحّد الله، قلت له: جعلت فداك أن الخلق أكثر من ذلك؟ فقال: إن الله تعالى إذا أراد أمراً قلّل الكثير وكثّر القليل[٦].

وفي كتاب التوحيد: أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن إبراهيم

٭ على احدى القراءات والمشهور قراءتها بالياء (... يُرجعون).

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٢ ح ٧٨. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٢ ح ٧٨.

(٣) النحل: ٣٨ ـ ٣٩. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٨٠.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٨١. (٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٨٢.

ابن هاشم ويعقوب بن يزيد جميعاً، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته وهو يقول في قوله (عزوجل): «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً» قال: هو توحيدهم لله عزّوجلّ(١).

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن عبدالله بن جعفر، عن السيّاري، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود، عن الأصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنّه قام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين إنّ دابتي استصعبت عليّ وأنا منها على وجل، فقال: اقرأ في أذنها اليمنى «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون» فقرأها فذلّت له دابته. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(٢).

وفي الكافي: أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: أيّما دابة استصعبت على صاحبها من لجام ونفار، فليقرأ في أذنها أو عليها(٣) «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون»(٤).

وفي أمالي شيخ الطائفة (قدس سره): بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) أنه قال له الأشجع السلمي: إنّي كثير الأسفار وأحصل في المواضع المفزعة، فعلّمني ماآمن به على نفسي؟ فقال: اذا خفت أمراً فاترك بيمينك على أم رأسك، وأقرأ برفيع صوتك «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون» قال أشجع: فحصلت في واد تعبث فيه الجنّ، فسمعت قائلاً يقول: خذوه، فقرأتها، فقال قائل: كيف نأخذه وقد احتجب بآية طيبة(٥).

وفي من لايحضره الفقيه: في وصية النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لعليّ (عليه

---

(١) التوحيد: ص ٤٦ باب التوحيد ونفي التشبيه، ح ٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٤ كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن، قطعة من ح ٢١.

(٣) (أو عليها) أي قريباً منها إن لم يقدر على إدناء الفم منها (آت) في هامش الكافي.

(٤) الكافي: ج ٦ ص ٥٣٩ كتاب الدواجن، باب نوادر في الدواب، ح ١٤.

(٥) كتاب الأمالي للطوسي: ج ١ ص ٢٨٨ س ٨.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

السلام): ياعلي من استصعب عليه دابته فليقرأ في أذنها الأيمن «وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون»[1].

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ: أمر للرسول (صلّى الله عليه وآله) بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن كما هو منزل عليه، منزل عليهم بتوسط تبليغه إليهم.

وأيضاً: المنسوب إلى واحد من الجمع، قد ينسب إليهم. أو بأن يتكلّم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالاً له.

والنزول كما يعدّي بـ(إلى) لأنّه ينتهي إلى الرسل، يعدّي بـ(على) لأنّه من فوق.

وإنّما قدّم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لأنّه المعرّف له والمعيار عليه.

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ: بالتصديق والتكذيب.

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ: منقادون، أو مخلصون في عبادته.

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا: أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله.

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٦٨، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، السطر الأخير.

كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾

وفي نهج البلاغة: أرسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة، وبيّن الأحكام المفصولة فمن يبتغ غير الإسلام ديناً متحقّق شقوته وتنفصل عروته، وتعظم كبوته، ويكون مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل[1].

فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ : الواقعين في الخسران.

والمعنى: أنّ المعرض عن الإسلام والطالب لغيره، فاقد للنفع واقع للخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها.

قال البيضاوي: واستدلّ به على أنّ الإيمان هوالإسلام، إذلوكان غيره لم يقبل.

والجواب: أنه ينفي قبول كلّ دين يغايره، لاقبول كلّ مايغايره، ولعلّ الدين أيضاً للأعمال[2].

وفيه: أنّ من قال: بأنّ الإيمان غير الإسلام، يقول بأنه دين غيره، والاستدلال إنّما هو عليه والمقصود أنّ الإسلام والإيمان واحد، يسمّى إسلاماً وإن كان قبل رسوخه ودخوله في القلب، ولايسمي إيماناً إلّا بعد دخوله ورسوخه فيه، والآية تدلّ على اتحادهما والفرق يعلم من موضع آخر.

كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٣٠ الخطبة ١٦١ ط صبحي الصالح.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٠ في تفسيره لقوله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً» الآية.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: استبعاد لأن يهديهم الله، فإنّ الجائر عن الحقّ بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد.

وقيل: نفي وإنكار له، وذلك يقتضي أن لايقبل توبة المرتدّ.

و هذا حقّ في حقّ الرجل المولود على الإسلام، دون المولود على الكفر والمرأة.

ويمكن أن يقال: المتبادر من (بعد إيمانهم)، كونهم مؤمنين بحسب الفطرة، ومن (جاءهم البينات) الرجال، وكذا سياق الآية، ولفظ «قوما»، والضمائر الراجعة إليه قرينة التخصيص بالرجال، وحينئذٍ يكون استثناء «إلا الذين تابوا» منقطعاً.

ويجوز أن يكون «قوماً كفروا» على عمومه لقسمي الرجال، فيكون الاستثناء متصلاً.

و«شهدوا» عطف على مافي «ايمانهم» من معنى الفعل، أي آمنوا وشهدوا، أو حال بإضمار «قد» من فاعل كفروا.

قال البيضاوي: وهو على الوجهين دليل على أنّ الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان[١].

وفيه: أنه يحتمل أن يكون في العطف، أو جعله قيداً، لكونه أهم أجزاء الإيمان وأنفع في ترتب الآثار عليه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان بعد إذ جاءهم البينات و وضع المظهر موضع المضمر، للإشعار بالعلّيّة.

وقيل: الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر، ووضع الكفر موضع الإيمان، فكيف من جاءه الحقّ وعرفه ثم أعرض عنه.

٥٥٥

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٠ في تفسيره لقوله تعالى: «كيف يهدي الله قوماً» الآية.

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ: وفيه تصريح بوجوب لعن من كفر بعد الإيمان والعلم بحقّية الرسول ومجيء البيّنات، لأنّه تعالى قال: «جزائهم» هو لعن الله والملائكة والناس وإذا كان جزاؤهم ذلك وأخبر الله بأن جزاءهم من الملائكة والناس ذلك، لم يجز للملائكة والناس ترك ماجعله الله جزاء شيء، بل يجب عليهم الإتيان به. فهذا وإن لم يكن في صورة الأمر، لكن يفيد بمادّته الوجوب.

خَٰلِدِينَ فِيهَا: أي في اللعنة..

لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ: أي بعد الارتداد.

وَأَصْلَحُواْ: ما أفسدوا، أو دخلوا في الصلاح.

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ: يقبل توبته.

رَّحِيمٌ: يتفضّل عليه.

وفي مجمع البيان: قيل: نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له: الحارث ابن سويد بن الصامت. وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدراً وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هل لي من توبة؟ فسألوا فنزلت إلى قوله «إلّا الذين تابوا» فحملها رجل من قومه إليه، فقال: إنّي لأعلم أنّك لصدوق، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله)

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

أصدق منك، وأنّ الله تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه، وهو المرويّ عن أبي عبدالله (عليه السلام)[1].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا: كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) والقرآن. أو كفروا بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) بعدما آمنوا به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصدّ عن الإيمان به ونقض الميثاق. أو كقوم ارتدّوا ولحقوا بمكة، ثم ازدادوا كفراً بقولهم: نتربّص بمحمّد ريب المنون، أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره[2]. أو كقوم كفروا بما نصّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في وصيّه عند شياطينهم بعدما آمنوا به عنده، ثم ازدادوا كفراً بادعاء الخلافة والوصاية لأنفسهم.

لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ: لأنّهم لايتوبون، إلّا عند اليأس ومعاينة الموت، أو لأنّ توبتهم لا تكون إلّا نفاقاً، فعدم قبول توبتهم لعدم كونها توبة حقيقة، لالكفرهم وازدياد كفرهم، ولذلك لم يدخل الفاء فيه، بخلاف الموت على الكفر، فإنّه سبب

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٧١ في بيان شأن النزول لقوله تعالى: «كيف يهدي الله» الآيات.

(٢) الأحتمالات موجودة في الكشاف، لاحظ: ج ١ ص ٣٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: «إن الذين كفروا بعد إيمانهم».

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

لعدم قبول الفدية، فدخل الفاء فيه.

وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ: الثابتون على الضلال.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا: ملء الشيء، مايملأه و «ذهباً» تميز. وقرئ بالرفع على البدل من «ملء الأرض» أو الخبر لمحذوف.

وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ: معطوف على مضمر، أي فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرّب به في الدنيا، ولو افتدى به من العذاب في الآخرة، أو محمول على المعنى كأنّه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً.

قيل: ويحتمل أن يكون المراد، فلن يقبل من أحدهم إنفاقه في سبيل الله بملء الأرض ذهباً، ولوكان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر[1].

والأوجه أن يقال في تقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ملكه ولو افتدى به.

أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: مبالغة في التحذير، وإقناط، لأنّ من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرماً.

وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ: في دفع العذاب، و«من» مزيدة للاستغراق، وإيراد الجمع إمّا للتوزيع، أو للمبالغة.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ: أي لن تبلغوا حقيقة البرّ، وهو كمال الخير، أو البرّ المعهود،

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧١ في تفسيره لقوله تعالى: «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار» الآية.

وهو برّ الله.

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: من المال، أو مايعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيل الله.

وقرأ بعض ماتحبون، وهو يدلّ على أنّ «من» للتبعيض، ويحتمل التبيين.

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمر بن عبدالعزيز، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) «لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبون» قال: هكذا فاقرأها[1].

وفي مجمع البيان: وقد روي عن أبي الطفيل قال: اشترى علي (عليه السلام) ثوباً فأعجبه، فتصدّق به وقال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة، ومن أحبّ شيئاً فجعله لله قال الله يوم القيامة، قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف، وأنا أكافئك اليوم بالجنة[2].

وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن شعيب، عن الحسين بن الحسن، عن عاصم، عن يونس، عمن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه كان يتصدق بالسكّر، فقيل له: أتصدّق بالسكّر؟ فقال: نعم، إنّه ليس شيء أحبّ إليّ منه، فأنا أحبّ أن أتصدّق بأحبّ الأشياء إليّ[3].

وفي عوالي اللآلئ: ونقل عن الحسين (عليه السلام) أنّه كان يتصدّق بالسكر، فقيل له في ذلك فقال: إنّي أحبّه وقد قال الله تعالى: «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون»[4].

و إنفاق أحبّ الأموال على أقرب الأقارب، وعلى صلة الإمام أفضل.

في اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٨٣ ح ٢٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٢، ص ٤٧٣ في بيان المعنى لقوله تعالى: «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا» الآية.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٦١ كتاب الزكاة، باب النوادر ح ٣.

(٤) عوالي اللآلئ: ج ٢ ص ٧٤ ح ١٩٦ والحديث عن الحسن (عليه السلام).

إبراهيم جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «وبالوالدين إحساناً»[١] ماهذا الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما[٢]، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنيين، أليس الله (عزّوجلّ) يقول: «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون»[٣].

وفي تفسير العياشي: عن مفضل بن عمر قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) ومعي شيء فوضعته بين يديه فقال: ماهذا؟ فقلت: هذه صلة مواليك وعبيدك، قال: فقال لي: يامفضل إني لاأقبل ذلك، وما أقبله من حاجة بي إليه، وما أقبله إلّا لتزكوا به، ثم قال: سمعت أبي يقول: من مضت له سنة لم يصلنا من ماله، قلّ أو كثر، لم ينظر الله إليه يوم القيامة، إلّا أن يعفو الله عنه، ثم قال: يامفضل إنّها فريضة فرضها الله على شيعتنا في كتابه إذ يقول: «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون» فنحن البرّ والتقوى وسبيل الهدى وباب التقوى، ولايحجب دعاؤنا عن الله، اقتصروا على حلالكم وحرامكم، فاسألوا عنه، وإيّاكم أن تسألوا أحداً من الفقهاء عمّا لايعنيكم، وعما ستر الله عنكم[٤].

وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ: محبوب أوغيره، و«من» للبيان.

فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ: فيجازيكم بحسبه.

---

(١) البقرة: ٨٣، والنساء: ٣٦، والأنعام: ١٥١، والإسراء: ٢٣.

(٢) قوله (فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما) بالتلطف وحسن العشرة والطلاقة والبشاشة والتواضع والترحم وغيرها ممّا يوجب سرورهما وانبساطهما. وإلحاق الأجداد والجدّات بهما محتمل، وصرّح به عياض من العامة، وقال بعضهم: إنّهم أحفض منهما، لأنّهم ليسوا بآباء وأمهات حقيقيين. وإن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه بل تبادر إلى قضاء حوائجهما قبل المسألة، لأنّه تمام البرّ «وإن كانا مستغنيين» قادرين على القيام بحاجاتهما. أليس يقول الله عزّوجلّ: «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون» البرّ شامل لبرّ الوالدين، وبهذا الاعتبار وقع الاستشهاد به (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٩ ص ١٨).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٧ كتاب الإيمان والكفر، باب البرّ بالوالدين، قطعة من ح ١.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٤ ح ٨٥.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

كُلُّ ٱلطَّعَامِ: أي المطعومات، والمراد أكلها، ويشعر به الطعام لقباً.

كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: حلالاً لهم، مصدر نعت به، ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، كقوله: «لاهن حل لهم»[1].

إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ: يعقوب (عليه السلام).

عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ: كلحوم الإبل. كان إذا أكل لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل.

قبل إنزال التوراة وبعده لم يأكله، لأجل أضراره بمرضه، ولم يحكم بتحريمه على نفسه[2].

في الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد أو غيره، عن ابن محبوب، عن عبدالعزيز العبدي، عن عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك قبل أن تنزل التوراة فلمّا نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله[3]

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) قال في الكشاف: ج ١ ص ٣٨٥ في تفسيره لقوله تعالى: «كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل» الآية، مالفظه (والمعنى أنّ المطاعم كلّها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ماحرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرّمه أبوهم إسرائيل على نفسه، فتبعوه على تحريمه).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٠٦ كتاب المعيشة، باب النوادر، ح ٩.

وهذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن، من تحريم الطيّبات عليهم لبغيهم وظلمهم في قوله تعالى: «ذلك جزيناهم ببغيهم»(١) وقوله تعالى: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم»(٢) فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه وقد كانت محرّمة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التحريم إلينا فكذّبهم الله(٣).

قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ: أمر بمحاجّتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه، حتى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم، لاتحريم قديم كما زعموا، فلم يجسروا على إخراج التوراة، وبهتوا.

وفيه دليل على نبوته (عليه السلام).

وفي تفسير العياشي: عن عمر بن يزيد قال: كتبت الى أبي الحسن (عليه السلام) اسأله عن رجل دبّر مملوكه هل له ان يبيع عتقه؟ قال: كتب: «كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلّا ماحرّم إسرائيل على نفسه»(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وأمّا قوله: «كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلّا ماحرّم إسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة» قال: كان يعقوب يصيبه عرق النساء فحرّم على نفسه لحم الجمل، فقالت اليهود: إنّ الجمل محرّم في التوراة، فقال الله (عزّوجلّ) لهم: «فأتوا بالتوراة فتلوها إن كنتم صادقين» إنّما حرّم هذا إسرائيل على نفسه ولم يحرّمه على الناس(٥).

فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ: بزعمه أنّ ذلك كان محرّماً على الأنبياء وعلى بني إسرائيل قبل إنزال التوراة،

مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ: أي لزوم الحجّة.

---

(١) الأنعام: ١٤٦. (٢) النساء: ١٦٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٢ في تفسيره لقوله تعالى: «من قبل أن تنزل التوراة».

(٤) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٥ ح ٨٧. (٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ١٠٧.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٥ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦﴾

فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ: لأنفسهم لمكابرتهم الحقّ بعد وضوحه.

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ: تعريض بكذبهم، أي ثبت أن الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون.

فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا: أي ملّة الإسلام التي عليها محمّد ومن آمن معه التي هي في الأصل ملة إبراهيم، أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرّتكم إلى التحريف والمكابرة للأغراض الدنيوية، وألزمتكم تحريم طيبات أحلّها لإبراهيم ومن تبعه.

وفي تفسير العياشي: عن حبابة الوالبية قال[1]: سمعت الحسين بن علي (عليهما

---

(١) هكذا في النسخ التي بأيدينا، وفي الأصل أيضاً، والظاهر (قالت) قال في تنقيح المقال: ج ١ ص ٢٥٠ ماهذا لفظه (حبابة الوالبية، أُم الندى عنونها الميرزا هنا، ومحلها فصل النساء إن شاء الله تعالى) وقال في ج٣ ص٧٤ من فصل النساء مالفظه (حبابة بنت جعفر الأسدية الوالبية أم الندى: الضبط: حبابة بالحاء المهملة المفتوحة وبائين موحّدتين بينها ألف وبعدهما هاء، والمشهور على الألسن عموماً هو تشديد الباء الأولى والظاهر أنّه من الأغلاط المشهورة، إلى أن قال: والوالبية بكسر اللام والباء الموحّدة مؤنث الوالبي إلى أن قال: عن صالح بن ميثم قال: دخلت أنا وعباية الأسدي على حبابة الوالبية، فقال: هذا ابن أخيك ميثم قالت: ابن أخي والله حقاً ألا أحدّثكم بحديث عن الحسين بن علي (عليهما السلام)؟ فقلنا: بلى، قالت: دخلت عليه (عليه السلام) وسلّمت فردّ السلام ورحّب ثم قال: ماأبطأك عن زيارتنا والتسليم علينا ياحبابة؟ قلت: ماأبطأني عنك إلّا علّة عرضت، قال: وما هي؟ قالت: فكشفت خماري عن برص قالت: فوضع يده على البرص ودعى، فلم يزل يدعو حتى رفع يده وقد كشف الله ذلك البرص، ثم قال: ياحبابة إنّه ليس أحد على ملّة إبراهيم إلخ).

السلام) يقول: ماأعلم أحداً على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، قال صالح: ماأحد على ملّة إبراهيم، قال جابر: ماأعلم أحداً على ملّة إبراهيم[١].

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تبرئة ممّا كان ينسبه اليهودي والنصارى من كونه على دينهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: أي جعل متعبداً لهم، والواضع هوالله.

وقرئ بالبناء للفاعل.

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط، وأمر راتب وراتم ولازب ولازم.

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: اسماء مكة خمسة: أم القرى ومكة، وبكّة، والبسّاسة[٢] كانوا إذا ظلموا بسّتهم، أي أخرجتهم وأهلكتهم، وأمّ رحم[٣] كانوا إذا لزموها رحموا[٤].

وقيل: هي موضع المسجد، ومكة البلد.

روي عن جابر، عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّ بكة موضع البيت وإن مكة الحرم[٥].

وذلك قوله «آمنا» من «بكة» إذا زحمه، أو من «بكة» إذا دقه، لأنّها تبكّ أعناق الجبابرة.

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى عبدالله بن علي الحلبي قال: سألت أبا

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٥ ح ٨٨.

(٢) قال في لسان العرب: ج ٦ ص ٢٧ في لغة (بسس)، وفي حديث مجاهد: من أسماء مكة الباسّة، سميت بها لأنّها تحطم من أخطأ فيها. والبسّ: الحطم، ويروى بالنون من النسّ الطرد، وفي هامش بعض النسخ الموجودة (البسّ بالموحدة الحتم، وبالنون الطرد، ويروى بهما، منه).

(٣) (الرحم بالضم الرحمة وربما يحرك ، منه) كذا في الهامش. وفي هامش الخصال نقلاً عن القاموس (أم رحم وأم الرحم) بضم الراء وسكون الحاء المهملة، مكة، والمرحومة: المدينة شرّفها الله تعالى.

(٤) الخصال: ص ٢٨٧ باب الخمسة أسماء مكة خمسة، ح ٢٢.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٧ ح ٩٤ وتمام الحديث وذلك قوله «ومن دخله كان آمناً».

عبدالله (عليه السلام) لم سميت مكة بكة؟ قال: لأنّ الناس يبكّ بعضهم بعضاً بالأيدي[(١)].

وأمّا مارواه بإسناده إلى عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) لم سمّيت الكعبة بكة؟ فقال: لبكاء الناس حولها[(٢)].

فمحمول على أن الناس يجتمعون حوله للبكاء والعبادة، فيبكّ بعضهم بعضاً.

حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن فضالة، عن ابان، عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّما سمّيت مكة بكة، لأنّه يبكّ بها الرجال والنساء، والمرأة تصلي بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومعك ولابأس بذلك، وإنّما يكره في سائر البلدان[(٣)].

وبإسناده الى عبيدالله بن علي الحلبي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) لم سميت مكة بكة؟ قال: لأنّ الناس يبكّ بعضهم بعضاً فيها بالأيدي[(٤)].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: في خمس وعشرين من ذي القعدة وضع البيت، وهو أوّل رحمة وضعت على وجه الأرض، فجعله الله مثابة للناس وأمناً، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[(٥)].

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي زرارة التميمي، عن أبي حسان، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح، فضربت وجه [الماء][(٦)] حتى صار موجاً، ثم أزبد فصار زبداً واحداً. فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلاً من زبد، ثم

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٨٤، باب ١٣٧ العلّة التي من أجلها سميت مكة بكة، ح ٥.

(٢) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٩٧ باب ١٣٧ العلة التي من أجلها سميت مكة بكة، ح٢.

(٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٩٧، باب ١٣٧ العلة التي من أجلها سميت مكة بكة، ح ٤.

(٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٩٨، باب ١٣٧ العلة التي من اجلها سميت مكة بكة، ح٥.

(٥) الكافي: ج ٤ ص ١٤٩، كتاب الصيام، باب صيام الترغيب، قطعة من ح ٢.

(٦) في النسخة ـ أ ـ (الارض)، وما بين المعقوفتين اثبتناه من المصدر، وهو الصحيح.

دحى الأرض من تحته، وهو قول الله تعالى: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً»(١).

وروي أيضاً عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله (عليه السلام) مثله(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال للأبرش(٣): يا أبرش كما هو وصف نفسه «كان عرشه على الماء»(٤) والماء على الهوى والهوى

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ١٨٩، كتاب الصيام، باب إنّ أوّل ما خلق الله من الأرضين موضع البيت وكيف كان أوّل ماخلق، ح٧.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ١٩٠، كتاب الصيام، باب أن أول ماخلق الله من الأرضين موضع البيت... ذيل ح٧.

(٣) لم أعثر على ترجمته إلّا مافي فهرس تنقيح المقال: ج ١ ص ٧ أبواب الهمزة، باب الأسماء المتفرقة من قوله: الأبرش الكلبي عامي استبصر، حسن.

نعم في أسدالغابة: ج٤ ص٩٣ قال: عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس، ذكره ابن الكلبي وأبوعبيد في من وفد على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال أبوعبيد: من ولده سعيد الأبرش الكلبي صاحب هشام بن عبدالملك واسمه سعيد بن الوليد.

وفي تاج العروس: ج٤ ص ٢٨١ فصل الباء من باب الشين قال: والأبرش لقب سعيد بن الوليد الكلبي صاحب هشام، وهو من ولد عمرو بن جبلة الذي وَفد على النبيّ (صلّى الله عليه وآله). وفي الإصابة: ج٢ ص٥٢٨ حرف العين تحت رقم ٥٧٩١ قال: عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر الكلبي القضاعي إلى أن قال: وهو جد سعيد بن الأبرش بن الوليد بن عمرو حاجب هشام بن عبدالملك.

ولما كان صدر الحديث هكذا (عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله قال: خرج هشام بن عبدالملك حاجاً ومعه الأبرش الكلبي فلقيا أبا عبدالله في المسجد الحرام، فقال هشام للأبرش: تعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا الذي تزعم الشيعة أنّه نبيّ من كثرة علمه، فقال الأبرش: لأسألنه عن مسائل لايجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ، فقال هشام: وددت أنك فعلت ذلك، فلقي الأبرش أبا عبدالله فقال: يا أبا عبدالله أخبرني عن قول الله «أو لم ير الذين كفروا إن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما» فما كان رتقهما وما كان فتقهما؟ فقال أبوعبدالله: يا أبرش إلخ).

ظهر مما قدمناه ترجمة الرجل وعلّة استبصاره كما أشار إليه العلاّمة المامقاني في فهرسه بقوله: (استبصر).

(٤) هود: ٧.

لا يحدّ، ولم يكن يومئذٍ خلق غيرهما والماء يومئذٍ عذب فرات، فلما أراد الله أن يخلق الأرض، وذكر إلى آخر مانقلناه عن الكافي[١].

وفي تفسير العياشي: عن عبدالصمد بن سعد قال: أراد أبو جعفر أن يشتري من اهل مكة بيوتهم ان يزيده في المسجد فأمن عليه فارغبهم فامتنعوا فضاق بذلك فأتى ابا عبدالله (عليه السلام) فقال له: انّي سألت هؤلاء شيئاً من منازلهم وأفنيتهم لأزيد في المسجد وقد منعوني ذلك فقد غمّني غمّاً شديداً، فقال ابو عبدالله (عليه السلام): لم يغمّك ذلك وحجّتك عليهم فيه ظاهرة؟ قال: وبما احتجّ عليهم؟ فقال: بكتاب الله، فقال لي: في اي موضع؟ فقال: قول الله (إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة» قد أخبرك الله أنّ أوّل بيت وضع هو الذي ببكة فإن كانوا هم نزلوا قبل البيت فلهم أفنيتهم، وإن كان البيت قديماً قبلهم فله فناؤه فدعاهم أبو جعفر فاحتجّ عليهم بهذا فقالوا: اصنع ماأحببت[٢].

عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: مكة جملة القرية، وبكة جملة موضع الحجر الذي يبكّ الناس بعضهم بعضاً[٣].

عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ بكة موضع البيت، وإنّ مكة الحرم وذلك قوله كان آمناً[٤].

وفي كتاب عيون الأخبار في باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلّة وضع البيت وسط الأرض، أنّه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض، وكلّ ريح تهب في الدنيا فإنّها تخرج من تحت الركن الشامي، وهو أول بقعة وضعت في الأرض، لأنّها الوسط، ليكون الغرض لأهل المشرق والمغرب في ذلك سواء[٥].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٦٩ في تفسيره لقوله تعالى «أو لم ير الذين كفروا» الآية.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٥، ح ٨٩.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٧، ح ٩٣. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٧، ح ٩٤.

(٥) عيون الأخبار: ج ٢ ص ٩٠ باب ٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا(ع) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل، ح١.

فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾

فالمراد بـ«أوّل بيت»، أوّل موضع جعل مستقراً للعباد على وجه الماء، لا البيت المصنوع من اللبن والمدر والخشب حتى يحتاج في تصحيحه إلى ارتكاب أمور متكلفة.

مُبَارَكًا: حال من المستكن في الظرف، أي كثير الخير والنفع لمن حجّه واعتمره واعتكف عنده، وطاف حوله، وقصد نحوه، من مضاعفة الثواب، وتكفير الذنوب، ونفي الفقر، وكثرة الرزق.

وفي من لا يحضره الفقيه: عنه (عليه السلام) قال: وجد في حجر، إنّي أنا الله ذو بكة، صنعتها يوم خلقت السماوات والأرض، ويوم خلقت الشمس والقمر، وخففتها بسبعة أملاك حفاً مبارك لأهلها في الماء واللبن يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، من أعلاها وأسفلها والثنية بعده[1].

وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ: لأنّه قبلتهم ومتعبّدهم، ولأنّ فيه آيات عجيبة، كما قال الله تعالى.

فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ: كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار، وأنّ ضواري السبع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها، وأنّ كلّ جبار قصده بسوء قهره، كأصحاب الفيل.

والجملة مفسّرة لـ «هدى» أو حال أُخرى.

مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ: مبتدأ محذوف الخبر، أي منها، أو بدل من «آيات» بدل البعض من الكلّ.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٥٨ باب ابتداء الكعبة وفضلها وفضل الحرم، ح١٥.

وقيل: عطف بيان على أنّ المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصمّاء وغوصها فيها إلى الكعبين، وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقائه، دون سائر آثار الأنبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف [السنين][١].

ويؤيده أنّه قرئ: آية بيّنة على التوحيد.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن سنان قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: «إن اول بيت» إلى قوله: «آيات بينات» ماهذه الآيات البيّنات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثّرت فيه قدماه. والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل (عليه السلام)[٢].

أقول: أمّا كون المقام آية، فلما ذكر، ولارتفاعه بإبراهيم (عليه السلام) حين كان أطول من الجبال كما يأتي ذكره.

وأمّا كون الحجر الأسود آية، فلما ظهر منه للأولياء والأوصياء (عليهم السلام) من العجائب، إذ كان جوهرة جعلها الله مع آدم في الجنة، وإذ كان ملكاً من عظماء الملائكة ألقمه الله الميثاق وأودعه ويأتي يوم القيامة وله لسان ناطق وعينان يعرفه الخلق، يشهد لمن وافاه بالموافاة، ولمن أدّى إليه بالميثاق بالأداء، وعلى من جحده بالإنكار إلى غير ذلك كما ورد في الأخبار عن الأئمة (عليهم السلام)[٣].

ولما ظهر لطائفة من تنطّقه لبعض المعصومين (عليهم السلام) كالسجاد (عليه السلام) حيث نازعه عمه محمد بن الحنفية في أمر الإمامة كما ورد في الروايات[٤].

ومن عدم طاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه كما جرّب غير مرّة[٥].

---

(١) في النسخة ـ أ ـ (سنة)، والصحيح ما أثبتناه.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٣ كتاب الحج، باب في قوله تعالى: «فيه آيات بينات» ح١.

(٣) لاحظ الكافي: ج ٤ ص ١٨٥ كتاب الحج، باب بدء الحجر والعلّة في استلامه، ح٣ والفقيه: ج٢ ص١٢٤ باب علل الحج ح٣.

(٤) البحار: الطبعة الحديثة ج٤٦ ص١١١ باب ماجرى بينه (عليه السلام) وبين محمد بن الحنفية وسائر أقربائه وعشائره ح٢ وباب معجزاته ومعالي أموره وغرائب شأنه (صلوات الله عليه وآله) ص٢٩ ح٢٠.

(٥) الوافي: ج ٢ ص ١٢ كتاب الحج، باب ٤ قصة هدم الكعبة وبنائها ووضع الحجر والمقام، ولاحظ ←

وأمّا كون منزل إسماعيل آية، فلأنّه أنزل به من غير ماء، فنبع له الماء.

وإنّما خصّ المقام بالذكر في القرآن وطوى ذكر غيره؛ لأنّه أظهر آياته اليوم للناس.

قيل: سبب هذا الأثر، أنّه لمّا ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكّن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه[١].

وقيل: إنّه لما جاء زائراً من الشام الى مكة فقالت له امرأة إسماعيل: انزل حتى نغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقّه الأيمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، ثم حوّلته إلى شقّه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر، فبقي أثر قدمه عليه[٢].

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أدركت الحسين (صلوات الله عليه)؟ قال: نعم أذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل، والناس يقومون على المقام، يخرج الخارج يقول: قد ذهب به السيل، ويخرج منه الخارج فيقول: هو مكانه، قال: فقال لي: يافلان، ماصنع هؤلاء؟ فقلت: أصلحك الله، يخافون أن يكون السيل قد ذهب بالمقام! فقال: ناد: إنّ الله قد جعله علماً، لم يكن ليذهب به، فاستقرّوا[٣].

وكان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم (عليه السلام) عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلمّا فتح النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم (عليه السلام)، فلم يزل هناك إلى أن ولّي عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان

البحار: الطبعة الحديثة في لبنان ج ٩٦ ص٢٢٦ كتاب الحج والعمرة باب فضل الحجر وعلّة استلامه واستلام سائر الأركان ح٢٦ وفيه قصة أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولوية في ردّ القرامطة الحجر الأسود ووضع الحجة (عليه السلام) الحجر في موضعه.

(١ و٢) الكشاف: ج ١ ص ٣٨٩ في تفسيره لقوله تعالى: «فيه آيات بينات مقام إبراهيم».

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٣ كتاب الحج باب في قوله تعالى: «فيه آيات بينات» قطعة من ح٢.

الذي كان فيه المقام؟ فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقداره بنسع[1] فهو عندي، فقال: تأتيني به، فأتاه به فقاسه، ثم ردّه إلى ذلك المكان[2].

وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا : جملة ابتدائيّة، أو شرطيّة معطوفة من حيث المعنى على «مقام»، لأنّه في معنى: وأمن من دخله، أي منها أمن من دخله، أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وآمن من دخله.

واقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة؛ لأنّ فيهما غنية عن غيرهما في الدارين؛ بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة.

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي زهرة بن شبيب بن أنس عن بعض أصحاب أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) لأبي حنيفة: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: نعم، قال يا أبا حنيفة: لقد ادعيت علماً، ويلك ماجعل الله ذلك إلّا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولاهو إلّا عند الخاص من ذرية نبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله)، وما أدراك الله من كتابه حرفاً، فإن كنت كما تقول: ولست كما تقول: فأخبرني عن قول الله (عزّوجلّ): «سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين»[3] أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه مابين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبدالله (عليه السلام) ومن كان إلى أصحابه فقال: تعلمون أنّ الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة، فتؤخذ أموالهم، ولايؤمنون على أنفسهم ويقتلون؟ قالوا: نعم، قال: فسكت أبو حنيفة فقال: يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله (عزّوجلّ): «ومن دخله كان آمنا» أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة، فقال: أفتعلم أنّ الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة، فقتله كان آمناً فيها؟! قال: فسكت، فقال أبو بكر الحضرمي: جعلت فداك، ماالجواب في المسألتين

---

(١) في حديث البيت الحرام: (إنّي أخذت مقداره بنسع) النسع بالكسر سير ينسج عريضاً يشد به الرحال، القطعة منه نسعة، ويسمى نسعاً لطوله، وجمعه نسع بالضم وأنساع. (مجمع البحرين لغة نسع).

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٣ كتاب الحج باب في قوله تعالى: «فيه آيات بينات» قطعة من ح ٢.

(٣) سبأ: ١٨.

الأوّلتين؟ فقال: ياأبابكر «سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» فقال: مع قائمنا أهل البيت. وأمّا قوله «ومن دخله كان آمناً» فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقدة أصحابه كان آمناً، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قوله: «ومن دخله كان آمنقال: سألته عن قوله: «ومن دخله كان آمنا»؟ قال: يأمن فيه كلّ خائف مالم يكن عليه حدّ من حدود الله ينبغي أن يؤخذ به، قال: وسألته عن طائر يدخل اليوم؟ قال: لايؤخذ ولايمسّ، لأنّ الله يقول: «ومن دخله كان آمناً»(٢).

وقال عبدالله بن سنان: سمعته يقول فيما أُدخل الحرم ممّا صيد في الحلّ: قال: إذا دخل الحرم فلايذبح أن الله يقول: «ومن دخله كان آمنا»(٣).

وعن علي بن عبدالعزيز قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك قول الله «فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا» وقد يدخله المرجئ، والقدري، والحروريّ، وللزنديق الذي لايؤمن بالله؟ قال: لا ولا كرامة قلت: فمن جعلت فداك؟ قال: ومن دخله وهو عارف بحقّنا كما هو عارف به، خرج عن ذنوبه، وكفي همّ الدنيا والآخرة(٤).

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن الله (جل جلاله) في حديث طويل، وفيه يقول (جل جلاله) في حق علي (عليه السلام): وجعلته العلم الهادي من الضلالة

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٨٣ باب ٨١ علة المرارة في الاذنين والعذوبة في الشفتين والملوحة في العينين والبرودة في الأنف ح ٥ والحديث طويل جداً وفيه من الحكم والآثار والأحكام والمسائل مالايخفى، وفيه (أبوزهير) مصغرأبدل (أبوزهرة). ورواه في البحار (الطبعة الحديثة ج ١٠ ص ٢١٢ باب ١٣ احتجاجات الصادق صلوات الله عليه على الزنادقة والمخالفين ومناظراته معهم) ح ١٣ نقلاً عن أمالي الطوسي، والحلية لأبي نعيم وصاحب الروضة، وقال: الرواية يزيد بعضها على بعض، عن محمد الصيرفي وعن عبدالرحمن بن سالم، فلاحظ.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٨ ح ١٠٠ وفيه تقطيع.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٩ ح ١٠٤.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٠ ح ١٠٧.

وبابي الذي أُوتي منه، وبيتي الذي من دخله كان آمناً من ناري[١].

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، والحجال، عن ثعلبة، عن أبي خالد القماط، عن عبدالخالق الصيقل قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «ومن دخله كان آمناً» فقال: لقد سألني عن شيء ما سألني أحد إلّا من شاء الله، قال: من أمّ هذا البيت وهو يعلم أنّه البيت الذي أمره الله (عزّوجلّ) به، وعرفنا أهل البيت حقّ معرفتنا، كان آمناً في الدنيا والآخرة[٢].

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): إنّ من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله عليه، كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم[٣].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل ابن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا أردت دخول الكعبة فاغتسل قبل أن تدخلها، ولا تدخلها بحذاء، وتقول إذا دخلت: اللهمّ إنّك قلت: ومن دخله كان آمناً فامنّي من عذاب النار[٤]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «ومن دخله كان آمناً» البيت عنى أم الحرم؟ قال: من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن به من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً أن يهاج، أو يؤذى حتى يخرج من الحرم[٥].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «ومن دخله كان آمناً» قال: إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثم فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في

---

(١) الأمالي للصدوق (عليه الرحمة): المجلس التاسع والثلاثون، ص١٨٤ ح١٠.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٥، كتاب الحج، باب النوادر، ح ٢٥.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٧٨ في تفسيره لقوله تعالى: «ومن دخله كان آمناً».

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٥٢٨، كتاب الحج، باب دخول الكعبة قطعة من ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٦ كتاب الحج باب في قوله تعالى «ومن دخله كان آمناً» ح١.

الحرم ولكن يمنع من السوق ولايبايع ولايطعم ولايسقى ولايكلّم، فإنّه إذا فعل ذلك [به][(١)] يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جناية أُقيم عليه الحدّ في الحرم لأنّه لم ير للحرم حرمة[(٢)].

وبإسناده إلى علي بن أبي حمزة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «ومن دخله كان آمناً» قال: ان سرق سارق بغير مكة أو جنى جناية على نفسه ففرّ إلى مكة لم يؤخذ مادام في الحرم حتى يخرج منه، ولكن يمنع من السوق فلايبايع ولايجالس حتى يخرج منه فيؤخذ، وإن أحدث في الحرم ذلك الحدث أُخذ فيه[(٣)].

وفي كتاب علل الشرائع: حدّثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه سئل عن طير أهليّ أقبل فدخل الحرم فقال: لايمسّ، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «ومن دخله كان آمناً»[(٤)].

وفي من لايحضره الفقيه: وسأل محمد بن مسلم أحدهما (عليهما السلام) عن الظبي يدخل الحرم؟ فقال: لايؤاخذ ولايمسّ، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: ومن دخله كان آمناً»[(٥)].

وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن شاذان بن الخليل أبي الفضل، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن رجل لي عليه مال فغاب عنّي زماناً، فرأيته يطوف حول الكعبة أفأتقاضاه مالي؟

---

(١) مابين المعقوفتين ليس في النسخة ـ أ ـ وأثبتناه من المصدر لاقتضاء السياق.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٦، كتاب الحج باب في قوله تعالى «ومن دخله كان آمناً» ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٧ كتاب الحج باب في قوله تعالى: «ومن دخله كان آمناً» ذيل ح ٢.

(٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ١٣٦ باب ٢٠٦ العلة التي من أجلها لايؤخذ الطير الأهليّ إذا دخل الحرم ح ١.

(٥) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٧٠ باب تحريم صيد الحرم وحكمه ح ١٩.

قال: لا تسلّم عليه ولا تروّعه حتى يخرج من الحرم[١].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي إسماعيل السراج، عن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: من دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر، فقلت: من برّ الناس وفاجرهم؟ قال: من برّ الناس وفاجرهم[٢].

وفي من لا يحضره الفقيه: من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان، ومن دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر[٣].

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ : قصده للزيارة على الوجه المخصوص، والحجّ في الأصل القصد.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (حِجّ) بالكسر، وهي لغة.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة قال: كتبت إلى أبي عبدالله (عليه السلام) بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس، فجاء الجواب بإملائه: سألت عن قول الله (عزّوجلّ): «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» يعني به الحج والعمرة جميعاً، لأنّهما مفروضان[٤]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عيون الأخبار في باب [ما][٥] ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلّة الحجّ الوفادة إلى الله (عزّوجلّ) وطلب الزيادة والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً فيما مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٤١ كتاب الحج باب فيمن رأى غريمه في الحرم ح ١.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٨ كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة وثوابها ح ٢٦، وفي النسخة ـ أ ـ دخل في الحرم... بدل دفن في الحرم والصحيح ما اثبتناه من المصدر.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٤٧ باب فضائل الحج قطعة من ح ١٠٠.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٤ كتاب الحج باب فرض الحج والعمرة ح ١.

(٥) كذا في النسخة ـ أ ـ، والظاهر أنّ (ما) هنا زائدة.

واللذّات، والتقريب بالعبادة إلى الله (عزّوجلّ)، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً في الحرّ والبرد والأمن والخوف، دائب في ذلك دائم، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر ممّن يحجّ وممّن لايحج من تاجر وجالب وبائع ومشتر وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأرض، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك، ليشهدوا منافعهم[١].

مَنِ ٱسْتَطَاعَ :بدل من الناس بدل البعض من الكلّ.

إِلَيْهِ سَبِيلًا :تمييز من نسبة الفعل إلى المفعول بالواسطة.

وفي عيون الأخبار فيما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين: وحج البيت فريضة على من استطاع إليه سبيلا، والسبيل الزاد والراحلة مع الصحة[٢].

وفي كتاب الخصال: عن الأعمش، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: هذه شرائع الدين، إلى أن قال: وحجّ البيت واجب على من استطاع إليه سبيلا، وهو الزاد والراحلة مع صحة البدن، وأن يكون للإنسان مايخلفه على عياله وما يرجع إليه من حجّة[٣].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن خالد ابن جرير، عن أبي الربيع الشامي قال: سئل أبوعبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: «من استطاع إليه سبيلا» فقال: مايقول الناس؟ قال: فقيل له: الزاد والراحلة قال: فقال أبوعبدالله (عليه السلام): قد سئل أبوجعفر (عليه السلام)

---

(١) عيون الأخبار: ج ٢ ص ٨٨ باب ٣٣ في ذكر ماكتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل قطعة من ح١.

(٢) عيون الأخبار: ج ٢ ص ١٢٤ باب ٣٥ ماكتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين، قطعة من ح١ س٦.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٦٠٦، أبواب المائة فما فوقه (خصال من شرائع الدين) ح٩ س١٢.

عن هذا فقال: هلك الناس إذاً، لئن كان من كان له زاد وراحلة قدر مايقوت عياله ويستغني به عن الناس ينطلق إليه فيسلبهم إيّاه لقد هلكوا، فقيل له: فما السبيل؟ قال: فقال: السعة في المال إذا كان يحجّ ببعض ويبق بعضاً يقوت به عياله، أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلّا على من يملك مائتي درهم[1][2].

محمد بن أبي عبدالله، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سأل رجل من أهل القدر فقال: يابن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» أليس قد جعل الله لهم الاستطاعة؟ فقال: ويحك إنّما يعني بالاستطاعة الزاد والراحلة، ليس استطاعة البدن، فقال الرجل: أفليس إذا كان الزاد والراحلة فهو مستطيع للحج؟ فقال: ويحك ليس كما تظنّ قد ترى الرجل عنده المال الكثير أكثر من الزاد والراحلة فهو لايحج حتى يأذن الله تعالى في ذلك[3].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» قال: ماالسبيل؟ قال: أن يكون له مايحجّ به قال: قلت: من عرض عليه مايحجّ به فاستحيا من ذلك، أهو ممّن يستطيع إليه سبيلا؟ قال: نعم ماشأنه أن يستحيي، ولو يحجّ على حمار أجدع أبتر، فإن كان يطيق أن يمشي بعضاً ويركب بعضاً، فليحجّ[4].

وفي رواية: أنّه يخرج ويمشي إن لم يكن عنده، قيل: لايقدر على المشي؟ قال:

---

(١) الكافي: ج ٤ س ٢٦٧ كتاب الحج باب استطاعة الحج ح ٣.

(٢) معنى الحديث: لئن كان من كان له قدر مايقوت عياله فحسب وجب عليه أن ينفق ذلك في الزاد والراحلة، ثم ينطلق إلى الناس فيسائلهم قوت عياله لهلك الناس إذاً. وفي بعض النسخ من الكتب الأربعة: ينطلق إليه، أي إلى الحجّ، فيسلبهم إيّاه، يعني يسلب عياله مايقوتونه، لقد هلكوا، يعني عياله، وهو أصوب وأصح وأوضح (وفي باب استطاعة الحج ص٤٩).

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٨، كتاب الحج، باب استطاعة الحج ح ٥.

(٤) الكافي: ج ٤، ص ٢٦٦، كتاب الحج، باب استطاعة الحج ح١.

يمشي ويركب، قيل: لايقدر على ذلك ؟ قال: يخدم القوم ويخرج معهم[١].

واعلم أنّه ينبغي أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف الناس في جهات الاستطاعة، فإنّ بعضهم يجب لهم الزاد والراحلة ولايجب لهم الرجوع إلى مال لقدرتهم على تحصيل مايموّنون به بتجارة وكسب، وبعضهم يجب لهم الرجوع إلى مايموّنون به لعدم قدرتهم على التحصيل، وبعضهم عادتهم الخدمة والتعيّش بأي وجه اتفق لهم مع قدرتهم على ذلك فإذا حصل لهم تلك الاستطاعة وجب الحجّ.

وفي كتاب التوحيد: حدّثنا أبي ومحمد بن موسى بن المتوكل (رضي الله عنهما) قالا: حدّثنا سعد بن عبدالله وعبدالله بن جعفر الحميري جميعاً، عن أحمد بن محمد ابن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزوجل): «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» قال: يكون له مايحجّ به، قلت: من عرض عليه الحجّ فاستحيا؟ قال: ممّن يستطيع[٢].

حدّثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزوجل): «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» مايعنى بذلك ؟ قال: من كان صحيحاً في بدنه مخلّىً سربه له زاد وراحله[٣].

وفي كتاب علل الشرائع: أبي (رحمه الله) حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن ابي عمير، عن عمر بن اذينة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» يعني به الحجّ دون العمرة؟ فقال: لا، ولكنّه يعني الحجّ والعمرة جميعاً لأنّهما مفروضان[٤].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٣ ح ١١٦ بتفاوت يسير في بعض الالفاظ.

(٢) التوحيد: ص٣٤٩ ح١٠. (٣) التوحيد: ص ٣٥٠ ح ١٤.

(٤) علل الشرائع: ص ٤٥٣ باب ٢١٠، نوادر علل الحج ح٢.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق (عليه السلام): واعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحجّ ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة الى نفسه بقوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» ولاشرّع نبيّه (صلّى الله عليه وآله) سنّته في خلال المناسك على ترتيب ماشرّعه إلّا لاستعلائه والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيامة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من أوّلها الى آخرها لأولي الالباب وأولي النهى[1].

وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ: وضع «كفر» موضع «لم يحج» تأكيداً لوجوبه، وتغليظاً على تاركه.

وقد أكّد أمر الحجّ في هذه الآية من وجوه.

الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر، وإبرازه في صورة الإسميّة، وإيراده على وجه يفيد أنّه حقّ واجب لله في رقاب الناس، وتعميم الحكم أوّلاً وتخصيصه ثانياً، فإنّه كإيضاح بعد إبهام وتنبيه وتكرير للمراد. وتسميته ترك الحجّ كفراً من حيث انه فعل الكفرة. وذكر الاستغناء فإنّه في هذا الموضع يدلّ على المقت والخذلان، وإيراد (عن العالمين) بدل عنه لما فيه من التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم السخط، وذلك لأنّه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال، والتجرّد عن الشهوات، والإقبال على الله.

وفي من لايحضره الفقيه: في وصيّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): ياعلي تارك الحجّ وهو مستطيع كافر، يقول الله (تبارك وتعالى): «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» ياعلي من سوّف الحجّ حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً[2].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن موسى بن القاسم البجلي، ومحمد بن يحيى، عن العمركي بن علي جميعاً، عن علي بن جعفر عن أخيه

---

(١) مصباح الشريعة: ص ٤٩ الباب الواحد والعشرون في الحج ذيل الحديث.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج٤ ص٢٦٦ باب النوادر، وهو آخر أبواب الكتاب، قطعة من ح١.

موسى (عليه السلام) قال: إنّ الله تعالى فرض الحجّ على أهل الجدة في كلّ عام وذلك قوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» قال: قلت: فمن لم يحجّ فقد كفر؟ قال: لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر[١].

وفي تفسير العياشي: عن (أبي)[٢] اسامة زيد الشحام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت: أرأيت قول الله «ومن كفر فان الله غني عن العالمين» قال: هو كفر النعم. وقال: «من ترك» في خبر آخر[٣].

قيل: وروي أنّه لمّا نزل صدر الآية جمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أرباب الملل فخطبهم وقال: إنّ الله كتب عليكم الحجّ فحجّوا، فآمنت به ملّة واحدة وكفرت خمس ملك، فنزلت «ومن كفر»[٤].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن الصلت جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبدالله، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: وأيّ من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل لأنّها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ. قلت: ثم الذي يليه في الفضل؟ فقال: الصلاة، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثم الفضل الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنّها قرنها وبدأ بالصلاة قبلها، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الزكاة تذهب الذنوب قال: قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال: الحجّ قال الله (عزوجل): «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين» وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لحجّة مقبولة

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٥، كتاب الحج، باب فرض الحج والعمرة، ح ٥.

(٢) في النسخة ـ أ ـ (ابن) والصحيح ماأثبتناه من المصدر وكتب الرجال.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٣ ح ١١٥.

(٤) الكشاف: ج١ ص ٣٩١ في تفسيره لقوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت» الآية وفي الهامش (أخرجه الطبري من طريق جرير عن الضحاك).

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصىٰ فيه اسبوعه، وأحسن ركعتيه غفر له، وقال: في يوم عرفة ويوم المزدلفة ماقال[١]، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعائذين حرماً، فرض حجّه، وأوجب حقّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين»[٢].

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ : السمعيّة والعقليّة الدالّة على صدق محمّد (صلّى الله عليه وآله) فيما جاء به من وجوب الحجّ وغيره.

وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب يدلّ على أنّ كفرهم أقبح. وأنّهم وإن زعموا أنّهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل، فهم كافرون بهما[٣]، وأنّ الكفر ببعض كتاب كفر بكلّه. فالكفر بولاية عليّ (عليه السلام) كفر بجميع آيات الله، فافهم.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨ ح ٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٥ قطعة من الخطبة ١ ط صبحي الصالح.

(٣) نقلها في أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ١ ص ١٧٤ في تفسيره لقوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب لم تكفرون. وقل ياأهل الكتاب لم تصدون».

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾: والحال أنّه شهيدمطلع على أعمالكم واعتقاداتكم فيجازيكم عليها لاينفعكم التحريف والاستسرار.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ﴾: تكرير الخطاب والاستفهام لزيادة التقريع ونفي العذر لهم، وللإشعار بأنّ كلّ واحد من الأمرين مستقبح في نفسه، مستقلّ باستجلاب العذاب.

وسبيله، دينه الحقّ المأمور بسلوكه، وهو الإسلام المرادف للإيمان.

قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرّشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكّروهم مابينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب، ليعودوا لمثله، ويحتالون لصدّهم عنه[1].

﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾: حال من الواو. واللام في المفعول الأوّل محذوف، أي طالبين لسبيل الله اعوجاجاً. أو «عوجاً» تمييز من النسبة إلى المفعول، أي طالبين عوجها، بأن تلبسوا عن الناس وتوهموا أنّ فيه عوجاً عن الحقّ، بمنع النسخ، وتغيّر صفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ونحوهما، أو بأن تحرّشوا بين المؤمنين، ليختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم.

﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُ﴾: إنّها سبيل الله والصدّ عنها ضلال وإضلال وأنتم عدول عند أهل ملّتكم، يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: وعيد لهم.

ولما كان المنكر في الآية الأُولى، كفرهم، وهم يجهرون به، ختمها بقوله: «والله شهيد». وفي هذه الآية صدّهم المؤمنين عن الإسلام، وكانوا يخفون ويحتالون فيه، قال: «وما الله بغافل عمّا تعملون».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾:

---

(١) نقلها في انوار التنزيل واسرار التأويل: ج ١ ص ١٧٤ في تفسيره لقوله تعالى «قل يا أهل الكتاب لم تكفرون وقل ياأهل الكتاب لم تصدون».

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدّثون فمرّ بهم شامر بن قيس اليهودي، فغاظوا تآلفهم واجتماعهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكّرهم يوم (بعاث)[1] وينشدهم بعض ماقيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس، ففعل، فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع مع القبيلتين خلق عظيم، فتوجّه إليهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأصحابه، فقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهليّة وألّف بين قلوبكم، فعلموا أنّها نزعة من الشيطان وكيد من عدوّهم، فألقوا السلاح، واستغفروا، وعانق بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[2].

وإنّما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما أمر الرسول (صلّى الله عليه وآله) بأن يخاطب أهل الكتاب، إظهاراً لجلالة قدرهم، وإشعاراً بأنّهم هم الأحقّاء بأن يخاطبهم تعالى ويكلمهم.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ : إنكار

---

(١) في النسخة ـ أ ـ: بغاث والصحيح ماأثبتناه، ويوم بعاث بضم الباء يوم معروف كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية ذكره الواقدي ومحمد بن إسحاق في كتابيها، قال الأزهري: وذكر ابن المظفر هذا في كتاب العين فجعله يوم بغات (بالغين المعجمة) وصحّفه، وما كان الخليل (رحمه الله) ليخفى عليه يوم بعاث لأنّه من مشاهير أيام العرب (لسان العرب: ج٢ ص١١٧ في لغة بعث) وقال أيضاً في ص١١٩ في لغة بغث: يوم بغاث، يوم وقعة كانت بين الأوس والخزرج، قال الأزهري: إنما هو بعاث بالعين، وهو من مشاهير أيام العرب، ومن قال بغاث فقد صحّف.

(٢) نقله في الكشاف: ج ١ ص ٣٩٣ في تفسيره لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا» الآية، ونقله ابن هشام في السيرة: ج٢ ص١٨٣.

وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر.

وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ: ومن يستمسك بدينه، أو يلتجأ إليه في مجامع أموره.

في كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة، وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نيّة صادقة فاتكل عليه في جميع أموره كلّها، الحديث[1].

فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: فقد اهتدى لامحالة.

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: مامعنى قولكم: إنّ الإمام لايكون إلّا معصوماً؟ فقال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله (تبارك وتعالى): «ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم»[2].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أيّما عبد أقبل قبل مايحب الله عزوجل، اقبل الله قبل مايحب[3]. ومن اعتصم بالله عصمه الله.

---

(١) الخصال: ص ٢٨٥ باب الخمسة ح ٣٧ وتمام الحديث (ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقة).

(٢) معاني الأخبار: ص ١٣٢ باب معنى عصمة الإمام، ح ٢.

(٣) يقال: أقبل قبلك، أي قصد قصدك وتوجّه إليك وجعلك قبالة وجهه وتلقاءه. والمراد بإقبال العبد نحو مايحبه الله، قصده والإتيان به طلباً لرضاه. وبإقبال الله نحو مايحبه العبد إفاضة مايسرّ به قلبه وتقرّ به عينه. ومن اعتصم بالله عصمه الله من الضياع والحاجة، كما اعتصم به مؤمن آل فرعون بقوله «وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد» فلجأ من شر فرعون وجنوده إليه سبحانه واعتصم به، فوقاه الله سيئات مامكروا. واعتصم به يونس (عليه السلام) في الظلمات بقوله: «لاإله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فلجأ من غضبه إليه واعتصم به، فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه بقوله: «فاستجبنا له ونجيّناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين» واعتصم به أيوب (عليه

←

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

ومن أقبله الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الارض[١]. أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة، كان في حزب الله بالتقوى من كلّ بليّة[٢]، أليس الله عزوجل يقول: «إن المتقين في مقام أمين»[٣][٤][٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: حقّ تقواه وما يجب منها.

وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم.

أصله (وقية) فقلبت واوها المضمومة تاءً كما في تؤدة وتخمة، والياء الفاً.

وفي مجمع البيان: وذكر في قوله تعالى: «حق تقاته» وجوه، ثانيها: أنه المجاهدة في الله، وأن لا تأخذه لومة لائم، وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن، عن مجاهد، ثم اختلف فيه أيضاً على قولين: أحدهما: أنه منسوخ بقوله: «فاتقوا الله

السلام) وأقبل إليه بقوله: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحين» فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضرّ. وكذلك لجأ إليه كثير من الأنبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاسقين فأقبل الله إليهم بقضاء حوائجهم وإزاحة مكارههم (شرح اصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٨ ص٢٠٠).

(١) ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء: إن جعل (لم يبال) وحده جواباً للشرط السابق، كان جواب الشرط اللاحق قوله: «كان في حزب الله» وإن جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق، كان قوله: «كان في حزب الله» استئنافاً (المصدر نفسه).

(٢) بالتقوى من كلّ بليّة: أي يقيه من كلّ بليّة في الدنيا والآخرة (المصدر).

(٣) الدخان: ٥١.

(٤) أي المأمون من البلية والآفة فيها (شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٨ ص ٢٠٠).

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٥ كتابُ الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله والتوكّل عليه، ح ٤.

ماستطعتم»[١] وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام)[٢].

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزوجل): «اتقوا الله حق تقاته»؟ قال: يطاع ولايعصى، ويذكر ولاينسى، ويشكر ولايكفر[٣].

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ: أي ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت.

فإنّ النهي عن المقيّد بحال وغيرها، قد يتوجّه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أُخرى، وقد يتوجّه نحو المجموع، وكذلك النفي.

وفي مجمع البيان: وروي عن أبي عبدالله (عليه السلام) «وأنتم مسلّمون» بالتشديد، ومعناه مستسلمون لما أتى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) به ومنقادون له[٤].

وفي تفسير العياشي: عن الحسين بن خالد قال: قال أبو الحسن الأوّل (عليه السلام) لبعض أصحابه: كيف تقرأ هذه الآية؟ «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون» ماذا؟ قلت: «مسلمون» فقال: سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين، ثم يسألهم الإسلام، والإيمان فوق الإسلام؟ قلت: هكذا يقرأ في قراءة زيد، قال: إنّما هي في قراءة علي (عليه السلام) وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمّد (صلّى الله عليه وآله)، إلّا وأنتم مسلمون لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم الإمام من بعده[٥].

وفي كتاب المناقب لابن شهراشوب: عن الباقر (عليه السلام) في قراءة علي (عليه السلام) وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمّد (صلّى الله عليه وآله)،

---

(١) التغابن: ١٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: «اتقوا لله حق تقاته».

(٣) معاني الأخبار: ص ٢٤٠ باب معنى اتقاء الله حق تقاته، ح ١.

(٤) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: «ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون».

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٣ ح ١١٩.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾

ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) والإمام بعده[١].

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى داود بن سليمان (القارئ)[٢]، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) أنه قال: الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلّا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له[٣].

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنّه لايرجى من رجعة العمر مايرجى من رجعة الرزق، مافات اليوم من الرزق رجي غداً زيادته، وما فات الأمس من العمر لم ترج اليوم رجعته، الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي «فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا و أنتم مسلمون».[٤]

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: بدينه الإسلام الذي ملاكه الولاية والكتاب.

---

(١) ما عثرت عليه في المناقب مع الفحص الشديد هذا لفظه: وعنه (أي الباقر) في قوله: إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون لولاية علي لاحظ المناقب لابن شهراشوب: ج٢ ص٣٥٣ فصل في ذكره (عليه السلام) في الكتب. وأيضاً في ج٣ ص٩٥ فصل في أنّه الإيمان والإسلام.

(٢) في المصدر: (الغازي).

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص٢١٩ باب ٢٨ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) من الأخبار المتفرقة، ح ٢٥.

(٤) نهج البلاغة: ص ١٧١ ومن خطبة له، وفيها مواعظ للناس. صبحي الصالح.

وفي الكتاب استعارة تبعية، ووجه الشبه التمسك به، فإن المتمسّك به سبب النجاة عن الردى، كما أنّ التمسّك بالحبل سبب السلامة عن التردّي: والاعتصام ترشيح للاستعارة.

جَمِيعًا: مجتمعين عليه.

وفي أمالي شيخ الطائفة (رحمه الله): بإسناده إلى عمر بن راشد، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) في قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعا» قال: نحن الحبل[١].

وفي تفسير العياشي: عن ابن يزيد قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام) حبل الله المتين[٢].

وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: آل محمّد (عليهم السلام) هم حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به، فقال «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»[٣].

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام)، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: الإمام منّا لايكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لايكون إلّا منصوصاً، فقيل له: يابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لايفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله (عزّوجلّ): «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»[٤][٥].

---

(١) الأمالي لشيخ الطائفة: ج ١ ص ٢٧٨، ولفظ الحديث (قال أبو العباس ـ هو عمر بن راشد أبو سليمان ـ عن جعفر بن محمد في قوله: «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» قال: نحن من النعيم. وفي قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» قال: نحن الحبل).

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٢.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٣.

(٤) الإسراء: ٩.

(٥) معاني الأخبار: ص ١٣٢ باب معنى عصمة الإمام ح ١.

وفي مجمع البيان: روى أبو سعيد الخدري، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: أيها الناس إنّي تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلّوا من بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله «واعتصموا بحبل الله جميعاً» قال: التوحيد والولاية[2].

وَلَا تَفَرَّقُوا: أي لا تتفرقوا عن الحقّ بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب، أو لا تتفرّقوا تفرّقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضاً، أو لا تذكروا مايوجب التفرّق ويزيل الإلفة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «ولا تفرّقوا» قال: إن الله (تبارك وتعالى) علم أنّهم سيتفرّقون بعد نبيّهم ويختلفون، فنهاهم عن التفرّق كما نهى من قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)، ولايتفرّقوا[3].

وفي شرح الآيات الباهرة: وروى الشيخ المفيد (رحمه الله) في تأويل هذه الآية، وهو من محاسن التأويل، عن محمد بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه قال: قال علي بن الحسين (صلوات الله عليهما): كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذات يوم جالساً في المسجد وأصحابه حوله، فقال لهم: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة يسأل عمّا يعنيه، قال: فطلع علينا رجل شبيه برجال مصر، فتقدّم وسلّم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجلس وقال: يارسول الله إنّي سمعت الله يقول: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» فما هذا الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به ولانتفرّق عنه؟ قال: فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأشار إلى عليّ بن أبي طالب (عليه

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله».

(٢) و(٣)تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٨ في تفسيره لقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا».

السلام) وقال: هذا حبل الله الذي من تمسّك به عصم في دنياه ولم يضلّ في أُخراه، قال: فوثب الرجل إلى عليّ بن أبي طالب واحتضنه من وراء ظهره، وهو يقول: اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله، ثم قام فولّى وخرج، فقام رجل من الناس فقال: يارسول الله (صلّى الله عليك وآلك) الحقه واسأله أن يستغفر لي؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذا تجده مرفقاً، قال: فلحقه الرجل وسأله أن يستغفر له؟ فقال له: هل فهمت ماقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وما قلت له: قال الرجل: نعم، فقال له: إن كنت متمسّكاً بذلك الحبل فغفر الله لك، وإلاّ فلاغفر الله لك، وتركه ومضى[١].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثني الحسين بن محمد، قال: حدّثنا محمد بن مروان بن أعين، قال: حدّثنا أبو حفص الأعمش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه (عليهم السلام) قال: جاءَ رجل في صورة اعرابيّ الى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي مامعنى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أنا نبيّ الله وعليّ بن أبي طالب حبله، فخرج الإعرابيّ وهويقول: آمنت بالله وبرسوله وبحبله[٢].

وقال: حدّثني محمد بن الحسن بن إبراهيم معنعناً عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: كنت عند النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فأقبل إعرابي فقال: يارسول الله ماقول الله في كتابه: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» فما حبل الله؟ فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ياإعرابي أنا نبيّه وعليّ بن أبي طالب حبله، فخرج الإعرابي وهويقول: آمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبله[٣].

وقال: حدّثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً [عن جعفر بن محمد قال بينا][٤]

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب بل وجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص١٢٣.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص١٤. (٣) تفسير فرات الكوفي: ص١٤.

(٤) مابين المعقوفتين ليس في نسخة ـ أ ـ وأثبتناه من المصدر لاقتضاء سياق الكلام.

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالس في جماعة من أصحابه [إذ][١] ورد عليه اعرابي فبرك بين يديه فقال: يارسول الله إنّي سمعت الله يقول في كتابه: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» فما هذا الحبل الذي امرنا الله بالاعتصام به ماهو؟ قال: فضرب النبيّ يده على كتف عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ولاية علي (عليه السلام) فقام الاعرابي وضبط بكفيه واصبعه جميعاً ثم قال: أشهد أن لاإله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدا رسول الله واعتصم بحبل الله، قال وشد اصابعه[٢].

وقال: حدّثني جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي معنعناً عن جعفر بن محمد (عليهم السلام) قال: نحن حبل الله الذي قال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» وولاية عليّ التي من استمسك به كان مؤمناً ومن تركها خرج من الآيات[٣].

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً: في الجاهلية متقابلين.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ: بالإسلام.

فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا: متحابّين مجتمعين على الأُخوة في الله.

في كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى عبدالرحمن بن سليمان، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، عن الحارث بن نوفل قال: قال علي (عليه السلام) لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): أمنّا الهداة أم غيرنا؟ قال: بل منّا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله (عزّوجلّ) من ضلالة الشرك، وبنا استنقذهم الله من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك، وبنا يختم الله، وبنا يفتح[٤].

وقيل: كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين، فوقعت بين أولادهم العداوة،

---

(١) مابين المعقوفتين ليس في نسخة ـ أ ـ وأثبتناه من المصدر لاقتضاء سياق الكلام.

(٢و٣) تفسير فرات الكوفي: ص١٥.

(٤) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٣٠ باب اتصال الوصية من لدن آدم.. ح ٣١.

وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله تعالى بالإسلام وألّف بينهم برسوله (صلّى الله عليه وآله)[١].

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: أي مشفين على الوقوع في نار جهنم، إذ لو أدرككم الموت في تلك الحال لوقعتم فيها.

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: بالإسلام.

والضمير لـ (حفرة) أو لـ(النار) أو لـ (شفا) وتأنيثه لتأنيث ما اضيف إليه، أو لأنّه بمعنى الشفة، فإن شفاء البئر وشفتها طرفها، كالجانب والجانبة. وأصله (شفو) فقلبت الواو في المذكر وحذف في المؤنث.

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تعالى: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» بمحمّد. هكذا والله نزل بها جبرئيل[٢] على محمّد (صلّى الله عليه وآله)[٣].

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢. والكشاف: ج ١ ص ٣٩٥ ومن أراد الاطّلاع أكثر من ذلك فعليه بمراجعة الكامل لابن الأثير: ج ١ من ص ٦٥٥ إلى ٦٨٠.

(٢) قد تكرر في الحديث مثل هذ التعبير، بشأن كثير من الآيات، ورد في تفسيرها: انها نزلت كذا، او نزل بها جبرائيل كذا، والمراد: بيان شأن النزول، حسب المصطلح اليوم. اي ان المقصود بنزول الآية والمناسبة المستدعية لنزولها كان كذا.

كما ورد في قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله. وهو علي بن أبي طالب» (تفسير العياشي: ج١ ص١٥ ح٦.

فقدقاتل (صلّى الله عليه وآله) على تنزيل القرآن أي تطبيقه الخاص بمورد نزوله. وسيقاتل علي (عليه السلام) على تأويله، أي تطبيقه العام على موارد مشابهة لنزوله تماماً.

فالتعبير «بمحمّد» جاء لبيان انه الوسيلة التي تحقق بها هذا الانقاذ، وهو المقصود من فاعل الانقاذ بالمباشر. لاانّ الآية كانت كذلك.. وان توهمه بعض من لاخبرة له بلحن الكلام..

والدليل القاطع على ارادة هذا المعنى، وفرة الروايات واتفاق كلمة الاعلام على انه تفسير لاغير، ومن ثم اختلفت التعابير.. فتارة: عبّر بالاسلام.. واخرى: برسول الله.. و ثالثة: بمحمّد.. وماشابه من تعابير، كلها ينمّ عن حقيقة واحدة: هو بيان وسيلة الانقاذ..

وحتى المصنف نفسه جعل من هذه التعابير تفسيراً لاارادة التغيير. قال- عند تفسير الآية «كنتم خير امّة...»: أي بهذا المعنى نزلت..

(٣) الكافي: ج ٨ ص ١٥٩ ح٢٠٨.

وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤

وبإسناده إلى أبي هارون المكفوف عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كان أبو عبدالله (عليه السلام) إذا ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: بأبي وامّي وقومي وعترتي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لاتحملنا على رؤوسها، والله (عزّوجلّ) يقول في كتابه: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» فبرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أُنقذوا[1].

وفي تفسير العياشي: عن أبي الحسن علي بن محمد بن ميثم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أبشروا بأعظم المنن عليكم قول الله تعالى: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» فالإنقاذ من الله هبة، والله لايرجع من هبته[2].

وعن محمد بن سليمان البصري الديلمي، عن أبيه، عن أبي عبدالله (عليه السلام): «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» محمّد (صلّى الله عليه وآله)[3].

كَذَٰلِكَ: مثل ذلك التبيين.

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ: إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه.

وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ: (من) للتبعيض واللام للاستغراق، أي وليكن بعضكم يدعون بكلّ خير، ويأمرون بكلّ معروف وينهون عن كلّ منكر.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ: المخصوصون بكمال الفلاح، لاحاجة لهم إلى داع

---

(١) الكافي: ج٨ ص٢٢١ ح٢٨٨. (٢و٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٥و١٢٤.

يدعوهم إلى الخير وآمر يأمرهم بالمعروف، وناه ينهاهم عن المنكر.

وفي لفظ «منكم» إشعار بأنّه غير النبيّ، فيجب من دلالة الآية: أن يكون امّة غير النبيّ يكون نفسه معصوماً ويعلم كلّ خير وكلّ معروف وكلّ منكر، يدعو ويأمر وينهى.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لايحل إلّا لهم، ولايقوم به إلّا من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحّد الله (عزّوجلّ) وآمن برسوله (صلّى الله عليه وآله) ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله (عزّوجلّ) وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله؟ فقال: ذلك لقوم لايحلّ إلّا لهم، ولايقوم بذلك إلّا من كان منهم. قلت: من اولئك؟ قال: من قام بشرائط الله (عزّوجلّ) في القتال والجهاد على المجاهدين، فهو مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى. ومن لم يكن قائماً بشرائط الله (عزّوجلّ) في الجهاد على المجاهدين، فليس بمأذون له في الجهاد ولاالدعاء إلى لله حتى يحكم في نفسه ماأخذ الله عليه من شرائط الجهاد، إلى أن قال (عليه السلام): ومن كان على خلاف ذلك فهو ظالم وليس من المظلومين، وليس بمأذون له في القتال ولابالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، لأنّه ليس من أهل ذلك ولامأذون له في الدعاء إلى الله تعالى، لأنه ليس مجاهد مثله وأمر بدعائه إلى الله، ولايكون مجاهداً من قد أمر المؤمنون بجهاده، وحظر الجهاد عليه ومنعه منه، ولايكون داعياً إلى الله تعالى من أمر بدعاء مثله إلى التوبة والحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولايأمر بالمعروف من قد أُمر أن يؤمر به، ولاينهى عن المنكر من قد أُمر أن ينهى عنه. وفي هذا الحديث يقول (عليه السلام): ثم ذكر من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال: «ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» ثم أخبر عن هذه الأُمّة وممّن هي وأنّها من ذرية إبراهيم (عليه السلام) ومن ذرية إسماعيل من سكان الحرم ممّن لم يعبدوا غيرالله قط الذين وجبت لهم الدعوة، دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر

عنهم في كتابه أنهم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً الذين وصفناهم قبل هذا في صفة امّة محمّد (صلّى الله عليه وآله)، الذين عناهم الله في قوله: «ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»[١] يعني من اتبعه على الإيمان به، والتصديق له وبما جاء به من عند الله تعالى من الأُمّة التي بعث فيها ومنها وإليها قبل الخلق ممّن لم يشرك بالله قط، ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشرك[٢].

علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو على الامّة جميعاً؟ فقال: لا، فقيل له: ولم؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلا، إلى أي من أي يقول الى الحق من الباطل والدليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله: «ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فهذا خاصّ غير عامّ كما قال الله تعالى: «ومن قوم موسى امّة يهدون بالحق وبه يعدلون»[٣] ولم يقل على أُمّة موسى، ولا على قومه، وهم يومئذ أُمم مختلفة، والأُمّة واحدة فصاعداً، كما قال الله تعالى: «إن إبراهيم كان امّة قانتاً لله»[٤] يقول: مطيعاً لله تعالى[٥]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير» فهذه لآل محمّد ومن تابعهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر[٦].

وفي كتاب الخصال: عن يعقوب بن يزيد بإسناده رفعه إلى أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى، فمن

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٣ كتاب الجهاد، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب، قطعة من ح ١ والحديث طويل. (٣) الأعراف: ١٥٨. (٤) النحل: ١١٩.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٥٩ كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ١٦.

(٦) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٨ في تفسيره لقوله تعالى: «ولتكن منكم امّة».

نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله تعالى[١].

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): انهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنّما أُمرتم بالنهي بعد التناهي[٢].

وفيه: لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به[٣].

وفي تفسير العياشي: عن ابي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: في قوله تعالى: «ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» قال: في هذه الآية تكفر اهل القبلة بالمعاصي لأنّه من لم يكن يدعو الى الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من المسلمين فليس من الامّة التي وصفها الله لأنّكم تزعمون أنّ جميع المسلمين من أُمّة محمّد وقد بدت هذه الآية وقد وصفت امّة محمّد بالدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن لم يوجد فيه الصفة التي وصفت بها فكيف يكون من الامّة وهو على خلاف ماشرطه الله على الامّة و وصفها به[٤]

واعلم أنّ الداعي إلى كلّ خير والآمر بكلّ معروف والناهي عن كلّ منكر، لايكون إلّا معصوماً وعالماً بكلّ خير ومعروف ومنكر، ويجب وجوده ونصبه في كلّ زمان على الله تعالى، إذ لايمكن لأحد العلم بعصمة أحد إلّا من طريق النص.

وأمّا الأمر بمعروف علم من الشرع كونه معروفاً والنهي عن منكر علم من الشرع كونه منكراً، فيجب على كلّ من يقدر عليه كفاية، وفي بعض الأخبار السابقة دلالة عليه.

---

(١) الخصال: ج ١ ص ٤٢، باب الاثنين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عزّوجلّ، ح ٣٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٥٢ ومن خطبة له (عليه السلام) في بعض صفات الرسول الأكرم (وعظ الناس)، صبحي الصالح.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٨٨ ومن خطبة له (عليه السلام) في ذكر المكائيل والموازين، صبحي الصالح.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٢٧.

وفي التهذيب: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: لايزال الناس بخير ماأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء[١].

وفي الكافي والتهذيب: عن الباقر (عليه السلام) قال: يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون[٢] وينسكون حدثاء سفهاء لايوجبون أمراً بمعروف ولانهياً عن منكر إلّا إذا امنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلّات العلماء وفساد علمهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لايكلمهم في نفس ولامال، ولو أضرّت الصلاة بسائر مايعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها. إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتمّ غضب الله عليهم فيعمّهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دارالفجار، والصغار في دارالكبار، وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمّر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، وألفظوا بألسنتكم، وصكّوا بها جباههم، ولاتخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا، فلاسبيل عليهم «إنّما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم»[٣] هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً، ولاباغين مالاً، ولامريدين بالظلم ظفراً، حتى يفيئوا إلى أمرالله ويمضوا على طاعته.

قال أبو جعفر (عليه السلام): وأوحى الله إلى شعيب النبيّ أنّي معذّب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم، فقال: ياربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله (عزّوجلّ) إليه أنّهم داهنوا أهل

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٨١ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ٢٢.

(٢) بيان (يتقرّؤون) أي يتعبّدون ويتزهّدون، فالعطف تفسيري (إذا آمنوا الضرر) أي مايحسبونه ضرراً وليس بضرر، والأتباع، التتبع، والكلم الجرح، والصكّ الضرب الشديد (الوافي: ج ٢ ص ٢٨ باب الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(٣) الشورى: ٤٢.

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ
وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾

المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[1].

وفي شرح الآيات الباهرة: روي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» نحن هم صدق الله ورسوله لأنّ هذه الصفات من صفات الأئمة (صلوات الله عليهم)، لأنّهم معصومون والمعصوم لايأمر بطاعة إلّا وقد ائتمر بها ولاينهى عن المعصية إلّا وقد انتهى عنها، كما قال أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه وآله) والله ماامرتكم بطاعة إلّا وقد ائتمرت بها ولانهيتكم عن معصية إلّا وقد انتهيت عنها[2].

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟: كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة.

مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ: في موضع الحال من فاعل الفعل السابق، وهي الآيات والحجج المبيّنة للحقّ الموجبة للاتفاق عليه.

وفي الآية دلالة على كفر من اختلف وتفرّق عن الحقّ بعد مجيء البيّنة.

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٨١ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ٢١ وفي الكافي: ج ٥ ص ٥٥ كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ١.

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب بل وجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١٢٤.

وفي عطف «اختلفوا» على «تفرّقوا» دلالة على أنّ الاختلاف إذا كان بحيث يوجب التفرّق، يوجب ذلك، لامطلقاً، كاختلاف الشيعة في بعض الفروع.

وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ: وعيد للذين تفرّقوا، وتهديد على التشبّه بهم.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ: نصب بما في «لهم» من معنى الفعل، أو بإضمار (أذكر).

وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف.

وقيل: يوسم أهل الحقّ ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة، وسعي النور بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك[١] وفي الأخبار دلالة على ذلك[٢].

فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ: أي فيقال لهم: «أكفرتم» والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم.

في مجمع البيان: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام): إنّهم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأُمّة[٣].

وعن الثعلبي في تفسيره: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال: والذي نفسي بيده ليردنّ عليّ الحوض ممّن صحبني أقوام حتى إذا رأيتهم اختجلوا[٤] دوني، فلأقولن: أصيحابي أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أعقابهم القهقهري[٥].

فَذُوقُوا الْعَذَابَ: أمر إهانة.

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ: بسبب كفركم.

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ: يعني الجنة والثواب المخلّد، عبّر

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٦ في تفسيره لقوله تعالى: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه».

(٢) لاحظ تفسير القمي: ج ١ ص ١٠٩ والبرهان: ج١ ص٣٠٨ والصافي: ج١ ص٣٤٠ في تفسير الآية.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٥ في تفسيره لقوله تعالى: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه».

(٤) في الهامش (اختلجوا أي اجتذبوا واقتطعوا، منه).

(٥) رواه في مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٥ نقلاً عن الثعلبي في تفسيره.

عن ذلك بالرحمة؛ تنبيهاً على أنّ المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله، لايدخل الجنة إلّا برحمته وفضله.

قيل: كان حقّ الترتيب أن يقدّم ذكرهم، ولكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم[١].

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أخرجه مخرج الاستئناف، للتأكيد، كأنّه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقال: هم فيها خالدون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الجارود، عن عمران بن هيثم، عن مالك بن ابي حمزة، عن أبي ذر (رحمه الله) قال: لما نزلت هذه الآية: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يرد عليّ امّتي يوم القيامة على خمس رايات، فراية مع عجل هذه الأُمّة، فأسألهم مافعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبضغناه وظلمناه، فأقول: ردوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم، ثم يرد عليّ راية مع فرعون هذه الأمّة فأقول لهم: مافعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه و مزّقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول: ردوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم، ثم يرد عليّ راية مع سامري هذه الأمة فأقول لهم: مافعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فخذلناه وضيّعناه، فأقول: ردوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم، ثم يرد عليّ راية ذي الثدية مع أوّل الخوارج وآخرهم فأسألهم مافعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فزّقناه وبرئنا منه وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه، فأقول: ردوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم، ثم يرد عليّ راية إمام المتّقين وسيّد المرسلين وقائد الغرّ المحجّلين ووصيّ رسول ربّ العالمين، فأقول لهم: مافعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٦ في تفسيره لقوله تعالى: «أما الذين ابيضت».

فأحببناه وواليناه ونصرناه حتى أهرقت فيه دماؤنا، فأقول: ردوا الجنة رواة مرويين مبيضّة وجوهكم، ثم تلا رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «يوم تبيض وجوه» ـ إلى قوله ـ «خالدون»[1].

وفي روضة الكافي: خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها: وعن يسار الوسيلة، عن يسار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ظلّة يأتي منها النداء، ياأهل الموقف طوبى لمن أحبّ الوصيّ وآمن بالنبيّ الأُمّي، والذي له الملك الأعلى لافاز أحد ولانال الروح والجنة إلّا من لقي خالقه بالإخلاص لهما والاقتداء بنجومها، فأيقنوا ياأهل ولاية الله ببياض وجوهكم وشرف مقعدكم وكرم مآبكم، وبفوزكم اليوم على سرر متقابلين، ويا أهل الانحراف والصدود عن الله ـ عزّ ذكره ـ ورسوله وصراطه وأعلام الأزمنة أيقنوا بسواد وجوهكم وغضب ربكم جزاء بما كنتم تعملون[2][3].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في حديث طويل يذكر فيه الوسيلة ومنزلته (صلّى الله عليه وآله) ومنزلة علي (عليه السلام) يقول فيه: فيأتي النداء من عندالله (عزّوجلّ) يسمع النبيّين وجميع الخلق: هذا حبيبي محمّد وهذا وليّي عليّ طوبى لمن أحبّه وويل لمن أبغضه وكذّب عليه، قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): ياعلي فلايبقى يومئذٍ في مشهد القيامة أحد يحبّك إلّا استروح إلى هذا الكلام، وابيضّ

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٩ في تفسيره لقوله تعالى: «وأما الذين ابيضت وجوههم» الآية.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٢٥ خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة.

(٣) (عن يسار الرسول ظلة) في بعض النسخ (ظلمة). (له الملك الأعلى) وهي الجنة والسعادة العظمى (والاقتداء بنجومها) المراد بها الأئمة (عليهم السلام)، لأنهم نجوم يهتدي بهم أهل الأرض في تيه الجهالة (فأيقنوا ياأهل ولاية الله ببياض وجوهكم) المراد بولاية الله ولايته وولاية من أمر بولايته. وفيه تبشير للتابعين له (عليه السلام) بقرب المنزلة وشرف المقام وتحريض لهم على المتابعة، كما أنّ مابعده إنذار للمخالفين ببعد المرتبة وسوء المقام وتخويف لهم عن المخالفة، لعلّه يتذكر من يتذكر ويخشى (شرح الروضة للعلامة المازندراني: ج١١ ص٢٤٢).

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

وجهه وفرح قلبه، ولايبق أحد ممّن عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلّا اسود وجهه واضطربت قدماه[1].

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ: الواردة في وعده ووعيده.

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ: متلبسة بالحق لاشبهة فيها.

وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ: إذ يستحيل منه الظلم، إذ فاعل الظلم إما جاهل بقبحه أو محتاج إلى فعله، وتعالى الله عن الجهل والحاجة.

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ: ملكاً وملكاً وخلقاً.

وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ: فيجازي بما وعده وأوعده.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ: كان مجردة عن الزمان وتعمّ الأزمنة، غير متخصص بالماضي كقوله: «وكان الله غفوراً رحيماً»[2].

وقيل: «كنتم» في علم الله، أو في اللوح المحفوظ، أو فيما بين الأمم المتقدمين[3].

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٩، باب ١٣٠ العلّة التي من أجلها صار علي بن أبي طالب قسيم الله بين الجنة والنار، ح ٦.
(٢) النساء: ١٥٢.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ج ١ ص ١٧٦ نقله في تفسيره لقوله تعالى: «كنتم خير امة».

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ: اظهرت لهم، أي لانتفاعهم. والمراد الأئمة (عليهم السلام).

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ: استئناف بيّن به كونهم خير أمّة، أو خبر ثان لـ«كنتم»، أو حال.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ: يتضمّن الإيمان بكلّ مايجب أن يؤمن به. إنّما يحقّ ويعتدّ به إذا حصل الإيمان بكلّ ما أُمر أن يؤمن به، وإنّما أخّره وحقّه أن يقدّم؟ لأنّه قصد بذكره الدلالة على أنّهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيماناً بالله وتصديقاً به وإظهاراً لدينه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قرأت على أبي عبدالله (عليه السلام) «كنتم خير امّة»، فقال أبوعبدالله (عليه السلام): خير أُمّة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليّ (عليهم السلام)؟! فقال القاري: جعلت فداك كيف نزلت؟ فقال: نزلت خير أئمّة اخرجت للناس[1]، ألاترى مدح الله لهم «تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[2].

وروى العياشي: عنه (عليه السلام) قال: في قراءة علي (عليه السلام)، كنتم خير أئمّة اخرجت للناس قال: هم آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)[3].

وفي تفسير العياشي: أبوبصير، عنه (عليه السلام) قال: قال: إنّما نزلت هذه

---

(١) قد تقدم ان المقصود هومورد النزول، اي أن المراد بالامة في هذه الآية ليست جميع الامة، بل البعض وهم الائمة فالخطاب وان كان عاماً، لكنّ المقصود هم القادة المسؤولون، بدليل وصفهم بالقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. اذ القيام بهذه الوظيفة انما هومن شؤون الزعامة وظيفة ذاتية اوّلية.. وهذا نظير الامر بقطع يد السارق وجلد الزاني ونحو ذلك، فان الخطاب وان كان عاماً، لكن المقصود بهذا التكليف هم اولياء الأمر لاغيرهم.

ومن ثم فان المصنف قال ـبصدد الجمعـ: أي بهذا المعنى نزلت..

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠ في تفسيره لقوله تعالى: «كنتم خير أمّة» الآية.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٢٨.

الآية على محمّد (صلّى الله عليه وآله) فيه وفي الأوصياء خاصة، فقال: أنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، هكذا والله نزل بها جبرئيل، وما عنى بها إلّا محمّداً وأوصياءه (عليهم السلام)[(١)].

وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: «كنتم خير أُمّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» قال: يعني الأُمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام)، فهم الأمّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها، وهم الأُمّة الوسطى، وهم خير أُمّة أُخرجت للناس[(٢)].

وفي كتاب المناقب لابن شهراشوب: وقرأ الباقر (عليه السلام): «أنتم خير أُمّة اخرجت للناس» بالألف إلى آخر الآية، نزل بها جبرئيل (عليه السلام)، وما عنى بها إلّا محمّداً وعلياً والأوصياء من ولده (عليهم السلام)[(٣)].

والجمع بين الأخبار بأنّ المراد بأنّ (أئمة نزلت) أي بهذا المعنى نزلت.

قال البيضاوي: واستدلّ بهذه الآية على أنّ الإجماع حجّة، لأنّها تقتضي كونهم آمرين بكلّ معروف وناهين عن كلّ منكر، إذ اللام فيهما للاستغراق، فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك[(٤)].

وفيه: أنّه إن أراد أنّ إجماع كلّ الأُمّة بحيث لايشذّ عنه أحد حجّة، فهذا ممّا لانزاع لأحد فيه، وحجّيته حينئذٍ باعتبار دخول المعصوم فيه، إذ لايخلو كلّ الأُمّة عن المعصوم. وإن أراد أنّ إجماع جماعة من الأُمّة على شيء حجّة، فإن خصّصهم بمن يكون المعصوم داخلاً فيهم فلانزاع أيضاً فيه. وإن أراد إجماع جماعة أيّ جماعة كانوا، فلادلالة في الآية عليه، إذ لادلالة فيها على أنّ كلّ جماعة من الأُمّة كلّ مايأمرون به، معروف، إذ كون اللام للاستغراق لايفيد إلّا أنّ مايأمر به الكلّ

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٢٩. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٣٠.

(٣) لم نعثر عليه في كتاب المناقب وذكره في البحار: الطبعة الحديثة ج ٢٤ باب ٤٦ أنهم (عليهم السلام) خيرامة وخيرأئمة اخرجت للناس ص ١٥٥ ح ١٢ نقلاً عن المناقب.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٦ في تفسيره لقوله تعالى: «كنتم خير أمة اخرجت للناس».

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ
ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا
بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ
ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟
يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

معروف، وأنّ ماينهى عنه الكلّ منكر، ولايفيد أنّ مايأمر به كلّ أحد، أو كلّ جماعة معروف، وأنّ كلّ ماينهى عنه كلّ أحد أو كلّ جماعة منكر.

وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ: بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) وما جاء به.

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم: ممّا هم عليه.

مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ: كعبدالله بن سلام وأصحابه.

وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ: المتمرّدون في الكفر.

وهذه الجملة معترضة، ولذا لم يعطف على الشرطيّة قبلها.

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى: أي ضرراً يسيراً، كطعن وتهديد.

وهذه أيضاً معترضة أخرى، ولم يعطف على الأُولى، لبعد بينهما،وكون كلّ منهما نوعاً آخر من الكلام.

وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ: ينهزموا ولايضرّوكم بقتل وأسر.

ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ: ثم لايكون أحد ينصرهم عليكم، أو يدفع بأسكم عنهم.

وقرئ«لاينصروا»عطفاً على «يولوا» على أنّ «ثم» للتراخي في المرتبة، فيكون عدم النصر مقيّداً بقتالهم. وكان الأمر كذلك، إذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر.

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: تمثيل، أي أحاطت بهم إحاطة البيت المضروب على أهله.

و«الذلّة» هدر النفس والمال والأهل، أو ذلّة التمسّك بالباطل والجزية، أو كلاهما.

﴿أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: وجدوا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا» قال: إنّها نزلت في الذين غصبوا حقوق آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)[١].

﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: استثناء من أعمّ عامّ الأحوال، أي ضربت عليهم الذلّة في عامّة الأحوال إلّا في حال اعتصامهم، أو تلبّسهم بحبل الله وحبل من الناس.

وفي تفسير العياشي: عن يونس بن عبدالرحمن، عن عدة من أصحابنا رفعوه إلى أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله: «إلّا بحبل من الله وحبل من الناس» قال: الحبل من الله كتاب الله، والحبل من الناس علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢].

وفي كتاب نهج الإمامة: روى أبو عبدالله الحسين بن جبير، صاحب كتاب النخب: حدّثنا مسنداً إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله: «ضربت عليهم الذلّة أينما ثقفوا إلّا بحبل من الله و حبل من الناس» قال: حبل من الله كتاب الله وحبل من الناس علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٣].

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين له.

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾: واليهود في غالب الأمر مساكين فقراء.

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير علي بن إبراهيم في تفسيره للآية الشريفة على هذا، نعم وجدناه في ج ١ ص ١٧٠ من سورة المائدة عند تفسيره لقوله تعالى: «من يرتد منكم عن دينه» قال: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وارتدّوا عن دين الله.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣١.

(٣) لم نعثر على كتاب نهج الإمامة ولا على كتاب آخر ينقل عنه ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

ذَٰلِكَ: أي عدم إيمانهم المشار إليه بقوله: «وأكثرهم الفاسقون» العلّة لضرب الذلّة والمسكنة عليهم.

وقيل: إشارة إلى ماذكر من ضرب الذلّة والمسكنة والبوء بالغضب.

بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: أي اعتياد سابقهم صار سبباً لذلك الآن.

وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ: والتقييد به مع أنّه لايكون إلّا كذلك، للدلالة على أنّه لم يكن حقاً بحسب اعتقادهم أيضاً، أو للدلالة على أنّ القتل إنّما يكون قبيحاً إذا كان بغير حقّ، ولو كان بالحقّ وعلى الحقّ فليس بقبيح، ولو فرض قتل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بهذه الصفة، لإزالة ما يختلج في صدورهم من قتل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) الناس على اتباع الحقّ.

ذَٰلِكَ: أي الكفر والقتل.

بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ: بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله، فإنّ الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر، والاستمرار عليها يؤدّي إلى الكفر.

وقيل: إن معناه: أنّ ضرب الذلّة في الدنيا واستيجاب العذاب في الآخرة، كما هو مسبب بكفرهم وقتلهم، فهو مسبّب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث أنّهم مخاطبون بالفروع أيضاً[١].

وفي اصول الكافي: يونس، عن ابن سنان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) وتلا هذه الآية: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله» الآية، قال: والله ماقتلوهم بأيديهم، ولاضربوهم بأسيافهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأُخذوا عليها فقتلوا فصار اعتداء ومعصية[٢][٣].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص١٧٧ نقله في تفسيره لقوله تعالى: «ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

(٢) قوله: ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها إلخ أي فصارت الإذاعة من حيث أنّه سبب القتل، قتلاً، ومن حيث أنّه ظلم على المقتول وإعانة للقاتل، اعتداء، ومن حيث أنّه لايجوز عند احتمال الضرر، معصية، فالمذيع متصف بهذه الثلاثة (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٠ ص ٢٧).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٧١ باب الإذاعة، ح ٦.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ
اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

لَيْسُوا سَوَاءً: في المساءة والحسنة، والضمير لأهل الكتاب.

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ: استئناف لبيان نفي الاستواء، والقائمة: المستقيمة العادلة، من أقمت العود فقام، وهم الذين أسلموا منهم، ووضع المظهر موضع المضمر، تنبيهاً على أنّ كونهم من أهل الكتاب لايصير سبب ماصيّروه سبباً له، بل سبب الانقياد والإسلام كما فعله اضرابهم.

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ: يتلون القرآن في تهجّدهم، عبّر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح.

وقيل: المراد صلاة العشاء، لأنّ أهل الكتاب لايصلّونها[1].

وفي كتاب الخصال: عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لاحسد إلّا في اثنين، رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم آناء الليل وآناء النهار[2].

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٩ في تفسيره لقوله تعالى: «يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون».

(٢) الخصال: ص ٧٦ باب الاثنين، ح ١١٩.

﴿ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: صفات أخر لأمّة وصفهم بصفات ليست في اليهود، فإنهم منحرفون عن الحقّ، غير متعبّدين بالليل، مشركون بالله، ملحدون في صفاته، واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته، مداهنون في الاحتساب، متباطئون في الخيرات.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي الموصوفون بتلك الصفات ممّن صلحت أحوالهم عندالله واستحقّوا رضاه وثناءه.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يضيع ولاينقص ثوابه. سمى ذلك كفراناً كما سمى توفية الثواب شكراً.

وتعديته إلى المفعولين لتضمّنه معنى الحرمان.

وقرأ حفص وحمزة والكسائي «وما يفعلوا من خير فلن يكفروه» بالياء والباقون بالتاء[١].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أحمد بن أبي عبدالله البرقي يرفعه الى أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: إنّ المؤمن مكفّر، وذلك أن معروفه يصعد إلى الله فلاينتشر في الناس، والكافر مشهور، وذلك أن معروفه للناس، ينتشر في الناس ولايصعد إلى السماء[٢].

وبإسناده إلى السكوني: عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يدالله تعالى فوق رؤوس المكفّرين ترفرف بالرحمة[٣].

أخبرني علي بن حاتم قال: حدّثنا أحمد بن محمد قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل قال: حدّثني الحسين بن موسى، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده[٤] علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال:

---

(١) وقرئ «يفعلوا ويكفروه» بالياء والتاء، الكشاف: ج ١ ص ٤٠٣.

(٢و٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٦٠ باب ٣٥٣ العلّة التي من أجلها صار المؤمن مكفّراً، ح١و٢.

(٤) في النسخة ـ ا ـ: (... عن جده عن علي بن الحسين) وهو خطأ والصحيح ماأثبتناه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ .

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكفَراً لايُشكر معروفه، ولقد كان معروفه على القرشيّ والعربيّ والعجميّ، ومن كان أعظم معروفاً من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على هذا الخلق؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفّرون لايُشكر معروفنا، وخيار المؤمنين مكفّرون لايُشكر معروفهم[1].

فما في الآية من أنّ «مايفعلوا من خير فلن يكفروه» بمعنى ترك الجزاء على الخير كما بيّن، وإلّا فالخير من المؤمنين مكفّر كما في الخبر.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ: بشارة لهم، وإشعار بأنّ التقوى مبدأ الخير و حسن العمل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا: من النفع، أو شيئاً من الغنى، وهو بالفتح بمعنى النفع، فيكون مصدراً. وقيل: من العذاب، وهو يصحّ بتضمين معنى الإبعاد.

وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ: ملازموها.

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ: وعيد لهم.

مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ: ماينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة، أو المنافقون رياءً و خوفاً.

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٦٠ باب ٣٥٣ العلّة التي من أجلها صار المؤمن مكفّراً ح ٣.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: أي لأجلها.

كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ: برد شديد، والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصرصر، فهو في الأصل مصدر نعت به، أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك: برد بارد.

أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ: بالكفر والمعاصي.

فَأَهْلَكَتْهُ: عقوبة لهم، لأنّ إهلاك من سخط أشد.

والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه، بحرث كفار ضربته صرّ، فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركّب، ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه بالريح دون الحرث. ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث.

وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ: أي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها، أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة، أو ما ظلم المنفقين وأصحاب الحرث كليهما ولكنهم ظلموا أنفسهم.

وقرئ ولكنّ أي ولكن أنفسهم يظلمونها، ولا يجوز أن يقدّر ضمير الشأن، لأنّه لا يحذف إلّا في الشعر كقوله:

ولكنّ من يبصر جفونك يعشق[1].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً: وليجةً وهو الذي يعرّفه الرجل أسراره

---

(١) تمامه:

←

ثقة به، شبّه ببطانة الثوب كما شبّه بالشعار في قوله (صلّى الله عليه وآله): الأنصار شعار والناس دثار[1].

مِن دُونِكُمْ: من دون المسلمين، وهو متعلّق بـ«لا تتخذوا» أو بمحذوف هو صفة «بطانة» أي بطانة كائنة من دونكم، أو حالاً عن بطانة، إن جوّز تنكير ذي الحال.

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا: أي لايقصّرون لكم في الفساد، والإلو، التقصير، وأصله أن يعدّى بالحرف ثم عدّي إلى مفعولين كقوله: لا آلوك نصحاً على تضمين معنى

وما كنت ممّن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

وقال محيي الدين شيخ زاده في حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي: ج ١ ص ٦٦٤: إنّ البيت للمتنبي ولم نعثر عليه في ديوانه.

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وابن ماجة و أحمد في سننه ومسنده، بألفاظ وتعابير مختلفة، وإليك بعض مانتلوه عليك: (عن زيد بن عاصم قال: لمّا أفاء الله على رسوله يوم حنين ما أفاء قال: قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يقسم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرّقين فجمعكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟قال: فكلّماقال شيئاًقالوا: الله ورسوله آمن، قال: ماعنعكم أن تجيبوني! قالوا: الله ورسوله آمن قال: لو شئتم لقلتم جئتنا كذا وكذا، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرئ من الأنصار، لو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، الأنصار شعار والناس دثار، وإنكم ستلقون بعدي إثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض (مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٤٢).

وعن أنس بن مالك أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهل بن عمرو في الآخرين يوم حنين، فقالت الأنصار: يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالغنم، فبلغ ذلك النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، فجمعهم في قبّة له حتى فاضت، فقال: أفيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، إلّا ابن أختنا قال: ابن أخت القوم منهم، ثم قال: أقلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم، قال: أنتم الشعار والناس الدثار، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى دياركم؟ قالوا: بلى، قال: الأنصار كرشي وعيبتي، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرئ من الأنصار، وقال حمّاد: أعطى مائة من الإبل يسمي كلّ واحد من هؤلاء (مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٢٤٦).

هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ
بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

المنع أو النقص.

وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ: تمنّوا عنتكم، وهو شدّة الضرر والمشقّة، و«ما» مصدرية.

قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ: أي في كلامهم، لأنّهم لايتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم.

وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ: ممّا بدا، لأنّ بدوه ليس عن رويّة واختيار.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ: الدالّة على وجوب الإخلاص، وهو موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ: مابيّن لكم، أو كنتم من أهل العقل والفهم.

والجمل الاربع مستأنفات على التعليل، ويجوز أن يكون الثلاث الأُول صفات لـ«بطانة» وحينئذٍ فالأنسب أن تكون الرابعة حالاً من الضمير المضاف إليه، للأفواه.

هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ: أي أنتم اولاء المخاطبون في موالاة الكفار وتحبّونهم، ولايحبّونكم. بيان لخطئهم في موالاتهم، أو خبر ثان، أو خبر لأُولاء، والجملة خبر (أنتم) كقولك: أنت زيد تحبّه، أو صلته، أو حال والعامل فيها معنى الإشارة. ويجوز أن ينتصب بفعل يفسّره مابعده وتكون الجملة خبراً.

وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ : بجنس الكتاب.

كُلِّهِۦ: كتابكم وكتابهم، معطوف على ماقبله، وقيل: حال من «لايحبونكم» والمعنى أنّهم لايحبّونكم والحال أنّكم تؤمنون بكتابهم أيضاً، فما بالكم تحبّونهم وهم لايؤمنون بكتابكم.

وفيه توبيخ بأنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقّكم.

ويحتمل أن يكون المعنى، والله أعلم، أنّكم تؤمنون بالكتاب كلّه وهم ليسوا بمؤمنين بكتابهم أيضاً، فضلاً عن كتابكم، فهذا منشأ العداوة في الدين، لا المحبّة، فلم تحبّونهم؟

وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا: نفاقاً وتغريراً.

وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ: من أجل الغيظ تأسّفاً وتحسّراً، حيث رأوا إئتلافكم واجتماع كلمتكم ولم يجدوا إلى التشفّي سبيلاً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «عضوا عليكم الانامل من الغيظ» قال: أطراف الأصابع[1].

قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ: دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوّة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ: من خير أو شرّ فيعلم مافي صدورهم من البغضاء والحنق، و هو يحتمل أن يكون من المقول، أي و قل لهم: إنّ الله عليم بما هو أخفى ممّا تخفونه من عضّ الأنامل غيظاً، وأن يكون خارجاً عنه، بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجّب من اطلاعي إيّاك على أسرارهم فإنّي عليم بالأخفى من ضمائرهم.

و«ذات الصدور» الصور العلميّة المتمكّنة في الصدور، والمراد بالصدور، محلّ العلوم.

إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ: نعمة من (الفقه)[2] أو ظفر على الأعداء.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠.

(٢) كذا في النسخة ـ أ ـ والظاهر أنّها تصحيف، والصحيح (إلفة).

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

تَسۡؤُهُمۡ: والمسّ مستعار للإصابة.
وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٌ: محنة من فرقة أو إصابة عدو منكم.
يَفۡرَحُواْ بِهَا: لتناهي عداوتهم.
وَإِن تَصۡبِرُواْ: على عداوتهم، أو على مشاقّ التكاليف.
وَتَتَّقُواْ: موالاتهم، أو ماحرّم الله عليكم.
لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا: لما وعد الله الصابرين والمتقين الصبر.
وضمّت الراء للاتباع.
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب، لايضركم، من ضارّه يضيره.
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ: من الصبر والتقوى وغيرهما.
مُحِيطٌ: بعلمه وقدرته، فجازيكم بما أنتم أهله.
وقرئ بالياء، أي بما يعملون في عداوتكم عالم، فيعاقبهم عليه.
وَإِذۡ غَدَوۡتَ: أي واذكر إذ غدوت، من غدا عليه بكّر.
مِنۡ أَهۡلِكَ: قيل: من حجرة عائشة[1].
تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ: تنزلهم، أو تسوّي وتهيئ لهم، وتؤيده القراءة باللام.
مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ: مواقف وأماكن له، وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع، وإذا استعمل في أماكن الحرب أريد به الإشارة إلى وجوب الثبات فيها.
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ: لأقوالكم

---

(١) الكشاف: ج ١ ص ٤٠٨ في تفسيره لقوله تعالى: «وإذ غدوت من أهلك» قال: من حجرة عائشة.

عَلِيمٌ: بنيّاتكم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سبب نزول هذه الآية أنّ قريشاً خرجت من مكة يريدون حرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يبتغي موضعاً للقتال[1].

وفي مجمع البيان: عن علي بن إبراهيم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كان سبب غزاة أُحد أنّ قريشاً لمّا رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر ـ لأنّه قتل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون ـ قال أبو سفيان: يامعشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإنّ الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمّد ويشمت بنا محمّد وأصحابه، فلمّا غزوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم أحد أذنوا لنسائهم بالبكاء والنوح، فلمّا أرادوا أن يغزوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى أُحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها وجمع الجموع والسلاح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثثنهم على حرب رسول الله، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية، فلمّا بلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك جمع أصحابه وحثّهم على الجهاد، فقال عبدالله بن أبي وقومه: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقّتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا على عدوّنا قط إلّا كان لهم الظفر علينا.

فقام سعد بن معاذ (رحمه الله) وغيره من الاوس فقالوا: يا رسول الله ماطمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يظفرون بنا وأنت فينا، لاحتى نخرج إليهم ونقاتلهم، فمن قتل منّا كان شهيداً، ومن نجى منّا كان مجاهداً في سبيل الله، فقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رأيه، وخرج مع نفر من أصحابه

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠ في تفسيره لقوله تعالى: «وإذ غدوت من أهلك».

يتبوّؤن موضع القتال، كما قال سبحانه «وإذ غدوت من أهلك» الآية.

وقعد عنه عبدالله بن أبي وجماعة من الخزرج ابتغوا رأيه.

ووافت قريش إلى أحد، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عبّأ أصحابه، وكانوا سبعمائة رجل، فوضع عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب.

وأشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال (صلّى الله عليه وآله) لعبدالله بن جبير وأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة، فلا تبرحوا من هذا المكان وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم.

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم.

فلما أقبلت الخيل واصطفّوا وعبّأ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أصحابه ودفع الراية إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام) فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، و وقع أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في سوادهم وانحطّ خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبدالله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام، فرجع ونظر أصحاب عبدالله بن جبير إلى أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبدالله بن جبير: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلاغنيمة، فقال لهم عبدالله: اتقوا الله، فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد تقدّم إلينا ألّا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم، وبقي عبدالله بن جبير في اثني عشر رجلاً.

وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبديّ من بني عبدالدار، فقتله علي (عليه السلام) فأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله عليّ (عليه السلام) وسقطت الراية، فأخذها شافع بن طلحة، فقتله، حتى قتل تسعة من بني عبدالدار، حتى صار لواؤهم إلى عبد لهم أسود يقال له: صواب، فانتهى إليه عليّ (عليه السلام) فقطع يده، فأخذ الراية باليسرى فضرب يسراه فقطعها، فاعتنقها

بالجذماوين[١] إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال: هل أعذرت في بني عبدالدار؟ فضربه عليّ (عليه السلام) على رأسه فقتله، فسقط اللواء، فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانيّة فرفعتها، وانحطّ خالد بن الوليد على عبدالله بن جبير وفرّقوا أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب، ثم أتى المسلمين من أدبارهم، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت، فلاذوا بها، وانهزم أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هزيمة عظيمة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه، فلمّا رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، وقال: أنا رسول الله إليّ، إلى أين تفرّون عن الله تعالى وعن رسوله.

قال وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر، وكلّما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلة، وقالت: إنّما أنت امرأة فاكتحل بهذا.

وكان حمزة بن عبدالمطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشيّاً عهداً لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة لأعطيتك كذا وكذا، وكان وحشيّ ـ عبدالجبير بن مطعم ـ حبشيّاً، فقال وحشيّ: أمّا محمد فلا أقدر عليه، وأمّا علي فرأيته حذراً كثير الالتفات فلامطمع فيه، فكمن لحمزة، قال: فرأيته يهدّ الناس هدّاً فمرّ بي فوطأ على جرف نهر، فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميتها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنته[٢] فسقط، فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده، وجئت به إلى هند، فقلت: هذه كبد حمزة فأخذتها فلاكتها، فجعلها الله في فمها مثل الداعضة، وهي عظم رأس الركبة، فلفظتها ورمت بها.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فبعث الله ملكاً فحمله وردّه إلى موضعه.

قال: فجاءت إليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه، وقطعت يده ورجله.

ولم يبق مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلّا أبو دجانة سماك بن خرشة

---

(١) الأجذم مقطوع اليد (مجمع البحرين لغة جذم) والجذماوان بالجيم والذال المعجمة اليدان المقطوعتان (كذا في الهامش).

(٢) الثنة بالضمّ العانة (كذا في هامش مجمع البيان).

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

وعليّ (عليه السلام) فكلّما حملت طائفة على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) استقبلهم عليّ (عليه السلام) فدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيفه ذوالفقار، وانحاز رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى ناحية أُحد، فوقف، وكان القتال من وجه واحد، فلم يزل عليّ (عليه السلام) يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة، قال: فقال جبرئيل (عليه السلام): إن هذه لهي المواساة يا محمّد، فقال له: إنّه منّي وأنا منه.

وقال الصادق (عليه السلام): نظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسيّ من ذهب، وهو يقول: لاسيف إلّا ذوالفقار ولافتى إلّا عليّ[1].

وروى أنّ سبب انهزامهم نداء إبليس فيهم: أنّ محمّداً قد قتل، وكان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حينئذٍ في زحام الناس وكانوا لايرونه[2].

إِذْ هَمَّت: متعلق بقوله «سميع عليم» أو بدل من «إذ غدوت».

طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ: في تفسير علي بن إبراهيم: يعني عبدالله بن أبي وأصحابه وقومه[3].

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٩٥ إلى ٤٩٧ في تفسيره لقوله تعالى: «وإذ غدوت من أهلك» الآية. باختلاف في بعض ألفاظه.

(٢) الصافي: ج ١ ص ٣٤٨ في تفسيره لقوله تعالى: «وإذ غدوت» الآية.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠ قال: نزلت في عبدالله بن أبي وقوم من أصحابه اتبعوا رأيه في ترك الخروج والقعود عن نصرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

قال البيضاوي: هما بنو سلمة من الخزرج، وبنو الحارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر[١].

وفي مجمع البيان عنهما (عليهما السلام): هما بنو سلمة وبنو حارثة، حيّان من الأنصار[٢].

أَن تَفْشَلَا: أن تجبنا وتضعفا.

قيل: روي أنّه (عليه السلام) خرج في زهاء ألف فارس ووعدهم النصر إن صبروا، فلمّا بلغوا الشوط[٣] انخزل ابن أُبي في ثلاثمائة وقال: على مَ نقتل أنفسنا وأولادنا، فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال: أنشدكم في نبيّكم وأنفسكم، فقال ابن أُبي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فهمّ الحيّان باتباعه، فعصمهم الله، فمضوا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

ثم قال ذلك القائل: والظاهر أنّه ماكان عزيمة، لقوله:

وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا: أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة.

قال: ويجوز أن يراد، والله وليهما فما لهما يفشلان[٤]

وفي الرواية التي قدمناها ماينافي ذلك من أنّ عبدالله بن أُبي قعد عنه وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ: فليعتمدوا عليه في الكفاية، لاعلى غيره، لينصرهم كما نصرهم ببدر.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ: تذكير ببعض ما أفادهم التوكّل.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٠ في تفسيره لقوله تعالى: «طائفتان منكم».

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٩٥ في نقل المعنى لقوله تعالى: «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا» رواه عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام).

(٣) الشوط اسم حائط من بساتين المدينة (مجمع البحرين: ج٤ ص ٢٥٩ لغة شوط).

(٤) من قوله: قيل: إلى هنا من كلام (البيضاوي): ج ١ ص ١٨٠، لاحظ تفسيره لقوله تعالى: «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا» الآية.

((وبدر)) اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمّي به[١][٢].

وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ: حال من المفعول.

وإنّما قال ((أذلّة)) دون ذلائل، ليدلّ على قلّتهم مع ذلّتهم، لضعف الحال وقلّة المراكب والسلاح.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال أبو عبدالله (عليه السلام): ما كانوا أذلّة وفيهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وإنّما نزل[٣] ((ولقد نصركم الله ببدر وأنتم الضعفاء))[٤].

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير قال: قرأت عند أبي عبدالله (عليه السلام): ((ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة)) فقال: مه ليس هكذا أنزلها الله، إنّما انزلت: وأنتم قليل[٥][٦]

---

(١) كذا في التفاسير، لاحظ مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٩٨، والبيضاوي: ج ١ ص ١٨٠، والكشاف: ج١ص٤١١وغيرها في تفسيرهم للآية.

(٢) بدر بالفتح ثم السكون، ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة، ويقال: إنّه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه، وقال الزبير بن بكار: قريش بن الحارث بن يخلد، به سميت قريش فغلب عليها، وابنه بدر بن قريش به سمّيت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة، لأنّه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، ولما قتل من قتل من المشركين ببدر وجاء الخبر إلى مكة ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمّداً وأصحابه، فيشمتوا بكم، وبين بدر والمدينة سبعة برد، وبدر الأولى والثانية كلّه موضع واحد، وقد نسب إلى بدر جمع من شهدها من الصحابة الكرام (تلخيص من معجم البلدان: ج ١ ص٣٥٧ في بدر).

(٣) لايذهب الوهم الى ارادة التغيير في النص.. بل ارادة التفسير أي ليس المراد من الذلة في الآية هو الوهن في العزيمة، بل القلة في العدد. ومن ثم قال المصنف في توجيه هذه الروايات: ان الآية ماانزلت بمعنى انتم اذلة في الواقع، بل بهذا المعنى، اي بمعنى انتم ضعفاء او انتم قليل ونحو ذلك.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٢ في تفسيره لقوله تعالى: ((ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)).

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣٣.

(٦) المراد: انها نزلت بهذا المعنى.. أي لم تنزل الاية لتدل على ارادة الذلة بمعنى الصغار والحقارة، بل نزلت ←

﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾

عن ربعي بن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قرأ ولقد نصكرم الله ببدر وأنتم ضعفاء وما كانوا أذلّة ورسول الله فيهم (عليه وآله السلام)[1].

وفي رواية: ما أذلّ الله رسوله قط، وإنّما انزلت: وأنتم قليل[2].

ومعنى هذه الأخبار: أنّ الآية ما أنزلها الله، بمعنى انتم أذلّة في الواقع، بل بهذا المعنى.

والأخبار التي دلّت على أنّ عدّتهم كانت ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً قد مرّت.

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ: في الثبات.

لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ: ما أنعم به عليكم.

إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ: ظرف لنصركم الله، وقيل: بدل ثان من «إذ غدوت» على أنّ قوله لهم ذلك يوم أُحد، وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة، فلمّا لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول (صلّى الله عليه وآله)، لم تنزل الملائكة.

أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ: إنكار

بمعنى القلة والضعف.

وهكذا فهم المصنف المفسّر رحمه الله.. قال: ومعنى هذه الاخبار: ان الآية ماانزلها الله بمعنى انتم اذلة في الواقع، بل بهذا المعنى..

الامر الذي يدلّنا بوضوح على ان صاحب التفسير كان ممن لايرى التحريف في كتاب الله وكان لايأخذ بظاهر رواياتٍ قد يتشبث بها من يروقه القول بذلك.

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣٥.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ قطعة من ح ١٣٤.

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾

أن لا يكفيكم ذلك، وإنّما جيء بـ «لن»، إشعاراً بأنّهم كانوا لآيسين من النصر، لضعفهم وقلّتهم وقوّة العدو وكثرتهم.

وقرأ ابن عامر «منزلين» بالتشديد، للتكثير، أو للتدريج.

قيل: أمدّهم الله يوم بدر، أولاً بألف من الملائكة، ثمّ صاروا ثلاثة آلاف، ثمّ صاروا خمسة آلاف[1].

بَلَىٰٓ: إيجاب لما بعد «لن» أي بلى يكفيكم، ثمّ وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثاً عليها وتقوية لقلوبهم، فقال:

إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم: أي المشركون.

مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا: من ساعتهم هذه. وهو في الأصل مصدر فارت القدر، إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثمّ أطلق للحال التي لا ريب فيها ولا تراخي، أي يأتي المشركون في الحال.

يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ: بلا تراخ وتأخير.

مُسَوِّمِينَ: معلمين، من التسويم الذي هو إظهار سيماء الشيء، أو مرسلين من التسويم بمعنى الأسامة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو.

وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر[2].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٠ في تفسيره لقوله تعالى: «ألن يكفيكم أن يمدكم».

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣٦.

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾

وعن ضريس بن عبدالملك، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ الملائكة الذين نصروا محمّداً (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر، في الأرض، ماصعدوا بعد ولايصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر، وهم خمسة آلاف[1].

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ: وما جعل إمدادكم بالملائكة.

إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ: إلّا بشارة لكم بالنصر.

وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ: ولتسكن إليه من الخوف.

وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ: لامن العدّة والعدد.

وفيه تنبيه على أنّه لاحاجة إلى مدد، إنّما أمدّهم ووعد لهم بشارة لهم وربطاً على قلوبهم، من حيث أنّ نظر العامّة إلى الأسباب أكثر، وحثّاً على أن لايبالوا بمن تأخر عنهم.

ٱلْعَزِيزِ: الذي لايغالب في أقضيته.

ٱلْحَكِيمِ: الذي ينصر ويخذل على مقتضى الحكمة والمصلحة.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟: متعلق بـ «نصركم» أو «وما النصر» إن كان اللام فيه للعهد.

والمعنى: لينقص منهم بقتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم.

أَوْ يَكْبِتَهُمْ: يخزيهم، والكبت شدّة الغيظ، أو وهن يقع في القلب، و«أو» للتنويع دون الترديد.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٣٨.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ: فينهزموا منقطعي الآمال.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ: جملة معترضة.

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ: إمّا عطف على «يكبتهم» والمعنى أنّ الله مالك أمرهم، فأمّا أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا. أو يعذّبهم إن أصرّوا، وليس لك من أمرهم شيء، وإنّما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم، أو معطوف على الأمر، أو «شيء» بإضمار أن، أي ليس لك من أمرهم، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم شيء. أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم.

ويحتمل أن يكون «أو» بمعنى (ألّا أن) أي ليس لك من أمرهم شيء إلّا أن يتوب الله عليهم فتسرّ به، أو يعذّبهم فتشفّى منهم.

وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قرأ «ليس لك من الأمر شيء أن يتب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون»[١].

وفيه عن الباقر (عليه السلام) أنّه قرأ: «أن تتوب عليهم أو تعذبهم»[٢] بالتاء فيهما.

وعلى هذا تكون «أن» بتأويل المصدر بدلاً عن شيء.

فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ: قد استحقّوا العذاب بظلمهم.

وفي تفسير العياشي: عن جابر الجعفي قال: قرأت عند أبي جعفر (عليه السلام): «ليس لك من الأمر شيء» قال: بلى والله، إنّ له من الأمر شيئاً وشيئاً

---

(١) و(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٤١ أورد الحديثين تحت رقم واحد، وأورد اختلافهما برمز (خ ل).

وشيئاً، وليس حيث ذهبت، ولكني أخبرك أنّ الله (تبارك وتعالى) لمّا أخبر نبيّه أن يظهر ولاية عليّ (عليه السلام)، ففكّر في عداوة قومه له ومعرفته بهم وذلك الذي فضّله الله به عليهم في جميع خصاله[1] وحسدهم له عليها، ضاق عن ذلك، فأخبر الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء، إنّما الأمر فيه إلى الله أن يصير علياً وصيّه وولي الأمر بعده، فهذا عنى الله، وكيف لايكون له من الأمر شيء، وقد فوّض الله إليه أن جعل ما أحلّ فهو حلال وما حرّم فهو حرام، قوله: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[2][3].

وعن جابر قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): قوله لنبيّه «ليس لك من الأمر شيء» فسّره لي؟ فقال: ياجابر إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان حريصاً أن يكون عليّ (عليه السلام) من بعده على الناس، وكان عندالله خلاف ما أراد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: قلت: فما معنى ذلك؟ قال: نعم عنى بذلك قول الله لرسوله (صلّى الله عليه وآله): «ليس لك من الأمر شيء» يامحمد في عليّ، الأمر إليّ في عليّ وفي غيره، ألم أنزل عليك فيما أنزلت من كتابي إليك «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون» الآيات[4] قال: ففوّض رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الأمر إليه[5].

ومعنى قوله (عليه السلام): (أن يكون عليّ بعده على الناس) أن يكون خليفة له عليهم في الظاهر أيضاً من غير دافع له.

قال البيضاوي: روي أن عتبة بن أبي وقاص شجّه يوم أُحد وكسر رباعيّته، فجعل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يمسح الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم

---

(١) سقط هنا من بعض النسخ المخطوطة مالفظه (كان أول من آمن برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومن أرسله، وكان أنصر الناس لله ولرسوله، وأقتلهم لعدوهما وأشدّهم بغضاً لمن خالفهما، وفضل علمه الذي لم يساوه أحد، ومناقبه التي لاتحصى شرفاً، فلما فكّر النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في عداوة قومه له في هذه الخصال).

(٢) الحشر: ٧. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٣٩. (٤) العنكبوت: ٢.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٤٠ مع تفاوت يسير وزيادة ونقيصة، فلاحظ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾

خضّبوا وجه نبيّهم بالدم فنزلت.

وقيل: همّ أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى، لعلمه بأنّ فيهم من يؤمن[1].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً، فله الأمر كلّه.

﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: فيه دلالة على نفي وجوب التعذيب.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لعباده، فلا تبادر إلى الدعاء عليهم.

في مجمع البيان: قيل: إنّما أبهم الله الأمر في التعذيب والمغفرة، ليقف المكلّف بين الخوف والرجاء، ويلتفت إلى هذا قول الصادق (عليه السلام): لووزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾: لا تزيدوا زيادات مكرّرة.

ولعلّ التخصيص بحسب الواقع، إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أُخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون.

وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب «مضعفة».

---

(١) انوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨١ في تفسيره لقوله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء».

(٢) مجمع البيان: ج٢ ص ٥٠٢ في نقل المعنى لقوله تعالى: «يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء».

وفي مجمع البيان: ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علّمها الله وذكر فيه وجوه منها أن يدعو الى مكارم الاخلاق بالإقراض وإنظار المعسر من غير زيادة وهو المرويّ عن أبي عبدالله (عليه السلام)[١].

وَاتَّقُوا اللَّهَ: فيما نهيتم عنه.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: راجين الفلاح.

وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ: بالتحرّز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم.

قال البيضاوي: وفيه تنبيه على أنّ النار بالذات معدّة للكافرين، وبالعرض للعصاة[٢].

أقول: فيه تنبيه على أنّ النار معدّة للكافرين، وكلّ من عذّب بالنار من العصاة إنّما يعذّب إذا آل عصيانهم إلى الكفر، وأمّا إذا لم يؤل إليه فلا يعذب بالنار، لأنّها اعدت للكافرين، فلايعذب بها غيرهم، وإلّا لكان معداً لهم ولغيرهم، فلايصدق اعدّت للكافرين، إلّا أن يقال: المراد بالنار نار معهودة معدّة لهم، فلايعذب بها غيرهم أيضاً[٣].

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ: بإطاعتهما. ولعلّ وعسى في أمثال ذلك يدلّ على عزّة التوصّل إلى ما جعل خيراً لهما[٤].

° ° °

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٥٠٢.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: «واتقوا النار التي اعدت للكافرين».

(٣) من أراد تفصيل هذه الأسئلة والأجوبة فليراجع التبيان ط بيروت: ج ٢ ص ٥٨٨ في تفسيره للآية، والتفسير الكبير لفخرالدين الرازي: ج ٩ ص ٢ في تفسيره للآية، وكذا بعض التفاسير الاخر.

(٤) قال في الكشاف: ج ١ ص ٤١٤: وفي ذكره تعالى «لعل» و«عسى» في نحو هذه المواضع ـ وإن قال الناس ماقالوا ـ مالايخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضى الله، وعزّة التوصّل إلى رحمته وثوابه.

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤

وَسَارِعُوٓاْ: بادروا. وقرأ ابن عامر ونافع «سارعوا» بلا واو.

إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ: بارتكاب أسبابها، كالإسلام والتوبة والإخلاص.

وفي مجمع البيان: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) إلى اداء الفرائض[1].

وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ: أي عرضها كعرضها.

وفي تفسير العياشي: عن داود بن سرحان، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا وضعوهما كذا، وبسط يديه إحداهما على الأخرى[2].

وفي مجمع البيان: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه سئل إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار؟ فقال: سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل[3].

ومعناه أنّ القادر على أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النار حيث يشاء.

أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ: هيئت لهم.

وفي كتاب الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه: سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات

---

(١) مجمع البيان: ج٢ ص ٥٠٣ في نقل المعنى لقوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم».

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص١٩٨ ح ١٤٢.

(٣) مجمع البيان: ج٢ ص ٥٠٤ في نقل المعنى لقوله تعالى: «وجنة عرضها السماوات والأرض».

والأرض أعدّت للمتقين فإنكم لن تنالوها إلّا بالتقوى[١].

وفي الآية دلالة على أنّ الجنة مخلوقة خارجة عن هذا العالم.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾: صفة مادحة للمتقين، أو منصوب، أو مرفوع على المدح.

﴿فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: في حالتي الرخاء والشدّة، أو الأحوال كلها، إذ الإنسان لايخلو عن مسرّة أو مضرّة، أي لايخلون في حال ماعن إنفاق مامن قليل أو كثير.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: الممسكين عليه، الكافّين عن إمضائه مع القدرة، من كظمت القربة، إذا ملأتها وشددت رأسها.

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، عن مالك بن حصين السكوني قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): مامن عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله (عزّوجلّ) عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله (عزّوجلّ): «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» وأثابه الله مكان غيظه ذلك[٢].

عدّة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة قال: حدّثني من سمع أبا عبدالله يقول: من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه[٣][٤].

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ثلاث خصال من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان، من صبر على الظلم وكظم غيظه واحتسب وعفى وغفر كان ممّن يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب ويشفّعه في مثل ربيعة ومضر[٥].

عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إنّا أهل بيت مروءتنا

---

(١) الخصال: ص ٦٣٣، حديث أربعمائة س ٢٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ، ح ٥.

(٣) قوله: أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه. كناية عن كثرة أفضاله وإحسانه إليه في ذلك اليوم، فلا يرهقه قتر ولاذلّة (شرح أصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٣٠٦).

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ، ح ٦.

(٥) الخصال: ص ١٠٤ باب الثلاثة، ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الإيمان ح ٦٣.

العفو عمّن ظلمنا(١).

عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام): ماتجرّعت جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا اكافي صاحبها(٢).

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾: التاركين عقوبة من استحقّوا مؤاخذته.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً، فتعافوا يعزّكم الله(٣)(٤).

وفي مجمع البيان: روي أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: إنّ هؤلاء في اُمّتي قليل إلّا من عصمه الله، وقد كانوا كثيراً في الأمم الماضية(٥).

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: يحتمل الجنس، ويدخل تحته هؤلاء، والعهد فيكون الإشارة إليهم.

وفي مجمع البيان: روي أنّ جارية لعلي بن الحسين (عليهما السلام) جعلت تسكب عليه الماء ليتهيّأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشجّه، فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: إنّ الله تعالى يقول: «والكاظمين الغيظ» فقال لها: كظمت غيظي، قالت: «والعافين عن الناس» قال: عفى الله عنك، قالت: «والله يحب المحسنين» قال: اذهبي فأنت حرّة لوجه الله(٦).

---

(١) الخصال: ص ١٠ باب الواحد، مروءة أهل البيت (عليهم السلام) خصلة ح ٣٣.

(٢) الخصال: ص ٢٣ باب الواحد، خصلة لايتحبّب بها حمر النعم، ح ٨١ وصدر الحديث (ما أحبّ أنّ لي بذل نفسي حمر النعم، وما تجرعت إلخ).

(٣) قوله: فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً في الدنيا: لأنّ من عُرف بالعفو ساد وعظم في القلوب، فيزيده عزّة، أو في الآخرة لأنّه يوجب زيادة الأجر، ورفع الدرجة (شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٨ ص ٣٠٢)..

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨ كتاب الإيمان والكفر، باب العفو، ح ٥.

(٥) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٥ فصل في ذيل آية ١٣٤ من سورة آل عمران «والعافين عن الناس».

(٦) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٥ فصل في ذيل آية ١٣٤ من سورة آل عمران: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس».

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً: فعلة بالغة في القبح، كالزنا.

أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ: بأن أذنبوا أيّ ذنب كان.

وقيل: الفاحشة الكبيرة، وظلم النفس الصغيرة ولعلّ الفاحشة مايتعدّى وظلم النفس ماليس كذلك[1].

ذَكَرُوا اللَّهَ: تذكّروا وعيده، أو حكمه، أو حقّه العظيم.

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ: بالندم والتوبة.

وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ: استفهام بمعنى النفي، معترض بين المعطوفين. والمراد به وصفه تعالى بصفة الرحمة وعموم المغفرة، والحثّ على الاستغفار، والوعد بقبول التوبة.

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا: أي لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين.

وفي اصول الكافي: أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر[2]، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية قال:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: «والذين إذا فعلوا فاحشة» الآية.

(٢) قوله: (الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله إلخ) دلّ على أنّ الإصرار يتحقّق بالذنب مع عدم الاستغفار والتوبة، سواء أذنب ذنباً آخر من نوع ذلك الذنب أو من غير نوعه، أو عزم على ذنب آخر أم لا.

أمّا تحقّقه في غير الأخير فظاهر، وأمّا في الأخير فلأنّ التوبة واجبة في كلّ آن فتركها ذنب منضاف إلى الذنب الأوّل فيتحقّق الإصرار. وقسّم الشهيد في قواعده الإصرار إلى فعلي وحكمي، وقال

الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار[١].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه[٢][٣].

عدة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عبدالله بن محمد النهيكي، عن عمار بن مروان القندي، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار[٤].

الفعليّ: هو الدوام على نوع واحد من الصغائر بلا توبة، والإكثار من جنس الصغائر بلا توبة.
والحكمي: هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها. أمّا لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها، فالظاهر أنّه غير مصرّ.

وقال الشيخ في الأربعين: تخصيصه الإصرار الحكمي بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها، يعطي أنّه لو كان عازماً على صغيرة أخرى بعد الفراغ ممّا هو فيه لا يكون مصرّاً، والظاهر أنّه مصرّ أيضاً. وتقييده ببعد الفراغ منها يقتضي بظاهره أنّ من كان عازماً مدّة سنة على لبس الحرير مثلاً، لكن لم يلبسه أصلاً لعدم تمكّنه، لا يكون في تلك المدّة مصرّاً، وهو محلّ نظر.

وقال بعضهم: الإصرار هو إدامة الفعل والعزم على إدامته يصحّ معها إطلاق وصف العزم عليه.

وقال بعضهم: هو تكرار الصغيرة تكراراً يشعر بقلّة المبالاة إشعار الكبيرة بذلك، أو فعل صغائر من أنواع مختلفة بحيث يشعر بذلك. (شرح اصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٩ ص٢٦٧).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الإصرار على الذنب، ح ٢.

(٢) قوله: (لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه) لعلّ السرّ فيه أنّ سبب قبول الطاعة هو دلالتها على تعظيم الربّ، والإصرار على المعصية وإن كانت صغيرة يستلزم تحقيره وإن لم يقصده العاصي، والتحقير ينافي التعظيم، أو أنّ قبول الطاعة عبارة عن تقريب المطيع إلى ذاته المقدّسة، والإصرار على المعصية يوجب تبعيده عنه، وحمل عدم القبول على وجه الكمال محتمل (شرح اصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج ٩ ص٢٦٧).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الإصرار على الذنب، ح ٣.

(٤) قوله (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) ظاهره أنّ الكبيرة تصير صغيرة، أو تزول بالكلّية مع الاستغفار، والصغيرة تصير كبيرة مع الإصرار، وهو مع ذلك يستلزم الجرأة على الكبيرة غالباً،

←

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّه والله ماخرج عبد من ذنب بإصرار، وما خرج عبد من ذنب إلّا بإقرار[١].

محمد بن يحيى، عن علي بن الحسين الدقاق، عن عبدالله بن محمد، عن أحمد بن عمر، عن زيد القتات، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: مامن عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلّا غفرالله له قبل أن يستغفر[٢] وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنّها من عندالله إلّا غفرالله له قبل أن يحمده[٣].

ولذلك ألحق العلماء بالكبائر الإصرار على الصغائر، واستدلّوا بهذا الحديث.

وتوضيحه أنّه (عليه السلام) دعا إلى الاستغفار عن كبائر الذنوب وصغائرها، وبيّن أنّ الصغيرة مع الإصرار لا تبقى صغيرة على حالها، لأنّ الإصرار عليها معصية أخرى تنضمّ إلى الأولى، فإذا دام على الإصرار توالت المعاصي وتكاثرت وتراكمت حتى تعدّ كبيرة، لاسيّما إذا كان الإصرار يتضمّن الاستهانة والاحتقار.

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: «يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء» يعذّب من يشاء على الصغيرة للإصرار بها، ويغفر لمن يشاء الكبيرة لاستعظامه إيّاها وخوفه من الله.

وقوله (عليه السلام): (ولا كبيرة مع الاستغفار) معناه: أنّ الكبيرة لا تبقى كبيرة، بل تذوب وتصغر بأمر الله تعالى إذا قارنها الاستغفار، وهو طلب المغفرة من الغفار، وذلك لأنّ الاستغفار يتضمّن التوبة مع طلب المغفرة، والمستغفر يشاهد قبح فعله وشناعة ذنبه واستحقاقه للعقوبة، فيندم بقلبه، والندم توبة، ثم يسأل بصدق النيّة المغفرة منه مستعظماً له، فتصغر بذلك كبيرته عندالله تعالى، بل ربّما تزول عن أصلها.

ويوافق الفقرتين قول بعض العارفين: متى عظمت المعصية في قلب العاصي صغرت عندالله تعالى، ومتى صغرت في قلبه عظمت عنده تعالى (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٩ ص٢٦٦).

الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الإصرار على الذنب، ح ١.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٦ كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها، ح ٤.

(٢) قوله: (مامن عبد أذنب ذنباً الخ) الندم فعل القلب، والاستغفار فعل اللسان، والأوّل أشرف، فلذا له تأثير بدون الثاني، ولا تأثير للثاني بدونه (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٠ ص ١٤٣).

(٣) قوله: (وما من عبد أنعم الله عليه نعمة الخ) إيصال كلّ مرغوب ورفع كلّ مكروه نعمة. ويفهم منه ←

وفي مجمع البيان: وقد روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال: لاصغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار[١].

وروى عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة[٢].

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حال من فاعل «يصروا» أي لم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به.

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: لمّا نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور[٣]، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ياسيّدنا لمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، فقال: بماذا؟ قال: أعدهم وامنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة[٤].

وفي تفسير العياشي: عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: رحم الله عبداً لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه، وفي كتاب

أنّ الحمد القلبي أشرف من الحمد اللساني، وان الحمد وغيره من العبادات القلبيّة والبدنيّة سبب للمغفرة، كما يدلّ عليه أيضاً قوله: (إن الحسنات يذهبن السيئات) (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٠ ص ١٤٣).

الكافي: ج ٢ ص ٤٢٧ كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها، ح ٨.

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٦ في نقل المعنى لقوله تعالى: «والذين إذا فعلوا فاحشة» الآية.

(٢) تفسير الصافي: ج١ ص٣٥٢ في تفسيره لقوله تعالى: «ولم يصروا على مافعلوا» ورواه في الكشاف: ج١ ص٤١٦ في تفسيره للآية، وسنن الترمذي: ج٥ ص٥٥٨ كتاب الدعوات باب ١٠٧ ح٣٥٥٩.

(٣) اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال الجوهري: ثور جبل بمكة وفيه الغار المذكور في القرآن يقال له: أطحل، وقال الزمخشري: ثور أطحل من جبال مكة بالمفجر من خلف مكة على طريق اليمن (تلخيص من معجم البلدان: ج ٢ ص ٨٦ باب الثاء والواو وما يليهما، في لغة ثور).

(٤) الأمالي للصدوق: ص ٣٧٦ المجلس الحادي والسبعون، ح ٥.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ ١٣٦

الله نجاة من الردى، وبصيرة عن العمى، ودليل إلى الهدى، وشفاء لما في الصدور فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة، قال الله: «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون. ومن يعمل سوءً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»[1] فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه التوبة والإقلاع عمّا حرّم الله، فانه يقول: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»[2] فهذه الآية تدلّ على أنّ الاستغفار لايرفعه إلى الله إلّا العمل الصالح والتوبة[3].

وفي روضة الكافي: بإسناده إلى ابي عبدالله (عليه السلام) قال: وإيّاكم والإصرار على شيء ممّا حرّم الله في ظهر القرآن وبطنه وقد قال: «ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون»[4].

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ: خبر للّذين إن ابتدأت به، وجملة مستأنفة مبيّنة لماقبلها إن عطفته على «المتقين» أوعلى «الذين ينفقون». وتنكير «جنات» على الأوّل يدلّ على أنّ ما لهم أدون ممّا للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدّمة، وكفاك فارقاً بين القبيلين انه فصّل آيتهم، بأن بيّن أنّهم محسنون مستوجبون لمحبّة الله

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) فاطر: ١٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٤٣.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٩ قطعة من ح ١.

تعالى، وذلك لأنهم حافظوا على حدود الشرع، وتخطوا إلى التخصيص بمكارمه، وفصّل آية هؤلاء بقوله: «ونعم أجر العاملين» لأنّ المتدارك لِتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوّت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير. ولعلّ تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة.

والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك، يعني المغفرة والجنات.

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): محمد بن إبراهيم بن إسحاق (رحمه الله) قال: حدّثنا أحمد بن محمد الهمداني قال: أخبرنا احمد بن صالح بن سعد التميمي، قال: حدّثنا موسى بن داود قال: حدّثنا الوليد بن هشام قال: حدّثنا هشام بن حسان، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، عن عبدالرحمن بن غنم الدوسي قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) باكياً، فسلّم فردّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ثم قال: مايبكيك يامعاذ؟ فقال: يا رسول الله، إنّ بالباب شاباً طريّ الجسد، نقيّ اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ادخل عليّ الشاب يامعاذ، فأدخله عليه فسلّم، فردّ (عليه السلام)، ثم قال: مايبكيك ياشاب؟ قال: كيف لاأبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله (عزّوجلّ) ببعضها أدخلني نار جهنم، ولاأراني إلّا سيأخذني بها ولايغفر لي أبداً، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن اشرك به شيئاً، قال: أقتلت النفس التي حرّم الله؟ قال: لا، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، قال الشاب: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يغفر الله ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يغفر لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسيّ، قال: فإنّها أعظم من ذلك، قال:

فنظر النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كهيئة الغضبان، ثم قال: ويحك ياشاب ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخرّ الشّاب لوجهه، وهو يقول: سبحان الله ربّي مامن شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يانبيّ الله من كلّ عظيم، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الربّ العظيم؟ قال الشاب: لا والله يارسول الله، ثم سكت الشاب فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ويحك ياشاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى اخبرك، إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، اخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم الليل، أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ونزعت ماكان عليها من الأكفان وتركتها مجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنها لي ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: ياشاب ويل لك من ديّان يوم الدين، يوم يقفني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي، فويل لشبابك من النار.

فما أظنّ أنّي أشمّ ريح الجنة أبداً فما ترى يارسول الله.

فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): تنحّ عنّي يافاسق، إنّي أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار.

ثم لم يزل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول ويشير إليه حتى أمعَن من بين يديه.

فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها، ثم أتى بعض جبالها، فتعبّد فيها، ولبس مسحاً، وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى ياربّ هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، ياربّ أنت الذي تعرفني، وزلّ منّي ماتعلم ياسيّدي ياربّ إنّي أصبحت من النادمين، وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانك أن لاتخيّب رجائي سيّدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلمّا تمّت له أربعون يوماً

وليلة، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهمّ مافعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيّك، وإن لم تستجب دعائي ولم تغفر خطيئتي وأردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني، أوعقوبة في الدنيا تهلكني وخلّصني من فضيحة يوم القيامة.

فأنزل الله (تبارك وتعالى) على نبيّه (صلّى الله عليه وآله): «والذين إذا فعلوا فاحشة» يعني الزنا «أو ظلموا أنفسهم» يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا وهو نبش القبر وأخذ الأكفان «ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» يقول: خافوا الله فعجّلوا التوبة «ومن يغفر الذنوب إلّا الله» يقول (عزّوجلّ): أتاك عبدي يامحمّد تائباً، فطردته، فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنبه غيري، ثم قال (عزّوجلّ): «ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون» يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان، «اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين».

فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، خرج وهو يتلوها وهو يبتسم، فقال لأصحابه: من يدلّني على ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يارسول الله بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبون الشاب، فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه قد اسودّ وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهويقول: سيّدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي، أفي النار تحرقني؟ أو في جوارك تسكنني؟ اللهمّ إنّك قد أكثرت الإحسان إليّ فأنعمت عليّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري إلى الجنّة تزفّني أم إلى النار تسوقني، اللهمّ إنّ خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيّك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة، فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع وصفّت فوقه الطير، وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يابهلول أبشر فإنّك

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

عتيق الله من النار، ثم قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثم تلا عليه ما أنزل الله (عزّوجلّ) فيه وبشّره بالجنّة(١).

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ: وقائع سننها الله في الأُمم المكذّبة.

وقيل: أمم، قال:

ماعاين الناس من فضل كفضلكموا ولا أرى مثله في سالف السنن(٢).

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ: لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «سيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين» من قبلكم، قال: عنى بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه(٣).

هَٰذَا: أي القرآن.

بَيَانٌ لِّلنَّاسِ: عامة.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ: خاصّة.

وقيل: «هذا» إشارة إلى قوله: «قد خلت» أو مفهوم قوله: «فانظروا» أي إنّه

---

(١) الأمالي للصدوق: ص ٤٥ المجلس الحادي عشر، ح ٣.

(٢) لم يسم قائله: قوله (وقيل: أمم) أي قيل المراد بالسنن الأمم، استشهاداً بقوله: ماعاين الناس إلخ (حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي: ج١ ص ٦٧٢).

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٩ قطعة من ح ٣٤٩.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

مع كونه بياناً للمكذّبين، فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين، أو إلى ما الخَص من أمر المتقين والتائبين.

وقوله: «قد خلت» اعتراض للبعث على الإيمان والتوبة[١].

وَلَا تَهِنُوا: ولا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم احد.

وَلَا تَحْزَنُوا: على من قتل منكم، تسلية لهم عمّا أصابهم.

وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ: والحال أنكم أعلى شأناً، فإنكم على الحق وإنهم على الباطل، وقتالكم لله وقتالهم للشيطان، وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. أو لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر ممّا أصابوا منكم اليوم أو أنتم الأعلون في العاقبة، فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة[٢].

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ: متعلّق بالنهي، أي لاتهنوا إن صحّ إيمانكم، فإنه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله، أو بالأعلون.

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ: قيل: يعني إن أصابوا منكم يوم أُحد، فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله، ثم إنهم لم يضعفوا ولم يجبنوا، فأنتم أولى بأن لا تضعفوا، فإنكم ترجون من الله مالا يرجون.

وقيل: كلا المسّين كان يوم أُحد، فإنّ المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر

(١ و٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ص ١٨٣ في تفسيره لقوله تعالى: «هذا بيان للناس» إلى قوله «وتلك الأيام».

الرسول[١].

وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان.

وقيل: هو بالفتح: الجراح، وبالضم: ألمها[٢].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: نصرّفها، نديل هؤلاء تارة وهؤلاء أُخرى. والمداولة كالمعاودة يقال: داولت الشيء بينهم، فتداولوه.

والأيام يحتمل الوصف والبدل وعطف البيان والخبر، و(نداولها) الخبر على الاحتمالات الثلاث الأول، والحال على الاحتمال الأخير. والمراد بها أوقات النصر والغلبة.

في تفسير العياشي: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى: «وتلك الأيام نداولها بين الناس» قال: مازال منذ خلق الله آدم، دولة لله ودولة لإبليس، فأين دولة الله ماهو إلّا مع قائم واحد[٣].

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: عطف على علّة محذوفة، أي نداولها ليكون كيت وكيت، وليعلم الله، إيذاناً بأنّ العلّة فيه غير واحدة، وإنّ مايصيب المؤمن فيه من المصالح مالايعلم، أو الفعل المعلّل به محذوف، تقديره. وليتميّز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف، فعلنا ذلك.

والقصد في أمثاله ليس إلى إثبات علمه تعالى، بل إلى إثبات المعلوم على طريقة البرهان.

وقيل: معناه ليعلمهم علماً يتعلّق به الجزاء، وهو العلم بالشيء موجوداً[٤]، وهو تكلف.

(١و٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص١٨٣ في تفسيره لقوله تعالى «هذا بيان للناس» الى قوله «وتلك الأيام».

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٩ ح ١٤٥.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٤ في تفسيره لقوله تعالى: «وليعلم الله الذين آمنوا».

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ: ويكرم منكم بالشهادة يريد شهداء احد. أو يتخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد. أو شهوداً وعلماء بما ينعم على المؤمنين ويمددهم.

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ: الذين يضمرون خلاف مايظهرون، أو الكافرين. وهو اعتراض. وفيه تنبيه على أنه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة، وإنّما يديل لهم أحياناً استدراجاً وابتلاء للمؤمنين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لمّا رجع من أحد فلمّا دخل المدينة نزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يامحمّد إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولايخرج معك إلّا من به جراحة، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منادياً ينادي: يامعشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم ويشدّونها فأنزل الله على نبيّه «ولاتهنوا في إبتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون»[1] وقال (عزّوجلّ): «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء» فخرجوا على مابهم من الألم والجراح[2].

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ: ليطهرهم ويصفّيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم.

---

(١) النساء: ١٠٤.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٥.

﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: ويهلكهم إن كانت عليهم. والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إمام أُمّتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري فقال: يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: اي وربّي «وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين» ياجابر إنّ هذا الأمر من الله وسرّ من سرّ الله، مطويّ عن عبادالله، فإيّاك والشكّ فيه، فإنّ الشكّ في أمر الله (عزّوجلّ) كفر[١].

واعلم أن هذا الخبر يدلّ بصريحه على كفر أهل السنّة، فإنّهم شاكّون في غيبة صاحب الأمر ووجوده، وقد صرّح في الخبر بأنّ الشكّ فيه كفر، فتبصّر.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾: بل أحسبتم، ومعناه الإنكار، أي لاتحسبوا أن تدخلوها ولمّا يعلم الله المجاهدين منكم، ولمّا يجاهد بعضكم.

وفيه دلالة على أنّ الجهاد فرض على الكفّار.

والفرق بين «لما» و«لم» أنّ فيها توقّعاً في المستقبل، بخلاف «لم».

وقرئ «يعلم» بفتح الميم على أنّ أصله يعلمنّ، فحذفت النون.

﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نصب بإضمار (ان) على أنّ الواو للجمع. وقرئ بالرفع على أنّ الواو للحال، كأنه قال: ولمّا تجاهدوا وأنتم صابرون.

وفي تفسير العياشي: عن داود الرقي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٨٦، الباب الخامس والعشرون، ماأخبر به النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) ح٧.

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ
ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن
يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

قول الله تعالى: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم» قال: إنّ الله هو أعلم بما هو مكوّنه قبل أن يكوّنه وهم ذر، وعلم من يجاهد ممّن لايجاهد، كما أنه يميت خلقه قبل أن يميتهم، ولم يرهم موتهم وهم أحياء[1].

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ: بالشهادة أو الحرب، فإنّها من أسباب الموت.

مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ: من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا ثبوته.

فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ: أي رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. وهو توبيخ لهم على أنهم تمنّوا وتسبّبوا لها، ثم جبنوا وانهزموا عنها. أو على تمنّي الشهادة، فإنّ في تمنّيها تمنّي غلبة الكفّار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية، أنّ المؤمنين لـمّا أخبرهم الله تعالى بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه، فأراهم الله إيّاه يوم أُحد، فلم يثبتوا إلّا ماشاء الله منهم، فذلك قوله: «ولقد كنتم تمنون الموت» الآية[2].

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ: فسيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٩ ح ١٤٧.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٩ في تفسيره لقوله تعالى: «ولقد كنتم تمنون الموت» الآية.

أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ: إنكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين، لخلوّه بموت أو قتل بعد علمهم بخلوّ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسّكاً به.

وقيل: الفاء للسببيّة والهمزة للإنكار أن يجعلوا خلوّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته[(١)].

وفي روضة الكافي: حنان عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان الناس أهل ردّة بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلّا ثلاثة قلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي (رحمة الله وبركاته عليهم)»[(٢)]، ثم عرف أُناس بعد يسير[(٣)]، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين (عليه السلام) مكرهاً فبايع، وذلك قول الله (عزّوجلّ): «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»[(٤)].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٤ في تفسيره لقوله تعالى: «أفإن مات أو قتل» الآية.

(٢) قال الشيخ القرطبي في شرح مسلم: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إن الله أمرني أن أحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبهم عليّ وأبوذر والمقداد وسلمان (شرح الروضة للعلّامة المازندراني: ج١٢ ص٣٢٢).

(٣) قوله: (ثم عرف أُناس بعد يسير) يسير بالجر على الإضافة، أي بعد زمان قليل، أو بالرفع صفة لأُناس، ولفظة (بعد) على الأوّل للتقييد وعلى الثاني للتأكيد، وقال: (هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا) أي رحا الإسلام، شبههم بقطب الرحا في توقّف نظام الإسلام وجريانه عليهم، (وذلك قول الله عزوجل) ذلك إشارة إلى ارتداد الأمّة وبقاء قليل على الإسلام، وهم المقرّون بنعمة الله التي هي الولاية الشاكرون عليها (شرح روضة الكافي للعلّامة المازندراني: ج١٢ ص٣٢٢ في شرحه لحديث ٣٤١).

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٥ ح ٣٤١.

ابن أبي العلاء الخناف، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لمّا انهزم الناس يوم أُحد[١] عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) انصرف إليهم بوجهه وهويقول: أنا محمّد أنا رسول الله لم أُقتل، و لم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا، وبقي معه عليّ وسماك بن خرشة أبو دجانة[٢] فدعاه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: ياأبا دجانة انصرف وأنت في حلّ من بيعتك، فأمّا عليّ فهوأنا وأنا هو، فتحوّل وجلس بين يدي النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبكى، وقال: لاوالله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لاجعلت نفسي في حلّ من بيعتي إنّي بايعتك[٣] فإلى من انصرف يارسول الله إلى زوجة تموت، أو

---

(١) احد: بضم أوله وثانيه معاً: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذي شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليّها، وعنده كانت الوقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة عمّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعيّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وشجّ وجهه الشريف وكُلِمَتْ شَفَتُه، وكان يوم بلاء وتمحيص، وذلك لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وهو في سنة ثلاث. وفي الحديث أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: أُحد جبل يحبّنا ونحبّه، وهو على باب من أبواب الجنة، وعير جبل يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار (معجم البلدان: ج١ ص١٤٤ لغة أُحد).

(٢) باب سماك: بالسين المهملة المكسورة، والميم المخفّفة المفتوحة، والألف والكاف كما عن تقريب ابن حجر: سماك بن خرشة: أبو دجانة الأنصاريّ الخزرجيّ الساعديّ، عدّه ابن عبدالبرّ وابن مندة وأبو نعيم من الصحابة، وقالوا: إنّه مشهور بكنيته، يعني أبا دجانة، شهد بدراً وأُحداً وجميع المشاهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأعطاه رسول الله سيفه يوم أُحد وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من يأخذ هذا السيف بحقّه فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقّه، فدفعه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ففلق به هام المشركين، وكان من الشجعان المشهورين بالشجاعة، وكانت له عصابة حمراء يعرف بها في الحرب، والأكثر على أنّه قتل يوم اليمامة بعدما أبلى فيها بلاء عظيما، وقيل: بل عاش حتى شهد صفّين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) (تلخيصاً من تنقيح المقال: ج ٢ ص ٦٨ تحت رقم ٥٢٧٤).

(٣) إنّي بايعتك: بايعت مفاعلة من البيع، وكانوا إذا بايعوا أحداً قبضوا على يده اليمنى توكيداً للأمر، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فجاءت المفاعلة في بايعت من ذلك. وأمّا البيعة فهي عرفاً ←

ولد يموت، أو دار تخرب، أو مال يفنى، وأجل قد اقترب، فرقّ له النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة، وهو في وجه وعليّ (عليه السلام) في وجه، فلمّا سقط احتمله عليّ (عليه السلام) فجاء به إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوضعه عنده، فقال: يارسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: نعم، وقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): خيراً، وكان الناس يحملون على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الميمنة فيكشفهم عليّ (عليه السلام) فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم يزل كذلك حتى تقطّع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فطرحه بين يديه فقال: هذا سيفي قد تقطّع، فيومئذٍ أعطاه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذوالفقار، ولما رأى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اختلاج ساقيه[١] من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي، وقال: ياربّ وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك، فأقبل عليّ (عليه السلام) إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال يارسول الله: أسمع دوياً شديداً، وأسمع (اقدم حيزوم)[٢] وما أهمّ أضرب أحداً إلّا سقط ميتاً قبل أن أضربه؟ فقال: هذا جبرئيل (عليه السلام) وميكائيل وإسرافيل في الملائكة.

ثم جاءه جبرئيل (عليه السلام) فوقف إلى جنب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: يامحمّد إنّ هذه لهي المواساة[٣]، فقال (صلّى الله عليه وآله

معاهدته على تسليم النظر في كلّ الأمور إليه على وجه لاينازع ولاينصرف عنه ولوقتل: (شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٢ ص ٤٢٥).

(١) خلج الشيء خلجاً وخلوجاً وخلجاناً، تحرّك واضطرب (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٤٨ لغة خلج).

(٢) وأسمع: أقدم حيزوم: في حديث بدر (أقدم حيزوم) جاء في التفسير: إنّه اسم فرس جبرئيل (عليه السلام)، أراد أقدم ياحيزوم، فحذف حرف النداء والياء فيه زائدة (النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٦٧ (باب الحاء مع الياء).

(٣) (لهي المواساة) في النهاية: المواساة، المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمز فقلبت واواً تخفيفاً. ولعلّ المراد بها هنا، مواساته بنفسه وماله، من قولهم: واساه بماله مواساة، أنا له منه (شرح

←

وسلّم): إنّ علياً مني وأنا منه، فقال جبرئيل (عليه السلام): وأنا منكما[١]، ثم انهزم الناس،فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)لعليّ (عليه السلام):ياعليّ امض بسيفك حتى تعارضهم[٢]،فإن رأيتهم قدركبوا القلاص وجنبوا الخيل[٣] فإنّهم يريدون مكة،وإن رأيتهم قدركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون المدينة.

فأتاهم عليّ (عليه السلام) فكانوا على القلاص، فقال أبو سفيان لعليّ (عليه السلام): ماتريد؟ هوذا نحن ذاهبون إلى مكة، فانصرف إلى صاحبك.

فاتبعهم جبرئيل (عليه السلام)، فكلما سمعوا وقع حافر فرسه، جدّوا في السير، وكان يتلوهم، فإذا ارتحلوا قالوا: هوذا عسكر محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم)قدأقبل.

فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر، فجاء الرعاة والحطّابون فدخلوا مكة، فقالوا: رأينا عسكر محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلّما رحل أبو سفيان نزلوا، يقدمهم فارس على فرس أشقر[٤] يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان

روضة الكافي للعلاّمة المازندراني: ج١٢ ص٤٢٧).

(١) (وأنا منكما): قال في الفائق: يقال: هومني، أي هو بعضي. والغرض الدلالة على شدة الاتصال وتمازج الأهواء واتحاد المذاهب، ومثله قوله تعالى: «فمن تبعني فإنه مني» وقال الصدوق في العلل: قول جبرئيل: (وأنا منكما) تمنّى منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منهم لم يقل ذلك ولم يتمنّ أن يتحط عن درجته إلى أن يكون ممّن دونه، وإنّما قال: وأنا منكما ليصير من هو أفضل منه، فيزداد محلا إلى محله وفضلاً إلى فضله نفس المصدرالسابق.

(٢) (حتى تعارضهم) أي حتى تأتيهم، من عارضه إذا أتاه معرضاً من بعض الطريق، أو حتى تظهر لهم ويظهروا لك، من أعرض الشيء يعرض، إذا ظهر له، أو حتى تقابلهم من عارض إذا قاتله. نفس المصدرالسابق.

(٣) (فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنبوا الخيل) في القاموس: القلوص من الإبل الشابة، أو الباقية على السير، أو أوّل مايركب من إناثها إلى أن تثنى ثم هي ناقة، والناقة الطويلة القوائم، خاصّ بالإناث، والجمع قلاص وقلص وجمع الجمع قلاص. والجنيبة فرس تقاد إلى جنب الراكب أو قدامه، ليتحوّل إليها ويركبها إذا فتر مركوبه، يقال: جنبه جنباً محرّكة، ومجنباً، قاده إلى جنبه، فهو جنيب ومجنوب. نفس المصدرالسابق.

(٤) (يقدمهم فارس على فرس أشقر) الأشقر من الدواب، الأحمر في مغرة حمرة تحمرّ منه العرف والذنب، والمغر محركة والمغرة بالضم لون ليس بناصع الحمرة، أو شقرة بكدرة نفس المصدرالسابق.

يوبّخونه. ثم رحل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والراية مع عليّ (عليه السلام) وهو بين يديه، فلمّا أن أشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى عليّ (عليه السلام) أيها الناس هذا محمّد لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الذي قال (الآن يسخر بنا وقد هزمنا) هذا عليّ والراية بيده، حتى هجم عليهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ونساء الأنصار في أفنيتهم على أبواب دورهم، وخرج الرجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه[1]، والنساء، نساء الأنصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور، وجززن النواصي، وخرقن الجيوب، وخرمن البطون[2] على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فلمّا رأينه قال لهن خيراً، وأمرهن أن يستترن ويدخلن منازلهنّ، وقال: إنّ الله (عزّوجلّ) وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلّها، وأنزل الله على محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً»[3].

وفي روضة الكافي: خطبة مسندة إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام). وهي خطبة الوسيلة يقول فيها (عليه السلام): **حتى إذا دعا الله عزّوجلّ نبيّه ورفعه إليه[4]، لم يك ذلك[5]**.

---

(١) (ويثوبون إليه) في أكثر النسخ بالثاء المثلّثة، أي يرجعون، وفي بعضها بالتاء المثناة أي يتوبون ويعتذرون من الهزيمة وترك القتال.

(٢) (وحر من البطون) في أكثر النسخ بالحاء والزاي المعجمة، أي كنّ شددن بطونهن لئلا تبدوا عوراتهن لشق الجيوب، من قولهم حرمت الشيء أي شددته. وفي بعضها حَرَصَ بالحاء والصاد المهملتين أي شققن وخرقن، يقال: حرص القصار الثوب أي خرقه بالدق، وفي بعضها بالحاء والضاد المعجمة على وزن التفعيل، يقال: احرضه المرض إذا أفسد بدنه وأشفا على الهلاك (مرآت العقول في بيان ماجرى في غزوة احد) ص ٤٠٤.

(٣) الكافي: ج٨ ص٣١٨ ح٥٠٢.

(٤) (حتى إذا دعا الله نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أي إلى رحمته و رضوانه).

(٥) (لم يك ذلك) أي المذكور من أحوالهم الدالة على استقامتهم ظاهر نفس المصدر السابق (شرح روضة الكافي العلامة المازندراني: ج١١ ص٢٦١).

بعده إلّا كلمحة من خفقة[١]، أو وميض من برقة[٢]، إلى أن رجعوا على الأعقاب[٣]، وانتكصوا على الأدبار[٤]، وطلبوا بالأوتار[٥]، وأظهروا الكتائب[٦]، وردموا الباب[٧]، وفلّوا الديار[٨]، وغيّروا آثار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ورغبوا عن أحكامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلاً، اتّخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا أنّ من اختاروا[٩] من آل أبي قحافة أولى

---

(١) (إلّا كلمحة من خفقة) الخفقة تحريك الناعس رأسه، والتاء للوحدة، والتنكير للتقليل، واللمحة زمان رؤية واحدة وكثيراً مايعبّر بها عن الزمان القليل جداً، ولذلك فسّرها بمقدار زمان النعاس القليل، أو زمان اختلاس النظر منه. وهذا من أحسن العبارات في إفادة قلة الزمان، مع إشارة لطيفة إلى دخولهم حينئذٍ في غفلة النعاس نفس المصدر السابق.

(٢) (أو وميض من برقة) أي لمعانها، يقال: ومض البرق يمضي ومضاً وميضاً و ومضاناً، إذا لمع خفيفاً، ولم يعترض في نواحي الغيم. وهذه أيضاً من أحسن البيان لإفادة قلّة الزمان، مع إشارة خفيفة إلى اضطرابهم نفس المصدر السابق.

(٣) (إلى أن رجعوا على الأعقاب) الرجوع إلى الأعقاب كناية عن الرجوع عمّا كانوا عليه ظاهراً من الانقياد للشريعة وأمر الله تعالى ورسوله ووصيّه بأهل بيته. وقد صحّ من طرق العامّة والخاصّة أنّهم لم يشتغلوا، بعد رجوعه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الحقّ، بدفنه واشتغلوا بنصب الخليفة، وعلّلوا ذلك بأنّه لايجوز بقاء الأمّة بعده بلاإمام طرفة عين، ولم يعلموا لجهلهم، أنّه يلزمهم ذلك لبقاء الأمّة عندهم بلاإمام أكثر، وأنّه يلزم أن يكونوا أعلم منه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حيث لم يعلم أنّه لايجوز ذلك، ومضى بلانصب إمام نفس المصدر السابق.

(٤) (وانتكصوا على الأدبار) النكوص الرجوع إلى وراء، هو القهقري، وبذلك قد أدبر من الدنيا ماكان مقبلاً في عهده (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من الخير وصلاح أهلها، وأقبل منها ماكان مدبراً من الشرور التي أدبرت فيه وظهور الإسلام نفس المصدر السابق.

(٥) (وطلبوا بالأوتار) كأنه إشارة إلى سبب انحرافهم عنه (عليه السلام)، وهو أنّه جنى من كلّ قوم من العرب جنايات، وقتل منهم جماعة في الحروب، فصار ذلك سبباً لميلهم عنه نفس المصدر السابق.

(٦) (وأظهروا الكتائب) جمع الكتيبة، وهي القطعة العظيمة من الجيش نفس المصدر السابق.

(٧) (وردموا الباب) سدّوه، وأراد به ذاته المقدّسة، لأنّه باب الله، وباب الشريعة، وباب مدينة العلم، والمراد بسدّه منع الناس من الرجوع إليه نفس المصدر السابق.

(٨) (وفلّوا الديار) أي كسروا دار الإسلام والشريعة وغلبوا على أهلها قهراً وعنوة.

(٩) (وزعموا أن من اختاروا) اعلم أنّ الأحاديث المشتركة بين العامّة والخاصّة، وصريح كلام ←

بمقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ممّن اختاره الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لمقامه، وأنّ مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجر الأنصاري الرباني، ناموس هاشم بن عبدمناف[1][2].

علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: وقال: لأعداء الله أولياء الشيطان، أهل التكذيب والإنكار «قل ماأسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين»[3][4] يقول: متكلفاً أن أسألكم مالستم بأهله، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: أما يكفي محمّداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمّل أهل بيته على رقابنا، فقالوا: ماأنزل الله هذا، وما هو إلّا شيء يتقوّله، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا، ولئن قتل محمّد أو مات لننزعنّها من أهل بيته، ثم لانعيدها فيهم أبداً[5].

علمائهم المشهورين، دلّت على أنّهم غصبوا الخلافة منه (عليه السلام) وظلموه، قال أبو عبدالله الأبي في شرح مسلم: ونقل عن بعض أصحابه أيضاً: أنّه لم يكن بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أحد يماثله أو يدانيه ويقاربه في صفات كماله، وأنّه كان في كلّ واحدة من صفات الكمال فائقاً على جميع الأمّة، وأنّه كان أولى باستحقاق الخلافة والإمامة من الجميع، إلّا أنّه أجمعت الصحابة على أبي بكر، مع أنّه ذكر في الشرح المذكور: أن كثيراً من الصحابة لم يبايعوا صاحبهم، وعدّهم بأسمائهم.

(١) (وأن مهاجر آل أبي قحافة إلى قوله: ناموس هاشم بن عبد مناف) المراد به ذاته المقدّسة، الناموس صاحب سر الملك والحاذق، وقيل: صاحب سرّ الخير. وفيه إشارة إلى مفاخر هاشم، وقد كان في حسن الظاهر والباطن والكرم والأخلاق والعلم والعفاف مشهوراً في العرب نفس المصدر السابق.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٢٩، خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة.

(٣) ص: ٨٦.

(٤) (قل ما أسألكم عليه من أجر) مطلقاً حتى أجر المودة، لعدم قبولكم إياه. وهذا من باب نفي الشيء لانتفاء ثمرته (وما أنا من المتكلفين) الذين يتصنّعون وينتحلون ماليس لهم، (يقول: ماأنا متكلفاً أن أسألكم مالستم بأهله) من أجر المودّة، وإذا لم يكونوا من أهله، لم يكن (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من أهل سؤاله عنهم، لانتفاء فائدته (فقالوا: وما هو إلّا شيء يتقوّله) في القاموس: تقوّل قولاً: ابتدعه كذباً (من شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني: ج١٢ ص٥٢١ ح٥٧٤).

(٥) الكافي: ج ٨ ص ٣٧٩ قطعة من ح ٥٧٤.

واعلم أنّ فلاناً وفلاناً من أهل الانقلاب على الأعقاب بعد موت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ لما رواه محمد بن يعقوب (رحمه الله)، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عنهما؟ فقال: يا أبا الفضل لا تسألني عنهما، فوالله ما مات منّا ميت إلّا ساخط عليهما، وما منّا اليوم إلّا ساخط عليهما يوصي بذلك الكبير منّا الصغير، لأنّهما ظلمانا حقّنا وضيّعانا فيئنا، وكانا أوّل من ركب أعناقنا[1]، وفتقا علينا فتقاً في الإسلام لا يسدّ أبداً حتى يقوم قائمنا ثم قال: أما والله لو قد قام قائمنا أو يتكلّم[2] متكلّمنا، لأبديا من أُمورهما ما كان يكتم[3]، ولكتّما من أُمورهما[4] ما كان يظهر، والله ما أمست من بليّة ولا قضيّة تجري علينا أهل البيت إلّا هما سبّبا أوّلها، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[5].

وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه سئل عمّن قتل، أمات؟ قال: لا، الموت موت والقتل قتل، قيل: ما أحد يقتل إلّا وقد مات، فقال: قول الله أصدق من قولك، فرّق بينهما في القرآن، قال: «أفإن مات أو قتل» وقال «لئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون»[6] وليس كما قلت: الموت موت والقتل قتل، قيل: فإنّ الله يقول: «كل نفس ذائقة الموت»[7] قال: من قتل لم يذق الموت، ثم قال: لابد من أن يرجع حتى يذوق الموت[8].

---

(١) كناية عن التسلط والغلبة عليهم، وإيصال المكروه والشدّة إليهم: مرآة العقول، شرح روضة الكافي: ص ٣٢٩ ح ٣٤٠.

(٢) قوله: (أو يتكلم) لعلّ كلمة (أو) بمعنى الواو كما يدلّ عليه ذكره ثانيا بالواو. ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي. أو يكون المراد بالقائم، الإمام الثاني عشر (عليه السلام) كما هو المتبادر، وبالمتكلّم من تصدّى لذلك قبله (عليه السلام) منهم (عليهم السلام) نفس المصدر السابق

(٣) قوله: (ما كان يكتم) على البناء للمفعول، أي من فسقهما وكفرهما وبدعهما نفس المصدر السابق.

(٤) قوله: (ويكتم من امورهما) أي أظهر بطلان ما كان العامة من عدلهما وخلافتهما. أو أنّ بعض المنافقين إذا اعتقدوا ذلك كتموها ولم يظهروها، خوفاً منه نفس المصدر السابق.

(٥) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٥ ح ٣٤٠. (٦و٧) آل عمران: ١٥٨ و١٨٥

(٨) لم نعثر على حديث مرسل عن أبي جعفر (عليه السلام) بهذه الألفاظ في تفسير العياشي المطبوع، والأحاديث المنقولة فيه عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) بتفاوت في العبارات، لاحظ تفسير

←

وعن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن الرجعة، واستخفيت ذلك، قلت: لأسألن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي فقلت: أخبرني عمّن قتل، أمات؟ قال: لا، الموت موت والقتل قتل، قلت: ما أحد يقتل إلّا وقد مات، فقال: قول الله أصدق من قولك، فرّق بينهما في القرآن، فقال: «أفإن مات أو قتل» وقال: «ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون» وليس كما قلت يا زرارة: الموت موت والقتل قتل، قلت: فإنّ الله يقول: «كل نفس ذائقة الموت» قال: من قتل لم يذق الموت، قال: لابد من أن يرجع حتى يذوق الموت(١).

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا: من الضرر يسيراً بارتداده، بل يضرّ نفسه.

وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ: كأمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن يحذو حذوه، شكروا الله على نعمة الإسلام وثبّتوا عليها.

في كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حديث طويل، وفيه خطبة الغدير. وفيها: معاشر الناس انذركم إنّي رسول الله إليكم قد خلت من قبلي الرسل أفإن متّ أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين، ألا وإنّ علياً هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه(٢).

وفيه: بإسناده قال علي (عليه السلام) في خطبة له: إنّ الله ذا الجلال والإكرام لما خلق الخلق واختار خيرة من خلقه، واصطفى صفوة من عباده وأرسل رسولاً منهم، وأنزل عليه كتابه وشرع له دينه وفرض فرائضه، فكانت الجملة قول الله (جلّ

العياشي: ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦١ وص ٢١٠ ح ١٧٠.

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦٠.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٦٢ س ٣، احتجاج النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يوم الغدير على الخلق كلّهم وفي غيره من الأيام بولاية عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

ذكره) حيث أمر فقال: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[١] فهو لنا أهل البيت خاصّة دون غيرنا فانقلبتم على أعقابكم وارتددتم ونقضتم الأمر ونكثتم العهد ولم تضرّوا الله شيئاً[٢].

وفي تفسير العياشي: عن عبدالصمد بن بشير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أتدرون مات النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو قتل، إن الله يقول: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» ثم قال: إنّهما سقتاه قبل الموت، يعني الامرأتين لعنهما الله وأبويهما[٣].

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ: إلّا بمشيئته، أو بإذنه لملك الموت في قبض روحها، لايستأخر ساعة بالإحجام عن القتال، ولايستقدم بالإقدام عليه. وفيه تحريض وتشجيع على القتال، ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الأجل.

كِتَٰبًا: مصدر يفيد النوع، إذ المعنى: كتب الموت كتاباً.

مُّؤَجَّلًا: صفة له، أي مؤقّت لايتقدّم ولايتأخّر.

وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا: تعريض بمن شغلته الغنائم يوم أحد.

وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ: الذين شكروا نعمة الله، فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ١٦٠ س ٤ احتجاجه (عليه السلام) على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٠ ح ١٥٢.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾

في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) أنه أصاب علياً (عليه السلام) يوم أحد ستون جراحة، وأنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمر أُمّ سلمة وأُمّ عطيّة أن تداوياه، فقالتا: إنّا لانعالج منه مكاناً إلّا انفتق مكان، وقد خفنا عليه، ودخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمسلمون يعودونه، وهو قرحة واحدة، وجعل يمسحه بيده ويقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله فقد ابلي واعذر، فكان القرح الذي يمسحه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يلتئم، فقال عليّ (عليه السلام): الحمد لله إذ لم أفر ولم اول الدبر، فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن، وهو قوله: «سيجزي الله الشاكرين» «وسنجزي الشاكرين»[1].

وَكَأَيِّن : قيل: أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) والنون تنوين اثبت في الخطّ على غير قياس.

وقرأ ابن كثير (كائن) ككامن. ووجهه أنّه قلب، قلب الكلمة الواحدة، كقولهم: (وعملي) في (لعمري) فصار (كائن) ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف، ثم ابدلت الياء الأُخرى ألفاً كما ابدلت من طائي[2].

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٥ في نقل المعنى لقوله تعالى: «وسنجزي الشاكرين».

(٢) من قوله: قيل إلى هنا من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٥ لاحظ تفسيره لقوله تعالى: «وكأين من نبي قاتل معه» الآية.

مِن نَّبِيٍّ: بيان له.

قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ: ربانيون علماء أتقياء، وقيل: الجماعات. والربي منسوب إلى الربة، وهي الجماعة للمبالغة.

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): الربيون عشرة آلاف[١].

وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) أنه قرأ: وكأين من نبيّ قتل معه ربيّون كثير، قال: ألوف وألوف ثم قال: أي والله يقتلون[٢].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (قتل) و إسناده إلى ربيّون، أو ضمير النبيّ ومعه ربيّون حال عنه ويؤيد الأول: أنه قرئ بالتشديد، وقرئ ربيّون بالفتح على الأصل، وبالضمّ، وهي من تغييرات النسب كالكسر.

فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: فما فتروا، ولم ينكسر جدّهم لما أصابهم من قتل النبيّ أو بعضهم.

وَمَا ضَعُفُواْ: عن العدوّ، أو في الدين.

وَمَا ٱسْتَكَانُواْ: وما خضعوا للعدوّ.

وأصل (استكن) من السكون، لأنّ الخاضع يسكن لصاحبه، ليفعل به مايريده، والألف من إشباع الفتحة، أو استكون من الكون، لأنّه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له.

وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله (عليه السلام).

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ: فينصرهم ويعظّم قدرهم.

وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ: أي وما كان قولهم من ثباتهم وقوّتهم في الدين و كونهم ربانيين، إلّا هذا القول و هو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم، هضماً لها، و إضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالهم والاستغفار عنها، ثم طلب

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٧ في نقل المعنى لقوله تعالى: «وكأين من نبي» الآية.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٤.

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

التثبيت في مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون عن خضوع وطهارة، فيكون أقرب إلى الإجابة.

وإنّما جعل قولهم خبراً، لأنّ «ان قالوا» أعرف، لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث.

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ: فأتاهم الله بسبب الاستغفار واللجوء إلى الله، النصر والغنيمة والعزّ وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة.

وخصّ ثوابها بالحسن، إشعاراً بفضله، وإنّه المعتدّ به عنده.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ:

في مجمع البيان: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام): نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم، وارجعوا إلى دينكم[1].

وقيل: عامّ في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم، فإنّه سينجرّ إلى موافقتهم[2].

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٨، في نقل شأن النزول في قوله تعالى: «يردوكم على أعقابكم» الآية.

(٢) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٦ عند تفسيره لقوله تعالى: «فتنقلبوا خاسرين».

بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ: ناصركم.

وقرئ بالنصب على تقدير، بل أطيعوا الله مولاكم.

وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ: فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره.

سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ: يريد ماقذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحدحتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب، ونادى أبو سفيان يامحمّد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إن شاءالله[1].

وقيل: لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق، ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم، ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم[2].

في مجمع البيان: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): نصرت بالرعب مسيرة شهر[3].

وفي كتاب الخصال: عن أبي امامة قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فضّلت بأربع: نصرت بالرعب مسيرة شهر يسير بين يدي[4].

---

(١) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التاويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٦ عند تفسيره لقوله تعالى: «سنلق في قلوب الذين كفروا الرعب».

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٦ عند تفسيره لقوله تعالى: «سنلق في قلوب الذين كفروا الرعب».

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٩ عند تفسيره لقوله تعالى: «سنلق في قلوب الذين كفروا الرعب».

(٤) الخصال: ص ٢٠١ باب الأربعة، قول النبيّ فضّلت بأربع، ح ١٤ ولفظ الحديث (قال رسول الله

←

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أُعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي، جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ونصرت بالرعب(١).

عن جابر بن عبدالله، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل يقول فيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): قال لي الله (جلّ جلاله): ونصرتك بالرعب الذي لم أنصر به أحداً قبلك(٢).

وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب الرعب بضمتين على الأصل في كلّ القرآن.

﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾: بسبب اشراكهم به.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أي آلهة ليس على اشتراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطاناً وهو كقوله: «ولا ترى الضب بها ينجحر»(٣).

وأصل السلطة القوّة، ومنه السليط، لقوّة اشتغاله، والسلاطة لحدّة اللسان.

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي مثواهم، فوضع الظاهر موضع المضمر، للتغليظ والتعليل.

ooo

(صلّى الله عليه وآله وسلّم): فضّلت بأربع، جعلت لأمّتي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيّما رجل من أمّتي أراد الصلاة فلم يجد ماءً ووجد الأرض فقد جعلت له مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يسير بين يدي، واحلت لأمّتي الغنائم، وأرسلت إلى الناس كافّة).

(١) الخصال: ص ٢٩٢ باب الخمسة أعطى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خمساً لم يعطها أحد قبله، ح ٥٦ وتمام الحديث (وأُحلّ لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة).

(٢) الخصال: ص ٤٢٥ باب العشرة، أسماء النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عشرة، ح ١ س ١٩.

(٣) لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضبّ بها ينجحر.

لابن أحمر يقول: لاتخيف الأرنب أهوال تلك الصحراء، أي لاهول فيها حتى يفزعه، ويجوز أن يكون المعنى: لاأرنب فيها تفزعه أهوالها، كما لاضبّ فيها يدخل جحره، فهما منفيان، (نقلاً عن هامش الكشاف: ج١ ص٤٢٦).

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ: أي وعده إيّاهم بالنصر، بشرط التقوى والصبر. وكان كذلك حتى خالف الرماة، فإنّ المشركين لمّا أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم.

إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ: تقتلونهم، من حسّه، إذا أبطل حسّه.

حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ: جبنتم وضعف رأيكم، أو ملتم إلى الغنيمة، فإنّ الحرص من ضعف العقل.

وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ: يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: فماموقفنا ههنا؟ وقال الآخرون: لا نخالف أمر الرسول، فثبت مكانه أميرهم في نفرٍ دون العشرة ونفر الباقون للنهب، وهو المعنى بقوله:

وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ: من الظفر والغنيمة وانهزام العدوّ.

وجواب (إذا) محذوف، وهو امتحنكم.

مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا: وهم التاركون المركز للغنيمة.

وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ: وهم الثائبون، محافظة على أمر الرسول.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا» يعني أصحاب عبدالله بن جبير الذين

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١٥٣

تركوا مراكزهم ومروا للغنيمة قوله: «ومنكم من يريد الآخرة» يعني عبدالله بن جبير وأصحابه الذين بقوا حتى قتلوا[1].

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ: ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم.

لِيَبْتَلِيَكُمْ: على المصائب ويمتحن ثباتكم على الإيمان عندها.

وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ: تفضلاً، ولما علم من ندمكم على المخالفة.

وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ: بتفضله عليهم بالعفو، أو في الأحوال كلّها، سواء اديل لهم أو عليهم، إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

إِذْ تُصْعِدُونَ: متعلق بـ«صرفكم» أو«يبتليكم» أو بمقدر كما ذكر.

الإصعاد، الذهاب والإبعاد في الأرض، يقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة.

وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ: لايقف أحد لأحد ولاينتظره.

وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ: كان يقول: إليّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة.

فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ: في ساقتكم وجماعتكم الأُخرى.

فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ: فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ.

في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: فأمّا الغمّ الأوّل فالهزيمة والقتل، والغمّ الآخر فإشراف خالد بن الوليد

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٠، عند تفسيره لقوله تعالى: «حتى اذا فشلتم وتنازعتم».

عليهم [١].

لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ: من الغنيمة.

وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ: من قتل إخوانكم.

وقيل: (لا) مزيدة. والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة، وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة، عقوبة لكم [٢].

وقيل: الضمير في «فأثابكم» للرسول، أي فآساكم في الاغتمام، فاغتمّ بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم، لكيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر، ولاعلى ما أصابكم من الهزيمة [٣].

وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ: عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام): «لكي لاتحزنوا على مافاتكم من الغنيمة» «ولا ـعلى ـ ما أصابكم» يعني قتل اخوانكم «والله خبير بما تعملون» [٤].

° ° °

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٠ عند تفسيره لقوله تعالى: «فأثابكم غماً بغم».

(٢ و ٣) قالها في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٧ عند تفسيره لقوله تعالى: «لكي لاتحزنوا».

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٠ عند تفسيره لقوله تعالى: «لكي لاتحزنوا على مافاتكم».

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا: أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم النعاس.

وعن أبي طلحة: غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا، فيأخذه، ثم يسقط فيأخذه[1].

و«الامنة» الأمن، نصب على المفعول، و«نعاساً» بدل منها، أو هو المفعول، و«أمنة» حال منه متقدّمة، أو مفعول له، أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة، أو على أنّه جمع آمن كبار وبررة.

وقرئ «أمنة» بسكون الميم، كأنّها المرة من الأمن.

وفي تفسير العياشي: عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله (عليه السلام)

---

(١) رواه في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٧ عند تفسيره لقوله تعالى: «ثم أنزل عليكم من بعد الغم».

وذكر يوم أُحد: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كسرت رباعيّته وإنّ الناس ولّوا مصعدين في الوادي والرسول يدعوهم في أُخراهم وأثابهم غماً بغم ثم انزل عليهم النعاس، فقلت: النعاس ماهو؟ قال: الهمّ، فلما إستيقظوا قالوا كفرنا[1]. والحديث طويل اخذت منه موضع الحاجة.

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: أي النعاس.

وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردّاً على الأمنة. والطائفة، المؤمنون حقّاً.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ هم المنافقون.

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أوقعتهم أنفسهم في الهموم، أو مايهمّهم إلّا همّ أنفسهم وطلب خلاصها.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: صفة أُخرى لطائفة، أو حال، أو استئناف على وجه البيان لما قبله.

و«غير الحق» نصب على المصدر، أي يظنّون بالله غير الظنّ الحقّ الذي يحقّ أن يظنّ به، و «ظنّ الجاهليّة» بدله، وهو الظنّ المختصّ بالملّة الجاهليّة وأهلها.

﴿يَقُولُونَ﴾: أي لرسول الله، وهو بدل من «يظنّون».

﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾: هل لنا ممّا أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط.

وقيل: أخبر ابن أُبيّ بقتل بني الخزرج، فقال ذلك، والمعنى إنّا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا، فلم يبق لنا من الأمر شيء، أو هل يزول عنّا هذا القهر، فيكون لنا من الأمر شيء؟

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: أي الغلبة الحقيقيّة لله تعالى وأوليائه «فإن حزب الله هم الغالبون»[2]، أو القضاء له يفعل مايشاء، ويحكم مايريد وهو اعتراض.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٥.

(٢) المائدة: ٥٦.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب كلّه بالرفع على الابتداء.

يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ: حال من ضمير (يقولون) أي يقولون: مظهرين أنّهم مسترشدون طالبون للنصر، مبطنين الإنكار والتكذيب.

يَقُولُونَ: أي في أنفسهم، و إذا خلا بعضهم إلى بعض. وهو بدل من «يخفون» أو استئناف على وجه البيان له.

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ: كما وعد محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وزعم متوصّلاً أنّ الأمر كلّه لله تعالى ولأوليائه، أو لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح، كما كان رأي ابن ابيّ وغيره.

مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا: لما غلبنا، أو لما قتل من قتل منّا في هذه المعركة.

قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ: أي لخرج الذين قدّر الله عليهم القتل و كتبه في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم و لم تنفعهم الإقامة بالمدينة، ولم ينج منهم أحد، فإنّه قدر الامور ودبّرها في سابق قضائه، لامعقّب لحكمه.

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ: وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق، وهو علّة فعل محذوف، أي وفعل ذلك ليبتلي، أو عطف على محذوف، أي لبرز لنفاذ القضاء، أو لمصالح جمّة وللابتلاء، أو على قوله: «لكيلا تحزنوا».

وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ: وليكشفه ويميّزه، أو يخلّصه عن الوساوس.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ: بخفياتها قبل إظهارها.

وفيه وعد و وعيد وتنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء، و إنّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و إظهار حال المنافقين[1].

---

(١) انظر ص٢٥٩ـ٢٦٠ الهامش ١، ٢، ٤، والى هنا نقلها من تفسير البيضاوي حرفاً بحرف.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ
غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ
حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ: انهزموا يوم أُحد، والجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين.

إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ: حملهم على الزلّة.

بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ: من معصيتهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بترك المركز والحرص على الغنيمة وغير ذلك، فمنعوا التأييد وقوّة القلب.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان» أي خذلهم حتى طلبوا الغنيمة «ببعض ما كسبوا» قال بذنوبهم[1].

وفي تفسير العياشي: عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) في قوله: «إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا» فهو عقبة بن عثمان وعثمان بن سعد[2].

عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله (عليه السلام): هم أصحاب العقبة[3].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢١ عند تفسيره لقوله تعالى: «ان الذين تولوا منكم».

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٦. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٨.

وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ: لتوبتهم واعتذارهم.

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ: للذنوب.

حَلِيمٌ: لايعاجل بعقوبة المذنب، كي يتوب.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ: يعني المنافقين.

وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ: لأجلهم وفيهم. ومعنى إخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب.

إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ: إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها.

وكان حقه (إذ) لقوله: «قالوا» لكنه جاء على حكاية الحال الماضية.

أَوْ كَانُواْ غُزًّى: جمع غاز، كعاف وعفى.

لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ: مفعول «قالوا» وهو يدلّ على أنّ إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به.

لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ: متعلق بـ «قالوا» على أنّ اللام لام العاقبة، مثلها في «ليكون لهم عدواً وحزناً»[1] أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصّة، فذلك إشارة إلى مادلّ عليه قولهم من الاعتقاد.

وقيل: إلى مادلّ عليه النهي، أي لا تكونوا مثلهم، ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، فإنّ مخالفتهم ومضادتهم ممّا يغمّهم.

وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ: ردّ لقولهم، أي هو المؤثّر في الحياة والممات، لاالإقامة والسفر، فإنّه تعالى قد يحيى المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد.

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ: تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، على أنّه وعيد للذين كفروا.

---

(١) القصص: ٨.

وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ: أي متم في سبيله.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات.

لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ: جواب القسم، وهو ساد مسدّ الجزاء. والمعنى: أنّ السفر والغزو ليس ممّا يجلب الموت ويقدّم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل الله، فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير ممّا تجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا.

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن المغيرة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سئل عن قول الله: «ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم» قال: أتدري ياجابر ماسبيل الله؟ فقلت: لا والله إلّا أن أسمعه منك، قال: سبيل الله عليّ وذرّيته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله[1].

وفي كتاب معاني الأخبار: أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخل[2]، عن

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦٢ وسند الحديث (عن عبدالله بن المغيرة، عمّن حدّثه، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام)، وتمام الحديث (ليس من يؤمن من هذه الأمّة إلّا وله قتلة وميتة، قال: إنّه من قتل ينشر حتى يموت ومن مات ينشر حتى يقتل).

(٢) المنخلّ بن جميل الأسدي بيّاع الجواري الكوفيّ: الضبط، المنخّل بضم الميم وفتح النون وفتح الخاء المعجمة المشدّدة بعدها اللام قاله في الخلاصة والإيضاح وزاد في الثاني قوله: وقيل: بسكون النون وضمّ الخاء، قلت: وقيل: بفتح النون وكسر الخاء المشدّدة، وقال النجاشي: منخّل بن جميل الأسدي بيّاع الجواري ضعيف فاسد الرواية، روى عن أبي عبدالله (عليه السلام) له كتاب التفسير، وقال ابن الغضائري: ضعيف في مذهبه غلوّ، ولكن المحقّق الوحيد (رحمه الله) بنى على
←

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن هذه الآية في قول الله (عزّوجلّ): «ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم» قال: فقال: أتدري ماسبيل الله؟ قال: قلت: لا والله إلّا أن أسمعه منك، قال: سبيل الله عليّ (عليه السلام) وذرّيته، وسبيل الله من قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله[1].

وقرأ حفص بالياء.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ: على أي وجه اتفق هلاككم.

لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ: لا إلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجكم لأجله، لا إلى غيره، لا محالة تحشرون، فيوفّي جزاءكم ويعظّم ثوابكم.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي «متم» بالكسر.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ: أي فبرحمة، و«ما» مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم، ما كان إلّا برحمة من الله، وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم، حتى اغتمّ بعد أن خالفوه.

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا: سيئ الخلق جافياً.

المناقشة في ذلك فقال: الظاهر أنّ رميهم إيّاه بالغلوّ لروايته الروايات الدالّة عليه على زعمهم وفي ثبوت الضعف بذلك تأمّل (تلخيص من تنقيح المقال: ج ٣ ص ٢٤٧ تحت رقم ١٢١٣٥.

(١) معاني الأخبار: ص ١٦٧ باب معنى سبيل الله، ح ١.

غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ: قاسية.

لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ: لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك.

فَٱعْفُ عَنْهُمْ: فيما يختص بك.

وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ: فيما لله.

وفي تفسير العياشي: عن صفوان قال: استأذنت لمحمد بن خالد، عن الرضا أبي الحسن (عليه السلام) وأخبرته أنّه ليس يقول بهذا القول، وأنّه قال: والله لا اريد بلقائه إلّا لأنتهي إلى قوله، فقال: ادخله، فدخل فقال له: جعلت فداك أنّه كان فرط منّي شيء، وأسرفت على نفسي ـ وكان فيما يزعمون أنّه كان، بعينه فقأ ـ وأن أستغفر الله ممّا كان منّي، فأحبّ أن تقبل عذري وتغفر لي ما كان منّي؟ فقال: نعم أقبل، إن لم أقبل كان ابطال مايقول هذا وأصحابه ـ وأشار إليّ بيده ـ ومصداق مايقول الآخرون، يعني المخالفين، قال الله لنبيّه (عليه وآله السلام): «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر» ثم سأله عن أبيه، فأخبره أنّه قد مضى واستغفر له[1].

وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ: في أمر الحرب، إذ الكلام فيه، أو فيما يصحّ أن يشاور فيه، استظهاراً برأيهم، وتطييباً لنفوسهم، وتمهيداً لسنّة المشاورة للأُمّة.

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): من استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[2].

وفيه قال (عليه السلام): والاستشارة من الهداية فقد خاطر من استغنى برأيه[3].

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى أبي البختري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه،

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٣ ح ١٦٣.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٠٠ باب المختار من حكم أميرالمؤمنين (عليه السلام) تحت رقم ١٦١ صبحي الصالح.

(٣) نهج البلاغة: ص ٥٠٦ باب المختار من حكم أميرالمؤمنين (عليه السلام) قطعة من رقم ٢١١ صبحي الصالح.

عن جدّه، عن علي (عليهم السلام)، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل، وفيه: لاوحدة أوحش من العجب، ولامظاهرة أوثق من المشاورة[١].

وفي كتاب الخصال: عن محمد بن آدم، عن أبيه بإسناده قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ياعلي لا تشاورنّ جباناً فإنه يضيّق عليك المخرج، ولا تشاورنّ البخيل فإنّه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاورنّ حريصاً فإنه يزيّن لك شرّها[٢].

وفيه: في الحقوق المرويّة عن علي بن الحسين (عليهما السلام): وحقّ المستشير إن علمت أنّ له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم، وحقّ المشير عليك أن لا تتهمه فيما لايوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله[٣].

وعن سفيان الثوري قال: لقيت الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) فقلت له: يابن رسول الله أوصني فقال لي: ياسفيان لامروّة للكذوب، إلى قوله: وشاور في أمرك الذين يخشون الله[٤].

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: إذا وطّنت نفسك على شيء بعد الشورى.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: في إمضاء أمرك على ماهو أصلح لك، فإنّه لايعلمه، سواه.

وقرئ: فإذا عزمت على التكلّم، أي فإذا عزمت لك على شيء وعيّنته لك، فتوكّل عليّ ولا تشاور فيه أحداً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح.

وفي تفسير العياشي: أحمد بن محمد، عن علي بن مهزيار قال: كتب إليّ أبو

---

(١) التوحيد: ص ٣٧٦ باب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال ح ٢٠ س٢.

(٢) الخصال: ص ١٠١ باب الثلاثة، النهي عن مشاورة ثلاثة، ح ٥٧.

(٣) الخصال: ص ٥٧٠ أبواب الخمسين وما فوقه، ح ١.

(٤) الخصال: ص ١٦٩ باب الثلاثة، أمر الباقر (عليه السلام) ابنه الصادق (عليه السلام) بثلاث ونهاه عن ثلاث، ح ٢٢٢.

إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠

جعفر (عليه السلام) أن سل فلاناً أن يشير عليّ ويتخيّر لنفسه[١]، فهو يعلم مايجوز في بلده وكيف يعامل السلاطين، فإنّ المشورة مباركة قال الله لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في محكم كتابه: «فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إن الله يحب المتوكلين» فإن كان مايقول ممّا يجوز، كنت أصوب لرأيه، وإن كان غير ذلك رجوت أن أضعه على الطريق الواضح إن شاء الله.

وشاورهم في الأمر، قال: يعني الاستخارة[٢].

إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ: فلا أحد يغلبكم.

وَإِن يَخْذُلْكُمْ: كما خذلكم يوم أُحد.

فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ: من بعد خذلانه، أو من بعد الله، بمعنى إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم.

وهذا تنبيه على المقتضى للتوكّل، وتحريض على مايستحقّ به النصر من الله، وتحذير عمّا يستجلب خذلانه.

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى عبدالله بن الفضل الهاشمي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) -حديث طويل- يقول فيه: فقلت: قوله (عزّوجلّ): «وما توفيقي إلّا

---

(١) لعلّ المراد من قوله (عليه السلام) (يشير عليّ) أي سله يظهر لي ماعنده من مصلحتي في أمر كذا (ويتخيّر لنفسه) أي يتخيّر لي تخيّراً كتخيّره لنفسه، كما هو شأن الأخ المحبّ المحبوب الذي يخشى الله تعالى (كذا في هامش تفسير العياشي) وكذا أيضاً في هامش بحار الأنوار مع زيادة قوله: وفي لفظ الحديث اضطراب، (لاحظ البحار ط بيروت ج٧٢ ص ١٠٣ باب المشورة وقبولها ح ٣٤).

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٤ ح ١٤٧.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾

بالله»[١] وقوله (عزّوجلّ): «إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده» فقال: إذا فعل العبد ما أمره الله (عزّوجلّ) به من الطاعة، كان فعله وفقاً لأمر الله (عزّوجلّ)، سمّي العبد به موفّقاً. وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله، فحال الله (تبارك وتعالى) بينه وبين تلك المعصية، فتركها كان تركها بتوفيق الله (تعالى ذكره). ومتى خلّى بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفّقه[٢].

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليخصّوه بالتوكّل عليه، لمّا علموا أن لاناصر سواه، وآمنوا به.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: وما صحّ لنبيّ أن يخون في الغنائم، فإنّ النبوّة تنافي الخيانة.

يقال: غلّ شيئاً من المغنم يغلّ غلولاً، وأغلّ أغلالاً، إذا أخذه في خفية.

والمراد منه براءة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عمّا اتّهم به.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب «ان يغل» على البناء للمفعول، والمعنى: وما صحّ له أن يوجد غالاًّ، أو أن ينسب إلى الغلول.

في تفسير علي بن إبراهيم: إنّ سبب نزولها أنّه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم

---

(١) هود: ٨٨.

(٢) التوحيد: ص ٢٤٢ باب تفسير الهدى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى ح١ س١.

بدر، قطيفة حمراء، ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): مالنا لانرى القطيفة؟ لاأظنّ إلّا رسول الله أخذها، فأنزل الله في ذلك «وما كان لنبيّ أن يغل» الآية، فجاء رجل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة، فأخبأها هنالك فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة[1].

وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ: أي يأتي بما غلّ من النار يوم القيامة، أي يجعل ما غلّ في النار ويكلّف بأن يخرجه منها.

كما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «وما كان لنبيّ أن يغل» قال: فصدق الله لم يكن الله ليجعل نبياً غالاً «ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة» من غلّ شيئاً رآه يوم القيامة في النار، ثم يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النار[2].

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى الصادق (عليه السلام)، -حديث طويل- يقول فيه: إنّ رضا الناس لايملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء، حتى أظهره الله على القطيفة، وبرّأ نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من الخيانة، وأنزل في كتابه «وما كان لنبيّ أن يغل ومن يغلل يأتي بما غلّ يوم القيامة»[3].

ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ: تعطىٰ جزاء ما كسبت وافياً.

وكان الظاهر أن يقال: ثم يوفّىٰ ما كسب، لكنه عمّم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه، فإنّه إذا كان كلّ كاسب مجزيّاً بعمله، فالغالّ مع عظم جرمه أولى.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ: فلا ينقص ثواب مطيعهم، ولا يزاد عقاب عاصيهم.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٦ في تفسيره لقوله تعالى: «وما كان لنبي أن يغل».

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٢ في تفسيره لقوله تعالى: «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة».

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٩٢ المجلس الثاني والعشرون ح٣، والحديث طويل جداً.

هُم دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣
لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ
يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤

أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ: بالطاعة، إنكار للتسوية.

كَمَنۢ بَآءَ: رجع.

بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ: بسبب المعاصي.

وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ: والفرق بينه وبين المرجع، أنّ المصير يجب أن يخالف الحالة الأُولى، ولا كذلك المرجع.

هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ: قيل: شبّهوا بالدرجات، لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب، أو هم ذو درجات(١).

وقيل: يحتمل أن يكون تشبيههم بالدرجات في أنّهم وسائل الصعود إلى الله، والهبوط من قربه إلى أسفل السافلين.

ولا يخفى ما في هذه التوجيهات من التكلّف.

والصواب أنّ ضمير (هم) راجع إلى من اتبع، والمراد منهم الأئمّة، وهم درجات عندالله لمن اتبعهم من المؤمنين وأسباب لرفعتهم عندالله.

وفي تفسير العياشي: عن عمّار بن مروان قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله: «أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير»؟ فقال: «الذين اتبعوا رضوان الله» هم الأئمّة، وهم والله درجات عندالله للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٩٠ في تفسيره لآية ١٦٢ من سورة آل عمران.

الدرجات العلى. وأمّا قوله: ياعمار «كمن باء بسخط من الله» الى قوله: «المصير» فهم والله الذين جحدوا حقّ عليّ بن أبي طالب وحقّ الأئمّة منّا أهل البيت، فباؤوا بذلك بسخط من الله(١).

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنّه ذكر قول الله: «هم درجات عندالله» قال: الدرجة مابين السماء والأرض(٢).

وفي اصول الكافي: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن هشام، عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ) عن هذه الآية فقال: «الذين اتبعوا رضوان الله» هم الأئمّة(٣)، وهم والله ياعمار درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم، ويرفع الله لهم الدرجات العلى(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثنا أحمد بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن علي ابن محمّد، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن يحيى، عن علي بن النضر، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل يذكر فيه لقمان ووعظه لابنه، وفيه: من اتبع أمره استوجب جنّته ومرضاته، ومن لم يتّبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه، نعوذ بالله من سخط الله(٥).

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٥ ح ١٤٩ بزيادة ونقصان في بعض الجمل.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٥ ح ١٥٠.

(٣) قوله: (هم الأئمّة) الظاهر أنّ الضمير راجع إلى الذين اتبعوا، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى رضوان الله وإطلاقه على الأئمّة مجاز من باب إطلاق المسبّب على السبب، لأنّهم سبب لرضوان الله تعالى، قوله: «وهم والله ياعمار درجات للمؤمنين» الحمل للمبالغة، أو التقدير، ذو درجات، باعتبار تفاوت مقامات المؤمنين بهم بالنسبة إليهم في المحبّة والطاعة والعلم والعمل. قوله: «يضاعف الله لهم أعمالهم» على حسب أحوالهم فيا ذكر، وكذلك قوله: «يرفع الله لهم الدرجات العلى» (شرح الكافي للعلامة المازندراني: ج٧ ص١٠١ كتاب الحجة.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٤٣٠ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٨٤.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ١٦٥ س ٥ وسند الحديث ص ١٦١ وفيه (الحسين بن محمد) بدل (أحمد بن محمد).

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥

وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ: عالم بأعمالهم، فيجازيهم على حسبها.

لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ: أنعم الله، واللام موطئة للقسم.

وقرئ بـ(مِنْ) الجارة على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي منه، أو بعثه.

عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ على الذين آمنوا مع الرسول.

وتخصيصهم، مع أنّ نعمة البعثة عامة؛ لزيادة انتفاعهم بها.

إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ: من نسبهم، أو من صنفهم عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به.

وقرئ «من أنفسهم» أي من أشرفهم، لأنّه (عليه السلام) كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم.

يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ: أي القرآن، بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي.

وَيُزَكِّيهِمۡ: ويطهّرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال.

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ: القرآن والسنّة.

وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ: «إن» هي المخفّفة، واللام هي الفارقة. والمعنى، وإن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر.

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا: الهمزة للتقرير والتقريع، والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة أحد، أو على محذوف، أي فعلتم كذا وقلتم كذا، و«لمّا» ظرفه المضاف إلى «أصابتكم» أي حين أصابتكم مصيبة، وهي قتل سبعين منكم يوم أحد، والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين.

قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا: أي من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر[١].

وفي تفسير العياشي: محمد بن أبي حمزة، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً، قتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أُحد أُصيب من المسلمين سبعون رجلاً، قال: فاغتمّوا لذلك، فأنزل الله (تبارك وتعالى): «أو لمّا» الآية[٢].

قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ: باختياركم الفداء يوم بدر، كذا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) رواه في مجمع البيان[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: انّ يوم بدر قتل من قريش سبعون وأُسر منهم سبعون، وكان الحكم في الاسارى يوم بدر القتل، فقامت الأنصار، فقالوا: يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هبهم لنا ولا تقتلهم حتى نفاديهم، فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال: إنّ الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم ويطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منه الفداء، فأخبرهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بهذا الشرط، فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء عن هؤلاء ونتقوى به، ويقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء، وندخل الجنة، فأخذوا منهم الفداء وأطلقوهم، فلما كان يوم أُحد قتل من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سبعون، فقالوا: يا رسول الله ماهذا الذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر؟ فأنزل الله «أو لمّا أصابتكم» الآية «قل هو من عند أنفسكم» بما اشترطتم يوم بدر[٤].

قال البيضاوي: أي ممّا اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر، بترك المركز، فإنّ

---

(١) من قوله: (وتخصيصهم) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): لاحظ ج ١ ص ١٩٠ في تفسيره لقوله تعالى: «لقد من الله على المؤمنين».

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٥ ح ١٥١.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٣٣ في تفسيره لقوله تعالى: «أو لما أصابتكم» ورواه أيضاً في أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٩١ عن عليّ (عليه السلام) لاحظ تفسيره للآية.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٦ عند تفسيره لقوله تعالى: «أو لما أصابتكم مصيبة» الآية.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ
يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ
فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾

الوعد كان مشروطاً بالثبات والمطاوعة، أو اختيار الخروج من المدينة[١].

والأوّل مخالف للنصّ، والثاني لعدم الردّ على اختيار الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ: فيقدر على النصر ومنعه، وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ: من القتل.

يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ: يوم أُحد، والجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين.

فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ: فهو كائن بتخلية الكفار، وسمّاها إذناً مجازاً مرسلاً، لأنّها من لوازمه، ليفي بما شرطتم يوم بدر حين اختياركم.

وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ: وليتميّز المؤمنون والمنافقون، فيظهر إيمان هؤلاء بالصبر ونفاق هؤلاء بإظهار طلب وعد النصر والإعراض عن الاشتراط.

وفي إيراد أحد المفعولين بما يدلّ على الحدوث، دون الآخر، مدح للمؤمنين بالثبات على الإيمان والمنافقين بعدمه.

وَقِيلَ لَهُمۡ: عطف على «نافقوا» داخل في الصلة، أو كلام مبتدأ.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩١ عند تفسيره لقوله تعالى: «قل هو من عند أنفسكم».

تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا: تقسيم للأمر عليهم و تخيير بين أن يقاتلوا للآخرة، أو للدفع عن الأنفس والأموال. أو معناه: قاتلوا الكفرة، أو ادفعوهم بتكثير سواد المجاهدين، فانّ كثرة السواد ممّا يروع العدو ويكسر منه.

قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ: أي لو نعلم ما يصحّ أن يسمّى قتالاً، لا تّبعناكم فيه، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال، بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، أو لونحسن قتالاً لا تّبعناكم، قالوا ذلك دغلاً واستهزاء[١].

هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ: أي يوم إذ قالوا ذلك، أو يوم إذ قام القتال وأحسّوا به.

أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ: قيل: لانخزالهم وكلامهم هذا، فإنّهما أوّل امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، إذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلاً للمؤمنين، والأولى الحمل على مايشمل المعنيين، أي هم لتقوية الكفر، أي كفرهم وكفر من شاركهم فيه، أقرب منهم لتقوية الإيمان، لأنّ ماظهر منهم يدلّ على كفرهم، وتقوية للكافرين، وتخذيل للمؤمنين.

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ: يظهرون خلاف مايضمرونه. وإضافة القول إلى أفواههم تأكيد.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ: من النفاق وما يخلو به بعضهم إلى بعض، فإنّه يعلمه مفصّلاً بعلم واجب، وأنتم تعلمون مجملاً بامارات.

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق (عليه السلام) في كلام له: ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب، ورخّص لنفسه بذلك واتّبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أمور الدنيا وجمعها وإمساكها: يقرّ باللسان أنّه لامانع ولامعطي إلّا الله، وأنّ العبد لايصيب إلّا مارزق وقسم له، والجهد لايزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه، قال الله تعالى: «يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما

---

(١) من قوله: (عطف على نافقوا) إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج١ ص ١٩١، فلاحظ.

الَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

يكتمون»[١].

الَّذِينَ قَالُواْ: مرفوع، بدل من واو يكتمون، أو منصوب على الذم، أو الوصف للذين «نافقوا» أو مجرور بدل من الضمير في «بأفواههم» أو «قلوبهم».

لِإِخْوَٰنِهِمْ: لأجلهم، يريد من قتل يوم أُحد من أقاربهم، أو من جنسهم:

وَقَعَدُواْ: حال مقدّر بـ«قد» أي قالوا: قاعدين عن القتال.

لَوْ أَطَاعُونَا: في القعود.

مَا قُتِلُواْ: كما لم نقتل.

وقرأ هشام: ماقتّلوا بالتشديد.

قُلْ فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ: في أنكم تقدرون على دفع القتل وأسبابه ممّن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه، فإنه أحرى بكم. والمعنى أنّ القعود غير مغن، فإنّ أسباب الموت كثيرة، كما أنّ القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة، قد يكون الأمر بالعكس، فإنّه قد يدفع بالقتال العدوّ، فينجو، وبالقعود يصير العدوّ جريئاً فيغلب عليه فيهلك.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا:

في مجمع البيان: قيل: نزلت في شهداء بدر كانوا أربعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وقيل: نزلت في شهداء أُحد وكانوا سبعين رجلاً،

(١) مصباح الشريعة: ص ٦٠، الباب السابع والثمانون في اليقين س ٦.

أربعة من المهاجرين حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبدالله بن جحش، وسائرهم من الأنصار. وقال الباقر وكثير من المفسرين: إنّما تتناول قتلى بدر وأُحد معاً[(١)].

والخطاب لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو لكلّ أحد.

وقرأ هشام: بالتاء كالباقين، وبالياء أيضاً على اسناده إلى ضمير رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو من يحسب، أو إلى الذين قتلوا، والمفعول الأول محذوف، لأنّه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة.

وقرأ ابن عامر: «قتّلوا» بالتشديد، لكثرة المقتولين.

بَلۡ أَحۡيَآءٌ: أي بل هم أحياء، وقرئ بالنصب أي بل أحسبهم أحياء.

عِندَ رَبِّهِمۡ: ذوو زلفى منه.

وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أتى رجل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: إنّي راغب نشيط في الجهاد قال: فجاهد في سبيل الله، فإنّك إن تقتل كنت حيّاً عندالله ترزق، وإن متّ فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله[(٢)].

هذا تفسير «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا» الآية.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) أنّه قيل له: يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حواصل طير، ولكن في أبدان كأبدانهم[(٣)].

يُرۡزَقُونَ: من الجنة، وهو تأكيد لكونهم أحياء.

وفي الكافي، علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٣٥ في نقل شأن النزول لقوله تعالى: «ولاتحسبن الذين قتلوا» إلى قوله: «إن الله لايضيع أجر المؤمنين».

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٦ ح ١٥٢.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين ح١.

عقيل الخزاعي، أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات يقول: تعاهدوا الصلاة، إلى أن قال: (عليه السلام): ثم أنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم، مع العزّة والمنعة، وهو الكرّة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة، وبالرزق غداً عند الربّ والكرامة، يقول الله تعالى: «ولاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله» الآية[١].

وفي اصوله: محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن أبي عبدالله، ومحمد بن أبي الحسن، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن عباس بن الحارث[٢][٣] عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام): أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال يوماً لأبي بكر: «لاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون»[٤] وأشهد أنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مات شهيداً، والله

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٦ كتاب الجهاد، باب ما كان يوصي أميرالمؤمنين (عليه السلام) به عند القتال، قطعة من ح١.

(٢) راوي الحديث كما في الكافي: (الحسن بن العباس بن الجريش) فلاحظ.

(٣) قال العلامة المجلسي (قدّس سرّه) في مرآة العقول: ج ٦ ص ٢٢٩: في شرح الحديث ما لفظه (الحديث الثالث عشر: كالسابق (أي ضعيف على المشهور) وهذا أيضاً مرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام) وكلّها مأخوذ من كتاب ابن الجريش في إنّا أنزلناه في ليلة القدر، وضعّفه النجاشيّ وابن الغضائري، لاشتمال كتابه على الأخبار الغالية الغامضة التي لا تبلغ إليها عقول أكثر الخلق. وفي أكثر كتاب الرجال الحريش بالحاء المهملة، وفي أكثر كتب الحديث بالجيم (مات شهيداً) أي مقتولاً بالسم، وظهور النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إمّا بجسده الأصلي كما ذهب إليه جماعة من الأصحاب: إنّ أرواحهم تردّ إلى أجسادهم الأصليّة، أو بجسده المثالي، وقد مرّ تحقيق ذلك كما أظنّ، وهذا المضمون وارد في أخبار كثيرة، أوردتها في الكتاب الكبير، وفي أكثرها أنّه رآه في مسجد قبا، وقوله: «أنهم» بفتح الهمزة، بدل (عليّ واحد عشر) ويمكن أن يقرأ بكسر الهمزة، ليكون استئنافاً بيانياً (ثم ذهب) أي الرسول (صلّى الله عليه وآله) (فلم ير) على المجهول، أي لم يره غير المعصومين، وقيل: ضمير (ذهب) لأبي بكر، وكذا ضمير (لم ير) على بناء المعلوم، أي لم يختر الإيمان والتوبة، ولايخفى بعده).

(٤) وقال العلامة المازندراني في شرح الكافي: ج٧ ص٣٧٧ ما لفظه.

قوله: «ولاتحسبنّ الذين قتلوا - إلى قوله - مات شهيداً» ذكر الآية الكريمة مقدّمة وتمهيد لما بعدها،

←

ليأتينك فأيقن إذا جاءك، فإنّ الشيطان غير متخيّل به، فأخذ عليّ (عليه السلام) بيد أبي بكر فأراه النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، فقال له: يا أبابكر آمن بعليّ وبأحد عشر من ولده، إنّهم مثلي إلاّ النبوة، وتب إلى الله ممّا في يدك، فإنّه لا حقّ لك فيه، ثم ذهب فلم ير[(١)].

وفي روضة الكافي: يحيى الحلبي، عن عبدالله بن مسكان، عن ابي بصير قال: قلت: جعلت فداك الرادّ على هذا الأمر فهو كالرادّ عليكم؟ فقال: يا أبا محمد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعلى الله (تبارك وتعالى)، يا أبا محمد إنّ الميت على هذا الأمر شهيد قال قلت: وإن مات على فراشه قال: اي والله على فراشه حيّ عند ربه يرزق[(٢)].

° ° °

من أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يمكن مجيئه ورؤيته، والحاصل أنّه شهيد وكلّ شهيد حيّ، فهو حيّ، فيمكن أن يجيء ويرى، وقد أشار إلى أنّه يجيء على وجه المبالغة بقوله (والله ليأتينك) إكمالاً للحجّة عليك كما أكملها قبل الموت، فأيقن إذا جاءك أنّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ولا تظن أنّه الشيطان، فإنّ الشيطان غير متخيّل ولا متمثّل بصورته، يدلّ عليه أيضاً ما رواه في كشف الغمة عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: لقد حدّثني أبي عن جدّي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: من رآني في منامه فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوّة. ومن طرق العامّة عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: من رآني في المنام فقد رآني، لأنّ الشيطان لا يتمثّل بي. ومن ثم قالوا: من رأى صورته في النوم، واليقظة وقال له: أنا رسول الله، أو قال شخص آخر: هو رسول الله، أو الهم في قلبه أنّه رسول الله فقد رآه، وليس المرئي من تخيّلات الشيطان إلخ.

ولقد أجاد وأطال وأفاد في صحّة الرؤية وعدم تمثّل الشيطان بصورتهم (صلوات الله عليهم)، من أراد فليراجع.

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٣٣، كتاب الحجّة باب ماجاء في الاثني عشر، والنصّ عليهم، (عليهم السلام) ح ١٣.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٢٨ ح ١٢٠.

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ: وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبديّة، والقرب من الله تعالى والتمتّع بنعيم الجنة.

وَيَسْتَبْشِرُونَ: يسرّون بالبشارة.

بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم: أي بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم.

مِّنْ خَلْفِهِمْ: أي الذين من خلفهم زماناً أو رتبة.

أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بدل من «الذين» والمعنى أنّهم يستبشرون بما تبيّن لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين. وهو أنّهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة أبديّة، لايكدرها خوف وقوع محذور، وحزن فوات محبوب.

في روضة الكافي: ابن محبوب، عن الحارث بن النعمان، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزّ ذكره): «ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون»؟ قال: هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله (عزّوجلّ)، علموا واستيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ على دين الله (عزّ ذكره) فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين، الّا خوف عليهم ولاهم يحزنون[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: هم والله شيعتنا، إذا دخلوا الجنة واستقبلوا الكرامة من الله، استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٣٧ ح ١٤٦.

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

المؤمنين في الدنيا، الّا خوف عليهم ولاهم يحزنون[1].

يَسْتَبْشِرُونَ: كرّره للتوكيد، وليتعلّق به ماهو بيان لقوله: «الّا خوف». ويجوز أن يكون الأوّل بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم.

بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ: ثواباً لأعمالهم.

وَفَضْلٍ: زيادة عليه، لقوله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»[2] وتنكيرهما للتعظيم.

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: من جملة المستبشر به، عطف على «فضل».

وقرأ الكسائي بالكسر على أنّه استئناف معترض دالّ على أنّ ذلك أجرلهم على إيمانهم، مشعر بأنّ من لا إيمان له أعماله محبطة واجوره مضيّعة.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ: صفة للمؤمنين، أو نصب على المدح، أو مبتدأ خبره.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ: بجملته، و«من» للبيان، والمقصود من ذكر الوصفين، المدح والتعليل، لاالتقييد، لأنّ المستجيبين كلّهم محسنون متقون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لمّا دخل المدينة من وقعة أُحد نزل عليه جبرئيل فقال: يامحمد إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٧ عند تفسيره لقوله تعالى: «ولاتحسبنّ الذين قتلوا» الآية.

(٢) يونس: ٢٦.

القوم، ولا يخرج معك إلّا من به جراحة، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منادياً ينادي: يامعشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم ويداوونها، فخرجوا على مابهم من الألم والجراح، فلمّا بلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حمراء الاسد(١) وقريش قد نزلت الروحاء(٢)، قال عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد: نرجع ونغير على المدينة، فقد قتلنا سراتهم وكبشهم، يعنون حمزة، فوافاهم رجل خرج من المدينة، فسألوه الخبر فقال: تركت محمّداً وأصحابه بحمراء الأُسد يطلبونكم جدّ الطلب، فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي، فقد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قط بغوا، فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي، قال أبو سفيان: أين تريد؟ قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً، قال: هل لك أن تمرّ بحمراء الأُسد وتلق أصحاب محمّد، وتعلمهم أنّ حلفاءنا وموالينا قد وافونا من الأحابيش، حتى يرجعوا عنّا، ولك عندي عشرة قلائص(٣) أملؤها تمراً وزبيباً؟ قال: نعم، فوافى من عند ذلك اليوم حمراء الأسد، فقال لأصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أين تريدون؟ قالوا: قريشاً، قال: ارجعوا، إنّ قريشاً قد اجتمعت عليهم حلفاؤهم، ومن كان تخلف عنهم، وما أظن إلّا وأوائل

---

(١) حمراء الأُسد: الأُسد أحد الأسد، بالمدّ والإضافة، وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم أُحد في طلب المشركين (معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٠١).

(٢) والروحاء كحمراء بلد من عمل الفرع، على نحو من أربعين ميلاً من المدينة (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٣٦٤ لغة روح).

الروحاء: الروح والراحة من الاستراحة. لمّا رجع تبّع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح فسمّاها الروحاء، وهي من عمل الفرع على نحو من أربعين يوماً (معجم البلدان: ج٣ ص٧٦).

(٣) القلوص: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء، وقيل: هي الثنية، وقيل: هي ابنة المخاض، وقيل: هي كلّ أُنثى من الإبل حين تركب وإن كانت بنت لبون أو حقّة إلى أن تصير بكرة أو تبزل، (لسان العرب: ج٧ ص٨١ لغة قلص).

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾

خيلهم يطلعون عليكم الساعة، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، مانبالي، فنزل جبرئيل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: ارجع يامحمد، فإنّ الله قد أرعب قريشاً، ومرّوا لايلون على شيء، فرجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى المدينة وأنزل الله الذين استجابوا لله والرسول، الآيات[١].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثنا الحسين بن الحكم معنعناً عن ابن عباس (رضي الله عنه) في يوم أحد في قوله تعالى: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح» يعني الجراحة «للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم» نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتسعة منهم بعثهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أثر أبي سفيان حين ارتحل فاستجابوا لله ولرسوله[٢].

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ: يعني الركب الذين استقبلتهم من عبد قيس، أو نعيم ابن مسعود الأشجعي.

وفي مجمع البيان: عنهما (عليهما السلام): إنّ المراد نعيم بن مسعود الأشجعي.

وأطلق عليه الناس لأنّه من جنسه كما قال: فلان يركب الخيل، وما له إلّا فرس واحد، أو لأنّه انضمّ إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه[٣].

إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ: يعني أبا سفيان وأصحابه.

في مجمع البيان: وفي رواية أبي الجارود، عن الباقر (عليه السلام): أنّها نزلت

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٥ عند تفسيره لقوله تعالى: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٩.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٤١ في نقل المعنى لقوله تعالى: «الذين قال لهم الناس».

في غزوة بدر الصغرى، وذلك أنّ أبا سفيان قال يوم أحد: حين أراد أن ينصرف يامحمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ذلك بيننا وبينك، فلمّا كان عام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة[١] من ناحية مرّ الظهران، ثم ألقى الله عليه الرعب، فبدا له في الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: إنّي واعدت محمّداً وأصحابه أن نلتقي موسم بدر الصغرى، وأنّ هذه عام جدب، ولايصلحنا إلّا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لاأخرج إليها، وأكره أن يخرج محمّد ولاأخرج أنا، فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو، فأتى نعيم المدينة، فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم: بئس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلّاشريد،فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لايفلت منكم أحد، فكره رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): والذي نفسي بيده لأخرجنّ ولو وحدي، فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشجاع فإنّه تأهّب للقتال، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى، وهوماء لبني كنانة، وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كلّ عام ثمانية أيام، فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان، وقد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكة، فسمّاهم أهل مكة جيش السويق، ويقولون: إنّما خرجتم تشربون السويق، ولم يلق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأصحابه أحداً من المشركين ببدر، ووافق السوق، وكانت لهم تجارات، فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين

---

(١) مجنّة بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والإخفاء... اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكان ذوالمجاز ومجنّة وعكاظ أسواقاً في الجاهلية. قال الأصمعي: وكانت مجنّة بمرّ الظهران قرب جبل يقال له الأسفل، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ وبعد مجنّة ثلاثة أيام من ذي الحجة، ثم يعرفون في التاسع إلى عرفة، وهويوم التروية (معجم البلدان: ج٧ ص٣٩٠ باب الميم والجيم وما يليهما).

غانمين[1].

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الضمير المستكن للمقول، أو لمصدر قال، أو لفاعله.

والمعنى أنّهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا، بل ثبتت ثقتهم بالله تعالى وازداد إيمانهم، وأظهروا حميّة الإسلام وأخلصوا النيّة عنده.

وفيه دلالة على أنّ الإيمان يزيد بكثرة التأمّل وتناصر الحجج، وينتقص بعروض الشبه والمعارضات.

﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: محسبنا وكافينا، من أحسبه إذا كفاه. ويدلّ على أنّه بمعنى المحسب أنّه لايستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك: هذا رجل حسبك.

﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: ونعم الموكول إليه هو.

في كتاب الخصال: عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: عجبت من أربع كيف لايفزع إلى أربع عجبت لمن خاف كيف لايفزع إلى قوله تعالى: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فإنّي سمعت قول الله عقيبها: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء» الحديث[2].

وفي تهذيب الأحكام: بإسناده إلى الحسن بن علي بن عبدالملك الزيات، عن رجل عن كرام[3]، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أربع لأربع واحدة للقتل

---

(١) مجمع البيان: ج٢ ص٥٤٠ في نقل شأن النزول لقوله تعالى: «الذين استجابوا» إلخ.

(٢) الخصال: ص ٢١٨ باب الأربعة العجب لمن يفزع من أربعة كيف لايفزع إلى أربعة، ح ٤٣ وتمام الحديث (وعجبت لمن اغتمّ كيف لايفزع إلى قوله (عزّوجلّ): «لاإله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فإنّي سمعت الله (عزّوجلّ) يقول بعقبها: «فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين» وعجبت لمن مكر به كيف لايفزع إلى قوله: «وافوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد» فإنّي سمعت الله (جلّ وتقدّس) يقول بعقبها: «فوقاه الله سيئات مامكروا» وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لايفزع إلى قوله (تبارك وتعالى): «ماشاء الله لاقوة إلّا بالله» فإنّي سمعت الله (عزّ اسمه) يقول بعقبها: «إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك» وعسى موجبة).

(٣) الكرّام بالكاف المفتوحة، ثم الراء المهملة المشدّدة، بائع الكرم، شجر العنب (تنقيح المقال: ج ١ ص ١٢ تحت رقم ٤٩).

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

والهزيمة «حسبنا الله ونعم الوكيل» يقول الله «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء» الحديث(١).

فَانقَلَبُوا: فرجعوا من بدر.

بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ: عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه.

وَفَضْلٍ :وربح في التجارة، فإنّهم لـمّا أتوا بدراً، وافوا بها سوقاً، فاتجروا وربحوا.

لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ: من جراحة وكيد عدوّ.

وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ: بجرأتهم وخروجهم.

وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ :قد تفضّل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان، والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد، والتصلّب في الدين، وإظهار الجرأة على العدوّ، وبالحفظ عن كلّ مايسؤهم، وإصابة النفع، مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل. وفيه تحسير وتخطية للمتخلّف، حيث حرم نفسه مافازوا به.

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٧٠ باب النوادر، ح ٧ وتمام الحديث (والأخرى للمكر والسوء: «وأفوّض أمري إلى الله وفوّضت أمري إلى الله» قال الله (عزّوجلّ): «فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» والثالثة للحرق والغرق: ماشاء الله لاقوّة إلّا بالله، وذلك أنّه يقول (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلّا بالله» والرابعة للغمّ والهمّ، لاإله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، قال الله سبحانه: «فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين»).

وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن محمد بن علي (عليهما السلام) قال: لما وجّه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أميرالمؤمنين (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبيّ؟! ولو بعث غيره إلى أهل مكة، وفي مكة صناديد قريش ورجالها، والله الكفر بنا أولى ممّا نحن فيه، فساروا، وقالوا، وخوّفوهم بأهل مكة، وغلّظوا عليهما الأمر، فقال عليّ (عليه السلام): «حسبنا الله ونعم الوكيل» ومضيا، فلمّا دخلا مكة خبّر الله نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بقولهم لعليّ (عليه السلام) وبقول عليّ لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قوله: «ألم تر إلى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» وإنّما نزلت: ألم تر إلى فلان وفلان لقوا علياً وعمّاراً، فقالا: إنّ أبا سفيان وعبدالله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم، فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل[1].

وفي شرح الآيات الباهرة: ونقل إبن مردويه من الجمهور عن ابن رافع أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وجّه علياً (عليه السلام) في نفر في طلب أبي سفيان فلقيه اعرابيّ من خزاعة فقال له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني أباسفيان وأصحابه فقالوا: ـ يعني علياً واصحابه ـ حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت هذه الاية الى قوله: «والله ذو فضل عظيم»[2].

وأقول في الجمع بين الخبر الأوّل وهذان الخبران: إنّ الآية نزلت أوّلاً على الوجه الأوّل كما في الخبر الأوّل، وجرت من الله في الوجه الثاني وفصّلت في الثاني بالتصريح بالاسماء، فاثبت في القرآن على الوجه الأوّل.

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ: يريد به المثبّط نعيماً أو أبا سفيان.

و«الشيطان» خبر «ذلكم» وما بعده بيان لشيطنته، أو صفة وما بعده خبر.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٩ ح ١٥٤.

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتب ووجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١٣١.

ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف، أي إنّما ذلكم قول الشيطان، أي إبليس.

يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ: القاعدين عن الخروج مع الرسول، أو يخوّفكم أولياؤه الذين هم أبو سفيان وأصحابه.

فَلَا تَخَافُوهُمْ: الضمير للناس الثاني، على الأوّل، وإلى الأولياء على الثاني.

وَخَافُونِ: في مخالفة أمري، فجاهدوا مع رسولي.

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ: فإنّ الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس.

في اصول الكافي: بإسناده إلى الهيثم بن واقد الجزري[(١)] قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء[(٢)] ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء[(٣)].

وبإسناده إلى أبي حمزة قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا[(٤)(٥)]

---

(١) الهيثم بالهاء المفتوحة وسكون الياء المثنّاة من تحت والثاء المثلثة المفتوحة كحيدر. والواقد بالواو والألف والقاف المكسورة والدال المهملة. والجزري بالجيم المفتوحة والزاي المعجمة المفتوحة والراء المهملة والياء (تنقيح المقال: ج١ ص ٩٥ تحت رقم ٥٢٦ وج٣ ص٣٠٧ تحت رقم ١٢٩٥٢ وج١ ص١٧٢ تحت رقم ١٢٨٣).

(٢) قوله «من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء» ظاهره أنّ الله تعالى يلقي الخوف منه على الأشياء. مع احتمال أن يكون سرّ ذلك، أنّ الخائف من الله نفسه قويّة قدسيّة مقرّبة للحضرة الإلهية قادرة على التأثير في الممكنات، فلذلك يخاف منه كلّ شيء حتى الوحوش والسباع والحيّات كمانقل ذلك عن كثيرمن المقرّبين. ومن لم يخف الله نفسه ضعيفة متّصفة بالنقصان، بعيدة عن التأثّر في عالم الإمكان، فلذلك يخاف من كلّ شيء ويتأثّر منه. ولمّا كانت القوّة والضعف والتأثير بسبب القرب من الله وعدمه، نسبت الإخافة إليه (شرح الكافي للعلامة المازندراني: ج٨ ص٢٠٨ كتاب الإيمان والكفر).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء ح ٣.

(٤و٥) قوله(من عرف الله خاف الله) دلّ على أنّ الخوف من الله لازم لمعرفته، فكلّما زادت زاد، ولذلك قال (عزّ شأنه): «إنّما يخشى الله من عباده العلماء»، وذلك لأنّ من عرف عظمته وغلبته على جميع الكائنات، وقدرته على جميع الممكنات بالإعدام والإفناء من غير أن يسأله سائل أو يمنعه مانع، أو

←

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى علي بن الحسين (عليهما السلام)، حديث طويل، وفيه قال: خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكيت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في وجهي، ثم قال: ياعلي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً، أعلى الدنيا حزنك؟ فرزق الله حاضر للبرّ والفاجر، إلى أن قال: قلت: أنا أتخوّف فتنة ابن الزبير، فضحك، ثم قال لي: ياعلي بن الحسين هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه؟ قلت: لا، إلى قوله: ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد[1].

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ: يقعون فيه سريعاً، حرصاً عليه، خوف أن يضرّوك ويعينوا عليك، وهم المنافقون من المتخلّفين، أو قوم ارتدّوا عن الإسلام.

يعود إليه ضرر، تهيّب وخاف منه. وأيضاً من عرفه علم احتياجه إليه في وجوده وبقائه وكمالاته في جميع حالاته، ومن البيّن أنّ الاحتياج إليه في مثل تلك الأمور العظام، يستلزم الخوف منه في سلب الفيض والإكرام. (ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أي تركها، تقول: سخي عن الشيء يسخى، من باب تعب، أي ترك. فمن ادعى الخوف ومال إلى الدنيا غير تارك لها وناهض للعبادة، فهو كاذب، لأنّ الخوف يستلزم الإعراض عن الدنيا والتوجه إلى العبادة (شرح الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٢٠٨ كتاب الإيمان والكفر).

الكافي: ج ٢ ص ٦٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء ح ٤.

(١) كتاب التوحيد: ص٣٧٣ باب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال ح١٧ وتمام الحديث بعد قوله: «للبر والفاجر» فقلت: ماعلى هذا أحزن، وإنّه لكما تقول، قال: أفعلى الآخرة حزنك؟ فهو وعد صادق يحكم فيه ملك قاهر، قلت: ماعلى هذا أحزن وإنّه لكما تقول، قال: فعلى ماحزنك؟ فقلت: أنا أتخوّف من فتنة ابن الزبير. وبعد قوله: (قلت: لا) قال: ياعلي بن الحسين هل رأيت أحداً سأل الله (عزّوجلّ) فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم نظرت إلخ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨

إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ: أي أولياءه، و«شيئاً» يحتمل المفعول والمصدر.

وقرأ نافع «يحزنك» بضم الياء وكسر الزاي حيث ماوقع، ما خلا قوله في الأنبياء: «لايحزنهم الفزع الأكبر» فإنّه فتح الياء وضم الزاي فيه، والباقون كذلك في الكلّ.

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ: نصيباً من الثواب فيها. وهو يدلّ على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر، وأنّ كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لايكون لهم حظ من رحمته.

وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ: مع الحرمان عن الثواب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ: تكرير للتأكيد، أو تعميم للكفرة بعد تخصيص مانافق من المتخلّفين، أو ممّن ارتدّ عن الاعراب.

وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ: خطاب للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم). أو لكلّ من يحسب، و«الذين كفروا» مفعول، و«إن» مع اسمه وخبره بدل منه. وإنّما اقتصر على مفعول واحد، لأنّ التعويل على البدل، وهو ممّا ينوب على المفعولين، أو مفعول ثان على تقدير مضاف، أي ولاتحسبنّ الذين كفروا أصحاب، إنّ الإملاء خير لأنفسهم. أوولا تحسبن حال الذين كفروا إنّ الإملاء خير لأنفسهم. و«ما» مصدرية، ويحتمل الموصولة بحذف العائد.

وكان حقّها أن ينفصل في الخط، لكنّها وقعت متّصلة في قرآن عثمان، فاتّبع على عمى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء، على أنّ «الذين» فاعل، و«ان ما» في حيّزه مفعول، وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة. والإملاء، الإمهال وإطالة العمر، وقيل: تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه، إذا أرخى له الطول[١] ليرعى كيف شاء.

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا: استئناف بما هو العلّة للحكم قبلها، و«ما» كافّة، واللام للعاقبة، أي يكون عاقبة أمرهم ازدياد الإثم.

وقرئ «إنما» بالفتح وبكسر الأُولى[٢]، و«لايحسبن» بالياء على معنى: ولايحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم، بل للتوبة والدخول في الإيمان. و«إنما نملي لهم» اعتراض، ومعناه أنّ إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه مافرط منهم.

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ: على هذا يجوز أن يكون حالاً من الواو، أي ليزدادوا إثماً معدّاً لهم عذاب مهين[٣].

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت: أخبرني عن الكافر الموت خير له أم الحياة؟ فقال: الموت خير للمؤمن والكافر، قلت: ولم؟ قال: لأنّ الله يقول: «وما عندالله خير للأبرار»[٤] ويقول:

---

(١) الطول حبل طويل تشدّ به قائمة الدابة، وقيل: هو الحبل الذي تشدّ به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى، وكانت العرب تتكلّم به يقال: طول لفرسك يافلان أي ارخ له حبله في مرعاه (لسان العرب: ج ١١ ص ٤١٣ لغة طول).

(٢) قوله: (وبكسر الأُولى) أي بكسر (إن) في «إنما نملي لهم خير لأنفسهم» نقلاً عن حاشية الكازروني لتفسير البيضاوي.

(٣) من قوله: (خطاب للرسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى هنا مأخوذ من تفسير البيضاوي: ج١ ص١٩٤ مع تصرف يسير في بعض الكلمات).

(٤) آل عمران: ١٩٧.

مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

«ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين»(١).

وعن يونس رفعه قال: قلت له: زوّج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ابنته فلاناً؟ قال: نعم، قلت: فكيف زوّجه الاخرى؟ قال: قد فعل، فأنزل الله: «ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم» إلى «عذاب مهين»(٢).

وفي هاتين الروايتين دلالة على صحّة القراءة الأولى، دون الثانية وفي الثانية لالة على كفر الثالث.

مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ :

قيل: الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره، والمعنى: لايتركم مختلطين لايعرف مخلصكم من منافقكم، حتى يميز المنافقين من المخلصين بالوحي إلى نبيّه بأحوالكم، أو بالتكاليف الشاقّة التي لايصبر عليها ولايذعن لها إلّا الخلّص المخلصون منكم، كبذل الأنفس والأموال في سبيل الله، ليختبر بواطنكم، وليستدلّ به على عقائدكم.

وفي تفسير العياشي: عن عجلان بن صالح قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: لا تمضي الأيام والليالي حتى ينادي مناد من السماء: ياأهل الحقّ اعتزلوا، ياأهل الباطل اعتزلوا، فيعزل هؤلاء عن هؤلاء، قلت: أصلحك الله

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٦ ح ١٥٥. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٥٦.

يخالط هؤلاء هؤلاء بعدذلك النداء؟قال: كلا، يقول في الكتاب «ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب»[(١)].

وفي كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف قال الضحّاك بن عبدالله: مرّت بنا خيل ابن سعد (لعنه الله) تحرسنا، وكان الحسين (عليه السلام) يقرأ: «لاتحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين. ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب»[(٢)].

وقرأ حمزة والكسائي «حتى يميز» من التفعيل هنا وفى الأنفال.

وَمَاكَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ: ماكان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطّلع على ما في القلوب من كفر و إيمان، ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء، فيوحي ويخبره ببعض المغيّبات أو ينصب مايدلّ عليها.

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ: بصفة الإخلاص، أو بأن تعلموه وحده مطّلعاً على الغيب، وتعلموهم عباداً مجتبين لايعلمون إلّا ماعلمهم الله، ولايقولون إلّا ماأوحي إليهم.

نقل: إنّ الكفرة قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منّا ومن يكفر، فنزلت.

وعن السدّي: إنّه (عليه السلام) قال: عرضت عليّ أُمّتي وأُعلمت من يؤمن ومن يكفر، فقال المنافقون: إنّه يزعم أنّه يعرف من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولايعرفنا، فنزلت.

وَإِن تُؤْمِنُوا۟: حقّ الإيمان.

وَتَتَّقُوا۟: النفاق.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٥٧.

(١) مقتل أبي مخنف ط قم: ص ١١٢ الحسين وأصحابه ليلة العاشوراء...

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا
لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ: لايقادر قدره.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم: من قرأ بالتاء، قدّر مضافاً، أي لاتحسبنّ بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو من يحسب. وإن جعله الموصول كان المفعول الأوّل محذوفاً، أي لايحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم.

بَلْ هُوَ: أي البخل.

شَرٌّ لَّهُمْ: لاستجلاب العقاب عليهم.

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ: بيان لذلك، أي سيلزمون وبال مابخلوا به، إلزام الطوق[1]، أو يطوّقون بما بخلوا به يوم القيامة.

في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة»، فقال: يامحمد مامن أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلّا جعل الله (عزّوجلّ) ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، ثم قال: هو قول الله (عزّوجلّ): «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة»، يعني مابخلوا به من الزكاة[2].

---

(١) من قوله (ما كان الله ليؤتي أحدكم) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص ١٩٥ لاحظ تفسيره لآية ١٧٩ إلى ١٨٠ من سورة آل عمران.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٢ كتاب الزكاة، باب منع الزكاة ح١.

يونس، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): مامن ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم يمنع زكاة ماله إلّا قلّده الله تربة أرضه يطوّق بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة[١].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: مامن عبد يمنع درهماً في حقّه إلّا أنفق اثنين في غير حقّه، وما من رجل يمنع حقّاً من ماله إلّا طوّقه الله (عزّوجلّ) به حيّة من نار يوم القيامة[٢].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن مهران، عن ابن مسكان، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة»، قال: مامن عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلّا جعل الله له ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار يطوّق في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله (عزّوجلّ): «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة»، قال: مابخلوا به من الزكاة[٣].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أيوب بن راشد قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: مانع الزكاة يطوّق بحيّة قرعاً[٤] تأكل من دماغه، وذلك قوله (عزّوجلّ): «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة»[٥].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن خالد، عن خلف بن حماد، عن حريز قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): مامن ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله (عزّوجلّ) يوم القيامة بقاع قرقر[٦]، وسلّط عليه شجاعاً أقرع يريده

(١و٢و٣) الكافي: ج٣ ص٥٠٣ و٥٠٤ كتاب الزكاة باب منع الزكاة، ح٤ و٧ و١٠.

(٤) الأقرع من الحيّات، التي قرع السم في رأسه أي جمعه فذهب شعره (مجمع البحرين: ج ٤ ص ٣٧٧ لغة قرع). (٥) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٥ كتاب الزكاة، باب منع الزكاة ح ١٦.

(٦) القيعة بالكسر والقاع بمعنى واحد، وهو المستوى من الأرض، وقاع قرقر، قيل: قرقر أيضاً في معنى القاع وهو المستوى من الأرض وإنّما عبر بلفظين مختلفين للمبالغة في استواء ذلك المكان، وقد روى ←

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

وهو يحيد[١] عنه، فإذا رأى أنه لامخلص له منه أمكنه من يده فقضمها[٢] كما يقضم الفجل ثم يصير طوقاً في عنقه، وذلك قول الله (عزّوجلّ): «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة» وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر يطأه كلّ ذات ظلف بظلفها، وتنهشه كلّ ذات ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلّا طوّقه الله ريعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة[٣].

وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: وله مافيها ممّا يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون بماله ولاينفقون في سبيله؟ أو أنّه يرث منهم ما يمسكونه ولاينفقون في سبيله، بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة.

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ: من المنع والإعطاء.

خَبِيرٌ: فيجازيكم.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات، وهو أبلغ في الوعيد.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ: قيل: قالت

بقاع قرق وهو مثله في المعنى (مجمع البحرين: ج ٤ ص ٣٨٥ لغة قوع).

(١) أي تنفّر وتهرب يقال حاد عن الشيء يحيد مال عنه وعدل ويحيد عنه يهزم عنه (مجمع البحرين: ج٣ ص ٤١ لغة حيد).

(٢) القضم الأكل بأطراف الأسنان (مجمع البحرين: ج ٦ ص ١٤٠ لغة قضم).

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٥ كتاب الزكاة، باب منع الزكاة ح ١٩.

اليهود لمّا سمعوا «من ذاالذي يقرض الله قرضاً حسناً»[(١)(٢)].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: والله ماراأوا الله فيعلمون أنّه فقير، ولكنهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لوكان الله غنيّاً لأغنى أولياءه، ففخروا على الله في الغناء[(٣)].

وفي كتاب المناقب لابن شهراشوب: عن الباقر (عليه السلام) في قوله: «لقد سمع الله قول الذين قالوا» الآية قال: هم الذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه[(٤)].

سَنَكْتُبُ مَاقَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ: أي سنكتبه في صحائف الكتبة، أو سنحفظه في علمنا لانهمله، لأنّه كلمة عظيمة، إذ هو كفر بالله، أو استهزاء بالقرآن والرسول، ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء.

وفيه تنبيه على أنّه ليس أوّل جريمة ارتكبوها، وأنّ من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول.

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ويقتلون الأنبياء بغير حق» فقال: أما والله ماقتلوهم بأسيافهم، ولكن كانوا أذاعوا أمرهم وأفشوا عليهم، فقتلوا[(٥)].

وقرأ حمزة «سيكتب» بالياء وضمّها وفتح التاء، وقتلهم بالرفع، و«يقول» بالياء.

وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ: أي وننتقم منهم، بأن نقول: ذوقوا العذاب المحرق.

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩٥ عندتفسيره لقوله تعالى: «إن الله فقيرونحن أغنياء».

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٧ عند تفسيره لقوله تعالى: «قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء».

(٤) لم أنظفرعليه في مناقب ابن شهراشوب ولكن رواه في تفسير الصافي: ج ١ ص ٣٧٣عندتفسيره لآية ١٨١ من سورة آل عمران. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٧١ كتاب الإيمان والكفر (باب الإذاعة) ح ٧.

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾

وفيه مبالغات في الوعيد.

والذوق إدراك الطعوم، وعلى الاتساع يستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات.

وذكره ههنا: لأنّ العذاب مرتّب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال، وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم، ومعظم بخله للخوف من فقدانه، ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال.

ذَٰلِكَ: إشارة إلى العذاب.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ: من قتل الأنبياء، وقولهم هذا، وسائر معاصيهم.

عبّر بالأيدي عن الأنفس؛ لأنّ أكثر أعمالها بهن.

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ: عطف على «ماقدمت» وسببيّته للعذاب؛ من حيث أنّ نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء.

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): وأيم الله ما كان قوم قط في غضّ[1] نعمة من عيش فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها[2]، لأنّ الله ليس بظلّام للعبيد[3].

---

(١) وفيه من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليسمعه من ابن أمّ عبد: الغض الطري الذي لم يتغيّر (النهاية: ج٣ ص٣٧١ لغة غضض).

(٢) الاجتراح الاكتساب (مجمع البحرين: ج٢ ص ٣٤٥ لغة جرح).

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٥٧ ومن خطبة له (عليه السلام) في الشهادة والتقوى. وقيل: إنّه خطبها بعد ←

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

وفيه إشكال مشهور: وهو أنّ نفي الظلام عن الله تعالى، لايستلزم نفي كونه ظالماً، بل يشعر بكونه كذلك، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

والجواب: أنّ جواز اتصافه تعالى بكلّ صفة يستلزم اتصافه بها على الكمال، خصوصاً صفة الظلم، فإنّه لو اتصف بها اتصف بما هو في الرتبة الأعلى منها، لكمال قدرته وعدم المانع، فللإشعار بهذا المعنى أورد الظلّام مكان الظالم، والمراد نفي الظلم مطلقاً، فتأمّل.

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ: هم كعب بن الأشرف ومالك وحيي. وفنحاص ووهب بن يهوذا.

إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ: أمرنا في التوراة وأوصانا.

أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ: بان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصّة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل، وهو أن يقرّب بقربان فيقوم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيدعو، فتنزل نار سماوية تأكله، أي تحيله إلى طبعها بالإحراق.

وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم، لأنّ أكل النار القربان لايوجب الإيمان إلّا لكونه معجزة، فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك.

قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ: تكذيب وإلزام بأنّ رسلاً قد جاؤوهم قبله

مقتل عثمان في أوّل خلافته صبحي الصالح.

كزكريا ويحيى بمعجزات أُخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه، فقتلوهم، فلو كان الموجب للتصديق هو الإتيان، وكان توقّفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله، فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أُخر واجترؤوا عليه[١].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مروك بن عبيد[٢]، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لعن الله القدريّة[٣]، لعن الله

---

(١) من قوله (هم كعب بن الأشرف) إلى هنا من كلام البيضاوي: ج١ ص ١٩٦، لاحظ تفسيره لآية ١٨٤ من سورة آل عمران.

(٢) مروك بن عبيد بن أبي حفصة مولى بني عجل: الضبط مروك بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو وبعدها كاف، واسم مروك صالح، واسم أبي حفصة زياد (تنقيح المقال: ج٣ ص٢١٠ تحت رقم ١١٦٦٥).

(٣) إنّ القدريّة تطلق على الجبريّة وعلى التفويضيّة، وكان المراد هنا الثاني. قال علي بن إبراهيم في تفسيره: القدرية المعتزلة، والرد عليهم من القرآن كثير، لأنّ المعتزلة قالوا: نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيه صنع ولامشيئة ولاإرادة، فيكون ماشاء إبليس ولايكون ماشاءالله، انتهى.

والمراد بالمرجئة: الذين يقولون: الإيمان محض العقائد وليس للأعمال فيها مدخل أصلاً، ولايضرّ مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة، ولا تفاوت في إيمان الناس.

قال صاحب الملل والنحل: الإرجاء على معنيين، أحدهما التأخير (قالوا ارجه وأخاه) أي أمهله وأخّره، والثاني إعطاء الرجاء. أمّا إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول صحيح، لأنّهم كانوا يؤخّرون العمل عن النية والعقد. وأمّا المعنى الثاني فظاهر، فإنّهم كانوا يقولون: لايضرّ مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى الآخرة، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، فعلى هذا المرجئة والوعيديّة فرقتان متقابلتان. وقيل: الإرجاء تأخير علي (عليه السلام) عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان. والمرجئة أربعة أصناف، مرجئة الخوارج، ومرجئة القدريّة، ومرجئة الجبريّة، والمرجئة الخالصة، انتهى وقد مرّ بعض القول فيهم سابقاً، والمراد هنا ماذكرنا أوّلاً، فإنّهم يحكمون بإيمان من آمن بالله ورسوله وإن قتلوا الأئمة وخيار المؤمنين، فهم راضون بذلك ولايبالون به ويحكمون بأنّ الله لايعذّب هؤلاء بفعلهم، ولذا سمّوا مرجئة لإرجاء تعذيبهم على المعاصي.

ويمكن أن يكون المراد هنا جميع المخالفين، فإنّهم على اصولهم الفاسدة يصوّبون قتل من خرج على خلفاء الجور ولو كانوا من أئمّة الدين وذرّيّة سيّد المرسلين، فهم راضون بذلك. وذكر الآية استشهاد ←

الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة، قال: قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين؟ قال: إنّ هؤلاء يقولون: إنّ قَتَلتنا مؤمنون فدماؤنا متلطّخة بثيابهم إلى يوم القيامة، إنّ الله حكى عن قوم في كتابه «لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين» قال: كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم مافعلوا[1].

وفي تفسير العياشي مثل مافي اصول الكافي إلّا أنّ بعد «إن كنتم صادقين» قال: فكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القائلين خمسمائة عام، فسمّاهم القاتلين برضاهم بما صنع أُولئك[2].

عن محمد بن هاشم،عمّن حدثه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لمّا نزلت هذه الآية: «قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين» وقد علم أن قالوا: والله ماقتلنا ولاشهدنا، قال: وإنّما قيل لهم: ابرؤوا من قتلتهم فأبوا[3].

عن محمد بن الأرقط، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال لي: تنزل الكوفة؟ قلت: نعم، قال: فترون قتلة الحسين (عليه السلام) بين أظهركم؟ قال: قلت: جعلت فداك مابقي منهم أحد قال: فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا من قتل أو من ولّى القتل، ألم تسمع إلى قول الله: «قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات

بأنّ الراضي بالقتل والمصوّب له حكمه حكم القاتل في الشقاوة والعقوبة.

ثم اعلم أنّ ذكر الآية نقل بالمعنى، والآية في آل عمران هكذا «الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لانؤمن لرسول».

وقال البيضاوي: هم كعب بن الأشرف، إلى آخر مانقلناه آنفاً.

(مرآة العقول: ج ١١ ص ٢١٧ كتاب الايمان والكفر).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٩، باب في صنوف أهل الخلاف وذكر القدرية والخوارج والمرجئة وأهل البلدان، ح١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٨ ح ١٦٣. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٩ ح ١٦٤.

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥

وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين» فأيّ رسول قبل الذين كان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، إنّما رضوا قتل أُولئك فسموا قاتلين[1].

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن ابي المعزا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كانت بنو إسرائيل إذا قرّبت القربان تخرج ناراً تأكل قربان من قبل منه، وإنّ الله جعل الإحرام مكان القربان[2].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن الحسين بن علي، عن أميرالمؤمنين (عليهم السلام) حديث طويل، وفيه قال (عزّوجلّ) لنبيه (صلّى الله عليه وآله) لمّا اسرى به: وكانت الأُمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت منه ارسلت إليه ناراً فأكلته، فرجع مسروراً، ومن لم اقبل ذلك منه رجع مثبوراً، وقد جعلت قربان أُمتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه اضعفت ذلك أضعافاً مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أُمتك، وهي من الآصار التي كانت على الأمم قبلك[3].

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ : وعد ووعيد للمصدّق والمكذّب.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٩ ح ١٦٥.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٣٥ باب صلاة الإحرام وعقده والاشتراط فيه، ح ١٦.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ٢٢١، احتجاجه (عليه السلام) على اليهود من أحبارهم ممّن قرأ ←

وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه.

وفي تفسير العياشي: عن زرارة، عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: قلت: فإنّ الله يقول: «كل نفس ذائقة الموت» من قتل لم يذق الموت؟ قال: لابدّ أن يرجع حتى يذوق الموت[١].

عن محمد بن يونس، عن بعض أصحابنا قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): «كل نفس ذائقة الموت» أو منشورة نزل بها على محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّه ليس أحد من هذه الأمّة إلّا وينشرون، فأمّا المؤمنون فينشرون إلى قرّة عين، وأمّا الفجّار فينشرون إلى خزي الله إيّاهم[٢].

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبي المعزا قال: حدّثني يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبي عبدالله نعزّيه بإسماعيل فترحّم عليه، ثم قال: إنّ الله (عزّوجلّ) نعى إلى نبيّه نفسه، فقال: «إنك ميت وإنهم ميتون»[٣] وقال «كل نفس ذائقة الموت» فقال: إنّه يموت أهل الأرض حتى لايبقى أحد إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل (عليهم السلام)، قال: فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله (عزّوجلّ)، فيقال له: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: ياربّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل: فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك: ياربّ رسولاك وأميناك فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله (عزّوجلّ) فيقال له: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: ياربّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش: فليموتوا، قال: ثم يجيء كئيباً حزيناً لايرفع طرفه، فيقال: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: ياربّ لم يبق إلّا ملك الموت، فيقال له: مت

الصحف والكتب في معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكثير من فضائله س١٩.

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٧٠ بأدنى تفاوت في الكلام.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٦٩. (٣) الزمر: ٣٠.

يا ملك الموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه[١] والسماوات بيمينه ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً، أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر[٢].

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شرّاً تامّاً وافياً.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يوم قيامكم عن القبور.

ولفظ التوفية يشعر بأنّه قد يكون قبلها بعض الأجور، كما يدلّ عليه أخبار ثواب القبر وعذابه.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾: بعد عنها.

والزحزحة في الأصل تكرير الزحّ، وهو الجذب بعجلة.

﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: بالنجاة ونيل المراد. والفوز، الظفر بالبغية.

في أمالي الصدوق: بإسناده إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال حاكياً عن الله (جلّ جلاله): فبعزّتي حلفت، وبجلالي أقسمت أنّه لايتولّى عليّاً عبد من عبادي إلّا زحزحته عن النار وأدخلته الجنة، ولايبغضه عبد من عبادي ويعدل عن ولايته إلّا أبغضته وأدخلته النار وبئس المصير. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[٣].

وفي الكافي: سهل بن زياد، عمّن حدّثه، عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا

---

(١) قوله: (ثم يأخذ الأرض) أقول: هو إشارة إلى قوله سبحانه: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه» قال الطبرسي (قدس الله روحه): القبضة في اللغة ماقبضت عليه بجميع كفّك، أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أنّ الأرض كلّها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليها القابض بكفّه، فيكون في قبضته، وهذا تفهيم لنا في عادة التخاطب فيما بيننا. وكذا قوله: «والسماوات مطويات بيمينه» أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منّا الشيء المقدور له طيّه، بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار، والتحقيق للملك كما قال: «وما ملكت ايمانكم» وقيل معناه: إنها محفوظات مصونات بقوّته. واليمين، القوّة، فالمراد أنّه تعالى يحفظ الأرض والسماوات بقدرته الكاملة بعد ما كانت محفوظة بالملائكة وسائر الخلق، وقد جعل لكلّ شيء حفظة منها، والله يعلم حقائق كلامه (مرآة العقول: ج١٤ص٢٥٣ كتاب الجنائز باب النوادر.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٥٦ كتاب الجنائز، باب النوادر ح ٢٥.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ١٨٥ المجلس التاسع والثلاثون س ٩ قطعة من ح ١٠.

عبدالله (عليه السلام) يقول: خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البرّ بالإخوان والسعي في حوائجهم، وأنّ البارّ بالإخوان ليحبّه الرحمان وفي ذلك مرغمة[١] للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[٢].

وفيه: علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لمّا مات النبيّ (صلّى الله عليه وآله) سمعوا صوتاً ولم يروا شخصاً يقول: «كلّ نفس ذائقة الموت وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز»، وقال إنّ في الله خلفاً من كلّ هالك وعزاءً من كلّ مصيبة ودركاً ممّا فات فبالله فثقوا وإيّاه فارجوا وإنّما المحروم من حرم الثواب[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي عن سليمان الديلمي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة يدعى محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فيكسى حلّة وردية ثم يقام عن يمين العرش، ثم يدعى بإبراهيم فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار العرش، ثم يدعى بعليّ (عليه السلام) فيكسى حلّة وردية فيقام عن يمين النبيّ، ثم يدعى بإسماعيل فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم، ثم يدعى بالحسن (عليه السلام) فيكسى حلّة وردية فيقام عن يمين أميرالمؤمنين (عليه السلام)، ثم يدعى بالحسين (عليه السلام) فيكسى حلّة وردية فيقام عن يمين الحسن، ثم يدعى بالأئمة فيكسون حللاً وردية فيقام كلّ واحد عن

---

(١) الرغم والرِغم والرُغم: الكره والمرغمة مثله، قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): بعثت مرغمة، المرغمة الرغم، أي بعثت هواناً وذلاً للمشركين (لسان العرب: ج١٢ ص٢٤٥).

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٤١ كتاب الزكاة باب معرفة الجود والسخاء قطعة من ح ١٥ وتمام الحديث (ياجميل أخبر بهذا غرر أصحابك قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال: هم البارّون بالإخوان في العسر واليسر، ثم قال: ياجميل أما إنّ صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله (عزّوجلّ) في ذلك صاحب القليل، فقال في كتابه: «يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون».

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٢١ باب التعزّي ح٤.

يمين صاحبه، ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثم يدعى بفاطمة (صلوات الله عليها) ونسائها من ذرّيّاتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب، ينادي مناد من بطنان العرش، من قبل ربّ العزّة والافق الأعلى: نعم الأب أبوك يامحمد، وهو إبراهيم: ونعم الأخ أخوك ، وهوعليّ بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك ، وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك ، وهو محسن، ونعم الأئمّة الراشدون ذرّيّتك ، وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك ، الا أنّ محمّداً ووصيّه وسبطيه والأئمّة من ذرّيّته هم الفائزون، ثم يؤمر بهم إلى الجنة، وذلك قوله: «فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز»[١].

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: أي لذّاتها وزخارفها.

﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: مصدر أو جمع غار. شبّهها بالمتاع الذي يدلّ به على المستام ويغرّ حتى يشتريه.

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن سليمان بن سماعة، عن الحسين بن المختار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لمّا قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جاءهم جبرئيل (عليه السلام) والنبيّ مسجّىً وفي البيت فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: السلام عليكم ياأهل بيت الرحمة «كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور» إنّ في الله (عزّوجلّ) عزاء من كلّ مصيبة وخلفاً من كلّ هالك ودركاً لما فات فبالله فثقوا وإيّاه فارجوا فإنّ المصاب من حرم الثواب هذاآخر وطي من الدنيا ،قالوا: فسمعنا الصوت ولم نر الشخص[٢].

عنه: عن سلمة، عن علي بن سيف، عن أبيه، عن أبي أُسامة زيد الشحام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لمّا قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جاءت التعزية، أتاهم آت يسمعون حسّه ولايرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٨ عند تفسيره لآية ١٨٥ من سورة آل عمران.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٢١ ،باب التعزي ح٥.

> لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

البيت ورحمة الله وبركاته «كلّ نفس ذائقة الموت وإنما توفون أُجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور» إنّ في الله (عزّوجلّ) عزاءً من كلّ مصيبة وخلفاً من كلّ هالك ودركاً لما فات فبالله فثقوا وإيّاه فارجوا فانّ المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم[١].

عنه: عن سلمة، عن محمد بن عيسى الارمني، عن الحسين بن علوان، عن عبدالله بن الوليد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لمّا قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أتاهم آت فوقف بباب البيت فسلّم عليهم ثم قال: السلام عليكم يا آل محمّد «كلّ نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور» في الله خلف من كلّ هالك وعزاء من كلّ مصيبة ودرك لما فات فبالله فثقوا وعليه فتوكّلوا وبنصره لكم عند المصيبة فارضوا فإنّ المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولم يروا أحداً فقال بعض من في البيت: هذا ملك من السماء بعثه الله (عزّوجلّ) إليكم ليعزّيكم، وقال بعضهم: هذا الخضر (عليه السلام) جاءكم يعزّيكم بنبيّكم (صلّى الله عليه وآله)[٢].

لَتُبْلَوُنَّ: أي والله لتختبرون.

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٢١ باب التعزّي ح٦.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٢ باب التعزّي ح٨.

فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ: بتكليف الإنفاق، وما يصيبها من الآفات.

وَأَنفُسِكُمۡ: بالجهاد والقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب.

وفي عيون الأخبار في باب ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلّة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء، لأنّ الله تعالى كلّف أهل الصحّة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال (عزّ وجلّ): «لتبلون في أموالكم» بإخراج الزكاة «وفي أنفسكم» بتوطين الأنفس على الصبر[١].

وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ: من هجاء الرسول، والطعن في الدين، وإغراء الكفرة على المسلمين.

أخبرهم بذلك قبل وقوعها، ليوطّنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال، ويستعدّوا للقائها، حتى لا يرهقهم نزولها.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي قال: حدّثني الحسين بن الحكم معنعناً عن ابن عباس (رضي الله عنه) في يوم أحد في قوله: «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذىً كثيراً» نزلت في رسول الله خاصّة[٢].

وَإِن تَصۡبِرُواْ: على ذلك.

وَتَتَّقُواْ: مخالفة أمر الله.

فَإِنَّ ذَٰلِكَ: يعني الصبر والتقوى.

مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ: معزومات الأمور التي يجب العزم عليها. أو ممّا عزم الله عليه، أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه.

وفي تفسير العياشي: عن أبي خالد الكابلي قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام): لوددت أنّه أذن لي فكلّمت الناس ثلاثاً، ثم صنع الله بي ما أحبّ، قال

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٨٩ باب ٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل، ح ١. (٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٩.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

بيده على صدره، ثم قال: ولكنها عزمة من الله أن نصبر، ثم تلا هذه الآية: «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور» وأقبل يرفع يده ويضعها على صدره(١).

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ: أي اذكر وقت أخذه.

مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ: يريد به العلماء.

لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ: حكاية لمخاطبتهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عيّاش، بالياء، لأنّهم غيب.

واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله: «أخذ الله ميثاق الذين» والضمير للكتاب. والمراد بيان مافيه من نعت محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فَنَبَذُوهُ: أي الميثاق.

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ: فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه.

والنبذ وراء الظهر، مثل في ترك الاعتداد، وعدم الالتفات. ونقيضه جعله نصب عينيه، وإلقاؤه بين عينيه.

وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ: وأخذوا بدله.

ثَمَنًا قَلِيلًا: من حطام الدنيا وأغراضها.

فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ: مايختارون لأنفسهم.

في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٧١.

في قوله: «وإذ أخذ الله» أن ذلك في محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اذا خرج ولا تكتمونه «فنبذوه وراء ظهورهم» يقول: نبذوا عهد الله وراء ظهورهم «واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون»[١].

وفي مجمع البيان: عن علي (عليه السلام) قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا[٢].

وفي كتاب الاحتجاج: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: وقد ذكر أعداء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الملحدين في آيات الله، ولقد أحضروا الكتاب كملاً مشتملا على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ولم يسقط منه حرف، لا ألف ولا لام، فلما وقفوا على مابيّنه من أسماء أهل الحقّ والباطل، وأنّ ذلك إن ظهر نقض ماعقدوه، قالوا: لاحاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا، ولذلك قال: «فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون» ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم ممّا لايعلمون تأويله، إلى جمعه وتأويله وتعظيمه من تلقائهم مايقيمون به دعائم كفرهم، فصرخ مناديهم: من كان عنده شيء من القرآن، فليأتنا به، ووكّلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألّفه على اختيارهم، وتركوا منه ماقدروا

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٨ عند تفسيره لآية ١٨٧ من سورة آل عمران، ولفظ الحديث هكذا (وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» وذلك أنّ الله أخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب في محمّد لتبيننه للناس إذا خرج ولايكتمونه «فنبذوه وراء ظهورهم» يقول: نبذوا عهد الله وراء ظهورهم «واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون»).

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٥٢ عند بيان المعنى لآية ١٨٧ من سورة آل عمران، وتمام الحديث (وروى الثعلبي في تفسيره: بإسناده إلى الحسن بن عمارة قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه، فقلت: إن رأيت أن تحدّثني؟ فقال: أوماعلمت أنّي تركت الحديث! فقلت: إمّا أن تحدّثني وإمّا أن احدثك؟ فقال: حدّثني، فقلت: حدّثني الحكم بن عيينة، عن نجم الجزّار قال: سمعت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: ماأخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا، قال: فحدّثني أربعين حديثاً.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

أنه لهم، وهو عليهم، وزادوا فيه ماظهر تناكره وتنافره[١]، وانكشف لأهل الاستبصار إغوائهم وافترائهم[٢].

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا: يعجبون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحقّ، أو من الطاعات والحسنات.

والخطاب للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومن ضمّ الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين. والمفعول الأوّل «الذين يفرحون».

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالياء وفتح الباء فيه، وضمّ الباء في الآتي، على أنّ «الذين» فاعل ومفعولاه محذوف، يدلّ عليهما مفعولاً مؤكّدة، وهو «يحسبنهم» الثاني، أو المفعول الأوّل محذوف والثاني تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأوّل[٣].

---

(١) قد ملأ أصحاب الكلام وأرباب التفاسير من العامّة والخاصّة بالوجوه العقليّة والنقليّة، الدفاتر والدساتير على عدم تحريف القرآن بالزيادة والنقصان، وعدم صحّة أمثال هذه الروايات، أو تأويلها، بما لامزيد عليه. وإن شئت الاختصار فراجع مقدمة تفسير مجمع البيان: ج١ ص١٥ الفن الخامس، وإن رمت أكثر من ذلك فعليك بـ«البيان في تفسير القرآن» لآية الله العظمى الخوئي دام ظله: ص١٩٧ صيانة القرآن من التحريف. وغيرهما من التفاسير للعامّة والخاصّة.

(٢) كتاب الاحتجاج: ج ١ ص ٢٥٧، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة، تحتاج إلى التأويل على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه، س١٢.

(٣) لتوضيح ما أورده المؤلف (رحمه الله) ننقل ماأورده (البيضاوي): ج ١ ص ١٩٨ عند تفسيره لهذه ←

﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾: من الوفاء بالميثاق وإظهار الحقّ والإخبار بالصدق، أو كلّ خير.

﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾: اي فائزين بفوز ونجاة منه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه يقول: ببعيد من العذاب[١].

وهو حاصل المعنى.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: بكفرهم وتدليسهم.

قيل: إنّه (عليه السلام) سأل اليهود عن شيء ممّا في التوراة؟ فأخبروه بخلاف ما كان فيه، واروه أنّهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا، فنزلت[٢].

وقيل: نزلت في قوم تخلّفوا عن الغزو، ثم اعتذروا بأنّهم رأوا المصلحة في التخلّف واستحمدوا به[٣].

وقيل: نزلت في المنافقين، فإنّهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بإيمان لم يفعلوه على الحقيقة[٤].

والصواب أنّ الآية نزلت فيما رواه أبو الجارود، عن الباقر (عليه السلام) وجرت في غيرهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: فهو يملك أمرهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على عقابهم.

وقيل: هو ردّ لقولهم: «إن الله فقير».

الآية قال: وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء، وفتح الباء في الأوّل وضمّها في الثاني، على أنّ «الذين» فاعل، ومفعولا «لايحسبن» محذوفان، يدلّ عليها مفعولاً مؤكدة، وكأنه قيل: «ولايحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة» أو المفعول الأوّل محذوف وقوله: «فلا تحسبنهم» تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأوّل.

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٩ عند تفسيره لآية ١٨٩ من سورة آل عمران.

(٢ و٣ و٤) نقلها في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩٨ عند تفسيره لآية ١٨٩ من سورة آل عمران.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ: لدلائل واضحة على وجود الصانع، ووحدته، وكمال علمه وقدرته، لذوي العقول المجلوّة الخالصة عن شوائب الحسّ والوهم.

وفي مجمع البيان: وقد اشتهرت الرواية عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أنه لمّا نزلت هذه الآية قال: ويل لمن لاكها بين فكّيه، ولم يتأمّل مافيها[1].

قيل: ولعلّ الاقتصار على الثلاثة في الآية، لأنّ مناط الاستدلال التغيّر، وهذه متعرّضة لجملة أنواعه، فإنّه إمّا أن يكون في ذات الشيء كتغيّر الليل والنهار، أو جزئه كتغيّر العناصر بتبدّل صورها، أو الخارج عنه كتبدّل الأفلاك بتبدّل أوضاعها[2].

وفي تهذيب الاحكام: محمد بن علي بن محبوب، عن العباس بن معروف، عن عبدالله بن المغيرة، عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: وذكر صلاة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال: كان يؤتىٰ بطهور فيخمّر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ماشاءَ الله فاذا استيقظ جلس ثم قلّب بصره في السماء ثم تلا الآيات من آل عمران: «ان في خلق السماوات والارض» الآية، ثم يستن ويتطهّر ثم يقوم الى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءة ركوعه، وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتى يقال متىٰ يرفع رأسه، ويسجد حتى

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٥٤ عند نقله لفضل الآيات في قوله: (فضلها).

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩٨ عند تفسيره لآية ١٩١ من سورة آل عمران.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾

يقال متىٰ يرفع رأسه ثم يعود الى فراشه فينام ماشاءالله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات فيقلّب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المجلس فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ماشاءالله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلّب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين ثم يخرج الى الصلاة[١].

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: أي يذكرونه على جميع الأحوال، قائمين وقاعدين ومضطجعين.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من أكثر ذكر الله (عزّوجلّ) أحبّه الله[٢][٣].

وفي كتاب معاني الأخبار: خطبة لعليّ (عليه السلام) يذكر فيها نعم الله، يقول فيها: وأنا الذاكر يقول الله (عزّوجلّ): «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم»[٤].

---

(١) التهذيب: ج ٢ ص ٣٣٤ ح ٢٣٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٩ كتاب الدعاء، باب ذكر الله (عزّوجلّ) كثيراً، ح ٣ وتمام الحديث (ومن ذكر الله كثيراً، كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق).

(٣) وكان المراد بقوله (ذكر الله كثيراً) أمّا ذكره أولاً، وإنّما هو تفنّن في العبارة. أو المراد بأحدهما المداومة وبالآخر الإكثار ولو مرة، وقيل: المراد بالأول التكرار والاستمرار من الثاني، وبالثاني موافقة القلب مع اللسان (مرآة العقول: ج١٢ ص١٣٤).

(٤) معاني الأخبار: ص ٥٩ باب معاني أسماء محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (عليهم ←

أي يصلّون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم.

وفي الكافي: علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ)، الآية قال: الصحيح يصلّي قائماً وقعوداً، المريض يصلّي جالساً، وعلى جنوبهم الذي يكون أضعف من المريض الذي يصلّي جالساً[١].

وفي أمالي شيخ الطائفة: بإسناده إلى الباقر (عليه السلام) قال: لايزال المؤمن في صلاة ماكان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إنّ الله تعالى يقول: «الذين» الآية[٢].

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : استدلالاً واعتباراً ، وهو أفضل العبادات.

في الكافي: عن الصادق (عليه السلام): أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله[٣].

السلام) ح٩ س١١.

(١) الكافي: ج٣ ص٤١١ كتاب الصلاة، باب صلاة الشيخ الكبير والمريض، ح١١.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٧٦

(٣) قوله: (أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته) أفضليّة العبادة باعتبار عظمة قدرها، وكثرة منافعها وآثارها، وشرافة لوازمها وأسرارها. ولاريب في أنّ إدمان التفكّر في الله، وفي قدرته أعظم العبادات قدراً، وأشرفها أثراً وأفخمها رتبة وأرفعها منزلة، ولذلك وقع الأمر به في آيات متكاثرة، وروايات متضافرة، وله آثار شريفة، ولوازم منيفة، كلّها عبادات عظيمة، كمعرفة الربّ وعظمته، وعلمه وقدرته، واحتقار الدنيا وزهراتها، ومعرفة الجنة ودرجاتها، ومعرفة النار ودركاتها، والانقطاع عن غير الحقّ، وتفريغ القلب له، وبالجملة إدمان التفكّر عبادة وأصل لجميع العبادات، فهو أفضلها. وليس المراد التفكّر في حقيقة ذاته، وحقيقة قدرته، وسائر صفاته، إذ معرفتها خارجة عن قدرة البشر، ولايصل إليه العقل والتفكّر، وكان التفكّر فيها مؤدّياً إلى الضلال المبين، والإلحاد في الدين، بل المراد به التفكّر في وضع صنع الله وآثار قدرته، فإنّ التفكّر فيها وفي عظمتها يدلّ على عظمة الصانع الحقّ وكمال قدرته. وممايدلّ على ذلك مارواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام): (إيّاكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه). وما رواه حسين بن الميّاح عن أبيه قال: سمع أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: (من نظر في الله كيف هو هلك). وبالجملة التفكّر على قسمين: تفكّر في الحقّ وتفكّر في الخلق، والعبد ممنوع من ←

وفي قدرته[(١)(٢)].

وعنه (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: نبّه بالتفكّر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك[(٣)(٤)].

الأوّل ومندوب إلى الثاني، قال الله تعالى: «ويتفكرون في خلق السماوات والأرض» (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٨ ص١٧٠).

(١) الحديث الثالث مرسل كالصحيح، فإنّه يقال: مراسيل البزنطي في حكم المسانيد. والإدمان، الإدامة، وقوله (عليه السلام): (وفي قدرته) كأنه عطف تفسير لقوله: (في الله) فإنّ التفكّر في ذات الله وكنه صفاته ممنوع كما مرّ في الأخبار في كتاب التوحيد، لأنّه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل. فالمراد بالتفكّر في الله، النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه، وبدائع أمره في خلقه، فإنّها تدلّ على جلاله وكبريائه وتقدّسه وتعاليه، وتدلّ على كمال علمه وحكمته، وعلى نفاذ مشيته وقدرته، وإحاطته بالأشياء. وأنّه سبحانه لكمال علمه وحكمته لم يخلق هذا الخلق عبثاً من غير تكليف ومعرفة وثواب وعقاب، فإنّه لو لم تكن نشأة أخرى باقية غير هذه النشأة الفانية المحفوفة بأنواع المكاره والآلام لكان خلقها عبثاً، كما قال تعالى: «أفحسبتم إنّما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون» وهذا تفكّر أولي الألباب كما قال تعالى: «إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار» وقال سبحانه: «ومن آياته ـ ومن آياته» في مواضع كثيرة، فتلك الآيات هي مجاري التفكّر في الله وفي قدرته لأولي النهى، لا ذاته تعالى، فقد روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنّما قال: تفكّروا في آلاء الله، فإنكم لن تقدروا قدره (مرآة العقول: ج٧ ص٣٤١).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التفكّر، ح ٣.

(٣و٤) التنبيه، الإيقاظ عن النوم وعن الغفلة، وفي القاموس: النبه بالضم الفطنة والقيام من النوم، وأنبهه ونبّهه فتنبه وانتبه، وهذا منبّهة على كذا يشعر به، ولفلان مشعر بقدره ومعلّ له، وما نبّه له كفرح مافطن، والاسم النبه بالضم، ونبّه باسمه تنبيهاً نوّه، انتهى.

والتفكّر إعمال الفكر فيما يفيد العلم به قوّة الإيمان واليقين، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

قال الغزاليّ: حقيقة التفكّر طلب علم غير بديهي من مقدّمات موصلة إليه، كما إذا تفكّر أنّ الآخرة باقية، والدنيا فانية، فإنّه يحصل له العلم بأنّ الآخرة خير من الدنيا، وهو يبعثه على العمل للآخرة، فالتفكّر سبب لهذا العلم. وهذا العلم حالة نفسانيّة، وهو التوجّه إلى الآخرة، وهذه الحالة تقتضي العمل لها، وقس على هذا، فالتفكّر موجب لتنوّر القلب وخروجه من الغفلة، وأصل لجميع ←

وعن الرضا (عليه السلام): ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم[1]، إنّما العبادة

الخيرات.

وقال المحقّق الطوسيّ (قدّس سرّه): التفكّر سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، وهو قريب من النظر، ولايرتقي أحد من النقص إلى الكمال إلّا بهذا السير. ومبادئه الآفاق والأنفس، بأن يتفكّر في أجزاء العالم وذرّاته، وفي الأجرام العلويّة من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتأثيراتها وتغييراتها. وفي الأجرام السفلية وترتيبها وتفاعلها وكيفياتها ومركّباتها ومعدنياتها وحيواناتها. وفي أجزاء الإنسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها ممّا لايحصى كثرة. ويستدلّ بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ماسواه.

وبالجملة: التفكّر فيما ذكر ونحوه، من حيث الخلق والحكمة والمصالح، أثره العلم بوجود الصانع وقدرته وحكمته، ومن تغيّره وانقلابه وفنائه بعد وجوده، أثره الانقطاع منه والتوجّه بالكلّية إلى الخالق الحقّ. ومن هذا القبيل التفكّر في أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم إلى دار الآخرة، فإنّه يوجب قطع المحبّة عن غير الله والانقطاع إليه بالتقوى والطاعة، ولذا أمر بهما بعد الأمر بالتفكّر.

ويمكن تعميم التفكّر بحيث يشمل التفكّر في معاني الآيات القرآنيّة والاخبار النبويّة والآثار المرويّة عن الأئمّة (عليهم السلام) والمسائل الدينيّة والأحكام الشرعيّة، وبالجملة كلّما أمر الشارع الصادع بالخوض فيه والعلم به.

قوله (عليه السلام): (وجاف عن الليل جنبك) الجفا البعد، وجاف عنه كذا، أي باعده عنه. في الصحاح: جفا السرج عن ظهر الفرس واجفيته أنا، إذا رفعته عنه، وجافاه عنه فتجافى جنبُه عن الفراش، أي نبا، انتهى.

وقال سبحانه: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع» وإسناد المجافاة إلى الليل، مجاز في الإسناد، أي جاف عن الفراش بالليل، أو فيه تقدير مضاف، أي جاف عن فراش الليل جنبك. وعلى التقادير كناية عن القيام بالليل للعبادة وقد مرّ معنى التقوى، والتوصيف بالربّ، للتعليل (مرآة العقول: ج٧ ص٣٣٨ - ٣٤٠).

الكافي: ج ٢ ص ٥٤ كتاب الإيمان والكفر، باب التفكّر، ح١.

(١) ليس العبادة كثرة الصلاة: أي ليست منحصرة فيها، إنّما العبادة أي الكاملة (التفكّر في أمر الله) بالمعاني المتقدمة. وقد يقال: المراد بالتفكّر في أمر الله طلب العلم بكيفيّة العمل وآدابه وشرائطه، والعبادة بدونه باطلة. فالحاصل أنّ كثرة الصلاة والصوم بدون العلم بشرائطها وكيفياتها وأحكامها ليست عبادة.

←

التفكّر في أمر الله (عزّوجلّ)[١].

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): تفكّر ساعة خير من قيام ليلة[٢].

وفي رواية: من عبادة سنة .

وفي أُخرى: ستين سنة[٤].

وإنّما اختلف، لاختلاف مراتب التفكّر، ودرجات المتفكّرين، وأنواع المتفكّر فيه.

وفي عيون الأخبار: في باب ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه، زيادة ولانقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجرّ المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً، فأقررت به. مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أنّ لهذا مقدّراً ومنشأً[٥].

وأقول: يحتمل أن يكون المعنى، أنّ كثرة الصلاة والصوم بدون التفكّر في معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة أئمّة الهدى (عليهم السلام) كما يصنعه المخالفون، غير مقبولة وموجبة للبعد عن الحقّ (مرآة العقول: ج٧ ص٣٤٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ كتاب الإيمان والكفر، باب التفكّر، ح٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٢ ص ٤٠٩ قال: وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قال: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة. وفي الكافي: ج٢ ص٥٤ كتاب الإيمان والكفر، باب التفكّر، ح٢ ولفظ الحديث: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن ابان، عن الحسن الصيقل قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عمّا يروي الناس: إنّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكّر؟ قال: يمرّ بالخربة أو بالدار فيقول: أين ساكنوك أين بانوك ، مالك لا تتكلّمين.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٢٤.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٢ ص ٤١٠ قال: وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فكرة ساعة خير من عبادة ستين.

(٥) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٣٢ باب ١١ ماجاء، عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) من الأخبار في التوحيد، في مناظرة الزنديق مع الرضا (عليه السلام)، قطعة من ح٢٨.

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا: على إرادة القول، أي يتفكّرون قائلين ذلك.

والمشار إليه بـ«هذا» المتفكّر فيه، أو الخلق على أنّه أريد به المخلوق من السماوات والأرض، أو إليهما، لأنّهما في معنى المخلوق.

والمعنى ماخلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة، بل خلقته لحكم عظيمة.

سُبْحَٰنَكَ: تنزيهاً لك عن العبث وخلق الباطل، وهو اعتراض.

فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ: للإخلال بالنظر فيه، والقيام بما يقتضيه.

وفائدة الفاء هي الدلالة على أنّ علمهم بما لأجله خلقت السماوات والأرض، حملهم على الاستعاذة.

وفي مجمع البيان: روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية، عن أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان إذا قام من الليل تسوّك، ثم ينظر إلى السماء، ثم يقول: «ان في خلق السماوات والارض» الى قوله: «فقنا عذاب النار»[١].

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ: غاية الإخزاء، ونظيره قولهم (من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك)[٢].

والمراد تهويل المستعاذ منه، تنبيهاً على شدة خوفهم، وطلبهم الوقاية منه.

وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ: أراد بهم المدخلين. ووضع المظهر موضع المضمر؛ للدلالة على أنّ ظلمهم سبب لإدخالهم النار[٣].

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٥٥٣.

(٢) قال العلامة الكازروني في حاشية على تفسير (البيضاوي): (الضمان اسم جبل فيه مرعى عظيم).

(٣) من قوله: (على إرادة القول) إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج١ ص١٩٨.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

وفي تفسير العياشي: عن يونس بن ظبيان قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله: «وما للظالمين من انصار» قال: مالهم من أئمة يسمّونهم بأسمائهم [1].

ومعناه (مالهم) أي للظالمين من أئمة يسمّون الأئمة بأسماء الأنصار، أي يعدّونهم أنصارهم، أي أئمة الجور، وأئمة الجور لايمكن لهم الشفاعة.

فالحاصل: أنّ الظالم، وهو الذي تدخله النار، وهو تارك الولاية، ليس له مخلص من النار، لأنّ أئمتهم، أئمة الجور يستحيل منهم الشفاعة والنصرة. أمّا الشفاعة، فلأنّهم ليسوا أهلاً لها. وأمّا النصرة، فلأنّ المخزي هو الله سبحانه.

فما قاله البيضاوي: من أنّه لايلزم من نفي النصرة، نفي الشفاعة، لأنّ النصرة دفع بقهر، جهل منه، ارتكبه لاحتياط الاستمداد منه بشفاعة أئمته.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾: أوقع الفعل على المسمع، لا المسموع، لدلالة وصفه عليه. وفيه مبالغة ليس في إيقاعه على نفس المسموع.

وفي تنكير المنادى وإطلاقه، ثم تقييده بالوصف، تعظيم لشأنه، والمراد به الرسول، وقيل القرآن [2].

وفي تهذيب الأحكام: في الدعاء بعد صلاة يوم الغدير، المسند إلى الصادق

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١١ ح ١٧٥.

(٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩٩ عند تفسيره لآية ١٩٣ من سورة آل عمران.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤﴾

(عليه السلام): وليكنْ من دعائك في دبر هاتين الركعتين، أن تقول: ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا إلى قوله: إنك لاتخلف الميعاد، إلى أن قال: ربّنا إنّنا سمعنا بالنداء وصدّقنا المنادي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذ نادى بنداء عنك بالذي أمرته به أن يبلّغ ما أنزلت إليه من ولاية وليّ أمرك [1].

فعلى هذا معنى:

أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ: آمنوا به فيما ناداكم له رسوله، وهو الإيمان بوصيّ رسوله.

فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا: أي آمنا بالله ورسوله ووصيّ رسوله.

فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا: كبائرنا، فإنها ذات تبعات وأذناب.

وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا: صغائرنا، فإنهامستقبحة، ولكنها مكفّرة عن مجتنب الكبائر.

وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم.

والأبرار جمع برّ، أو بار، كأرباب وأصحاب.

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ: أي على تصديق رسلك، من الثواب. أو على ألسنة رسلك، أو منزلاً على رسلك، أو محمولاً عليهم.

وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ: بأن تعصمنا عمّا يقتضيه.

إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ: بإثابة المؤمن وإجابة الداعي.

وتكرير «ربنا» للمبالغة في الابتهال، والدلالة على استقلال المطالب وعلوّ شأنها.

---

(١) التهذيب: ج ٣ ص ١٤٤ باب ٧ صلاة الغدير، ح ١ س ٩.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: أي طلبتهم،وهو أخصّ من الإجابة، لجواز أن يكون الإجابة بالردّ، وتعدّى بنفسه وباللام.

أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم: بأنّي لا أضيع.

وقرئ بالكسر، على إرادة القول.

مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ: بيان عامل.

بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ: لأنّ الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر، أو لأنّهما من أصل واحد، أو لفرط الاتصال والاتحاد، أو للاجتماع، أو الاتفاق في الدين.

وهي جملة معترضة، بيّن بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمّال.

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى محمد بن يعقوب النهشليّ قال: حدّثنا علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل (عليهم السلام)، عن الله (جلّ جلاله) أنّه قال: أنا الله لاإله إلّا أنا خلقت الخلق بقدرتي، فاخترت منهم من شئت من أنبيائي، واخترت من جميعهم محمّداً حبيباً وخليلاً وصفياً، وبعثته رسولاً إلى خلقي، واصطفيت له علياً

فجعلته له أخاً ووصياً ووزيراً ومؤدّياً عنه من بعده إلى خلقي وخليفتي إلى عبادي -إلى قوله جل ثناؤه- وحجّتي في السماوات والأرضين على جميع من فيهنّ من خلقي لاأقبل عمل عامل منهم إلّا بالإقرار بولايته مع نبوّة أحمد رسولي[١].

فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ: الأوطان والعشائر للدين.

وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي: بسبب إيمانهم بالله ومن أجله.

وَقَٰتَلُواْ: الكفار.

وَقُتِلُواْ: في الجهاد.

وقرأ حمزة والكسائي بالعكس[٢].

والمراد: أنه لمّا قتل منهم قوم، قاتل الباقون، ولم يضعفوا.

وشدّد ابن كثير وابن عامر «قتّلوا» للتكثير.

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ: أي أُثيبهم بذلك ثواباً من عندالله، أي عظيماً، فهو مصدر للنوع[٣].

وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ: على الطاعات.

وفي أمالي شيخ الطائفة: بإسناده إلى أبي عبيدة عن أبيه، وابن أبي رافع يحكي ذهاب عليّ (عليه السلام) من مكة إلى المدينة ملتحقاً بالنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حين هاجر من مكة إلى المدينة، وقد قارع[٤] الفرسان من قريش، ومعه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وفاطمة بنت

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٤٩ قطعة من ح ١٩١.

(٢) فالذين هاجروا، مبتدأ، وخبره (لا كفرن)، وقاتلوا وقتلوا عطف على عطف. وقرئ: وقتلوا وقاتلوا، هذه القراءة تدلّ على أنّ الواو تدلّ على الجمع دون الترتيب، فلذلك لم يبال قدّم أو أخّر وإلّا فيستحيل أن تكون المقاتلة بعد القتل، وقد يجوز أن يراد يقتلوا البعض ويقاتلوا الباقي، وهو كثير في كلامهم (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ج١ ص٢٣٧).

(٣) في هامش بعض النسخ المخطوطة مالفظه (ردّ على البيضاوي حيث جعله مصدراً مؤكّداً مع أنه لايحذف عامل المؤكّد، منه).

(٤) قرع الرجل: ضربه. يقال: قرع رأسه بالعصا، أي ضربه بها (المنجد لغة قرع).

الزبير: ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان[١] فلزم بها يوماً وليلة ولحق به نفر من ضعفاء المؤمنين وفيهم ام أيمن مولاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ويصلي ليلته تلك هو والفواطم ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلّى (عليه السلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل وهنّ يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل، يعبدون الله (عزّوجلّ) ويرغبون إليه كذلك حتى قدم المدينة وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً» الآيات قوله: «من ذكر أو انثى» الذكر عليّ والانثى الفواطم «بعضكم من بعض» يعني عليّ من فاطمة، أو قال: الفواطم وهنّ من عليّ[٢].

وذكر علي بن عيسى (رحمه الله) في كشف الغمّة: أنّ هذه الآيات نزلت في أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) في توجّهه إلى المدينة، وذكر الحكاية كما في الأمالي[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: ثم ذكر أميرالمؤمنين (عليه السلام) وأصحابه المؤمنين فقال: «فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم» يعني أميرالمؤمنين وسلمان وأباذر حين اخرج وعمار الذين أوذوا، إلى آخر الآية[٤].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: الخطاب للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمراد امّته، أو تثبيته على ما كان عليه أو لكلّ أحد.

---

(١) ضجنان بالتحريك ونونين، ورواه ابن دريد بسكون الجيم، وقيل: ضجنان جبيل على بريد من مكة، وهناك الغميم في أسفله مسجد صلّى فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وله ذكر في المغازي، وقال الواقدي: بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة، ولضجنان حديث في حديث الإسراء حيث قالت له قريش: ماآية صدقك؟ قال: لمّا أقبلت راجعاً حتى إذا كنت بضجنان، مررت بعير فلان فوجدت القوم ولهم إناء فيه ماء فشربت مافيه، وذكر القصة (معجم البلدان: ج٣ ص٤٥٣ باب الضاد والجيم وما يليهما).

(٢) الأمالي لشيخ الطائفة: ج ٢ ص ٨٥، الجزء السادس عشر س ١٧ باختلاف في الالفاظ.

(٣) كشف الغمّة في معرفة الأئمة ط إيران طهران: ج ١ ص ٥٣٩ حديث الغار ومبيته (عليه السلام) على فراش النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ١٣٨١.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٩ عند تفسيره لآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

والمعنى: لا تنظر إلى ماالكفرة عليه من السعة والحظّ ولا تغترّوا بظاهر ماترى من تبسّطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم.

نقل أنّ بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش، فيقولون: إنّ أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت[1].

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ: خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك التقلّب متاع قليل، لقصر مدّته، وفي جنب ما أعدّ الله للمؤمنين.

وفي الحديث النبوي: ماالدنيا في الآخرة إلّا مثل مايجعل أحدكم اصبعه في اليمّ، فلينظر بم يرجع[2].

ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ: مامهّدوا لأنفسهم.

لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ: النزل والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من «جنات» والعامل فيها الظرف.

وقيل: إنّه مصدر مؤكد، والتقدير أنزلوها نزلاً.

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ: لكثرته ودوامه.

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٠ عند تفسيره لآية ١٩٦ من سورة آل عمران.

(٢) رواه في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٠ عند تفسيره لآية ١٩٧ من سورة آل عمران.

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ: ممّا يتقلّب فيه الفجّار لقلّته وسرعة زواله، وامتزاجه بالآلام.

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: الموت خير للمؤمن، لأنّ الله يقول: «وما عندالله خير للأبرار»[1].

قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعليّ (عليه السلام): أنت الثواب وأصحابك الأبرار[2].

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ: قيل: نزلت في ابن سلام وأصحابه[3].

وقيل: في أربعين من نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، كانوا نصارى، فأسلموا[4].

وقيل: في أصحمة النجاشي، لمّا نعاه جبرئيل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فخرج فصلّى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصرانيّ لم يره قط[5].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٢ ح ١٧٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٢ ح ١٧٧ والحديث عن الأصبغ بن نباتة عن علىّ (عليه السلام).

(٣ و٤ و٥) نقلها في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٠ عند تفسيره لآية ١٩٩ من سورة آل عمران.

وإنّما دخلت اللام على الاسم، للفصل بينه وبين «إن» بالخبر.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ : من القرآن.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ : من الكتابين.

خَٰشِعِينَ لِلَّهِ حال من فاعل «يؤمن» وجمعه باعتبار المعنى.

لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : كما يفعله المحرّفون من أحبارهم.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ : ويؤتون أجرهم مرّتين كما وعدوه في آية أُخرى.

إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ: لعلمه بالأعمال، وما يستوجبه كلّ عامل من الجزاء، واستغنائه عن التأمّل والاحتياط.

والمراد: أنّ الأجر الموعود سريع الوصول، فإنّ سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء(١).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟: على المصائب.

وَصَابِرُوا۟ : على الفرائض.

وَرَابِطُوا۟: على الأئمّة.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام): «اصبروا» على الفرائض «وصابروا» على المصائب(٢).

وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده الى ابي حمزة، عن أبي بصير، عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: «اصبروا» على المصائب وصابروهم على الفتنة «ورابطوا» على من تقتدون به(٣).

وفي مجمع البيان: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام): رابطوا الصلوات قال أي انتظروها واحدة بعد واحدة لأنّ المرابطة لم تكن حينئذ(٤).

---

(١) من قوله (قيل: نزلت في ابن سلام) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ص٢٠٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٨١ ح ٣.

(٣) معاني الاخبار: ص ٣٦٩، باب معنى الصبر والمصابرة والمرابطة، ح ١.

(٤) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٦٢ في نقله المعنى الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران.

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «اصبروا وصابروا ورابطوا» فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «اصبروا» على المصائب «وصابروا» على الفرائض «ورابطوا» على الأئمّة[٢].

وحدّثني أبي، عن الحسن بن خالد، عن الرضا (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصابرون فيقوم فئام من الناس ثم ينادي أين المتصبّرون فيقوم فئام من الناس، قلت: جعلت فداك وما الصابرون؟ فقال: على اداء الفرائض والمتصبّرون على إجتناب المحارم[٣].

حدّثني أبي، عن حماد، عن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن علي بن الحسين (عليهم السلام) أنه قال وقد ذكر عنده عبدالله بن عباس: وأما قوله: «ياايها الذين آمنوا إصبروا» الآية ففي أبيه نزلت، وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله الرابط[٤]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الحسين ابن المختار، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: «اصبروا» على الفرائض[٥].

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن حماد ابن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزوجلّ): «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال «اصبروا» على الفرائض «وصابروا»

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٦٢، ولفظ الحديث: (وروي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه سئل عن أفضل الاعمال؟ فقال: إسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام الى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط).

(٢و٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٩.

(٤) لم نعثر عليه في تفسير علي بن إبراهيم، ورواه في الصافي عنه: ج١ ص٣٨٠.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٨١ ح ٢.

على المصائب «ورابطوا» على الأئمة[١].

علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن ابان بن أبي مسافر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ياايها الذين آمنوا إصبروا وصابروا» قال: «إصبروا» عن المصائب[٢].

وفي رواية ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إصبروا» على المصائب[٣].

وفي مجمع البيان «إصبروا وصابروا ورابطوا» اختلفوا في معناه الى قوله: وقيل: معنى «رابطوا» أي رابطوا الصلاة ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لأنّ المرابطة لم يكن حينئذٍ، روي ذلك عن عليّ (عليه السلام) وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال: معناه «إصبروا» على المصائب «وصابروا» على عدوّكم «ورابطوا» على عدوكم[٤].

وفي كتاب معاني الاخبار: حدّثنا أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن احمد بن أبي عبدالله، عن أبيه (عليه السلام) قال: جاءَ جبرئيل (عليه السلام) إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقال له النبيّ: ياجبرئيل ماتفسير الصبر؟ قال: يصبر في الضرّاء كما يصبر في السراء، وفي الفاقة كما يصبر في الغنىٰ، وفي البلاء كما يصبر في العافية، فلا يشكو خالقه عند المخلوق بما يصيبه من البلاء[٥]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: قيل: واتقوه بالتبرّي عمّا سواه، لكي تفلحوا غاية الفلاح[٦].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨١ ح ٣. (٢)و(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٢ ح ١٩.

(٤) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٦٢. (٥) معاني الأخبار: ص٢٦٠، ح١.

(٦) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٠١ عند تفسيره لآية ٢٠٠ من سورة آل عمران.

وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) يعني فيما أمركم به وافترض عليكم[١].

وفي اصول الكافي: بعض أصحابنا رفعه، عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقّي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: إنّ الله (تبارك وتعالى) لـمّا خلق نبيّه ووصيّه وابنته وابنيه وجميع الأئمّة (عليهم السلام) وخلق شيعتهم، أخذ عليهم الميثاق أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا[٢]، وأن يتقوا الله[٣].

وفي تفسير العياشي: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (تبارك وتعالى): «اصبروا» يقول: على المعاصي «وصابروا» على الفرائض «واتقوا الله» يقول: آمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ثم قال: وأيّ منكر أنكر من ظلم الأمّة لنا وقتلهم إيّانا «ورابطوا» يقول: في سبيل الله، ونحن السبيل فيما بين الله وخلقه، ونحن الرباط الأدنى فمن جاهد عنّا فقد جاهد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وما جاء به من عندالله «لعلّكم تفلحون» يقول: لعلّ الجنّة توجب لكم إن فعلتم ونظيرها في قول الله تعالى: «ومن أحسن قولا ممن دعى إلى

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٢ قطعة من ح ١٨١ وراوي الحديث يعقوب السرّاج عن أبي عبدالله (عليه السلام).

(٢) قوله: (وإن يصبروا ويصابروا ويرابطوا) الصبر أصله الحبس، يقال: صبرت نفسي على كذا، أي حبستها. والربط أصله الشدّ، يقال: ربط الدابّة، أي شدّه. والمرابطة الإقامة على جهاد العدوّ بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها في الثغور. وقد يطلق على ربط النفس على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة. ولعلّ المقصود أنه تعالى أخذ عليهم أن يصبروا على الدين ومشاقّ تكاليفه وسائر ماينزل عليهم من النوائب والمصائب، وأن يصابروا أعداءهم في الجهاد، ويغالبوهم في الصبر على شدائد الحروب، أو يحمل بعضهم بعضاً على الصبر في الشدائد، وأن يرابطوا أي يقيموا على جهادهم، أو على الثغور بأنفسهم وخيولهم، أو على الطاعات مطلقاً (شرح الكافي. للعلّامة المازندراني: ج ٧ ص١٨٧).

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٥١، كتاب الحجة، أبواب التاريخ، باب مولد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووفاته، قطعة من ح٣٩.

الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين» ولو كانت الآية في المؤذنين كما فسّرها المفسّرون لفاز القدريّة وأهل البدع معهم(١).

عن يعقوب السرّاج قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): تبقىٰ الأرض يوماً بغير عالم منكم يفزع الناس إليه؟ قال: فقال لي: إذن لايعبد الله ياأبا يوسف، لاتخلو الأرض من عالم منّا ظاهر يفزع الناس إليه في حلالهم وحرامهم فإنّ ذلك لمبيّن في كتاب الله قال الله: «ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» اصبروا على دينكم وصابروا على عدوّكم ممّن يخالفكم ورابطوا إمامكم، واتقوا الله في ماأمركم به وافترض عليكم(٢).

وفي رواية أُخرى: عنه (عليه السلام) «اصبروا» على الاذىٰ فينا قلت: «وصابروا» قال: على عدوّكم مع وليّكم «ورابطوا» قال: المقام مع إمامكم «واتقوا الله لعلكم تفلحون» فقلت: تنزيل؟ قال: نعم(٣).

وفيه: بإسناده الى ابن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» فقال: اصبروا على المصائب وصابروهم على القضيّة «ورابطوا» على من تقتدون به «واتقوا الله لعلكم تفلحون»(٤).

وفي شرح الآيات الباهرة: روى الشيخ المفيد (رحمه الله) في كتاب الغيبة، عن رجاله بإسناده عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: «اصبروا» على أداء الفرائض «وصابروا» عدوّكم «ورابطوا» إمامكم المنتظر(٥).

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٢ ح ١٧٩.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٢ ح ١٨١.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٣ ح ١٨٢.

(٤) لم نعثر عليه في العياشي ووجدناه في معاني الأخبار: ص ٣٦٩ ح ١ وفيه: (وصابروا على التقية بدل القضية).

(٥) لايوجد لدينا هذا الكتاب ووجدناه في تأويل الآيات الظاهرة: ص١٣٣.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال حدّثنا الحسين بن الحكم معنعناً، عن ابن عباس (رضي الله عنه) في يوم أُحد في قوله تعالى: «ياايها الذين آمنوا اصبروا» في أنفسكم «وصابروا» عدوّكم «ورابطوا» في سبيل الله «واتقوا الله لعلكم تفلحون» نزلت في رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وحمزة بن عبدالمطّلب (رضي الله عنه)[1].

وقد سبق ثواب قراءة هذه السورة.

وفي عيون الأخبار: عن الرضا (عليه السلام) قال: إذا أراد أحدكم الحاجة، فليبكّر في طلبها في يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران، و آية الكرسي، وإنا أنزلناه في ليلة القدر، وام الكتاب فإنّ فيها قضاء لحوائج الدنيا والآخرة[2].

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٠ س ٢.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٤٠ باب ٣١ فيا جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ح١٢٥.

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

وهي مائة وستّ وسبعون آية

في كتاب ثواب الأعمال: بإسناده عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: من قرأ سورة النساء في كلّ جمعة أمن من ضغطة القبر(١).

وفي مصباح الكفعمي: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): من قرأها فكأنّما تصدّق على كلّ من ورث ميراثاً وأُعطي من الأجر كمن اشترىٰ محرّراً وبرأ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين تجاوز عنهم(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: خطاب يعمّ بني آدم.

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾: في كتاب المناقب لابن شهرآشوب: أبو حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية قال: قرابة الرسول وسيّدهم أميرالمؤمنين، أُمروا بمودّتهم فخالفوا ما أُمروا به(٣).

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٠٥ (ثواب من قرأ سورة النساء في كلّ جمعة).

(٢) مصباح الكفعمي: ص ٤٣٩.

(٣) لم نعثر عليه في المناقب ورواه في تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٤٢٩ ح ٣ نقلاً عن المناقب.

﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: هي آدم (عليه السلام).

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: عطف على «خلقكم» أي خلقكم من شخص واحد وخلق منها أُمّكم حوّاء من فضل طينتها، أو على محذوف، تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها.

في كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى زرارة، في حديث طويل، قال: ثم سئل (عليه السلام) عن خلق حوّاء، وقيل له: إنّ أُناساً عندنا يقولون: إنّ الله (عزّوجلّ) خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر الأقصى؟ قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، يقول من يقول هذا، إنّ الله (تبارك وتعالى) لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه، وجعل للمتكلّم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام، يقول: إنّ آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه، ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم. ثم قال: إنّ الله (تبارك وتعالى) لمّا خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له، وألقى عليه السبات، ثم ابتدع له حوّاء فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فأقبلت تتحرّك، فانتبه لتحرّكها، فلمّا انتبه نوديت أن تنحي عنه، فلمّا نظر إليها، نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى، فكلّمها فكلّمته بلغته، فقال لها: من أنت؟ فقالت: خلق خلقني الله كما ترى، فقال آدم عند ذلك: يا ربّ من هذا الخلق الحسن الذي آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله: يا آدم هذه أمتي حوّاء أفتحبّ أن تكون معك فتؤنسك وتحدّثك وتأتمر لأمرك؟ فقال: نعم يا ربّ، ولك عليّ بذلك الشكر والحمد ما بقيت، فقال الله (تبارك وتعالى) فاخطبها إليّ فإنّها أمتي، وقد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة، وألقى الله عليه الشهوة، وقد علّمه قبل ذلك المعرفة بكلّ شيء، فقال: يا ربّ إنّي أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟ فقال: رضائي أن تعلّمها معالم ديني، فقال: ذلك لك يا ربّ عليّ إن شئت ذلك لي، فقال: قد شئت ذلك وقد زوّجتكها فضمّها إليك، فقال لها آدم (عليه السلام) إليّ فاقبلي، فقالت له: لا بل أنت فاقبل إليّ، فأمر الله (عزّوجلّ) آدم أن يقوم إليها، فقام، ولولا ذلك لكنّ النساء يذهبن حتى

يخطبن على أنفسهنّ، فهذه قصة حوّاء (صلوات الله عليها)[١].

وفي تفسير العياشي: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: خلقت حوّاء من قصيرا جنب آدم، والقصيرا هو الضلع الأصغر، وأبدل الله مكانه لحماً[٢].

وقيل في الجمع بين الخبرين: كونها مخلوقة من ضلعه الأيسر إشارة إلى أنّ الجهة الجسمانية في النساء أقوى منها في الرجال، والجهة الروحانيّة الملكيّة بالعكس من ذلك، وذلك لأنّ اليمين ممّا يكنى به عن عالم الملكوت الروحاني، والشمال ممّا يكنّى به عن عالم الملك الجسماني، فالطين عبارة عن مادة الجسم، واليمين عبارة عن مادة الروح، ولاملك إلّا بملكوت، وهذا هو المعنى بقوله (عليه السلام): (وكلتا يديه يمين) فالضلع الأيسر المنقوص من آدم كناية عن نقص الشهوات التي تنشأ من غلبة الجسمية التي هي من عالم الخلق، وهو فضل طينته المستنبطة من باطنه التي صارت مادة لخلق حوّاء. فتنبّه في الحديث على أنّ جهة الملكوت والأمر في الرجال أقوى من جهة الملك والخلق، وبالعكس منها في النساء، فإنّ الظاهر عنوان الباطن، وهذا هو السرّ في هذا النقص في أبدان الرجال بالإضافة إلى النساء، وأسرار الله لاينالها إلّا أهل السرّ، فالتكذيب في كلام المعصومين (صلوات الله عليهم) إنّما يرجع إلى مافهمته العامّة من حمله على الظاهر، دون أصل الحديث[٣].

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: بيان لكيفيّة تولّدهم منها.

والمعنى: ونشر من تلك النفس والروح المخلوق منها بنين وبنات كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها؛ لكونهم أصلاً بالنسبة إليهن، وتوصيفهم يدلّ على توصيفهن، وذكر «كثيراً» حملاً على الجمع. وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة، لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقّها أن تخشى، والنعمة الباهرة التي توجب طاعة مولاها. أو لأنّ المراد به تمهيد الأمر

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٧ باب ١٧ علّة كيفيّة بدو النسل قطعة من ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٥ ح ٢.

(٣) ماذكره المصنف من الجمع مقتبس من تفسير الصافي. ج١ ص٣٨٣، لاحظ تفسيره لقوله تعالى: «وخلق منها زوجها».

بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على مادلّت عليه الآيات التي بعدها.

وقرئ «وخالق» و«باث» على حذف مبتدأ تقديره: وهو خالق وباث.

وفي كتاب العلل: عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن بدء النسل من ذرّيّة آدم (عليه السلام) وقيل: إنّ عندنا أُناساً يقولون: إنّ الله (تبارك وتعالى) أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته من بنيه، وإنّ هذا الخلق أصله كلّه من الإخوة والأخوات؟ فقال (عليه السلام): سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، يقول من يقول هذا، إنّ الله (عزّوجلّ) جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة مايخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيّب، والله لقد تبيّنت، أنّ بعض البهائم تنكّرت له أُخته، فلمّا نزى عليها ونزل كشف له عنها وعلم أنّها أُخته، أخرج غُرموله[1] ثم قبض عليه بأسنانه، ثم قلعه، ثم خرّ ميتاً[2].

وفيه: بإسناده إلى الحسن بن مقاتل، عمّن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبدالله (عليه السلام) عن بدء النسل من آدم كيف كان؟ وعن بدء النسل من ذرّيّة آدم، وذكر الحديث، وفيه زيادة وهي قوله: وآخر تنكّرت له أُمّه ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان في انسيته وفضله، غير أن جيلاً من هذا الخلق الذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه، فصاروا إلى ماترون من الضلال والجهل بالعلم كيف كانت الأشياء الماضية من بدء أن خلق الله ماخلق وما هو كائن أبداً، ثم قال: ويح هؤلاء أين هم عمّا لايختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولافقهاء أهل العراق، فإن الله (عزّوجلّ) أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل آدم بألفي عام، وانّ كتب الله كلّها فيما

---

(١) في هامش بعض النسخ مالفظه (الغرمول بضمّ المعجمة وسكون الراء ـ منه) الغرمول الذكر الضخم الرخو، وقد قيل: الذكر مطلقاً (لسان العرب: ج١١ ص٤٩١ حرف اللام).

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٦ باب ١٧ علّة كيفيّة بدء النسل ح١.

جرى القلم في كلّها تحريم الأخوات على الإخوة مع ماحرّم، وهذا نحن قد نرى فيها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان أنزلها الله عن اللوح المحفوظ على رسله (صلوات الله عليهم أجمعين)، منها التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعلى النبيّين ليس فيها تحليل شيء من ذلك، حقاً أقول: ماأراد من يقول هذا وشبهه إلّا تقوية حجج المجوس، فمالهم قاتلهم الله. ثم أنشأ يحدّثنا كيف كان بدء النسل من آدم، وكيف كان بدء النسل من ذرّيته، فقال: إنّ آدم (عليه السلام) ولد له سبعون بطناً في كلّ بطن غلام وجارية، إلى أن قتل هابيل، فلمّا قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعه عن إتيان النساء، فبقي لايستطيع أن يغشى حوّاء خمسمائة عام، ثم تخلّى مابه من الجزع عليه فغشى حوّاء، فوهب الله شيئاً وحده ليس معه ثان، واسم شيث هبة الله، وهو أوّل وصيّ أُوصي إليه من الآدميّين في الأرض، ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان، فلمّا أدركا وأراد الله (عزّوجلّ) أن يبلغ بالنسل ماترون، وأن يكون ماقد جرى به القلم من تحريم ماحرّم الله (عزّوجلّ) من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة فأمر الله (عزّوجلّ) آدم أن يزوّجها من شيث، فزوّجها منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة، فأمر الله (عزّوجلّ) آدم أن يزوّجها من يافث، فزوّجها منه، فولد لشيث غلام، وولدت ليافث جارية، فأمر الله (عزّوجلّ) آدم حين أدركا أن يزوّج بنت يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصفوة من النبيّين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ماقالوا من الإخوة والأخوات[١].

وبإسناده إلى القاسم بن عروة، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ الله (عزّوجلّ) أنزل حوراء من الجنة إلى آدم (عليه السلام)، فزوّجها أحد ابنيه، وتزوّج الآخر الجنّ، فولدتا جميعاً، فما كان من الناس من جمال

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨ علّة باب ١٧ كيفيّة بدء النسل ح٢.

وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجانّ، وأنكر أن يكون زوّج بنيه من بناته [١].

وبإسناده إلى عبدالله بن يزيد بن سلام، أنه سأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أخبرني عن آدم خلق من حوّاء، أم خلقت حوّاء من آدم؟ قال: بل حوّاء خلقت من آدم، ولو كان آدم خلق من حوّاء لكان الطلاق بيد النساء، ولم يكن بيد الرجال. قال: فمن كلّه خلقت أو من بعضه؟ قال: من بعضه، ولو خلقت من كلّه لجاز القصاص في النساء كما يجوز في الرجال. قال: فمن ظاهره أو باطنه؟ قال: بل من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لانكشفت النساء كما ينكشف الرجال، فلذلك صارت النساء مستترات، قال: فمن يمينه أو من شماله؟ قال: بل من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان للأُنثى مثل حظّ الذكر من الميراث، فلذلك صار للأُنثى سهم وللذكر سهمين، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد، قال: فمن أين خلقت؟ قال: من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر، قال: صدقت يا محمّد، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة [٢].

وبإسناده إلى الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن علي، عن عليّ ابن أبي طالب (عليهم السلام)، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): خلق الله (عزّوجلّ) آدم من طين، ومن فضله وبقيّته خلقت حوّاء [٣].

وما في الكافي: عن محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن خالد بن إسماعيل، عن رجل من أصحابنا من أهل الجبل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ذكرت له المجوس وإنّهم يقولون: نكاح كنكاح ولد آدم، وإنّهم يحاجّونا بذلك؟ فقال: أمّا أنتم فلا يحاجّونكم به. لمّا

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٠٣ باب ٩٢ علة حسن الخلق وسوء الخلق ح١.

(٢) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٧٠ - ٤٧١ باب ٢٢٢ النوادر ح٣٣.

(٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥١٢ باب ٢٨٦ العلة التي من أجلها فضل الرجال على النساء ح١.

أدرك هبة الله قال آدم: يارب زوّج هبة الله، فأهبط الله (عزّوجلّ) حوراء، فولدت له أربعة غلمة، ثم رفعها الله (عزّوجلّ)، فلمّا أدرك ولد هبة الله قال: ياربّ زوّج ولد هبة الله، فأوحى الله (عزّوجلّ) إليه أن يخطب إلى رجل من الجنّ وكان مسلماً أربع بنات له على ولد هبة الله، فزوّجهن، فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوّة، وما كان من سفه أو حدّة فمن الجنّ(١).

وما رواه في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام)، إنّ حوّاء امرأة آدم كانت تلد في كلّ بطن غلاماً [وجارية](٢) فولدت في أوّل بطن قابيل، وقيل: قابين وتوأمته إقليما بنت آدم، والبطن الثاني هابيل وتوأمته لوزا، فلمّا أدركوا جميعاً أمر الله تعالى آدم أن ينكح قابيل أُخت هابيل، وهابيل أُخت قابيل فرضي هابيل وأبى قابيل، لأنّ أخته كانت أحسنهما، وقال: ما أمر الله بهذا، ولكن هذا من رأيك، فأمرهما الله أن يقرّبا قرباناً، فرضيا بذلك، وسيأتي باقي الحديث(٣).

وما في قرب الإسناد: عن الرضا (عليه السلام): حملت حوّاء هابيل وأختاً له في بطن، ثم حملت في البطن الثاني قابيل وأختاً له في بطن، فزوج هابيل التي مع قابيل، وزوّج قابيل التي مع هابيل ثم حدث التحريم بعد ذلك(٤).

فمحمول على التقيّة، لأنّه موافق لمذهب العامة.

والحق ماروي أولاً في الفقيه: عن الباقر (عليه السلام): إنّ الله (عزّوجلّ) أنزل على آدم حوراء من الجنة، فزوّجها أحد ابنيه، وتزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في الناس من جمال كثير وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء خلق فهو من ابنة الجان(٥).

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٦٩، كتاب النكاح، باب نوادر ح٥٨.

(٢) مابين المعقوفتين اثبتناه من المصدر لاقتضاء السياق.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٨٣ في نقل القصة لقوله تعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق» المائدة: ٢٧.

(٤) قرب الإسناد: ص ١٦١ س ١٢.

(٥) الفقيه: ج ٣ ص ٢٤٠ باب ٩٩ بدء النكاح وأصله ح ٥.

وما في بعض الاخبار الماضية، أنّ الله أنزل الحوراء على هبة الله، لاينافي مافي هذا الخبر، لإمكان الإنزال أوّلاً على أوّل أولاده، ثم أنزلها ثانياً على هبة الله بسؤال آدم.

ولاينافيه أيضاً مارواه العياشي: عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ آدم ولد له أربعة ذكور، فأنزل الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوّج كلّ واحد منهم واحدة، فتوالدوا، ثم إنّ الله رفعهن، وزوّج هؤلاء الأربعة، أربعة من الجنّ، فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فمن آدم، وما كان من جمال فمن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجنّ[1].

لاحتمال أن يكون المراد من ولد آدم، ولد هبة الله، لأنّ ولده أولاده، وقد سبق في الخبر، أنّ الله أنزل على أولاده أربعة من الحور العين.

ويحتمل أن يكون المراد من أربعة من الحور العين على أربعة من أولاد آدم غير من أنزل له أوّلاً، فلا منافاة.

وأما ماروي في كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا تاب الله على آدم واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلّا في الأرض، وذلك بعد ماتاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، وكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحلّ، ثم يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثم يرجع إلى فناء البيت، فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكراً وعشرون أنثى، فولد له في كلّ بطن ذكر وأنثى، فأوّل بطن ولدت حوّاء هابيل ومعه جارية يقال لها إقليما، قال: و ولدت في البطن الثاني قابيل ومعه جارية يقال لها لوزا. وكانت لوزا أجمل بنات آدم، قال: فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم من الفتنة فدعاهم إليه و قال: اريد أن انكحك ياهابيل لوزا، وانكحك ياقابيل إقليما، قال قابيل: ماأرضى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٥ ح ٥.

وتنكح هابيل أختي الجميلة؟ قال آدم: فأنا اقرع بينكما، فإن خرج سهمك ياقابيل على لوزا وخرج سهمك ياهابيل على إقليما زوجت كلّ واحد منكما التي يخرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا قال فخرج سهم هابيل على لوزا أخت قابيل، وخرج سهم قابيل على إقليما أخت هابيل، قال: فزوّجهما على ماخرج لهما من عندالله، قال: ثم حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك، قال: فقال له القرشيّ: فأولداهما؟ قال: نعم قال: فقال القرشيّ: فهذا فعل المجوس اليوم! قال: فقال علي ابن الحسين (عليهما السلام): إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله، ثم قال له علي بن الحسين (عليه السلام): لا تنكر هذا إنما هي شرائع جرت أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلّها له؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك[(١)].

وما روي في كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن المفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) أنه قال: لمّا أكل آدم من الشجرة هبط إلى الأرض، فولد له هابيل وأخته توأم، وولد له قابيل وأخته توأم، ثم انّ آدم أمر قابيل وهابيل أن يقرّبا قرباناً، وكان هابيل صاحب غنم، وكان قابيل صاحب زرع، فقرّب هابيل كبشاً وقرّب قابيل مزرعة مالم ينقّ، وكان كبش هابيل من فضل غنمه، وكان زرع قابيل غير منقّى، فتقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربان قابيل، وهو قول الله «واتل عليهم» الآية[(٢)].

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ: أي يسأل بعضكم بعضا به، فيقول: أسألك بالله.

وأصله: تتساءلون فأُدغمت التاء الثانية في السين.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها[(٣)].

---

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣١٤، احتجاجات الإمام السجاد (عليه السلام) س١١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص٢١٣ باب ٢٢ اتصال الوصيّة من لدن آدم (عليه السلام)، وإنّ الأرض لاتخلو من حجّة لله (عزّوجلّ) على خلقه إلى يوم القيامة ح٢ س١٣.

(٣) قرئ (تسّاءلون) بالتشديد، و(تساءلون) بالتخفيف. فمن قرا (تسّاءلون) بالتشديد أدغم التاء في

وَٱلۡأَرۡحَامَۚ: بالنصب عطفاً على «الله» أي اتقوا الله والأرحام، فصلوها ولا تقطعوها.

في مجمع البيان: «والأرحام» معناه: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وهو المرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام)[1].

وقيل: أو على محلّ الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد أو عمرو، أي تتساءلون بالله وبالأرحام، كقولهم: أسألك بالله وبالرحم، أن تفعل كذا.

وقرأ حمزة بالجرّ عطفاً على الضمير المجرور، وهو ضعيف، لأنّه كبعض الكلمة. وقرأ بالرفع، على أنّه مبتدأ محذوف الخبر، أي والأرحام كذلك، أي ممّا يتقى، أو يتساءل به.

وقد نبّه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه في الاتّقاء، على أنّ صلتها بمكان منه.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا: حافظاً مطلعاً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود. الرقيب، الحفيظ[2].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثنا الحسن بن الحكم معنعناً عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» قال: نزلت في رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وذوي أرحامه، وذلك أنّ كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلّا من كان بسببه ونسبه «إن الله كان عليكم رقيباً» يعني حفيظاً[3].

السين لقربها في المخرج. وأدغمت التاء في السين ولم تدغم السين في التاء، لأنّ في السين زيادة صوت، لأنّها من حروف الصفير، وهي الصاد والسين والزاي. وإنّما يدغم الأنقص صوتاً فيما هو الأزيد صوتاً، ولايدغم الأزيد صوتاً فيما هو الأنقص صوتاً، لأنّه يؤدي إلى الإجحاف به ويبطل ماله من الفضل على مقاربه. ومن قرأ (تساءلون به) بالتخفيف فإنّه حذف إحدى التاءين (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، غريب إعراب سورة النساء: ص٢٤٠).

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣ في نقل المعنى لآية ١ من سورة النساء س ٤.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٠ في تفسيره لآية ١ من سورة النساء س ٥.

(٣) تفسير فرات الكوفي ط قم: ص ٣٢ س ٩.

وفيه: قال: حدّثنا جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن جعفر بن محمد قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّا الله تعالى خلقني وأهل بيتي من طينة لم يخلق منها أحداً غيرنا، فن صنوا إلينا، فكنّا أوّل من ابتدأ من خلقه، فلمّا خلقنا فتق بنورنا كلّ ظلمة، وأحيا بنا كلّ طينة طيّبة، ثم قال الله تعالى: هؤلاء خيار خلقي، وحملة عرشي، وخزّان علمي، وسادة أهل السماء، وسادة أهل الأرض، هؤلاء هداة المهتدين، والمهتدى بهم، من جاءني بولايتهم أوجبت لهم جنتي، وأبحتهم كرامتي، ومن جاءني بعداوتهم أوجبت لهم ناري، وبعثت عليهم عذابي، ثم قال (عليه السلام): نحن أصل الإيمان بالله وملائكته وتمامه، ومنّا الرقيب على خلق الله، وبه سداد أعمال الصالحين، ونحن قسم الله الذي يسأل به، ونحن وصيّة الله في الأوّلين، ووصيّته في الآخرين، وذلك قوله (جلّ جلاله): «اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً»[(١)].

وفي تفسير العياشي: عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إنّ أحدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار، فأيّما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدن منه، فإنّ الرحم إذا مسّها الرحم، استقرت وإنّها متعلّقة بالعرش، منتقضة انتقاض الحديد[(٢)] فتنادي: اللهمّ صل من وصلني واقطع من قطعني وذلك قول الله في كتابه: «واتقوا الله» الآية[(٣)].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «واتقوا الله» الآية؟ فقال: هي أرحام الناس، إنّ الله (عزّوجلّ) أمر بصلتها وعظمها، ألا ترى

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٣٥ س ١.

(٢) الإنقاض صوت كالنقر، وإنقاض الأصابع تصويتها وفرقعتها، وأنقض أصابعه، ضرب بها لتصوت (مجمع البحرين: ج٤ ص٢٣٢ لغة نقض).

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٧ ح٨ وتمام الحديث (وأيما رجل غضب وهو قائم فليلزم الأرض من فوره، فإنّه يذهب رجز الشيطان).

أنّه جعلها معه[(١) (٢) (٣)].

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى الرضا (عليه السلام) قال: إنّ الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة، إلى قوله: وأمر باتقاء الله وصلة الرحم، فمن لم يصل رحمه لم يتّق الله (عزّوجلّ)[(٤)].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم، ح١.

(٢) قوله: (هي أرحام الناس) أي ليس المراد هنا رحم آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، كما في أكثر الآيات (أمر بصلتها) أي في سائر الآيات أو في هذه الآية على قراءة النصب بالعطف على الله، والأمر باتقاء الأرحام، أمر بصلتها (وعظمها) حيث قرنها بنفسه (ألا ترى أنّه جعلها منه) أي قرنها بنفسه. وعلى قراءة الجر، حيث قرّرهم على ذلك، حيث كانوا يجمعون بينه تعالى وبين الرحم في السؤال، فيقولون: أنشدك الله والرحم. وربّما يقرأ منّة بضم الميم وتشديد النون، أي جعلها قوة وسبباً لحصول المطالب، أو بالكسر والتشديد، أي أنعم بها على الخلائق، ولا يخفى مافيها من التعسّف (مرآة العقول: ج٨ ص٣٥٩).

(٣) بقي هنا شيء ينبغي الإشارة إليه، وهو تحقيق معنى الرحم، فنقول: قيل: الرحم والقرابة نسبة واتصال بين المنتسبين يجمعها رحم واحد. وهذا يشبه أن يكون دورياً، وقيل: الرحم عبارة عن قرابة الرجل من جهة طرفيه، آبائه وإن علوا وأبنائه وإن سفلوا وما يتصل بالطرفين من الأعمام والعمّات، والإخوة والأخوات وأولادهم، وقيل: الرحم التي تجب صلتها كلّ رحم بين اثنين لو كان ذكراً لم يتناكحا، فعلى هذا لايدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال، وقيل: هي عامّ في كلّ رحم من ذوي الأرحام المعروفين بالنسب محرّمات أو غير محرّمات، وإن بعدوا، وهذا أقرب إلى الصواب ويدلّ عليه مارواه علي بن إبراهيم ج٢ ص٣٠٨ في تفسير قوله تعالى: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم» إنّها نزلت في بني أميّة وما صدر منهم بالنسبة إلى أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، ويؤيّده روايات أخر.

والظاهر أنّه لاخلاف في أنّ صلة الرحم واجبة في الجملة وأنّ لها درجات متفاوتة بعضها فوق بعض، وأدناها الكلام والسلام وترك المهاجرة، ويختلف ذلك باختلاف القدرة عليها والحاجة إليها، فمن الصلة مايجب ومنها مايستحبّ، ومن وصل بعض الصلة ولم يبلغ أقصاها، ومن قصر عمّا ينبغي، أو قصر عمّا يقدر عليه، هل هو واصل أو قاطع فيه تأمّل، والأقرب عدم القطع، لصدق الصلة في الجملة (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٩ ص٥).

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٠١ باب ٢٦ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار النادرة في فنون شتّى، ح١٣، وتمام الحديث: (أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلّى ولم يزك، لم ←

وبإسناده إلى الرضا (عليه السلام)، عن أبيه، عن علي (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لمّا اسري بي إلى السماء رأيت رحماً متعلّقة بالعرش تشكو رحماً إلى ربّها! فقلت لها: كم بينك وبينها من أب؟ فقالت: نلتقي في أربعين أباً[١].

وفي اصول الكافي: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، يقول الله (تبارك وتعالى): «واتقوا الله» الآية[٢][٣].

وبإسناده إلى الرضا (عليه السلام) قال: إنّ رحم آل محمّد، الأئمّة (عليهم السلام) المعلّقة بالعرش، تقول: اللهمّ صل من وصلني واقطع من قطعني، ثم هي جارية في أرحام المؤمنين، ثم تلا هذه الآية[٤][٥].

يقبل منه صلاته، وأمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله. وأمر باتقاء الله الخ).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٩٩، باب ٢٦ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار النادرة في فنون شتّى، ح ٥.

(٢) الكافي: ج٢ص١٥٥ كتاب الايمان والكفرباب صلة الرحم ح٢٢.

(٣) قوله: (صلوا أرحامكم ولو بالتسليم) دلّ على أنّه ينبغي المبادرة بالسلام على ذوي الأرحام، وإن ظنّ أنهم لايردّون عليه، والقول بأنّه لايسلّم عليهم حينئذٍ، لأنّه يدخلهم في حرام كما ذهب إليه بعض العامّة، ليس بشيء، لإمكان توبتهم وردّهم، فلايترك تلك الخصلة العظيمة والفضيلة الشريفة لمجرّد الظنّ (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٩ ص١٥).

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٥٦ كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم، ح ٢٦.

(٥) «إنّ الرحم معلّقة بالعرش» قيل: تمثيل للمعقول بالمحسوس، وإثبات لحقّ الرحم على أبلغ وجه، وتعلّقها بالعرش، كناية عن مطالبة حقّها بمشهد من الله، ومعنى ماتدعو به: كن له كما كان لي، وافعل به مافعل بي من الإحسان والإساءة، وقيل: محمول على الظاهر، إذ لايبعد من قدرة الله تعالى أن يجعلها ناطقة، كما ورد أمثال ذلك في بعض الأعمال، أنّه يقول: أنا عملك . وقيل: المشهور من تفاسير الرحم: إنّها قرابة الرجل من طرفيه، وهي أمر معنويّ، والمعاني لا تتكلّم ولا تقوم، فكلام الرحم وقيامها وقطعها ووصلها، استعارة لتعظيم حقّها وصلة واصلها وإثم قاطعها، ولذا سمّي قطعها عقوقاً، وأصل العقّ، الشقّ، فكأنه قطع ذلك السبب الذي يصلهم. وقيل: يحتمل أنّ الذي تعلّق بالعرش ملك من الملائكة تكلّم بذلك عوضاً منها بأمر الله سبحانه، فأقام الله ذلك الملك يناضل
←

> وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ: إذا بلغوا، أو آنستم منهم رشداً، كما في الآية الاخرى.

«اليتامى» جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه، من اليتم، وهو الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة، إمّا لأنّه لمّا جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب، جمع على يتائم، ثم قلب فقيل يتامى، أو على أنّه جمع على يتمى، كأسرى، لأنّه من باب الآفات، ثم جمع يتمى على يتامىٰ، كأسرى وأسارى، وورود في الآية إمّا للبلّغ على الأصل، أو على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر، حثّاً على أن يدفع إليهم أموالهم أوّل بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد، ولذلك أمر بابتلائهم صغاراً،

عنها، ويكتب ثواب واصلها وإثم قاطعها كما وكّل الحفظة بكتب الأعمال.
قوله: (وهي رحم آل محمّد) أي التي تعلّق بالعرش، هي رحم آل محمّد، فالمراد أنّ الرحم المعلّقة بالعرش رحم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وذووا قرباه وأهل بيته، وهم الأئمّة بعده، فإنّ الله أمر بصلتهم وجعل مودّتهم أجر الرسالة لقرابتهم بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، لابالناس، ولذا يجب على الناس صلتهم. أو المراد به قرابة المؤمنين بالقرابة المعنويّة الإيمانيّة فإنّ حقّ والدي النسب على الناس لأنّهما صارا سببين للحياة الظاهريّة الدنيويّة، وحقّ ذوي الأرحام لاشتراكهما في الانتساب بذلك، والرسول وأمير المؤمنين (عليهما السلام) أبوا هذه الأمّة لصيرورتهما سبباً لوجود كلّ شيء، وعلّة غائية لجميع الموجودات كما ورد في الحديث القدسيّ: لولاك لما خلقت الأفلاك.
وأيضاً صارا سببين للحياة المعنويّة الأبديّة بالعلم والإيمان لجميع المؤمنين، ولانسبة لهذه الحياة بالحياة الفانية الدنيويّة، وبهذا السبب صار المؤمنون إخوة، فبهذه الجهة صارت قرابة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قرابتهم وذوي أرحامهم. وأيضاً قال الله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم» وفي قراءة أهل البيت (عليهم السلام) (وهو أب لهم) فصار النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخديجة أبوي هذه الأمّة، وذرّيّتها الطيّبة ذوي أرحامهم، فبهذه الجهات صاروا بالصلة أولى وأحقّ من جميع القرابات (مرآة العقول: ج٨ ص٣٦٦).

أو لغير البلغ، والحكم مقيّد، وكأنه قال: وآتوهم إذا بلغوا، ويؤيّد الأوّل مانقل أنّ رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلمّا بلغ طالب المال منه، فمنعه، فنزلت، فلمّا سمعها العمّ قال: أطعنا الله ورسوله، نعوذ بالله من الحوب الكبير(١).

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: قيل: لا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم. أو الأمر الخبيث، وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيّب الذي هو حفظها، وقيل: ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها.

والبيضاويّ ضعّفه بأنّ هذا تبديل وليس بتبدّل(٢).

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾: ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم، مسوّين بينهما، وهذا حلال والآخر حرام، يعني فيما زاد على أجره، لقوله تعالى: «فليأكل بالمعروف»(٣).

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: ذنباً عظيماً.

وقرئ حوبا، وهو مصدر حاب يحوب حوبا.

وقرئ حابا، كقال، بناء على أنه حوب بفتح الواو(٤).

وفي تفسير العياشي: عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أو أبي الحسن (عليه السلام): «انه كان حوباً كبيراً» قال: هو ممّا يخرج الأرض من أثقالها(٥).

---

(١) من قوله (اليتامى) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص٢٠٢ في تفسيره لآية ٢ من سورة النساء.

(٢) من قوله: قيل لا تستبدلوا إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج١ ص ٢٠٢ فلاحظ.

(٣) النساء: ٦.

(٤) وقرأ الحسن (حوبا) بفتح الحاء، وهو مصدر حاب حوباً، وقرئ: حابا. ونظير الحوب والحاب: القول والقال والطرد والطرد (الكشاف: ج١ ص٤٦٦).

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٧ ح ١١.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ: قيل: يعني إن خفتم ألّا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوّجتم بهنّ، فتزوّجوا ما طاب لكم من غيرهنّ، إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال، فيتزوّجها ضنّا بها، فربما يجتمع عنده منهنّ عدد ولايقدر على القيام بحقوقهنّ، أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء، فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقّه، لأنّ المتحرّج من الذنب ينبغي أن يتحرّج من الذنوب كلّها، على مانقل أنّه لمّا عظم أمر اليتامى تحرّجوا من ولايتهم، وما كانوا يتحرّجون من تكثير النساء وإضاعتهنّ، فنزلت.

وقيل: كانوا يتحرّجون من ولاية اليتامى ولايتحرّجون من الزنا، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ماحلّ لكم[1].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام) لبعض الزنادقة: وأمّا ظهورك على تناكر قوله تعالى: «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء» وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولاكلّ النساء يتامى. فهو ممّا قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن. وبين القول في اليتامى وبين نكاح

---

(١) من قوله: قيل: يعني إن خفتم إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج١ص٢٠٢السطر الأخير ونقل الوجوه المذكورة سائر أرباب التفاسير أيضاً ونقلها شيخ الطائفة الحقّة في تفسيره التبيان ج ٣ ص ١٠٣ مسنداً بعض الوجوه إلى أصحابنا الإمامية، فلاحظ.

النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن. وهذا وما أشبهه ممّا ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمّل. ووجد المعطّلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كلّ ما اسقط وحرّف وبدّل ممّا يجري هذا المجرى، لطال، وظهر ماتحظر التقيّة إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء[1][2].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله «وإن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامىٰ فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنىٰ وثلاث ورباع» قال: نزلت مع قوله: «ويستفتونك

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٥٤ احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل على أنّها تقتضي التناقض والاختلاف فيه وعلى أمثاله في أشياء أُخرى، س١.

(٢) لايخفى أنّ شأن المحدّث والمفسّر إيراد الأحاديث ونقلها مع قطع النظر عن صحّتها وسقمها وضعفها وقوّتها فنرى أنّهم ينقلون الأحاديث الضعاف والأخبار المتعارضة، بل ربما يوردون الاخبار التي تحتاج إلى التأويل ولايقبلها بظاهرها العقول السليمة والأفكار الدقيقة.

بل نقد الأحاديث وتضعيفها وقبولها أو ردّها من شؤون علماء الرجال وخراريت فنون الأحاديث وحذّاق بحار الأخبار فهم يتغوّصون في يمّ المرويّات عن المعصومين ويتوغّلون في أسرار آل محمّد (صلوات الله عليهم) ويفرّقون بين اللآلئ والأخزاف والجواهر العزيزة والأحجار الكريمة.

فاسمع إلى مانتلوه عليك من كلام خرّيت فنّ الحديث شيخ الطائفة الإمامية (قدس الله نفسه الزكية) في مقدمته على تفسيره التبيان في هذا المقام.

قال في ج١ ص٤ مالفظه: وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فمّا لايليق به أيضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات، غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولاعملاً، والاولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنّه يمكن تأويلها، ولو صحّت لما كان ذلك طعناً على ماهو موجود بين الدفّتين، فإنّ ذلك معلوم صحّته، لايعترضه أحد من الامّة ولايدفعه إلى آخره.

وراجع أيضاً ماأثبتناه في ذيل آية ١٧٨ من سورة آل عمران.

ولو رمنا ماكتبه علماؤنا الأعلام في عدم تحريف القرآن وصونه عن الزيادة والنقصان، لطال بنا البحث وفيه خروج عن الغرض.

في النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلىٰ عليكم في الكتاب في يتامىٰ النساء اللاتي لا تأتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنىٰ وثلاث ورباع» فنصف الآية في أوّل السورة ونصفها على رأس المائة وعشرين آية وذلك أنّهم كانوا لايستحلّون أن يتزوّجوا يتيمة قد ربّوها فسألوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن ذلك فانزل الله (عزّوجلّ): «يستفتونك في النساء» الى قوله: «مثنى وثلاث ورباع»[1].

وإنّما عبّر عنهنّ بـ(ما) ذهاباً إلى الصفة، أو إجراءً لهنّ مجرى غير العقلاء، لنقصان عقلهنّ.

وقرئ «تقسطوا» بفتح التاء، على أنّ (لا) مزيدة، أي إن خفتم أن تجوروا.

مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ: أي اثنين اثنين، وثلاث ثلاث وأربع أربع، منصوبة على الحال من فاعل طاب، أو ممّا طاب بالفتحة، لا نها غير منصرفة، للعدل والصفة، فإنّها بنيت على الصفات، وإن لم تبن أُصولها لها. وقيل: لتكرير العدل، فإنّها معدولة باعتبار الصيغة وباعتبار التكرير، لأنّها اخرجت عن الأوزان الأصلية، وعن التكرير إلى الواحدة، ومعناه التخيير في العدد لكلّ أحد إلى أربع.

وإنّما أتى بهذه الصيغ، وبالواو، دون كلمة أو، إذ لو افردت وقيل: اثنتين وثلاثاً وأربعاً كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد، دون التوزيع. ولو ذكرت بـ(أو) لذهب تجويز الاختلاف في العدد. وإنّما لم يذكر الآحاد، لأنّ المراد نفي الحرج في الزائد.

وفي تفسير العياشي: عن يونس بن عبدالرحمن، عمّن أخبره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: في كلّ شيء إسراف إلّا في النساء، قال الله تعالى: «فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع»[2].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ليس الغيرة إلّا

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٠.
(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٨ ح ١٣.

للرجال، فأمّا النساء فإنّما ذلك منهنّ حسد، والغيرة للرجال، ولذلك حرّم على النساء إلّا زوجها وأحلّ للرجال أربعاً، فإنّ الله أكرم من أن يبتليهنّ بالغيرة ويحلّ للرجل معها ثلاثاً[١].

والعياشي عنه (عليه السلام): لا يحلّ لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من الحرائر[٢].

وفي كتاب عيون الأخبار في باب ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد ابن سنان في جواب مسائله في العلل: (وعلّة التزويج للرجل أربعة نسوة وتحريم أن تتزوّج المرأة أكثر من واحد، لأنّ الرجل إذا تزوّج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه، والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو، إذ هم مشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف)[٣].

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا: بين هذه الأعداد أيضاً.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام): فإن خفتم أن لا تعدلوا، يعني في النفقة[٤].

فَوَاحِدَةً: اي فاختاروا، أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع.

وقرئ بالرفع على أنّه فاعل فعل محذوف، أو خبر مبتدأ محذوف، أي فتكفيكم واحدة، أو فالكافي واحدة.

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: وإن تعدّدن، لخفّة مؤنهنّ، وعدم وجوب القسم بينهنّ، وفي حكمهنّ المتعة.

ففي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) في غير واحدة من الروايات: إنّها ليست من الأربع، ولا من السبعين، وإنّهن بمنزلة الإماء، لأنّها مستأجرات،

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٠٤ كتاب النكاح، باب غيرة النساء ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٨ ح ١٤.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٩٥ باب ٣٣ في ذكر ما كتب الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل، ح١.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٣٦٣ كتاب النكاح، باب فيما أحله الله (عزّوجلّ) من النساء، قطعة من ح ١.

وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

لا تطلّق ولا ترث ولا تورّث، وإنّ العبد ليس له أن يتزوج إلّا حرّتين، أو أربع إماء، وله أن يتسرّى بإذن مولاه ماشاء[1].

ذَٰلِكَ: أي التقليل منهنّ، أو اختيار الواحدة، أو التسرّي.

أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟: أقرب من أن لا تميلوا، يقال: عال الميزان، إذا مال. وعال الحاكم، إذا جار. وعول الفريضة، الميل عن حدّ السهام المسمّاة.

وقيل: بأن لا يكثر عيالكم، من عال الرجل عياله، إذا مانهم، فعبّر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية، ويؤيّده قراءة: أن لا تعيلوا، من أعال الرجل، إذا كثر عياله.

ولعلّ المراد بالعيال، الأزواج، وإن أُريد الأولاد، فلأنّ التسرّي مظنّة قلّة الولد بالإضافة إلى التزوّج، لجواز العزل فيه، كتزوّج الواحدة بالإضافة إلى تزوّج الأربعة.

وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ: مهورهن.

وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف. وبضمّ الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة، وبضمّهما على التوحيد، وهو تثقيل صدقة، كظلمة في ظلمة.

نِحْلَةً: قيل: عطيّة، من نحله كذا نحلة، إذا أعطاه إيّاها عن طيب نفس بلا توقّع عوض. ونصبها على المصدر، لأنّها في معنى الإيتاء، أو الحال من الواو، أو الصدقات. أي آتوهنّ صدقاتهنّ ناحلين أو منحولة. وبعضهم فسّرها بالفريضة،

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٥١ كتاب النكاح باب أنّهنّ بمنزلة الإماء وليست من الأربع، فلاحظ، وص٤٧٦ باب مايحلّ للمملوك من النساء، فراجع.

وهو نظر إلى مفهوم الآية، لا إلى موضع اللفظ.

وقيل: تفضّلاً من الله عليهنّ، فيكون حالاً من الصدقات.

وقيل: ديانة، من قولهم: انتحل فلان كذا، إذا دان به، على أنّه مفعول له، أو حال من الصدقات، أي ديناً من الله شرّعه.

قيل: الخطاب للأزواج[١].

وفي مجمع البيان: اختلف فيمن خوطب بقوله: «وآتوا النساء» قيل: هم الأولياء، لأنّ الرجل منهم إذا زوّج أيمة أخذ صداقها، دونها، فنهاهم الله عن ذلك، وهو المروي عن الباقر (عليه السلام)، رواه أبو الجارود[٢].

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾: الضمير للصداق، حملاً على المعنى، أو للإيتاء، و «نفسا» تميز لبيان الجنس، و لذلك وحّدوا المعنى، فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيب نفس، لكن جعل العمدة طيب النفس، للمبالغة، وعدّاه بـ «عن» لتضمين معنى التجافي والتجاوز، وقال «منه» بعثاً لهنّ على تقليل الموهوب.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾: فخذوه وانفقوه حلالاً بلا تبعة.

والهنيء والمريء صفتان، من هنؤ الطعام ومرئ، إذا ساغ من غير غصّ، اقيمتا مقام مصدريهما، أو وصف بهما المصدر، أو جعلتا حالا من الضمير.

وقد يفرّق بينهما، بأنّ الهنيء ما يلذّه الإنسان، والمريء ما يحمد عاقبته[٣].

وعلى ماروى سابقاً من مجمع البيان، الخطاب للأولياء.

وقيل: إنّ أُناساً يتأثّمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً ممّا ساق إليها، فنزلت[٤].

---

(١) من قوله: وقيل (بان لايكثر عيالكم) إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٣ فلاحظ. (٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧ س ٢ في تفسيره لآية ٤ من سورة النساء.

(٣) مقتبس أيضاً من تفسير (البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٤.

(٤) رواه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٢ ص ٤٣٢ في تفسيره لقوله تعالى: «واتوا النساء صدقاتهن نحلة».

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك، امرأة دفعت إلى زوجها مالاً من مالها ليعمل به، وقالت له حين دفعته إليه: أنفق منه، فإن حدث بك حدث فما أنفقت منه، فهو لك حلال طيّب، فإن حدث بي حدث فما أنفقت منه، فهو حلال طيّب، فقال: أعد عليّ ياسعيد المسألة، فلمّا ذهبت أعيد عليه المسألة، اعترض فيها صاحبها، وكان معي حاضراً، فأعاد عليه مثل ذلك، فلمّا فرغ اشار باصبعه إلى صاحب المسألة، فقال ياهذا: إن كنت تعلم أنّها قد أفضت بذلك إليك فيما بينك وبينها وبين الله، فحلال طيّب، ثلاث مرّات، ثم قال: يقول الله (عزّوجلّ) في كتابه: «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً»[1].

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وأحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لايرجع الرجل فيما يهب لامرأته، ولاالمرأة فيما تهب لزوجها، حيز أو لم يحز[2]. أليس الله (تبارك وتعالى) يقول: «ولا تأخذوا ممّا أتيتموهن شيئاً»[3] وقال: «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً» وهذا يدخل في الصداق والهبة[4].

وفي تفسير العياشي: عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أو أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله: «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً» قال: يعني بذلك أموالهنّ التي في أيديهنّ ممّا ملكن[5].

وفي مجمع البيان وفي كتاب العياشي: مرفوعاً إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام):

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٣٦ كتاب المعيشة، باب الرجل يأخذ من مال امرأته والمرأة تأخذ من مال زوجها ح١.

(٢) حازه يحوزه إذا قبضه وملكه واستبدّ به، أي تفرّد به (النهاية: ج١ ص٤٥٩ لغة حوز).

(٣) البقرة: ٢٢٩ والآية الشريفة هكذا: «ولايحل لكم أن تأخذوا».

(٤) الكافي: ج ٧ ص ٣٠ كتاب الوصايا، باب مايجوز من الوقف والصدقة والنحل والهبة والسكنى والعمرى. قطعة من ح٣.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٩ ح ١٦.

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥﴾

أنه جاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّي يوجع بطني[1] فقال: ألك زوجة؟ قال: نعم، قال: استوهب منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها، ثم اشتر به عسلاً، ثم اسكب عليه من ماء السماء، ثم اشربه، فإنّي سمعت الله سبحانه يقول في كتابه: «ونزلنا من السماء ماء مباركاً»[2] وقال «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس»[3] وقال «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً» وإذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء والمريء شفيت إن شاء الله تعالى، فقال: ففعل ذلك فشفي[4].

وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ: قيل: نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم، فيضيّعوها.

وإنّما أضاف المال إلى الأولياء، لأنّها في تصرفهم وتحت ولايتهم، وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة.

وقيل: نهي لكلّ أحد أن يعمد إلى ما خوّله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم.

وإنّما سمّاهم سفهاء، استخفافاً بعقلهم، واستهجاناً لجعلهم قواماً على أنفسهم، وهو أوفق لما بعده من قوله: «التي جعل الله لكم قياماً»[5].

---

(١) في النسخة ـ أ ـ: (إني اجد يوجع في بطني) وما في المتن من المصدر. (٢) ق: ٩. (٣) النحل: ٦٩.

(٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧ في تفسيره لآية ٤ من سورة النساء. وفي تفسير العياشي: ج١ ص٢١٩ ح١٨ وألفاظها مختلفة باختلاف يسير فلاحظ.

(٥) من قوله: قيل: نهي للاولياء، إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج١ ص٢٠٤، لاحظ تفسيره لآية ٥ من سورة النساء.

وفي مجمع البيان: اختلف في المعنى بالسفهاء على أقوال: أحدها أنّهم النساء والصبيان، ورواه أبو الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام)، وثالثها أنّه عامّ في كلّ سفيه، من صبيّ أو مجنون أو محجور عليه للتبذير، وقريب منه ماروي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: إنّ السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه. وقيل: عنى بقوله: «أموالكم» (أموالهم). وقد روى أنّه سئل الصادق (عليه السلام) عن هذا، فقيل: كيف يكون أموالهم أموالنا؟ فقال: إذا كنت أنت الوارث له، انتهى[١].

فعلى هذا يمكن الحمل على عموم النهي عن إيتاء المال إلى السفهاء، وإرادة العموم من إضافة الأموال، بإرادة مايشمل أموالهم أو مالهم الولاية فيه.

وفي الأخبار مايدلّ عليه[٢].

وفي تفسير العياشي: عن يونس بن يعقوب قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) في قول الله: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم»، قال: من لا تثق به[٣].

عن إبراهيم بن عبدالحميد قال: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم» قال: من لايثق به[٤].

عن إبراهيم بن عبدالحميد قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم» قال: كلّ من يشرب المسكر فهو سفيه[٥].

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «ولا تؤتوا السفهاء اموالكم» قال: هم اليتامىٰ ولا تعطوهم أموالهم حتى تعرفوا منهم الرشد قلت: فكيف يكون أموالهم أموالنا؟ فقال: إذا كنت أنت الوارث لهم[٦].

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٧ تلخيص ممّا ذكره (قدس سره) في معنى الآية.

(٢) قد أشار إلى الأخبار في التبيان: ج ٢ ص ١١٢ في تفسيره لآيةه من سورة النساء.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٠ ح ٢٠.

(٤) لم نعثر عليه في العياشي، والظاهر أنّه اشتباه من الناسخ، انظر الرواية التي قبلها والتي بعدها.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٠ ح ٢٢. (٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٠ ح ٢٣.

وفي قرب الإسناد للحميري: هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة بن زياد قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول لأبيه: ياأبه إنّ فلاناً يريد اليمن، أفلا ازوّده بضاعة يشتري بها عصب اليمن؟[١] فقال له: يابني، لا تفعل، قال: فلم؟ قال: فإنّها إذا ذهبت لم تؤجر عليها ولم يخلف عليك، لأنّ الله تعالى يقول: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً» فأي سفيه بعد النساء أسفه من شارب الخمر[٢].

وفي من لا يحضره الفقيه: سئل أبو جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم»؟ قال: لا تؤتوها شرّاب الخمر ولا النساء، ثم قال: وأي سفيه أسفه من شارب الخمر[٣].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حماد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقيل له: يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس»[٤]، وقال: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً»، وقال: «لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم»[٥][٦].

---

(١) العصب: برود يمنية يعصب غزلها: أي يجمع ويشدّ ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ماعُصب منه أبيض لم يأخذه صبغ، يقال: بُردٌ عصبٍ وبرود عصب بالتنوين والإضافة، وقيل: هي برود مخططة، والعصب: الفتل، والعصاب الغزال (النهاية: ج٣ ص٢٤٥).

(٢) قرب الإسناد: ص ١٣١ س ٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٦٨ باب ١٢٠ كراهية الوصية إلى المرأة ح٢.

(٤) النساء: ١١٤. (٥) المائدة: ١٠١.

(٦) (إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله) أي فاسألوني عن موضعه ومأخذه من كتاب الله. وفيه تنبيه على أنّ كلّ شيء كان أو يكون أو كائن فهو في القرآن، لأنّه برهان كلّ علم، ودليل ←

كلّ شيء، ونور كلّ حقّ، وصراط كلّ غائب، وشاهد كلّ حكم، وضياء كلّ صدق، فكلّ فعل لايطابقه فهو باطل، وكلّ قول لايوافقه فهو كاذب، وكلّ من تمسّك برأيه فهو خاسر (ثم قال في بعض حديثه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نهى عن القيل والقال) وهما إمّا فعلان ماضيان خاليان عن الضمير، جاريان مجرى الأسماء مستحقّان للإعراب وإدخال حرف التعريف عليها، أو مصدران، يقال: قلت قولاً وقيلاً وقالا وقالة.

والمقصود أنّه نهى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن فضول مايتحدّث به المتحدّثون وزوائد مايتكلّم به المتجالسون، مثل الخوض في أخبار الناس وحكاية أقوالهم وأفعالهم، ونقل أحداث الزمان ووقائعها، ممّا لايجدي نفعاً، ولايورث حكمة، فإنّ ذلك يوجب فساد القلب ورينه وميله إلى أمثال تلك المزخرفات واشتغاله عن تعلّم مالابدّ منه من العلوم الدينيّة والمعارف اليقينيّة.

وقيل: القال، الابتداء، والقيل الجواب.

وقيل: نهى عن كثرة الكلام مبتدئاً ومجيباً.

وقيل: نهى عن الأقوال التي توقع الخصومة بين الناس بما يحكى لبعض عن بعض.

وقيل: نهى عن المناظرة في العلم والمجادلة في البحث، فإنّ المناظرة لقصد الغلبة في العلم والمفاخرة بالفضل تورث النفاق والعداوة والأخلاق المهلكة والذنوب المردية والآفات الكثيرة.

والأحسن التعميم وإرادة جميع هذه الامور، فإنّ كلّها مذموم عقلاً ونقلاً.

(وفساد المال) أي نهى عن فعل مايوجب فساده، مثل صرفه في غير الجهات المشروعة، وترك ضبطه وحفظه، وإعطاء الدين دون إشهاد أو وثيقة بغير الموثوق به، وإيداعه عند الخائن وأمثال ذلك.

وأمّا تحسين الطعام والثياب وتكثيرها وتوسيع الدار فليس من إفساد المال للموسع عليه.

وإفساد المال مذموم قطعاً، لأنّ المال الحلال مكسبه ضيّق جداً وفساده يوجب هلاك النفس وتضييع العيال، أو التعرّض لما في أيدي الناس، ولأنّ الله تعالى إنّما أعطاه ليصرف في وجوه البرّ وأبواب الخير، فمن أفسده كان كمن ضادّ الحقّ وعاداه، وبالجملة في حفظه مصلحة للدين والدنيا.

(وكثرة السؤال) عن امور لايحتاجون إليها، سواء كانت من الأمور الدنيويّة أو الدينيّة كما مرّ أنّ مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء. وفيه حثّ على ترك الإلحاح في السؤال، وأنّ رجلاً سأل علي بن الحسين (عليه السلام) عن مسائل فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال (عليه السلام): مكتوب في الإنجيل، لا تطلبوا علم مالا تعلمون، ولمّا تعملوا بما علّمتم، وقد نقل أنّ بعض أهل العلم سئل عن شيء فأجابه، فقيل له فإن كان كذا فأجابه، ثم قيل له فإن كان كذا، فقال: هذه سلسلة متصلة بأخرى. إنّما قال ذلك؛ لكراهة الاستكثار في الاستفهام، وذلك مذموم خصوصاً من الجاهل الذي لايقدر على إدراك حقائق الأشياء كما هي، ومعرفة أصول العقائد كما

﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ : تقومون بها وتتعيّشون ، أي جنسه كذلك . سمّي مابه القيام قياماً للمبالغة .

وقرأ نافع وابن عامر «قيما» بمعناه، كعوذ بمعنى عياذ. وقرأ «قواماً» وهو مايقام به .

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ : واجعلوا الأموال مكاناً لرزقهم وكسوتهم . بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها مايحتاجون .

﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ : عدة حسنة تطيّب بها نفوسهم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية قال: فالسفهاء النساء والولد، إذا علم الرجل أنّ امرأته سفيهة مفسدة

ينبغي، وفهم غوامض المسائل من أحوال المبدأ والمعاد والجبر والقدر والتفويض وأمثال ذلك فإنّ وغوله في ذلك يوجب حيرته وضلالته وكفره.

(فقيل له: يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله) سئل سائل عن مدارك هذه الأمور الثلاثة ومواضعها من كتاب الله تعلّماً وتفهماً، (قال: إنّ الله تعالى يقول: «لاخير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» هذا مأخذ للأوّل، والنجو السر بين الاثنين، والمعروف كلّ مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل، وقد فسّر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوّع وغير ذلك (وقال: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم») نهى الأولياء عن أن يؤتوا السفهاء الذين لارشد لهم أموالهم، فينفقونها فيا لاينبغي (وقال: «لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم») والمعنى: لا تسألوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن تكاليف شاقّة عليكم إن حكم بها عليكم وكلّفكم بها تغمّكم وتشقّ عليكم وتندموا على السؤال عنها (ثم نقل قصة سراقة بن مالك في الحج، وقصة بني إسرائيل في البقرة، وقصة موسى والخضر، وما قاله ابن عباس حين الخطبة) إلى أن قال: وقال بعض أصحابنا: يندرج في هذا النهي تكلّم أكثر المتكلّمين الذين يخوضون في البحث عن صفات الله وأفعاله وآياته وكلماته بمجرد اعتقاده ورأيه، أو باتباعه من اشتهر في هذه الصنعة، فإنّ من أراد أن يعرف خواصّ أسرار المبدأ والمعاد بهذه الصنعة المسمّاة بعلم الكلام فهو في خطر عظيم، إذ طريق معرفة الله والسبيل إلى عجائب ملكوته وأسرار كتبه ورسله شيء آخر، ومن تمسّك بغيره فهو في حجاب كثيف وخطر شديد (تلخيص من شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٢ ص٣٤٢ إلى ٣٤٨).

الكافي: ج ١ ص ٦٠ كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ... ح٥.

ا

وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦

وولده سفيه مفسد، لاينبغي له أن يسلّط واحداً منها على ماله الذي جعله الله له قياماً، يقول: معاشاً، قال: «وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً» والمعروف العدة[1].

وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ: اختبروهم قبل البلوغ، بتتبّع أحوالهم في صلاح الدين، والتهدّي إلى ضبط المال وحسن التصرّف.

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ: حدّاً يتأتّى منهم النكاح، وهو كناية عن البلوغ، لأنّه يصلح للنكاح عنده، وهو أن يحتلم أو يستكمل خمس عشرة سنة في الرجال، والحيض واستكمال تسع سنين في النساء.

فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا: فإن أبصرتم منهم رشداً.

وقرئ (احستم) بمعنى أحسستم.

وفي من لايحضره الفقيه: عن الصادق (عليه السلام): أيناس الرشد حفظ المال[2].

وفي مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام): الرشد العقل وإصلاح المال[3].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣١ في تفسيره لقوله تعالى: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم».

(٢) من لايحضره الفقيه: ج٤ ص ١٦٤ باب١١٣ انقطاع يتم اليتيم ح٧.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٩ في نقل المعنى لقوله تعالى: «فإن آنستم منهم رشداً» قال بعد نقل الاختلاف في معنى الرشد: والأقوى أن يحمل على أنّ المراد به العقل وإصلاح المال على ماقاله ابن عباس والحسن، وهو المروي عن الباقر (عليه السلام).

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ: من غير تأخير عن حد البلوغ.

ونظم الآية: أن الشرطية جواب إذا المتضمّنة معنى الشرط، والجملة غاية الابتلاء، فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم.

وفيه دلالة على أنّه لايدفع إليهم أموالهم مالم يؤنس منهم الرشد.

وفي تفسر علي بن إبراهيم: عن الباقر (عليه السلام) في هذه الآية: قال: من كان في يده مال بعض اليتامى، فلا يجوز له أن يعطيه حتى يبلغ النكاح ويحتلم، فإذا احتلم وجب عليه الحدود وإقامة الفرائض، ولايكون مضيّعاً ولاشارب خمر ولازانياً، فإذا أُنس منه الرشد دفع إليه المال وأُشهد عليه، وإن كانوا لايعلمون أنّه قد بلغ فإنّه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته، فإذا كان ذلك فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، ولايجوز له أن يحبس عنه ماله ويعتلّ عليه أنّه لم يكبر بعد[١].

وفي من لايحضره الفقيه: وفي رواية أحمد بن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبدالله بن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال في تفسير هذه الآية: إذا رأيتموهم يحبّون آل محمّد فارفعوهم درجة[٢].

وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا: قيل: أي مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم[٣].

والأُولى مسرفين في المال ومبادرين في الإسراف خوف أن يكبروا ويأخذوا المال.

وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ: من أكلها.

وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ: بقدر حاجته وأُجرة سعيه.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣١ س ١٢ في تفسيره لقوله تعالى: «وابتلوا اليتامى».

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص١٦٥باب١١٣ انقطاع يتم اليتيم ح٨.

(٣) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٤ عند تفسيره لقوله تعالى: «ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً».

وفي تفسير العياشي: عن رفاعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله: «فليأكل بالمعروف» قال: كان أبي يقول إنّها منسوخة[١].

واعلم أنّ من يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له مايقيمه وهو يصلح أموالهم بما نحتاج إليه، فله أُجرة عمله مساوية لاجرة مثله، سواء كان قدر كفايته أم لا، وإن لم يكن قدر كفايته فحينئذٍ جاز له أن يأخذ قدر الكفاية من مال اليتيم على جهة القرض ثم يردّ عليه ما أخذ إذا وجد.

يدلّ عليه مارواه في الكافي: عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف» قال: من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له مايقيمه، وهو يتقاضى أموالهم[٢] ويقوم في ضيعتهم فليأكل بقدر ولايسرف، وإن كانت ضيعتهم لا تشغله عمّا يعالج لنفسه فلا يرزأنّ[٣] من أموالهم شيئاً[٤].

قوله: «بقدر» أي بقدر عمله «ولايسرف» أي لايزيد على أُجرة عمله.

وما رواه عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): سألني عيسى بن موسى عن القيّم للأيتام في الإبل وما يحلّ له منها؟ فقلت: إذا لاط حوضها[٥] وطلب ضالّتها،

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٢ ح ٣٣.

(٢) التقاضي بالدين مطالبته، والمراد: أنّ القيّم يطالب بديونهم التي في ذمّة الناس من أموالهم (كذا في الهامش).

(٣) في الحديث: إنّي لاأرزأ من فيئكم درهماً، أي لاأنقص شيئاً ولادرهماً (مجمع البحرين: ج١ ص١٨٣ لغة رزأ).

(٤) الكافي: ج ٥ ص ١٢٩ كتاب المعيشة، باب مايحل لقيّم مال اليتيم منه ح١.

(٥) لاط حوضها: طينها، وهنأ جربانها، أي طلاها بالهناء، وهو القطران، والجرب داء معروف، والنهك النقص منه (كذا في الهامش).

وهنأ جرباها[١] فله أن يصيب من لبنها، في غير نهك لضرع[٢] ولافساد لنسل[٣].

احمد بن محمد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف» فقال: ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة فلابأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلاً فلايأكل منه شيئاً[٤]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض، ثم يردّ عليه ماأخذ إذا وجد[٥]. والمراد مازاد على أُجرة عمله.

وما رواه العياشي في تفسيره: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله: «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»، قال: ذلك إذا حبس نفسه في أموالهم فلا يحترف لنفسه، فليأكل بالمعروف من مالهم[٦].

وما رواه عن إسحاق بن عمار، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في هذه الآية: هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية و يشغل فيها نفسه، فليأكل بالمعروف، وليس له ذلك في الدنانير والدراهم التي عنده موضوعة[٧].

(١ و٢) قال في النهاية ج٥ ص ٢٧٧: في حديث ابن عباس (إن كنت تلوط حوضها) أي تطيّنه وتصلحه، وأصله من اللصوق وقال: هنأت البعير أهنأه، إذا طليته بالهناء، وهو القطران، ومنه حديث ابن عباس في مال اليتيم: إن كنت تهنأ جربانها، أي تعالج جرب ابله بالقطران، وقال فيه: غير مضر بنسل ولاناهك في الحلب، أي غير مبالغ فيه، يقال: نهكت الناقة نهكاً حلبها، إذا لم يبق في ضرعها لبناً (مرآة العقول في شرح الحديث).

(٣) الكافي: ج٥ ص ١٣٠ كتاب المعيشة، باب مايحل لقيّم مال اليتيم منه، ح٤.

(٤) الكافي: ج٥ ص ١٣٠ كتاب المعيشة، باب مايحلّ لقيّم مال اليتيم منه، ح٥.

(٥) مجمع البيان: ج ٢ ص ٩ في نقل المعنى لآية ٦ من سورة النساء، وتمامه (عن سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية والزهريّ وعبيدة السلمانيّ وهو مرويّ عن الباقر (عليه السلام).

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٢ ح ٣٢ وفيه: (فلا يحترث) بدل (فلايحترف).

(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٢ ح ٣١.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

وأمّا ماروراه في الكافي: عن أحمد بن محمد، عن محمد بن الفضل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في هذه الآية: ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة، فلابأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم، فإن كان ذلك المال قليلاً فلايأكل منه شيئاً[1].

فالمراد بالمعروف، أُجرة مثل عمله، وذلك إذا كان في عمله إصلاح لأموالهم. والمراد بكون أموالهم قليلاً، كونها قدراً لايزيد بالإصلاح ولاأثر لعمله فيها.

فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ : بأنّهم قبضوها، فإنّه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة، ووجوب الضمان.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا : محاسباً، فلاتخالفوا ماأُمرتم به، ولاتجاوزوا ماحدّ لكم.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ : يريد به المتوارثين بالقرابة.

مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ : بدل «ممّا ترك» بإعادة العامل.

نَصِيبًا مَّفْرُوضًا : أي واجباً. نصب على أنّه مصدر مفيد للنوع لمحذوف[2]، أي نصب نصيباً مفروضاً، أو حال من الضمير في الظرف. أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيباً مقطوعاً واجباً.

وفيه دلالة على أنّ بإعراض الوارث لايسقط من حقّه شيء.

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٣٠ كتاب المعيشة، باب مايحل لقيّم مال اليتيم منه، قطعة من ح٥.

(٢) رد على البيضاوي حيث جعله مصدراً مؤكداً ـ منه (كذا في الهامش).

وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾

نقل أنّ أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته أمّ كحة وثلاث بنات، فزوى ابنا عمّه سويد وعرفطة، أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهنّ على سنّة الجاهلية، فإنّهم ما كانوا يورّثون النساء والأطفال، ويقولون: إنّما يرث من يحارب ويذبّ عن الحوزة، فجاءت أمّ كحة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مسجد الفضيخ، فشكت إليه، فقال لها: ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله، فنزلت، فبعث إليهما: لا تفرقا من مال أوس شيئاً، فإنّ الله قد جعل لهنّ نصيباً[1].

وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ: ممّن لا يرث.

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ: فاعطوهم شيئاً من المقسوم، تطييبا لقلوبهم وتصدّقاً عليهم.

والضمير في «منه» لما ترك، أو ما دلّ عليه القسمة.

وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا: وهو أن تدعوا لهم، وتستقلّوا ما تعطونهم، ولا تمنّوا عليهم.

في مجمع البيان: أنّ المرويّ عن الباقر (عليه السلام): أنّها محكمة غير منسوخة[2].

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص٢٠٥ عند تفسيره لآية ٧ من سورة النساء. وتمامه: (ولم يبيّن حتى تبيّن، فنزل «يوصيكم الله» فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العمّ).

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١ عند تفسيره لآية ٨ من سورة النساء.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: نسختها آية الفرائض[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: هي منسوخة بقوله: «يوصيكم الله»[٢].

والجمع بين الأخبار: بأنّها منسوخة بحسب دلالته على الوجوب، وغير منسوخة بحسب دلالته على الاستحباب فإنّ الوجوب: الأمر بالفعل مع المنع من النقيض، فنسخ باعتبار جزئه الأخير.

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ: «لو» بما في حيّزه صلة الموصول، وفي تعليق الأمر إشارة إلى المقصود منه والعلّة فيه، وبعث على الترحّم، وأن يحبّ لأولاد غيره ما يحبّ لأولاده.

قيل: أمر للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم، أو للحاضرين المريض عند الإيصاء، بأن يخشوا ربهم، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم، فلا يتركوه أن يضرّبهم بصرف المال عنهم. أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين، متصوّرين أنّهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم، هل يجوّزون حرمانهم؟!! أو للمؤمنين بأن ينظروا للورثة، فلا يسرفوا في الوصية[٣].

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ: في أمر اليتامىٰ.

وَلْيَقُولُوا: لهم، أو للمريض، أو لحاضري القسمة، أو في الوصية.

قَوْلًا سَدِيدًا: مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب، أو ما يصدّه عن الإسراف في الوصيّة وتضييع الورثة، ويذكّروه التوبة وكلمة الشهادة، أو عذراً جميلاً ووعداً حسناً، أو في الوصية ما لا يؤدّي إلى تضييع الورثة.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٣ ح ٣٦.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٢ عند تفسيره لآية ٨ من سورة النساء.

(٣) من قوله (لو بما في حيزه) إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج١ ص ٢٠٥، لاحظ تفسيره لآية ٩ من سورة النساء.

وفي عيون الاخبار في باب ماكتب به الرضا (عليه السلام) الى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وحرّم أكل مال اليتيم لعلل كثيرة من وجوه الفساد أوّل ذلك أنّه إذا أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغن ولامحتمل لنفسه ولاعليم بشأنه ولاله من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه فإذا أكل ماله فكأنه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة مع ماخوّف الله تعالى، وجعل من العقوبة في قوله تعالى: «وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله». ولقول أبي جعفر (عليه السلام): إنّ الله تعالى وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة ففي تحريم مال اليتيم استغناء اليتيم واستقلاله بنفسه والسلامة للعقب أن يصيبه ماأصابه لما وعد الله تعالى فيه من العقوبة مع مافي ذلك من طلب اليتيم بثأره إذا أدرك ووقوع الشحناء والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا[١].

وفي كتاب ثواب الاعمال: أبي (رحمه الله) قال: حدّثني سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة بن محمد الحضرمي، عن سماعة بن مهران قال: سمعته يقول: إنّ الله (عزّوجلّ) وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: أمّا أحدهما فعقوبة الآخرة بالنار وأمّا عقوبة الدنيا فهو قوله (عزّوجلّ): «وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً» يعني بذلك ليخش إن أخلفه في ذرّيّته كما صنع هو بهؤلاء اليتامى[٢].

حدّثني محمد بن الحسن قال: حدّثني محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حكيم، عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: دخلنا عليه فابتدأ فقال: من أكل مال اليتيم سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه فإنّ الله

---

(١) عيون اخبار الرضا: ج ٢ ص ٩٠ ب٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) الى محمد بن سنان.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٧٨، عقاب أكل مال اليتيم، ح٢.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

(عزّوجلّ) يقول في كتابه: «وليخش الذين لوتركوا» الآية[1].

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن أبي نجران، عن حمّاد بن حكيم، عن عبدالأعلى مولىٰ آل سام، قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) مبتدئاً: من ظلم يتيماً سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه قال: قلت: هويظلم فيسلّط الله على عقبه وعلى عقب عقبه؟ فقال: فإنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً»[2].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن الرجل يكون في يده مال لأيتام فيحتاج إليه فيمدّ يده فيأخذه وينوي أن يردّه؟ فقال: لاينبغي له أن يأكل إلّا بقصد فإن كان من نيّته أن لايردّه عليهم فهو بالمنزل الذي قال الله (عزّوجلّ): «إن الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلماً»[3].

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ذبيان بن حكيم الأزدي، عن علي ابن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): إنّ لي ابنة أخ يتيمة فربّما أُهدي لها الشيء فآكل منه ثم اطعمها بعد ذلك الشيء من مالي فأقول: ياربّ هذا بذا، فقال: لابأس[4].

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا: ظالمين أو على وجه الظلم، أوبالظلم.

---

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٧٨، عقاب أكل مال اليتيم، ح٣. (٢) الكافي: ج٢ ص٣٣٢ ح١٣.

(٣و٤) الكافي: ج٥ ص١٢٨و١٢٩ باب أكل مال اليتيم ح٣و٦. وفيه (إلّا القصد لايسرف).

إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ: ملء بطونهم.

نَارًا: قيل: مايجرّ إلى النار ويؤول إليها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار وتخرج من أدبارهم فقلت: من هؤلاء ياجبرئيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً[(١)].

وفي اصول الكافي: علي بن محمد، عن بعض اصحابنا، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): إنّ آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتى تخرج لهيب النار من فيه، يعرفه أهل الجمع أنه آكل مال اليتيم[(٢)(٣)].

وفي مجمع البيان: سئل الرضا كم أدنى مايدخل به آكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية؟ فقال: قليله وكثيره واحداً إذا كان من نيّته أن لايردّ إليهم[(٤)].

وروي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): سيبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواههم ناراً، فقيل له؛ يارسول الله من هؤلاء؟ فقرأ هذه الآية[(٥)].

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبدالله (عليه السلام) أو أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن رجل أكل مال اليتيم هل له توبة؟ قال: يردّ به إلى أهله،

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٢ في تفسيره لآية ١٠ من سورة النساء.

(٢) اليتم معروف، وقد يطلق على آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، بل على شيعتهم أيضاً كما دلّت عليه بعض الروايات، ولايبعد التعميم هنا (شرح اصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٨ ص٩٢).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣١ كتاب الايمان والكفر، باب آخر منه وفيه أنّ الإسلام قبل الإيمان، باب بدون عنوان، قطعة من ح١.

(٤و٥) مجمع البيان: ج٣ ص ١٣ عند تفسيره لآية ١٠ من سورة النساء.

قال: ذلك بإنّ الله يقول: «إنّ الذين يا كلون اموال اليتامى» الآية[١].

عن عمر، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الكبائر؟ فقال: منها أكل مال اليتيم ظلماً، وليس في هذا بين أصحابنا إختلاف والحمد لله[٢].

عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أصلحك الله ماأيسر مايدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً ونحن اليتيم[٣].

عن أبي إبراهيم قال: سألته عن الرجل يكون للرجل عنده المال إمّا ببيع أو بقرض فيموت ولم يقضيه إيّاه فيترك أيتاماً صغاراً فيبقى لهم عليه فلايقضيهم أيكون ممّن يأكل مال اليتيم ظلماً؟ قال: إذا كان ينوي أن يؤدّي إليهم فلا[٤].

عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: قلت: في كم يجب لآكل مال اليتيم النار؟ قال: في درهمين[٥].

والمراد من ذكر درهمين، المبالغة في القلّة، لاالتحديد بها.

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا: سيدخلون ناراً، أي نار.

وقرأ ابن عياش، عن عاصم بضمّ الياء مخفّفاً، وقرأ به مشدّداً، تقول: صلى النار، قاسى حرها، وصليته، شويته، وصليته ألقيته فيها، والسعير فعيل بمعنى مفعول، من سعّرت النار إذ ألهبتها.

وفي كتاب الاحتجاج: بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل، وفيه خطبة الغدير، وفيها قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد أن ذكر علياًوأولاده (عليهم السلام): إلا أنّ أعداءهم الذين يصلون سعيراً[٦].

وفي كتاب ثواب الاعمال: أبي (رحمه الله) قال: حدّثني عبدالله بن جعفر الحميريّ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب،

(١و٢و٣و٤و٥) تفسير العياشي: ج١ ص٢٢٤و٢٢٥و٢٢٣ ح٤١و٤٦و٤٨و٤٥و٤٠.

(٦) الاحتجاج: ج ١ ص ٦٣، احتجاج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم الغدير على الخلق كلّهم وفي غيره في الأيام بولاية علي بن أبي طالب ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) س٨.

عن الحلبيّ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ في كتاب علي (عليه السلام) أن آكل مال اليتيم سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده في الدنيا ويلحقه وبال ذلك في الآخرة أمّا في الدنيا فإنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «وليخش الذينَ لوتركوا من خلفهم ذرّيّة ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً» وأمّا في الآخرة فإنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً»(١).

ومن من لايحضره الفقيه: وقال الصادق (عليه السلام): إنّ آكل مال اليتيم سيلحقه وبال ذلك في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فإنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرّيّة ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله» وأمّا في الآخرة فإنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «إنّ الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً»(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن صفوان، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّه لما نزلت «إن الذين يأكلون اموال اليتامىٰ ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» أخرج كلّ من كان عنده يتيم وسألوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في إخراجهم فأنزل الله (تبارك وتعالى): «ويسألونك عن اليتامىٰ قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهمْ فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح»(٣).

وفي اصول الكافي: علي بن محمد، عن بعض اصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام): حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وأنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً: «إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» وذلك أنّ آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في

---

(١) ثواب الاعمال: ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ عقاب آكل مال اليتيم ح١.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٧٣ ح ٣٦٥٢. (٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٧٢.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾

بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه يعرفه أهل الجمع أنّه آكل مال اليتيم[(١)].

الجنيد بن محمد، عن معلا بن محمد، عن الحسن بن علي الوشا، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: من أكل مال أخيه ظلماً ولم يردّه إليه أكل جذوة من النار يوم القيامة[(٢)].

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن عجلان، عن أبي صالح قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن أكل مال اليتيم؟ فقال: هو كما قال الله (عزّوجلّ): «إن الذين يأكلون اموال اليتامىٰ ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» ثم قال من غير أن أساله: من عال يتيماً حتى ينقطع يتمه أو يستغني بنفسه أوجب الله (عزّوجلّ) له الجنة كما أوجب النار لمن أكل مال اليتيم[(٣)]

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ: يأمركم ويفرض عليكم.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٢ قطعة من ح ١. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣ ح ١٥ وفيه(الحسين بن محمد).
(٣) الكافي: ج ٥ ص ١٢٨ باب أكل مال اليتيم ح ٢.

﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾: في شأن ميراثهم.

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾: أي يعدّ كلّ ذكر بأنثيين إذا اجتمع الصنفان، فيضعّف نصيبه.

والمعنى: الذكر منهم، فحذف للعلم به، وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظّه، لأنّ القصد إلى بيان فضله، والتنبيه على أنّ التضعيف كان للتفضيل، فلا يحرم بالكلّيّة، وقد اشتركا في الجهة والعلّة، والتفضيل أنهنّ يرجعن عيالاً عليهم، ولما جعل لها من الصداق، ولأنّه ليس عليهنّ جهاد ولا نفقة ولا معقلة وغيرها.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبدالرحمن، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قلت: جعلت فداك كيف صار الرجل إذا مات و ولده من القرابة سواء ترث النساء نصف ميراث الرجال وهنّ أضعف من الرجال وأقلّ حيلة؟ فقال: لأنّ الله (تبارك وتعالى) فضّل الرجال على النساء بدرجة، ولأنّ النساء يرجعن عيالاً على الرجال[(١)(٢)].

وفي من لا يحضره الفقيه: وفي رواية حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن ابن بكير، عن عبدالله بن سنان قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): لأيّ علّة صار الميراث للذكر مثل حظ الأُنثيين؟ قال: لما جعل الله لها من الصداق[(٣)].

وروى ابن أبي عمير، عن هشام: أن ابن أبي العوجاء قال لمحمد بن النعمان الأحول: ما بال المرأة الضعيفة لها سهم واحد، وللرجل القويّ الموسر سهمان؟ قال: فذكرت ذلك لأبي عبدالله (عليه السلام) فقال: إنّ المرأة ليس لها عاقلة، وليس عليها نفقة ولا جهاد، وعدّ أشياء غير هذا، وهذا على الرجل فجعل له سهمان ولها سهم[(٤)].

---

(١) العلّة الأُولى محض كون الرجل أشرف من المرأة، والثانية كون النفقة على الرجل دون المرأة، وقد تضمّنها قوله تعالى «الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» (مرآة العقول: ج٤ ص١٤٣ كتاب المواريث).

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٨٤ كتاب المواريث باب علة كيف صار للذكر سهمان وللأُنثى سهم ح١.

(٣ و٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٢٥٣ باب ١٧٥ نوادر المواريث ح١١ و١٢.

وروى محمد بن أبي عبدالله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن علي بن سالم، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) فقلت له: كيف صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال: لأنّ الحبات التي أكلها آدم وحوّاء في الجنة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثنتي عشرة حبة، وأكلت حوّاء ستاً، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين(١).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): وروى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام) أنّه لمّا أجمع أبوبكر وعمر على منع فاطمة فدك وبلغها ذلك جاءت إليه وقالت له: يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولاأرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»(٢) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي: عن أبي جميلة المفضل بن صالح، عن بعض أصحابه، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: إنّ فاطمة (صلوات الله عليها)، انطلقت [الى أبي بكر](٣) فطلبت ميراثها من النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقال: إنّ نبي الله لايورّث، فقالت: أكفرت بالله وكذّبت بكتابه؟ قال: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»(٤).

وأما ماورواه في عيون الأخبار في باب ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من خبر الشامي وما سأل عنه أميرالمؤمنين (عليه السلام) في جامع الكوفة، في حديث طويل، وفيه: وسأله لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ فقال: من قبل السنبلة كان عليها ثلاث حبات، فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبة، وأطعمت

(١) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص٢٥٣باب ١٧٥ نوادر المواريث ح١٣.

(٢) الاحتجاج: ج ١، احتجاج فاطمة الزهراء (عليها السلام) على القوم لما منعوها فدك ص ١٠٢ س٦.

(٣) مابين المعقوفتين أثبتناه من المصدر لاقتضاء السياق.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٥ ح ٤٩.

آدم حبتين[١].

فلا ينافي ماقدمناه، لأنّ المراد بالحبّة جنس الحبة، والتاء فيه للوحدة الجنسيّة، والقرينة عليه: أنّ السنبلة يندر كونها ذات ثلاث حبّات، والغرض من توصيفها بالوحدة، اتحاد جنسها، فيحمل كلّ حبّة على ست حبّات، فيوافق ماروي أوّلاً، ولا تناقض بين الأخبار.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾: أي كان الأولاد نساء خلّصاً ليس معهن ذكر، فأنث الضمير باعتبار الخبر، أو على تأويل المولودات.

﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾: خبر ثان، أو صفة النساء، أي نساء زائدات على اثنتين.

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: المتوفى، ويدلّ عليه المعنى.

﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾: أي وإن كانت المولودة واحدة.

وقرأ نافع بالرفع على كان التامة.

واختلف في البنتين، فقال ابن عباس: حكمهما حكم الواحدة، لأنّه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما، وقال الباقون: حكمهما حكم مافوقهما، لأنّه تعالى لمّا بيّن أنّ حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أُنثى وهو الثلثان، اقتضى ذلك أنّ حظهما الثلثان، ثم لمّا أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد، ردّ ذلك بقوله (فإن كن نساء فوق اثنتين).

ويؤيّد ذلك أنّ البنت الواحدة لمّا استحقّت الثلث مع أخيها، فبالحري أن تستحقه مع اخت مثلها، وأنّ البنتين أمسّ رحماً من الأُختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله: «ولهما الثلثان ممّا ترك».

قال محمد بن يعقوب في الكافي: وقد تكلّم الناس في أمر البنتين من أين جعل لهما الثلثان، والله (عزّ ذكره) إنّما جعل الثلثين لما فوق اثنتين، فقال قوم: بإجماع، وقال قوم: قياساً كما أن كان للواحدة النصف، وكان ذلك دليلاً على أنّ المال لما

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص٢٤٢باب ٢٤ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من خبر الشامي وما سأل عنه أميرالمؤمنين (عليه السلام) في جامع الكوفة، ح١ س٩.

فوق الواحدة الثلثان، وقال قوم: بالتقليد والرواية، ولم يصب واحد منهم الوجه في ذلك، فقلنا: إنّ الله (جلّ ذكره) جعل حظ الأُنثيين الثلثين بقوله: «للذكر مثل حظ الأُنثيين» وذلك أنّه إذا ترك الرجل بنتين وابناً فللذكر مثل حظ الأُنثيين وهو الثلثان، فحظ الأُنثيين الثلثان، واكتفى بهذا البيان أن يكون ذكر الأُنثيين بالثلثين، وهذا بيان قد جهله كلّهم، والحمد لله كثيراً[1][2].

وَلِأَبَوَيْهِ: أي لأبوي الميت.

لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا: بدل منه بتكرير العامل، وفائدته التنصيص على استحقاق كلّ واحد منها السدس، والتفصيل بعد الإجمال تأكيد.

السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ: أي للميت.

وَلَدٌ: ذكراً أو انثى، واحداً أو متعدداً. فالولد مطلقاً يحجب الأمّ عن الثلث إلى السدس.

فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ: ممّا ترك وإنّما لم يذكر حصّة الأب، لأنّه ذكر سابقاً مافرض لكلّ منها، ولمّا لم يكن للأب فرض آخر، وكان للأمّ صرّح بالفرض الآخر للأمّ، ليعلم أنّ الفرض للأب واحد، وما أخذ زائداً فليس بالفرض بل بالقرابة.

وفي الآية تصريح بأنّ ثلث الأمّ ممّا ترك، وهو أصل التركة كما ذهب إليه ابن

---

(١) قوله: (هذا بيان) أقول: هذا الوجه ذكره الزمخشري والبيضاوي وغيرهما، قال البيضاوي: واختلف في البنتين، فقال ابن عباس: حكمها حكم الواحدة، لأنّه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما، وقال الباقون: حكمها حكم مافوقها، لأنّه تعالى لمّا بين: إنّ حظ الذكر مثل حظ الأُنثيين إذا كانت معه أُنثى وهو الثلثان، اقتضى ذلك أنّ فرضها الثلثان، ثم لمّا أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد، ردّ ذلك بقوله: «فإن كن نساء فوق اثنتين» انتهى. أقول: و فيه نظر، لأنّ الظاهر أنّه تعالى بيّن أوّلاً حكم الأولاد مع اجتماع الذكور والإناث معاً بأن نصيب كل ذكر مثل نصيب الأُنثيين، وما ذكره أخيراً بقوله: «فإن كن نساء فوق اثنتين» مورده انحصار الأولاد في الإناث اتفاقاً، فاستنباط حكم البنتين المنفردتين من الأول لايتمشى إلّا على وجه القياس، فتدبر (مرآة العقول: ج ٤ ص١٤١ كتاب المواريث باب وجوه الفرائض).

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٧٢ كتاب المواريث، باب بيان الفرائض في الكتاب س ٢١.

عباس وجمهور فقهائنا، لا ثلث مابقي كما ذهب إليه جمهور العامة.

فعلى هذا ماقاله البيضاوي: من أنه على هذا ينبغي أن يكون لها حيث كان معها أحد الزوجين ثلث مابقي من فرضه كما قاله الجمهور، لا ثلث المال كما قال ابن عباس، فإنّه يفضي إلى تفضيل الأُنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب، وهو خلاف وضع الشرع[1].

دفع للنص بالقياس كما فعله امامه إبليس.

وفي من لايحضره الفقيه: وروى محمد بن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن محمد ابن مسلم قال: أقرأني أبو جعفر (عليه السلام) صحيفة الفرائض التي هي إملاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخط علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيده، فقرأت فيها: امرأة ماتت وتركت زوجها وأبويها، فللزوج النصف ثلاثة أسهم، وللأمّ الثلث سهمان، وللأب السدس سهم[2][3].

فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ: وقرأ حمزة والكسائي «فلامّه» بكسر الهمزة، اتباعاً للكسرة التي قبلها.

والإخوة يقع على الاثنين فصاعداً. والأُختان بمنزلة أخ واحد، ولهذا ورد في أخبارنا: إنّه لايحجب الأمّ عن الثلث إلّا أخوان، أو أخ واختان، أو أربع أخوات.

والمراد بالإخوة، الإخوة من أب وأمّ، أو من أب، فإنّ الإخوة من الأمّ لايحجب الأمّ عن الثلث، لأنّ الوجه فيه: أنّ الأب ينفق عليهم فوفر نصيبه، والأب لاينفق على الإخوة من الأمّ.

وفي الكافي: أبو علي الأشعري عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٠٧ نقله في تفسيره لآية ١١ من سورة النساء.

(٢) قوله: وللأب السدس. هذا مع عدم الحاجب، وإلّا فينعكس، ويكون للأمّ السدس وللأب الثلث (روضة المتقين: ج١١ ص٢٤٥ ط قم).

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٩٥ باب ١٣٩ ميراث الأبوين مع الزوج والزوجة، ح١.

لايحجب الام عن الثلث إذا لم يكن ولد إلّا أخوان أو أربع أخوات[١].

وفي تفسير العياشي: عن أبي العباس قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: لايحجب عن الثلث الأخ والاخت حتى يكونا أخوين، أو أخ واختين، فإنّ الله تعالى يقول: «فإن كان له إخوة فلامّه السدس»[٢].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى: «فإن كان له إخوة فلامه السدس» يعني إخوة لأب وامّ أو إخوة لأب[٣].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن عبدالله بن بحر، عن حريز، عن زرارة قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): يازرارة ماتقول في رجل ترك أبويه وإخوته من امّه؟ قال: قلت: السدس لامّه وما بقي فللأب؛ فقال: من أين هذا؟ قلت: سمعت الله (عزّوجلّ) يقول في كتابه: «فإن كان له إخوة فلامّه السدس» فقال لي: ويحك يازرارة اولئك الإخوة من الأب، وإن كان الإخوة من الأمّ لم يحجبوا الأمّ عن الثلث[٤].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى، عن يونس جميعاً، عن عمر بن اذينة قال: قلت لزرارة: إنّ أناساً حدّثوني عنه ـ يعني أبا عبدالله (عليه السلام) ـ وعن أبيه (عليه السلام) بأشياء في الفرائض، فأعرضها عليك، فما كان منها باطلاً، فقل: هذا باطل، وما كان منها حقاً فقل: هذا حق ولا تروه واسكت[٥]. وقلت: حدّثني رجل عن أحدهما (عليهما السلام) في أبوين وإخوة لأمّ

---

(١) الكافي: ج ٧ ص ٩٢ كتاب المواريث باب ميراث الأبوين مع الإخوة والأخوات لأب والإخوة والأخوات لأمّ ح ٤. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص٢٢٦ ح ٥٢.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ص ٢٢٦ ح ٥٤.

(٤) الكافي: ج ٧ ص ٩٣ كتاب المواريث، باب ميراث الأبوين مع الإخوة والأخوات لأب والإخوة والأخوات لام ح٧.

(٥) قوله (ولا تروه) لعلّ مراده أنّه لمّا كانت الرواية ممّا قد تقع فيه التقيّة، لا تروى، بل ماعلمت أنّ لا تقيّة فيه فقل هو حقّ. ويمكن أن يكون هذا اتقاء على المعصوم، أو يكون هذا لما سيأتي في خبر زرارة أنّ الصادق (عليه السلام) أخذ عليه العهد أن لايروي مارأى في كتاب الفرائض إلّا أن

←

أنّهم يحجبون ولا يرثون، فقال: هذا والله هو الباطل، ولكني اخبرك ولا أروي لك شيئاً، والذي أقول لك هو والله الحقّ: إنّ الرجل إذا ترك أبويه فلامّه الثلث وللأب الثلثان في كتاب الله (عزّوجلّ)، فإن كان له إخوة، يعني للميت، يعني إخوة لأب وأمّ، أو إخوة لأب فلأمّه السدس وللأب خمسة أسداس، وإنّما وفّر للأب من أجل عياله، وأمّا الإخوة لأمّ ليسوا للأب، فإنّهم لا يحجبون الأمّ عن الثلث ولا يرثون(١).

مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ: متعلّق بما تقدّمه من قسمة المواريث كلها، أي هذه الانصباء للورثة من بعد وصيّة أو دين إن كانا.

قيل: وإنّما قال بـ(أو) التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنّها متساويان في الوجوب، مقدّمان على القسمة مجموعين ومفردين، وقدّم الوصيّة على الدين، وهي متأخّرة في الحكم، لأنّها مشبّهة بالميراث، شاقّة على الورثة، مندوب إليها الجميع والدين إنّما يكون على الندور.

وقرأ ابن عامر وأبوبكر بفتح الصاد.

وفي مجمع البيان: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنكم تقرؤون في هذه الآية الوصيّة قبل الدين، وأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قضى بالدين قبل الوصيّة(٢).

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام)

يأذن له، قوله (يحجبون) لاخلاف بين الأصحاب في حجب الأخوين والأخ مع الاختين، أو أربع أخوات، ولا في اشتراط كونهم من أب وأمّ أو لأب، ولا في اشتراط عدم كفرهم، ولا أرقّاء، ونقل الإجماع على اشتراط عدم كونهم قاتلين أيضاً، لكن خالف فيه الصدوقان وابن عقيل، قوله (وليس الأب حياً) قال في المسالك: اشتراط حياة الأب في حجب الإخوة هو المشهور بين الأصحاب وذهب بعض الأصحاب إلى عدم لشتراط ذلك، وهو الظاهر من كلام الصدوق (مرآة العقول: ج٤ ص١٤٥).

(١) الكافي: ج ٧ ص ٩١ كتاب الموارث، باب ميراث الأبوين مع الاخوة والأخوات لأب والإخوة والأخوات لأمّ ح١.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ١٥ نقله عند تفسيره لآية ١١ من سورة النساء.

يقول في الدين والوصيّة: فقال: إنّ الدين قبل الوصيّة، ثم الوصيّة على أثر الدين، ثم الميراث، ولاوصيّة لوارث[١].

قوله: «ولاوصيّة لوارث» نفي للاستحباب، لاللجواز.

ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ : أي لا تعلمون من أنفع لكم ممّن يرثكم، من اصولكم وفروعكم، في عاجلكم وآجلكم، فتحرّوا فيه ماوصّاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمانه. أو من مورثيكم منهم، أمن أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضائه وصيّته، أم من لم يوص فوفّر عليكم ماله. أو من أوصيتم له فوفّرتم عليه أم من لم توصوا له فحرمتموه. وهو اعتراض مؤكّد لأمر القسمة وتنفيذ الوصيّة.

في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن إبراهيم بن مهزم، عن إبراهيم الكرخي، عن ثقة حدّثه من أصحابنا قال: تزوّجت بالمدينة فقال أبو عبدالله (عيه السلام): كيف رأيت؟ فقلت: ماأرى رجل من خير في امرأة إلّا وقد رأيته فيها، ولكن خانتني، فقال: ماهو؟ قلت: ولدت جارية فقال: لعلّك كرهتها، إنّ الله (جلّ ثناؤه) يقول: «آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا»[٢][٣].

فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ : مصدر حذف عامله، أي يوصيكم الله، لأنّه في معنى يأمركم ويفرض عليكم.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا : بالمصالح والرتب.

حَكِيمٗا : فيما قضى وقدّر.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٦ ح ٥٥.

(٢) أي كما أنّ الآباء والأبناء لايدري مقدار نفعهم وأنّ أيّهم أنفع، كذلك الابن والبنت، ولعلّ بنتاً تكون أنفع لوالديها من الابن، ولعلّ ابناً يكون أحسن لهما من البنت، فينبغي أن يرضيا بما يختار الله لهما، ويحتمل أن يكون ذكر الآباء والأبناء في الآية على المثال، فيشمل جميع الأولاد والأقارب (مرآة العقول: ج٣ ص٥٢٩ كتاب العقيقة).

(٣) الكافي: ج ٦ ص ٤ كتاب العقيقة، باب فضل البنات ح١.

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ
وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ
مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ: أي ولد وارث من بطنها، أو من صلب بنيها، او بطن بناتها، وإن سفل ذكراً كان أو أنثى، منكم أو من غيركم.

مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ: فرض للرجل بحقّ الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب. والعلة هنا هي العلة هناك. وتستوي الواحدة والعدد منهنّ في الربع والثمن.

وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ: صفة رجل بالبناء للمفعول، أي يورث منه، أي الميت.

كَلَالَةً: خبر كان، أو «يورث» خبره وكلالة حال من الضمير فيه. والكلالة

حينئذٍ من لم يخلف ولداً ولا والداً، أو مفعول له.

والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد.

ويجوز أن يكون الوارث ويورث من أورث، وكلالة من ليس بوالد ولا ولد.

وقرأ «يورث» على البناء للفاعل. فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة.

وعلى الأول خبر أو حال، وعلى الثاني مفعول له، وعلى الثالث مفعول به.

وهي في الاصل مصدر، بمعنى الكلال، فاستعير لقرابة ليست بالبعضية، لأنّها كالةٌ بالإضافة إليها، ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة.

وفي كتاب معاني الأخبار: حدّثنا أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الكلالة مالم يكن والد ولا ولد[١].

وفي الكافي: بسند آخر عنه (عليه السلام) مثله[٢].

أَوِ ٱمۡرَأَةٞ: عطف على رجل.

وَلَهُۥٓ: أي وللرجل، واكتفى بحكمه عن حكم المرأة، لدلالة العطف على تشاركهما فيه، أو لكلّ واحد منهما.

أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ: أي من الأمّ.

فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ: سوّى بين الذكر والأنثى ههنا، لأنّ الانتساب بمحض الانوثة.

في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى، عن يونس جميعاً، عن عمر بن أذينة، عن بكير بن أعين قال: قلت لابي عبدالله (عليه السلام): امرأة تركت زوجها وإخوتها لأُمّها وإخوتها وأخواتها لأبيها. فقال: للزوج النصف، ثلاثة أسهم، وللإخوة والأخوات من الأمّ الثلث، الذكر والأنثى فيه سواء، وبقي سهم فهو للإخوة والأخوات من الأب، للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنّ

---

(١) كتاب معاني الأخبار: ص ٣٧٢ باب معنى الكلالة ح ١.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٩٩ كتاب المواريث، باب الكلالة، ح ٢ و٣.

السهام لا تعول، ولاينقص الزوج من النصف، ولاالإخوة من الأمّ من ثلثهم، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وإن كانت واحدة فلها السدس» والذي عنى الله في قوله: «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث» إنّما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأمّ خاصّة[١].

وبطريق آخر: عن الباقر (عليه السلام) مثله بأدنى تغيير غير مغيّر للمعنى[٢].

مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ: لورثته بالزيادة على الثلث، أو قصد المضارّة بالوصيّة دون القربة، والإقرار بدين لايلزمه.

وهو حال من فاعل «يوصي» المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصي على البناء للمفعول في قراءة ابن عامر وابن كثير وابن عيّاش عن عاصم.

وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ: مصدر مؤكّد، أو منصوب بـ«غير مضار» على المفعول به، أي لايضارّ وصيّة من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة، أو وصيّة من الله بالأولاد بالإسراف في الوصيّة والإقرار الكاذب.

وقرئ بإضافة «مضار» إلى الوصيّة.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ: بالمضارّ وغيره.

حَلِيمٞ: لايعاجل بعقوبته.

---

(١) الكافي: ج ٧ ص ١٠١ كتاب المواريث، باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ح٣ وتمام الحديث (وقال في آخر سورة النساء «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرأ هلك ليس له ولد وله اخت (يعني أختاً لأمّ وأب أو أختا لأب) «فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين» فهم الذين يزادون وينقصون وكذلك أولادهم الذين يزادون وينقصون. ولو أنّ امرأة تركت زوجها وإخوتها لأمّها وأختيها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسهم وللإخوة من الأمّ سهمان وبقي سهم فهو للأُختين للأب، وإن كانت واحدة فهو لها، لأنّ الأختين لأب لو كانتا أخوين لأب لم يزدادا على مابقي، ولو كانت واحدة أو كان مكان الواحدة أخ لم يزد على مابقي، ولايزاد أنثى من الأخوات ولامن الولد على مالو كان ذكراً م يزد عليه).

(٢) الكافي: ج ٧ ص ١٠٣ كتاب المواريث باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ح٥.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾
وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى
ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾

تِلْكَ: إشارة إلى الأحكام التي تقدّمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث.

حُدُودُ ٱللَّهِ: شرائعه التي كالحدود المحدودة التي لايجوز مجاوزتها.

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ: توحيد الضمير في «يدخله» للّفظ، وجمع «خالدين» للمعنى.

وقرأ نافع وابن عامر «ندخله» بالنون، و«خالدين» حال مقدّرة كقولك: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، وكذلك «خالداً»، وليستا صفة لـ «جنات» و«ناراً» وإلّا لوجب إبراز الضمير، لأنّهما جرتا على غير من هما له.

وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ: أي يفعلنها، يقال: أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها، إذا فعلها، وهي الزنا، لزيادة قبحها وشناعتها.

فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ: فاطلبوا ممّن قذفهنّ أربعة من الرجال

وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

المؤمنين يشهدون عليهنّ.

فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ: فاحبسوهنّ فيها.

حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ: أي حتى يستوفي أرواحهنّ الموت، أو يتوفاهـنّ ملائكة الموت، كان ذلك عقوبتهنّ في أوائل الإسلام، فنسخ بالحدّ.

في مجمع البيـان: عن البـاقر والصادق (عليهما السلام): إنّ هـذه الآيـة منسوخة[1].

أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا: كتعيين الحدّ المخلّص عن الحبس.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن هذه الآية: «واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم» إلى «سبيلاً»؟ قال: هذه منسوخةٌ، قال: قلت: كيف كان؟ قال: كانت المرأة إذا فجرت فقام عليها أربعة شهود أُدخلت بيتاً ولم تحدّث ولم تتكلم ولم تجالس، وأُوتيت فيه بطعامها وشرابها حتى تموت، قلت: فقوله: «او يجعل الله لهن سبيلاً»؟ قال: جعل السبيل، الجلد والرجم[2].

وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ: يعني الزانية والزاني.

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢١ نقله عند تفسيره لآية ١٥ من سورة النساء، قال: وحكم هذه الآية منسوخ عند جهور المفسّرين، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام).

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٧ ح ٦١ وتمام الحديث والإمساك في البيوت، قال: قوله: «واللذان يأتيانها منكم» قال: يعني البكر إذا أتت الفاحشة التي أتتها هذه الثيّب «فاذوهما» قال: تحبس، «فإن تابا أو أصلحا فأعرضوا عنها إن الله كان تواباً رحيماً».

و إنما أتممنا الحديث لما يستشهد بذيله المصنّف عن قريب، فاحفظ.

وقرأ ابن كثير بتشديد النون وتمكين مدّ الألف، والباقون بالتخفيف من غير تمكين[١].

﴿فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾: فاقطعوا عنهما الأذى وأعرضوا عنهما بالإغماض والستر.

قيل: هذه الآية سابقة على الأُولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس، ثم الجلد[٢].

وقيل: الأُولى في السحاقات، وهذه في اللواطين، والزانية والزاني في الزناة[٣].

وكلا القولين مخالف لما نقل عن الأئمّة (عليهم السلام). لما ثبت عنهم (عليهم السلام): إنّ الآية الأُولى منسوخة[٤].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: كان في الجاهلية إذا زنى الرجل يؤذى، والمرأة تحبس في البيت إلى أن تموت، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: «والزانية والزاني فاجلدوا» الآية[٥] انتهى[٦].

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبدالله (عليه السلام) مايؤيده[٧].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: علّة للأمر بالإعراض وترك المذمّة.

---

(١) قرئ بتخفيف النون وتشديدها، فمن قرأ بالتخفيف فعلى الأصل كقولك: الزيدان والعمران، ومن قرأ بالتشديد فلأنّ الأسماء المبهمة يسقط منها حرف في التثنية، ألا ترى أنّك تقول في التثنية: اللذان. والأصل أن يقال في التثنية اللذيان فلمّا حذفت الياء زادوا نوناً وأُدغمت في النون عوضاً عن المحذوف، وفرقاً بين الاسم المبهم وغيره، ونظيره قراءة من قرأ (فذانّك برهانان من ربك) بالتشديد لما بيّنا (البيان لابن الأنباري: ص٢٤٦).

(٢ و٣) نقلهما البيضاوي: ج ١ ص ٢٠٩ عند تفسيره لآية ١٦ من سورة النساء.

(٤) لأنّه قال (عليه السلام) (أي في ذيل خبر أبي بصير): قوله: «واللذان يأتيان منكم» قال: يعني البكر إذا أتت الفاحشة التي أتتها هذه الثيّب، «فآذوهما»، قال: تحبس، فإنّ قوله هذا يدلّ على أنّها منسوخة، فإنّ الحكم في البكر الآن غير هذا ـ منه دام عزّه. (هكذا في هامش النسخة).

(٥) النور: ٢.

(٦) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٣ عند تفسيره لآية ١٥ من سورة النساء.

(٧) وهو خبر أبي بصير المتقدّم آنفاً.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ: أي قبول التوبة الذي أوجبه الله على نفسه، بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته.

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ: متلبسين بها سفهاً، فإنّ ارتكاب الذنب سفه وتجاهل.

وفي مجمع البيان: روي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: كلّ ذنب عمله العبد، وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون»[1] فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله[2].

وروى عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنّه قيل له: فإن عاد وتاب مراراً؟ قال: يغفر الله له، قيل: إلى متى؟ قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور[3].

ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ: أي من زمان قريب، أي قبل حضور الموت لقوله تعالى: «حتى إذا حضر أحدهم الموت» سمّاه قريباً، لأنّ أمد الحياة قريب، لقوله تعالى: «قل متاع الدنيا قليل»[4]، أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبّه فيطبع عليها، فيتعذر عليهم الرجوع.

و«من» للتبعيض، أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل

---

(١) يوسف: ٨٩.

(٢ و٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٣ عند تفسيره لآية ١٧ من سورة النساء س ١٠ و١٩.

(٤) النساء: ٧٧.

أن ينزل بهم سلطان الموت، أو يزيّن السوء[١].

وفي من لايحضره الفقيه: وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٢] في آخر خطبة خطبها: من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: وإنّ السنة لكثيرة، ومن تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: وإنّ الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: وإنّ اليوم لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: وإنّ الساعة لكثيرة، ومن تاب وقد بلغت نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقه تاب الله عليه[٣].

وروى الثعلبي: بإسناده إلى عبادة بن الصامت، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذا الخبر بعينه إلّا أنّه قال في آخره: وإن الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر[٤] بها تاب الله عليه[٥].

وروى أيضاً بإسناده عن الحسن قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لمّاهبط إبليس قال: وعزّتك وعظمتك لاأُفارق ابن آدم حتى تفارق روحه

---

(١) من قوله: (أي من زمان قريب) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢٠٩، فلاحظ.

(٢) وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)... الخ الظاهر أنّ اختلاف المراتب بحسب اختلاف الكمال، فإنّ التوبة الكاملة مايكون مع إصلاح النفس والأعمال بعدها كما قال الله تعالى: «إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فاولئك أتوب عليهم» فإذا كانت قبل الموت بسنة وأصلح أعماله بتدارك مافات منه حتى يظهر على نفسه وعلى العالمين أنه من التائبين حتى يقتدي به غيره فهو أكمل، وهذا أحد معاني التوبة النصوحة، ولو لم يحصل له توفيق السنة فلاأقلّ من شهر، وبعده الاسبوع كما في خبر آخر، وبعده اليوم، وآخر مراتبها عند حضور الموت قبل معاينة أمور الآخرة، فإنّها لاتقبل بعدها، كما في فرعون وقوله تعالى: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين». وقيل: التغييرات من قبيل النسخ، تفضّلاً من الله على عباده (روضة المتقين: ج١ ص٣٤٣).

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٧٩ باب ٢٣ غسل الميت ح٩.

(٤) فيه: إنّ الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر، أي مالم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض، والغرغرة: أن يجعل المشروب في الفم ويردّد إلى أصل الحلق ولايبلع (النهاية: ج٣ ص٣٦٠ لغة غرغر).

(٥) رواه في مجمع البيان، عن الثعلبي: ج٣ ص ٢٢ عند تفسيره لآية ١٧ من سورة النساء.

جسده، فقال الله سبحانه: **وعزّتي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها**(١).

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام): إذا بلغت النفس ههنا وأشار بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبة ثم قرأ هذه الآية(٢)(٣).

وفيه وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام) مثله، وزاد: وكان للجاهل توبة(٤)(٥).

ولا يخفى المنافاة بينه وبين الأخبار الأوّلة.

وقيل في **الجمع**(٦): لعلّ السبب في عدم قبول التوبة من العالم في ذلك الوقت، حصول يأسه من الحياة بإمارات الموت، بخلاف الجاهل فإنّه لا ييأس إلّا بمعاينة الغيب

وأقول في الجمع: يمكن أن يكون المراد بذنب العالم الذي ليس له فيه توبة، ذنب صدر عنه بإضلال الناس عالماً بإضلالهم للأغراض الدنيويّة، فلا يقبل توبته حينئذٍ، لأنّ محض الندم في ذلك لا ينفع، لأنّ جمعاً كثيراً قد عملوا بعلمه وضلّوا،

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٢ س ٢٥ رواه عند تفسيره لآية ١٧ من سورة النساء.

(٢) (إذا بلغت النفس ههنا) النفس بالتحريك واحد الأنفاس، وبالتسكين الروح، وكلاهما مناسب (وأشار بيده إلى حلقه) يعني قبل معاينة عالم الغيب قريباً من انقطاع زمان التكليف متصلاً به (لم يكن للعالم توبة) لتشديد الأمر عليه، وعدم المساهلة معه، لتفريطه في مقتضى علمه، فلا عذر له، بخلاف الجاهل فإنّه يقبل توبته حينئذٍ لوقوع المساهلة معه في كثير من الامور، وقبول توبته في هذا الوقت من جملتها. وقيل: الفرق بينهما، أنّ ذنوب العالم أمور باطنية وصفات قلبيّة وملكات رديّة نفسانيّة، لا يمكن محوها عن النفس دفعة في مثل هذا الزمان القليل، بل لابدّ من مرور زمان يتبدّل سيئاته إلى الحسنات، بخلاف ذنوب الجاهل الناقص، فإنّها من الأعمال البدنيّة، والأحوال النفسانيّة الخارجة عن صميم القلب وباطن الروح فيمكن محوها في لحظة، (ثم قرأ: إنّما التوبة، الآية) والاستشهاد بقوله: «بجهالة» فإنّه يفهم منه أن قبول التوبة في هذا الوقت القريب من الموت للجاهل دون العالم، وإلّا لما كان لذكر الجهالة فائدة (تلخيص من شرح العلامة المازندراني على اصول الكافي: ج٢ ص١٩٦).

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٧ كتاب فضل العلم، باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه، ح٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٠ كتاب الايمان والكفر، باب فيما أعطى الله (عزّوجلّ) آدم (عليه السلام) وقت التوبة، ح٣.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٨ ح ٦٤.

(٦) القائل بالجمع: الفاضل الكاشي في تفسيره ـ منه دام عزّه ـ (كذا في هامش النسخة).

وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

فلا يجدي ندمه في ذلك الآن، فلا يقبل توبته.

والمؤيّد لهذا الجمع أنّه رتّب الحكم في الآية على العمل، وقال: «الذين يعملون السوء بجهالة» وفي الخبر على صفة العلم، فيعلم أنّ منشأ العصيان إذا كان العمل فهو قابل للتوبة وقبولها، وإذا كان منشأه العلم ليس بهذه المثابة.

قيل: ومن لطف الله بالعباد أنّ أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثم يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الصدر، ثم ينتهي إلى الحلق، ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى، والوصيّة والتوبة مالم يعاين، والاستحلال، وذكر الله سبحانه، فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه[1].

فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ: وعد بالوفاء بما وعد به، وكتب على نفسه من قبول التوبة.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا: يعلم إخلاصهم بالتوبة.

حَكِيمًا: لايعاقب التائب.

وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ:

---

(١) نقله في الصافي: ج ١ ص ٣٩٩ عند تفسيره لآية ١٧ من سورة النساء.

في من لايحضره الفقيه: عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: ذلك إذا عاين أمر الآخرة[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن فضّال، عن علي بن عقبة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نزلت في القرآن أن رعلون[٢] تاب حيث لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه[٣].

وفي تفسير العياشي: عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله: «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الان»، قال: هو الفرار تاب حين لم ينفعه التوبة ولم يقبل منه[٤].

وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ: سوّى بين من سوّف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفّار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة، للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة، وكأنه قال: توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء.

وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين، وبالذين يعملون السيّئات المنافقون، لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم، وبالذين يموتون الكفار[٥].

أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا: تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان لتهيئة عذابهم، وأنه يعذبهم متى شاء.

والأعتاد من العتاد، وهو العدّة. وقيل: أصله أعددنا، فأُبدلت الدال الأُولى تاءً.

ooo

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٧٩ باب ٢٣ غسل الميت، ح١٠.

(٢) الظاهر أنّه كناية عن أحد الثلاثة، ووجه التعبير غير بيّن، والظاهر أن يكون رغلان بالراء المهملة والغين المعجمة والألف بدل الواو، لأنّه اسم على وزن عثمان كما قد يعبّر عنه بفعلان، والله يعلم -منه دام عزّه- (كذا في هامش النسخة).

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٣ عند تفسيره لآية ١٨ من سورة النساء.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٨ ح ٦٣.

(٥) من قوله (سوّى بين من سوّف التوبة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص٢١٠.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا:

في تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية: أنّه كان في الجاهلية في أوّل ماأسلموا في قبائل العرب إذا مات حميم الرجل وله امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها وورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها، يرث نكاحها كما يرث ماله، فلمّا مات أبو قيس بن الأشلت ألقى محصن ابن أبي قيس ثوبه على امرأة أبيه، وهي كبيشة ابنة معمر بن سعيد، فورث نكاحها، ثم تركها لايدخل بها ولاينفق عليها، فأتت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالت: يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مات أبو قيس بن الأشلت فورث ابنه محصن نكاحي، فلايدخل عليّ، ولاينفق عليّ ولايخلّي سبيلي فألحق بأهلي، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ارجعي إلى بيتك فإن يحدث الله في شأنك شيئاً أعلمتكه، فنزل: «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلّا ماقد سلف أنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً»[1] فلحقت بأهلها. وكانت نسوة في المدينة قد ورث نكاحهن كما ورث نكاح كبيشة، غير أنّه ورثهن غير الأبناء فأنزل: «ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً»[2].

---

(1) النساء: ٢٢.
(2) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٤ نقله عند تفسيره لآية ١٩ من سورة النساء.

وفي تفسير العياشي: عن إبراهيم بن ميمون عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن هذه الآية؟ قال: الرجل يكون في حجره اليتيمة، فيمنعها من التزويج يضرّبها تكون قريبة له[١].

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) أنها نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لاحاجة له إليها وينتظر موتها حتى يرثها[٢].

و«كرهاً» في موضع الحال، أي لا تأخذوهن على سبيل الإرث فتزوجهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه.

وقرأ حمزة والكسائي «كرهاً» بالضمّ في مواضعه، وهما لغتان، وقيل: بالضمّ المشقّة وبالفتح مايكره عليه.

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ: ولا تحبسوهنّ ضراراً لهنّ.

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ:

في تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) قال: الرجل يكون له المرأة فيضربها حتى تفتدي منه، فنهى الله عن ذلك[٣].

وفي مجمع البيان: عنه (عليه السلام) أنّ المراد بها الزوج أمره الله سبحانه بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة، وأن لايمسكها ضراراً بها حتى تفتدي ببعض مالها[٤].

واصل العضل، التضييق، يقال: عضلت الدجاجة بيضها.

وقيل في توجيه عطفه: إنّه عطف على «أن ترثوا» و«لا» لتأكيد النفي، أو المراد بـ«لايحل لكم» النهي عن أن ترثوا، فلايلزم عطف الإنشاء على الإخبار.

إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ: كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفّف.

والاستثناء من أعمّ عامّ الظرف أو المفعول له، تقديره: ولا تعضلوهنّ للافتداء

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٨ قطعة من ح ٦٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٤ عند نقله لسبب نزول آية ١٩ من سورة النساء.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٨ ذيل ح ٦٥.

(٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٤ عند نقله المعنى لآية ١٩ من سورة النساء.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٢٠﴾

إلّا وقت أن يأتين بفاحشة، أو لا تعضلوهنّ لعلّة إلّا أن يأتين بفاحشة.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفاحشة مبيّنة هنا، وفي الأحزاب والطلاق بفتح الياء، والباقون بكسرها فيهنّ[1].

في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) كلّ معصية[2].

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) إذا قالت له: لاأغتسل لك من جنابة، ولاأبرّ لك قسماً، ولأوطئنّ فراشك من تكرهه، حلّ له أن يخلعها، ويحلّ له ما أخذ منها[3].

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالإنصاف في الفعل، والإجمال في القول.

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾:

أي فلا تفارقوهنّ لكراهة النفس، فإنّها قد تكره ماهو أصلح ديناً وأكثر خيراً، وقد تحبّ ماهو بخلافه، وليكن نظركم إلى ماهو أصلح للدين وأدنى إلى الخير.

و«عسى» في الأصل علّة الجزاء، فأُقيم مقامه.

والمعنى: فإن كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ، فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: تطليق امرأة وتزوّج أُخرى.

---

(١) من قوله: (كالنشوز) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص٢١٠، لاحظ تفسيره لآية ١٩ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٤ عند تفسيره لآية ١٩ من سورة النساء، قال: والاول حمل الآية على كلّ معصية وهو المرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام).

(٣) الكافي: ج ٦ ص ١٣٩ كتاب الطلاق، باب الخلع ح١ ولفظ الحديث (عن أبي عبدالله (عليه

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ: جمع الضمير، لأنّه أراد بالزوج، الجنس.

قِنطَارًا: مالاً كثيراً.

في مجمع البيان: عن الباقر والصادق (عليهما السلام)، القنطار ملء مسك ثور ذهباً[1].

فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ: أى من القنطار.

شَيْـًٔا: أي شيئاً قليلاً.

أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا: استفهام إنكار وتوبيخ ، أي أتأخذونه باهتين وآثمين، ويحتمل النصب على العلّة كما في قولك :قعدت عن الحرب جبناً، لأنّ الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم.

قيل: كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه ممّا أعطاها ليصرفه إلى تزوّج الجديدة، فنهوا عن ذلك[2].

والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه، وقد يستعمل في الفعل الباطل، ولذلك فسر ههنا بالظلم.

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ: إنكار لاسترداد المهر،

السلام) قال: لايحل خلعها حتى تقول: إلخ).

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٥ عند تفسيره لآية ٢٠ من سورة النساء. وأمّا مانسبه إلى الصادقين (عليهما السلام) في معنى الكلمة ففي ج١ ص٤١٧ عند تفسيره لآية ١٤ من سورة آل عمران: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة» س٢٣ حيث قال: وقيل: هو ملء مسك ثور ذهباً.عن أبي نضرة، وبه قال الفرّاء، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام).

(٢) أورده البيضاوي: ج ١ ص ٢١١ في تفسيره لآية ٢٠ من سورة النساء.

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

والحال أنّه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرّر المهر.

وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا: عهداً وثيقاً.

في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد: من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان(١).

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن بريد قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً»؟ قال: الميثاق هي الكلمة التي عقد بها النكاح، وأمّا غليظاً فهو ماء الرجل يفضيه إليها(٢).

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله(٣).

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم: أي التي نكحها آباؤكم.

وإنما ذكر «ما» دون (من)، لأنّه أُريد به الصفة، أو إشارة إلى نقصان عقولهنّ.

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٦ عند نقل المعنى لآية ٢٠ من سورة النساء، قال: عن الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدّي، وهو المرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام).

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٥٦٠ كتاب النكاح، باب نوادر ح١٩.

(٣) رواه في الدر المنثور: ج ٢ ص ٤٦٨ في تفسيره للآية عن ابن أبي شيبة عن عكرمة ومجاهد. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده: ج٥ ص٧٣ س١٠ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مسنداً. ورواه في مجمع البيان: ج٣ ص ٢٦ عند تفسيره لآية ٢١ من سورة النساء عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مرسلاً.

وقيل: مامصدريّة على إرادة المفعول من المصدر.

مِّنَ ٱلنِّسَآءِ: بيان مانكح على الوجهين.

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ: استثناء من المعنى اللازم للنهي، كأنه قيل: تستحقّون العقاب بنكاح منكوحة آبائكم إلّا ماقد سلف. أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم.

كقوله:

ولاعيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب[١]

والمعنى: ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلّا ماقد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه.

وقيل: الاستثناء منقطع، ومعناه لكن ماقد سلف، فإنّه لامؤاخذة عليه[٢].

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام) يقول الله تعالى: «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء» فلايصلح للرجل أن ينكح امرأة جدّه[٣].

وفيه: عن الحسين بن زيد قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ الله حرّم علينا نساء النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول الله (تبارك وتعالى): «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء»[٤].

وفي عيون الأخبار في باب ماجاء عن الرضا (عليه السلام) في قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنا ابن الذبيحين، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وكانت لعبدالمطلب خمس من السنن أجراها الله تعالى في الاسلام: حرّم

---

(١) هو من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن الحرث، والضمير في (فيهم)، وفي (سيوفهم) يرجع إلى جيش النعمان، وفي (بهنّ) إلى قوله: سيوفهم، والفلول بالفاء كفلوس جمع فلّ وهو الكسر في حدّ السيف، والقراع بالقاف والراء والعين المهملتين ككتاب بمعنى الضرب، و(الكتائب) جمع كتيبة، وهي بالمثناة والياء والموحّدة كسفينة الجيش (جامع الشواهد: ص٣٢٩ باب الواو بعده اللام).

(٢) من قوله: وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص٢١١، لاحظ تفسيره لآية ٢١ ـ ٢٢ من سورة النساء.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٠ ح ٦٩.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ض ٢٣٠ ح ٧٠.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ
وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ
وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ
ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى
فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن
لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن
تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

نساء الآباء على الأبناء(١).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ علّة للنهي، أي أنّ نكاحهن كان فاحشة عندالله، مارخّص فيه لأمّة من الأمم، ممقوتاً عند ذوي المروآت، ولذلك سمّي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتيّ(٢).

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: سبيل من يراه ويفعله، وقد مرّ سبب نزولها.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢١٢ باب ١٨ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) في قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنا ابن الذبيحين وتمام الحديث (سنّ الديّة في القتل مائة من للابل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمّى زمزم حين حفرها سقاية الحاج).

(٢) الزجّاج في قوله تعالى: «انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً» قال: المقت أشدّ البغض. المعنى: أنّهم ←

﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾: المراد تحريم نكاحهنّ لأنّه معظم ما يقصد منهنّ، ولأنّه المتبادر إلى الفهم.

والأُمّهات تعمّ من ولدتك أو ولدت من ولدك، وإن علت. والبنات تتناول من ولدتها، أو ولدت من ولدها وإن سفلت. والأخوات تشمل الأخوات من الأوجه الثلاثة، وكذا الباقيات. والعمّة كلّ أنثى ولدها من ولد ذكراً ولدك. والخالة كلّ أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريباً أو بعيداً. وبنات الأخ وبنات الأُخت تتناول القربى والبعدى.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾: سمّاهما أمّاً وأختاً، لأنّه قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يحرم من الرضاع مايحرم من النسب[1] وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): للرضاع لحمة كلحمة النسب[2] فعمّ التحريم.

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾: وإن علون.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: أي دخلتم بهنّ في الستر، وهي كناية عن الجماع.

والربائب جمع ربيبة، والربيب ولد المرأة من آخر، سمّي به لأنّه يربّه كما يربّي ولده، في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول، وإنّما لحقته التاء، لأنّه صار اسماً، و«اللاتي في حجوركم» صفة لها، وفائدتها تقوية العلّة وتكميلها.

والمعنى أنّ الربائب إذا كانت في احتضانكم، قوى الشبه بينها وبين أولادكم، فصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم، لا تقييد الحرمة، و«اللاتي دخلتم بهن» صفة للنساء، والثاني مقيّدة للّفظ والحكم، ولا يجوز أن يكون صفة للنساءين، لأنّ عاملهما مختلف.

اعلموا أنّ ذلك في الجاهلية كان يقال له مقت، وكان المولود عليه يقال له: المقتيّ (لسان العرب: ج٢ ص٩٠ في لغة مقت).

(١) عوالي اللآلئ: ج ١ ص ٤٤ ح ٥٥، وفي: ج ٢ ص ٢٦٨ ح ٢٢ ولفظه (إنّ الله حرّم من الرضاعة ماحرّم من النسب) وفي مجمع البيان: ج٣ ص٢٨ نحوه.

(٢) نقله في الصافي: ج ١ ص ٤٠٣، ولم نعثر عليه في كتب الأخبار.

فالحاصل من مضمون الآية: أنّ أُمّهات النساء حرام مطلق، دخل بالنساء أم لم يدخل إذا عقد عليها، ولا يحرم بنات النساء إلّا إذا دخل بالأُمّهات.

ففي من لا يحضره الفقيه، والتهذيب: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إذا تزوّج الرجل المرأة حرمت عليه ابنتها إذا دخل بالأُمّ، فإذا لم يدخل بالأُمّ فلا بأس أن يتزوج بالإبنة. وإذا تزوّج الابنة فدخل بها أو لم يدخل بها فقد حرمت عليه الأُمّ[١].

وقال (عليه السلام): الربائب حرام كنّ في الحجر، أو لم يكنّ[٢].

وفي رواية أُخرى قال: الربائب عليكم حرام مع الأُمّهات اللاتي قد دخلتم بهنّ، هنّ في الحجور وغير الحجور سواء والأُمّهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهنّ فحرّموا وابهموا ما أبهم الله[٣].

فما ورد عنهم (عليهم السلام) بخلاف ذلك محمول على التقيّة لموافقته العامّة ومخالفته القرآن.

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن خالد بن حريز، عن أبي الربيع قال: سئل أبو عبدالله (عليه السلام) عن رجل تزوّج امرأة فمكث أياماً لا يستمتعها غير أنّه قد رأى منها ما يحرم على غيره ثم يطلّقها أيصلح له أن يتزوّج ابنتها؟ فقال: لا يصلح له وقد رأى من أُمّها ما رأى[٤].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن معلّى بن الحكيم، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن رجل كانت له جارية فعتقت فتزوّجت فولدت أيصلح لمولاها الأوّل أن يتزوّج ابنتها؟ قال: هي حرام عليه وهي ابنته والحرّة والمملوكة في هذا سواء قرأ هذه الآية: «وربائبكم

---

(١) التهذيب: ج ٧ ص ٢٧٣ باب ٢٥ من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام، ح٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٦٢ باب ١٢٤ ما أحل الله (عزّوجلّ) من النكاح وما حرّم منه ح٣٣.

(٣) التهذيب: ج ٧ ص ٢٧٣ باب ٢٥ من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام ح١.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٤٢٣ باب الرجل يتزوّج المرأة فيطلقها او تموت قبل ان يدخل بها او بعده فيتزوج امها او بنتها ح٥.

اللاتي في حجوركم من نسائكم»[١].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) مثله[٢].

أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام): في الرجل يكون له الجارية يصيب منها أله أن ينكح ابنتها؟ قال: لا هي مثل قول الله (عزّوجلّ): «وربائبكم اللاتي في حجوركم»[٣].

أبو علي الاشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: رجل طلّق امرأته فبانت منه ولها ابنة مملوكة فاشتراها، أيحلّ له أن يطأها؟ قال: لا.

وعن الرجل تكون عنده المملوكة وابنتها، فيطأ إحداهما فتموت وتبقى الأُخرى، أيصلح له أن يطأها؟ قال: لا[٤].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: إنّ الخوارج زعمت أنّ الرجل إذا كانت لأهله بنت ولم يربّها ولم يكن في حجره، حلّت له، لقول الله: «اللاتي في حجوركم» ثم قال الصادق (عليه السلام): لا تحلّ له[٥].

فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ: تصريح بعد إشعار، دفعاً للقياس.

وفي الكافي: أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) فأتاه رجل فسأله عن رجل تزوّج امرأة فماتت قبل أن

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٣٣ باب الجمع بين الاختين من الحرائر والاماء، ح ١٠، وفيه (ثم قرأ هذه الآية).
(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٣٣ باب الجمع بين الاختين من الحرائر والاماء، ح ١١.
(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٣٣ باب الجمع بين الاختين من الحرائر والإماء، ح ١٢.
(٤) الكافي: ج ٥ ص ٤٣٣ كتاب النكاح باب الجمع بين الاختين من الحرائر والإماء ح ١٣.
(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٥ عند تفسيره لآية ٢٣ من سورة النساء.

يدخل بها، يتزوّج بأُمّها؟ فقال أبو عبدالله (عليه السلام): قد فعله رجل منّا فلم نر به بأساً، فقلت: جعلت فداك ماتفخر الشيعة إلّا بقضاء علي (عليه السلام) في هذه الشمخيّة التي أفتاها ابن مسعود أنّه لابأس بذلك، ثم أتى عليّاً (عليه السلام) فسأله، فقال له علي (عليه السلام) من أين أخذتها؟ قال: من قول الله (عزّوجلّ): «وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم» فقال علي (عليه السلام): إنّ هذه مستثناة وهذه مرسلة وأُمّهات نسائكم فقال أبو عبدالله (عليه السلام): أما تسمع مايروى هذا عن علي (عليه السلام)، فلمّا قمت ندمت وقلت: أي شيء صنعت يقول: قد فعله رجل منّا فلم نر به بأساً، وأقول أنا: قضى علي (عليه السلام) قضىٰ بها، فلقيته بعد ذلك فقلت: جعلت فداك مسألة الرجل إنّما كان الذي قلت، يقول كان زلّة منّي فما تقول فيها؟ فقال: ياشيخ تخبرني أنّ عليّاً (عليه السلام) قضى بها وتسألني ماتقول فيها[(١)] [(٢)]

---

(١) قوله (في الشمخيّة) يحتمل أنّ تسميتها بها، لأنّها صارت سبباً لافتخار الشيعة على العامّة، وقال الوالد العلامة: إنّما وسمت المسألة بالشمخيّة بالنسبة إلى ابن مسعود، فإنّه عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ، أو لتكبّر ابن مسعود فيها عن متابعة أميرالمؤمنين (عليه السلام)، يقال: شمخ بأنفه، أي تكبّر وارتفع. والتقيّة ظاهر من الخبر انتهى. وأقول: أكثر علماء الإسلام على أنّ تحريم أُمّهات النساء ليس مشروطاً بالدخول بالنساء لقوله تعالى: «وأُمّهات نسائكم» الشامل للمدخول بها وغيرها، والأخبار الواردة في ذلك كثيرة. وقال ابن عقيل منّا، وبعض العامّة: لاتحرم الأُمّهات إلّا بالدخول ببناتهن كالبنات، وجعلوا الدخول المعتبرة في الآية متعلّقاً بالمعطوف والمعطوف عليه جميعاً ولصحيحة جميل بن دراج وحمّاد وغيره، وأجاب الشيخ عن الأخبار بأنّها مخالفة للكتاب، إذ لايصح العود إليها معاً، وعلى تقدير العود إلى الأخيرة تكون (من) في ابتدائيّة وعلى تقدير العود إلى الأولى بيانيّة، فيكون من قبيل عموم المجاز وهو لايصح، وقيل: يتعلق الجار بها ومعناه مجرّد الاتصال على حدّ قوله تعالى: «المنافقون بعضهم من بعض» ولاريب أنّ أُمّهات النساء متصلات بالنساء، ولايخفى أنّه أيضاً خلاف الظاهر، ولايكون الاستدلال إلّا به (مرآة العقول: ج٣ ص٤٧٣).

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٢٢ كتاب النكاح باب الرجل يتزوّج المرأة فيطلّقها أو تموت قبل أن يدخل بها أو بعده فيتزوّج امّها أو بنتها ح٤.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج وحماد بن عثمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الأمّ والابنة سواء إذا لم يدخل بها، إذا تزوّج المرأة ثم طلّقها قبل أن يدخل بها، فإنّه إن شاء تزوّج أمّها وإن شاء تزوّج ابنتها[١].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن الرجل يتزوّج المرأة متعة، أيحلّ له أن يتزوّج ابنتها؟ قال: لا[٢].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: سألته عن رجل تزوّج امرأةً، فنظر بعض جسدها، أيتزوّج ابنتها؟ قال: لا، إذا رأى منها مايحرم على غيره فليس له أن يتزوّج ابنتها[٣].

أقول: قد ذكرنا أنّ ماورد عنهم (عليهم السلام) بخلاف مايدلّ عليه ظاهر القرآن والأخبار الصحيحة، محمول على التقيّة، لموافقة العامّة، ومخالفة القرآن، وقد ردّ شيخ الطائفة في التهذيب الأحاديث المتضمّنة لعدم تحريم الأمّ بدون الدخول بالبنت، للشذوذ ومخالفة ظاهر الكتاب، قال: وكلّ حديث ورد هذا المورد فإنّه لايجوز العمل عليه، لأنّه روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعن الأئمّة (عليهم السلام) أنّهم قالوا: إذا جاءكم حديث عنّا فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاطرحوه أو ردّوه علينا[٤].

وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ: زوجاتهم. سمّيت الزوجة حليلة لحلّها، أو لحلولها مع الزوج.

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٢١ كتاب النكاح، باب الرجل... ح ١.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٢٢ كتاب النكاح، باب الرجل... ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٢٢ كتاب النكاح، باب الرجل... ح ٣.

(٤) التهذيب: ج ٧ ص ٢٧٥ باب ٢٥ من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام ذيل ح ٥ و٦.

ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ :احترازاً عن المتبنّي، لاعن أبناء الولد، فإنّهم الأولاد للصلب فيشملونهم وإن سفلوا.

في الكافي والتهذيب: عن الصادق (عليه السلام): في الرجل يكون عنده الجارية يجرّدها وينظر إلى جسدها نظر شهوة هل تحلّ لأبيه؟ وإن فعل أبوه هل تحلّ لابنه؟ قال: إذا نظر إليها نظر شهوة، ونظر منها إلى مايحرم على غيره لم تحلّ لابنه، وإن فعل ذلك الابن لم تحلّ للأب[١].

وفي الكافي: عن الباقر (عليه السلام) في حديث: هل كان لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حليلتي الحسن والحسين (عليهما السلام)؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لافهما أبناء لصلبه[٢].

وفي هذا الخبر دلالة على أنّ ولد البنت ولد الصلب، وحليلته تحرم على الجدّ. وفي الخبر الأوّل دلالة على تحريم حليلة الابن وإن لم يدخل بها الابن.

وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ : في موضع الرفع عطفاً على المحرّمات، والحرمة غير مقصورة على النكاح بل يشمل النكاح وملك اليمين.

وفي كتاب علل الشرائع :باسناده الى مروان بن دينار قال: قلت لأبي إبراهيم (عليه السلام) لاي علة لايجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في عقد واحد فقال لتحصين الاسلام وفي سائر الاديان ترىٰ ذلك.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام): في رجل طلّق امرأته أو اختلعت، أو بارءت أله أن يتزوّج بأُختها؟ قال: إذا برأت عصمتها ولم يكن عليها رجعة، فله أن يخطب أُختها. وفي رجل كانت عنده أُختان مملوكتان فوطأ إحداهما ثم وطأ الأُخرى، قال: إذا وطأ الأُخرى فقد حرمت عليه الأُولى حتى تموت الأُخرى،

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤١٨ باب مايحرم على الرجل ممّا نكح ابنه وأبوه وما يحلّ له ح٢، والتهذيب: ج٨ ص ٢١٢ باب ٩ السراري وملك الأيمان ح٦٤، ولفظ الحديث مع مافي التهذيب مختلف والمقصود واحد وما نقله في المتن موافق للتهذيب، فلاحظ.

(٢) لم نعثر عليه في الكافي، ورواه في الوسائل عن الاحتجاج، لاحظ الوسائل: ج١٤ ص ٣١٦ كتاب النكاح باب ٢ من أبواب المصاهرة، ح١٢.

قلت: أرأيت إن باعها أتحلّ له الأولى؟ قال: إن كان يبيعها لحاجة ولايخطر على قلبه من الأُخرى شيء، فلا أرى بذلك بأساً، وإن كان إنّما يبيعها ليرجع إلى الأُولى، فلا ولا كرامة[١].

وفي التهذيب: عنه عن أبيه (عليهما السلام) في أُختين مملوكتين تكونان عند الرجل جميعاً؟ قال: قال علي (عليه السلام): أحلّتهما آية وحرّمتها آية أُخرى، وأنا أنهى عنها نفسي وولدي انتهى[٢].

والآية المحلّلة قوله سبحانه: «والذين هم لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم»[٣].

والآية المحرّمة هي قوله (عزّوجلّ): «وأن تجمعوا بين الاختين».

وجعل في التهذيب مورد الحلّ الملك ومورد الحرمة الوطء[٤].

وممّا يدلّ على أنّ موردهما واحد مارواه فيه عن الباقر (عليه السلام): أنّه سئل عمّا يروي الناس عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها ولاينهى عنها إلّا نفسه وولده، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: أحلّتها آية وحرّمتها أُخرى، فقيل: هل الآيتان أن تكون إحداهما نسخت الأُخرى، أم هما محكمتان ينبغي أن يعمل بهما؟ فقال: قد بيّن لهم إذ نهى نفسه وولده، قيل: مامنعه أن يبيّن ذلك للناس؟ قال: خشي أن لايطاع، ولو أنّ أميرالمؤمنين ثبتت قدماه أقام الكتاب كلّه والحقّ كلّه، انتهى[٥].

ووجه أنّه (عليه السلام) لم يصرّح بالحقّ؛ أنّ عثمان عليه ماعليه رجّح التحليل

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٣٢ كتاب النكاح باب الجمع بين الأُختين من الحرائر والإماء، ح٧.

(٢) التهذيب: ج ٧ ص ٢٨٩ باب ٢٥ من أحل الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام ح٥١.

(٣) المؤمنون: ٦.

(٤) التهذيب: ج ٧ ص ٢٨٩ باب ٢٥ من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام ذيل ح ٥١.

(٥) التهذيب: ج ٧ ص ٤٦٣ باب ٤١ من الزيادات في فقه النكاح ح ٦٤.

في وطء الأُختين المملوكتين كما نقلوا عنه[١].

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من لازم المعنى، أو منقطع، معناه: لكن ماسلف مغفور له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: أي يغفر لما سلف منهم قبل الإسلام من الجمع بين الأُختين، فإنّ الإسلام يجبّ ماقبله.

وفي كتاب الخصال: عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد (عليهم السلام) أنه قال: سئل أبي (عليه السلام) عمّا حرّم الله (عزّوجلّ) من الفروج في القرآن وعمّا حرّمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في سنّته؟ فقال: الذي حرّم الله (عزّوجلّ) من ذلك: أربعة وثلاثون وجهاً، سبعة عشر في القرآن، وسبعة عشر في السنّة، وأمّا التي في القرآن فالزنا، قال الله (عزّوجلّ): «ولا تقربوا الزنا»[٢] ونكاح امرأة الأب، قال الله (عزّوجلّ): «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء» و«امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين إلّا ماقد سلف»، والحائض حتى تطهر قال الله (عزّوجلّ): «ولا تقربوهن حتى يطهرن»[٣] والنكاح في الاعتكاف، قال الله (عزّوجلّ): «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»[٤].

فأمّا التي في السنّة، فالمواقعة في شهر رمضان نهاراً، وتزويج الملاعنة بعد اللعان. والتزويج في العدّة والمواقعة في الإحرام. والمحرم يتزوّج أو يزوّج، والمظاهر قبل أن

---

(١) قال البيضاوي: ج ١ ص ٢١٣ عند تفسيره لقوله تعالى: «إلّا ماملكت ايمانكم»: مالفظه (وقوله: أو ماملكت أيمانكم، فرجّح عليّ كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل، وقول عليّ أظهر، لأنّ آية التحليل مخصوصة في غير ذلك، ولقوله (عليه الصلاة والسلام): ما اجتمع الحلال والحرام إلّا غلب الحرام). (٢) الإسراء: ٣٢. (٣) البقرة: ٢٢١. (٤) البقرة: ١٨٧.

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

يكفر، وتزويج المشركة، وتزويج الرجل امرأة قد طلّقها للعدّة تسع تطليقات، وتزويج الأمة على الحرّة، وتزويج الذمّيّة على المسلمة، وتزويج المرأة على عمّتها، وتزويج الأمة من غير إذن مولاها، وتزويج الأمة لمن يقدر على تزويج الحرّة، والجارية من السبي قبل القسمة، والجارية المشتركة. والجارية المسترابة قبل أن يستبرئها، والمكاتبة التي قد أدّت بعض المكاتبة[1].

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ: ذوات الأزواج، احصنهنّ التزويج، أو الأزواج.

وقرأ الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد، لأنّهنّ أحصنّ فروجهنّ.

وفي من لا يحضره الفقيه، وتفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) من ذوات الأزواج[2].

إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ: من اللاتي سبين ولهنّ أزواج كفّار، فإنّهنّ حلال

---

(١) الخصال: ص ٥٣٢ أبواب الثلاثين وما فوقه (الفروج المحرّمة في الكتاب والسنّة على أربعة وثلاثين وجها) ح١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٧٦ باب ١٢٩ الإحصان قطعة من ح٢، وتفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٢ ح٨١.

للسابين، والنكاح مرتفع بالسبي كما في مجمع البيان عن أمير المؤمنين (عليه السلام)[١]، واللائي اشترين ولهنّ أزواج، فإنّ بيعهنّ طلاقهنّ، كما في الكافي عن الصادق (عليه السلام) في عدّة روايات[٢] واللائي تحت العبيد فيأمرهم مواليهم بالاعتزال، ويستبرئوهنّ ثم يمسّوهنّ بغير نكاح.

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «والمحصنات من النساء إلّا ماملكت أيمانكم»، قال: هو أن يأمر الرجل عبده وتحته أمته، فيقول له: اعتزل امرأتك ولا تقربها ثم يحبسها عنه حتى تحيض ثم يمسّها (فإذا)[٣] حاضت بعد مسّه إيّاها ردّها عليه بغير نكاح[٤].

كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ: مصدر لفعل محذوف، أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً.

وقرئ «كتب الله» بالجمع والرفع، أي هذه فرائض الله عليكم، وكتب الله بلفظ الفعل.

وَأُحِلَّ لَكُم: عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله.

وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفاً على «حرّمت».

مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ: سوى المحرّمات الثمان المذكورة، وخرج عنه بالسنّة مافي معنى المذكورات، كسائر محرّمات الرضاع، والجمع بين المرأة وعمّتها وخالتها بغير إذنها.

في الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن (الحسن)[٥] بن

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣١ عند تفسيره لآية ٢٤ من سورة النساء قال: (من سبي من كان له زوج عن علي عليه السلام).

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٨٣ كتاب النكاح باب الرجل يشتري الجارية ولها زوج حرّ أو عبد، فلاحظ.

(٣) في النسخة ـ أ ـ: (إذا) والصحيح ماأثبتناه.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٤٨١ كتاب النكاح باب الرجل يزوّج عبده امته ثم يشتهيها، ح٢.

(٥) في النسخة ـ أ ـ (الحسين) والصحيح ماأثبتناه من المصدر وكتب الرجال.

علي بن فضال، عن ابن بكير، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لا تزوّج ابنة الأخ ولاابنة الاخت على العمّة ولاعلى الخالة إلّا بإذنهما. وتزوّج العمة والخالة على ابنة الأخ وابنة الأخت بغير اذنهما[١].

عدّة من أصحابنا: عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن ابي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) قال: لا تنكح المرأة على عمّتها ولاخالتها إلّا بإذن العمّة والخالة[٢].

وفي تهذيب الأحكام: محمد بن أحمد بن يحيى، عن بنان بن محمد، عن موسى ابن القاسم، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: سألته عن امرأة تزوّجت على عمّتها وخالتها؟ قال: لابأس، وقال: تزوّج العمة والخالة على ابنة الأخ وابنة الأُخت، ولا تزوّج بنت الأخ والأُخت على العمّة والخالة إلّا برضا منهما، فمن فعل فنكاحه باطل[٣].

وأما ماروواه في عوالي اللآلئ: عن علي بن جعفر قال: سألت أخي موسى (عليه السلام) عن الرجل يتزوّج المرأة على عمّتها وخالتها؟ قال: لابأس، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «وأُحلّ لكم ماوراء ذلكم»[٤].

فمحمول على أنّه إذا كان التزوّج بإذنهما.

أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ . مفعول له. والمعنى: أُحلّ لكم ماوراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهنّ، أو أثمانهنّ في حال كونكم محصنين غير مسافحين. ويجوز أن لايقدّر مفعول تبتغوا، وكأنه قيل: إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين. أو بدل «من وراء ذلكم» بدل الاشتمال.

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٢٤ كتاب النكاح باب المرأة تزوّج على عمّتها أو خالتها، ح١.
(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٢٤ كتاب النكاح باب المرأة تزوّج على عمّتها أو خالتها، ح٢.
(٣) التهذيب: ج ٧ ص ٣٣٣ باب ٢٩ نكاح المرأة وعمّتها وخالتها وما يحرم من ذلك وما لايحرم ح٥.
(٤) عوالي اللآلئ: ج٢ص٣٢٨.

والإحصان، العفّة، لأنّها تحصن النفس عن اللوم والعقاب. والسفاح، الزنا، من السفح، وهو صبّ المني فإنّه الغرض منه.

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾: فمن تمتّعتم به من المنكوحات. أو فما استمتعتم به منهنّ من جماع أو عقد عليهنّ.

﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ، سمّي أجراً لأنّه في مقابلة الاستمتاع.

﴿فَرِيضَةً﴾: حال من الاجور، بمعنى مفروضة، أو صفة مصدر محذوف، اي إيتاءً مفروضاً. أو مصدر حذف عامله[1]، أي فرض ذلك الإيتاء فريضة، ناب عن فعله.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن الحسن ابن رباط، عن حريز، عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله قال: سمعت أبا حنيفة يسأل أبا عبدالله (عليه السلام) عن المتعة؟ فقال: أي المتعتين تسأل؟ فقال: سألتك عن متعة الحج، فأنبئني عن متعة النساء هي حقّ؟ فقال: سبحان الله اما تقرأ كتاب الله؟ «فما استمتعتم به منهن فاتوهنّ أجورهنّ فريضة» فقال أبو حنيفة: والله لكأنّها آية لم أقرأها قط[2].

عدّة من أصحابنا: عن سهل بن زياد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن المتعة؟ فقال: نزلت في القرآن: «فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة»[3][4].

---

(١) من قوله: (مفعول له) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢١٣، لاحظ تفسيره لآية ٢٤ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٤٩، أبواب المتعة ح٦.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٤٨، أبواب المتعة ح١.

(٤) قال في المسالك: اتفق المسلمون على أنّ هذا النكاح كان سائغاً في صدر الإسلام، وفعله الصحابة في زمن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وزمن أبي بكر وبرهة من ولاية عمر، ثم نهى عنه وادعى أنّه منسوخ، وخالفه جماعة من الصحابة، ووافقه قوم وسكت آخرون، وأطبق أهل البيت (عليهم

←

السلام) على بقاء مشروعيته، وأخبارهم فيه بالغة حد التواتر لاتختلف فيه مع كثرة اختلافها في غيره، سيّما فيا خالف فيه الجمهور، والقرآن ناطق بشرعيته.

وقد اضطربت رواياتهم في نسخه فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كنّا نغزوا مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي، فنهانا عن ذلك ثم رخّص لنا بعد أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبدالله: «ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين» «لاحظ صحيح مسلم: ج٢ ص١٠٢٢ كتاب النكاح باب٣ نكاح المتعة ح١١ وفيه: (ألا نستخصي)» وروى الترمذي عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: إنّما كانت المتعة في أوّل الإسلام كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوّج المرأة بقدر ماترى أنّه يقيم فيحفظ له متاعه وتصلح له شيئه حتى نزلت هذه الآية: «إلا على أزواجهم أو ماملكت ايمانهم» «لاحظ صحيح الترمذي: ج٣ ص٤٣٠ كتاب النكاح باب ٢٩ ماجاء في تحريم نكاح المتعة، ح١١٢٢» ورووا في الصحيحين عن علي (عليه السلام): أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر «لاحظ صحيح مسلم: ج٢ ص١٠٢٧ كتاب النكاح باب٣ نكاح المتعة، ح٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢، ورووا عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) قال: رخّص لنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيّام، ثم نهى عنها (لاحظ صحيح مسلم: ج٢ ص١٠٢٣ كتاب النكاح باب٣ نكاح المتعة، ح١٨) ورووا عن سبْرة الجهني أنّه غزا مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فتح مكة قال: فأقمنا بها خمسة عشر، فأذن لنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في متعة النساء ثم لم يخرج حتى نهانا عنها (لاحظ صحيح مسلم: ج٢ ص ١٠٢٤ كتاب النكاح باب٣ نكاح المتعة ح٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ وغيرها). رواه مسلم ورواه أبو داود وأحمد عنه: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حجة الوداع نهى عنها (لاحظ سنن أبي داود: ج٢ ص٢٢٦، كتاب النكاح، باب في نكاح المتعة، ح ٢٠٧٢).

فتأمّل هذا الاختلاف العظيم في رواية نسخها. وأين النهي عنها في خيبر، والإذن فيها في الأوطاس، ثم النهي عنها بعد ثلاثة أيّام، مع الحكم بأنها كانت سائغة في أوّل الإسلام إلى آخر ذلك الحديث المقتضي لطول مدة شرعيّتها، ثم الإذن فيها في فتح مكة وهي متأخّرة عن الجميع، فيلزم على هذا أن تكون شرّعت مراراً ونسخت كذلك.

ثم لو كان نسخها حقّاً لما اشتبه ذلك على الصحابة في زمن خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر، ثم شاع النهي عنها. وما أحسن ماوجدته في بعض كتب الجمهور: أنّ رجلاً كان يفعلها، فقيل له: عمّن أخذت حلّها؟ فقال: عن عمر، فقالوا له: وكيف ذلك وعمر هو الذي نهى عنها وعاقب على

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّما نزلت فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى[(١)] فاتوهنّ أُجورهنّ فريضة[(٢)].

عدّة من أصحابنا: عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» فقال: ماتراضوا به من بعد النكاح فهو جائز، وما كان قبل النكاح فلايجوز إلّا برضاها وبشيء يعطيها فترضى به[(٣)].

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان يقرأ: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمّى فاتوهن أُجورهن فريضة. فقال هو أن تزوّجها الى أجل ثم يحدث شيئاً بعد الأجل[(٤)].

عن عبدالله بن سلام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: ماتقول في المتعة؟ قال: قول الله: «فما استمتعتم به منهنّ فاتوهن أُجورهن فريضة» الى اجل مسمّى «ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» قال: قلت: جعلت فداك هي من الأربع: قال: ليست من الأربع إنّما هي الإجارة[(٥)].

وفيه: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال جابر بن عبدالله، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّهم غزوا معه، فأحلّ لهم المتعة

فعلها؟! فقال: لقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً وأنا أُحرّمهما وأعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء، فأنا أقبل روايته في شرعيّتها على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولاأقبل نهيه من قبل نفسه. (مرآة العقول: ج٣. ط حجري ص٤٨١).

(١) هذه زيادة تفسيرية، قرأ بها ابن مسعود أيضاً. وليس بمعنى اسقاطها من الكتاب.. راجع وصفنا لمصحف ابن مسعود في التمهيد ج١ ص٢٥٧.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٤٩ كتاب النكاح، أبواب المتعة، ح٣.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٥٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة،ح٣.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٤ ح ٨٧. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٤ قطعة من ح ٨٨.

ولم يحرّمها، وكان عليّ (عليه السلام) يقول: لولا ما سبقني به ابن الخطاب، يعني عمر، مازنى إلّا شقي. وكان ابن عباس يقول «فما استمتعتم به منهن» الى اجل مسمّى يقول: إذا آتيتموهن أجورهن وهؤلاء يكفرون بها ورسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أحلّها ولم يحرّمها[1].

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ: من زيادة في المهر، أو الأجل، أو نقصان فيهما أو غير ذلك ممّا لا يخالف الشرع.

وفي تفسير العياشي. عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في المتعة قال: نزلت هذه «فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» قال: لابأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما، تقول: استحللتك بأجل آخر برضا منها، ولاتحلّ لغيرك حتى تنقضي عدّتها، وعدّتها حيضتان[2].

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا: بالمصالح.

حَكِيمًا: فيما شرع من الأحكام.

في الكافي: عن الصادق (عليه السلام): المتعة نزل بها القرآن، وجرت بها السنّة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[3].

وفي من لايحضره الفقيه: عنه (عليه السلام): ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا ويستحلّ متعتنا[4].

واعلم أنّ عمر عليه ماعليه حرّم المتعة، متعة النساء ومتعة الحج بقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنا محرّمهما، ومعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء[5].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٣ ح ٨٥ وفي كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٦ ص ٥٢٢ ح ٤٥٧٢٨ وفيه مازنى إلّا شقيّ، بالقاف.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٣ ح ٨٦.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٤٩ كتاب النكاح، أبواب المتعة ح ٥.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج٣ ص٢٩١ باب ١٤٣ المتعة ح١.

(٥) كنز العمال: ج ١٦ ص ٥١٩ ح ٤٥٧١٥ وص ٥٢١ ح ٤٥٧٢٢.

وبقوله: ثلاث كنّ على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنا محرّمهنّ ومعاقب عليهنّ، متعة الحج ومتعة النساء، وحيّ على خير العمل في الأذان[١].

وفي الكافي: جاء عمير الليثيّ[٢] إلى أبي جعفر (عليه السلام) فقال له: ماتقول: في متعة النساء؟ فقال: أحلّها الله في كتابه وعلى لسان نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: ياأبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرّمها عمر ونهى عنها؟ فقال: وإن كان فعل، قال: قال: فإنّي أعيذك بالله من ذلك أن تحلّ شيئاً حرّمه عمر، فقال له: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فهلمّ ألاعنك، أنّ القول ماقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وأنّ الباطل ماقال صاحبك، قال: فأقبل عبدالله بن عمير فقال: يسرّك أنّ نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمّك يفعلن ذلك؟! فقال: أعرض عنه أبو جعفر (عليه السلام) حين ذكر نساءه وبنات عمّه[٣].

وفيه: سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق[٤] فقال له: يا

---

(١) رواه المحدّث العلامة في الوافي: ص٥٣ (أبواب وجوه النكاح، باب ٥٤ إثبات المتعة وثوابها) في ضمن بيان حديث (مازنى الآ شقيّ).

(٢) هكذا في النسخ، والصحيح (عبدالله بن عمير الليثيّ) لاحظ كتب الأحاديث والرجال، قال في تنقيح المقال: ج٢ ص ٢٠١ تحت رقم ٦٩٩٩ مالفظه: (عبدالله بن عمير الليثي، كذا في نسخة مصحّحة، وفي نسخة أخرى. عبدالله بن عمر مكبّراً مضموم العين. وليس له ذكر في كتب رجالنا؛ نعم عدّه أبو موسى من الصحابة. ويدلّ على ضعفه جداً، وكونه من العامّة المعاندين للحقّ ماورواه الشيخ في باب المتعة من التهذيب، بسند صحيح على المختار، حسن بإبراهيم على المشهور، عن محمد ابن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن زرارة قال: جاء عبدالله بن عمير الليثيّ إلى أبي جعفر (عليه السّلام) فقال له: ماتقول: في المتعة، إلى آخر الحديث كما في المتن).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٤٩ كتاب النكاح، أبواب المتعة ح ٤.

(٤) محمد بن علي بن النعمان الأحول، أبو جعفر، الملقب بـ(مؤمن الطاق) قال في الفهرست: محمد بن النعمان الأحول (رحمه الله) يلقّب عندنا بـ(مؤمن الطاق) ويلقّبه المخالفون بـ(شيطان الطاق) من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد، وكان ثقة متكلّماً حاذقاً حاضر الجواب له كتب. وفي فهرست
←

أبا جعفر ماتقول في المتعة، أتزعم أنها حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تأمر نساءك يستمتعن ويكسبن عليك[1]؟ فقال له أبو جعفر: ليس كلّ الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم. ولكن ماتقول ياأبا حنيفة في النبيذ، أتزعم أنّه حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة وسهمك أنفذ، ثم قال: يا أبا جعفر إنّ الآية التي في (سأل سائل) تنطق بتحريم المتعة[2]، والرواية عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جاءت بنسخها، فقال له أبو جعفر: ياأبا حنيفة، إنّ سورة (سأل سائل) مكيّة وآية المتعة مدنيّة، وروايتك شاذة رديّة. فقال أبو حنيفة: وآية الميراث أيضاً تنطق بنسخ المتعة، فقال له أبو جعفر: قد ثبت النكاح بغير ميراث، فقال أبو حنيفة: من أين قلت ذلك؟ فقال أبو جعفر: لو أنّ رجلاً من المسلمين تزوّج بامرأة من أهل الكتاب ثم توفي عنها ماتقول فيها؟ قال: لا ترث منه، فقال: فقد ثبت النكاح بغير ميراث، ثم افترقا[3].

• • •

ابن النديم روى عن علي بن الحسين، وأبي جعفر، وأبي عبدالله (عليهم السلام)، وكانت له مع أبي حنيفة حكايات كثيرة، وعن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: أربعة أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً، بريد بن معاوية العجليّ، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبو جعفر الأحول. (تلخيص من تنقيح المقال: ج ٣ ص ١٦٠ تحت رقم ١١١٤٧).

(١ و٢) وتعدية الكسب بـ(على) لعلّه لتضمين معنى الإنفاق ونحوه، والآية التي في «سأل سائل» هي قوله سبحانه: «والذين هم لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم». وكأنّه لم يعرف أنّ المتمتّع بها من جملة الأزواج، ولمّا تحدس منه الطاقي أنّه لايقبل منه هذا، عدل إلى جواب آخر، وهو تأخّر نزول آية الإباحة عن آية التحريم. والعائد في (بنسخها) راجع إلى المتعة لاالآية (الوافي: ص ٥٤، أبواب وجوه النكاح، باب إثبات المتعة).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٥٠ كتاب النكاح، أبواب المتعة ح٨.

وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥

وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا: غنى، كذا في مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام)[1].

وأصله الفضل والزيادة.

أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ: في موضع النصب بفعل مقدر، صفة لـ «طولاً» أي من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات، أو تطوّلاً. وجعله بمعنى اعتلاء، أي من لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أي الحرائر، أحصنتهن الحرّيّة عن الوطء بغير عقد، أو عن الزنا.

فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ: يعني الإماء المؤمنات.

في الكافي: أبان، عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٣ في تفسيره لآية ٢٥ من سورة النساء قال: أي لم يجد منكم غنى، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدّي، وهو المرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام).

سألته عن الرجل يتزوّج الأمَة؟ قال: لاإلّا أن يضطرّ إلى ذلك[١].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لاينبغي أن يتزوّج الرجل الحرّ، المملوكة اليوم، إنّما كان ذلك حيث قال الله (عزّوجلّ): «ومن لم يستطع منكم طولاً» والطول المهر، ومهر الحرّة اليوم مهر الأمة أو أقلّ[٢].

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ: فاكتفوا بظاهر الإيمان، فإنّه العالم بالسرائر، أو بتفاضل مابينكم من الإيمان فربّ أمة تفضل الحرّة فيه، ومن حقّكم أن تعتبروا فضل الإيمان لافضل النسب، والمقصود تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه.

بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ: أنتم ومماليككم متناسبون، نسبكم من آدم ودينكم الإسلام.

فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ: أي أربابهن.

وفي من لايحضره الفقيه: روى داود بن الحصين، عن أبي العباس البقباق قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): يتزوّج الرجل بالأمة بغير علم أهلها؟ قال: هو زنا، إنّ الله يقول: «فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ»[٣].

وأما ماروى في تهذيب الأحكام: عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن داود بن فرقد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يتزوّج بأمة بغير إذن مواليها؟ فقال: إن كان لامرأة فنعم، وإن كانت لرجل فلا[٤].

فمحمول على ماإذا كان التزوّج بالمتعة.

يدلّ عليه ماروى فيه:

عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٦٠، كتاب النكاح، باب الحرّ يتزوّج الأمة ح٦.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٣٦٠ كتاب النكاح، باب الحرّ يتزوّج الأمة ح٧.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٨٦ باب ١٤١ أحكام المماليك والإماء ح٥.

(٤) التهذيب: ج ٧ ص ٢٥٨ باب ٢٤ تفصيل أحكام النكاح ح ٤٠.

الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لابأس أن يتمتّع الرجل بأمة المرأة، فأمّا الرجل فلايتمتّع بها إلّا بأمره[1].

وما رواه في الاستبصار: عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي نصر قال: سألت الرضا (عليه السلام) أيتمتع بالأمة بإذن أهلها؟ قال: نعم، إنّ الله تعالى يقول: «فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ»[2].

محمول على ما إذا كان أهلها رجلاً.

وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ: بإذن أهلهنّ، فحذف لتقدّم ذكره. أو إلى مواليهنّ، فحذف للعلم بأنّ المهر للسيّد، لأنّه عوض حقّه، فيجب أن يؤدّى إليه. ويحتمل أن يكون الإذن في التزوّج كافياً في إيتاء المهور إليهنّ، فلايلزم ارتكاب حذف.

بِالْمَعْرُوفِ: من غير مطل وضرار ونقصان.

مُحْصَنَٰتٍ: عفائف.

غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ: غير مجاهرات بالسفاح.

وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ: أخلاء في السرّ.

فَإِذَآ أُحْصِنَّ: بالتزويج.

وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد.

فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ: زنا.

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ: يعني الحرائر. وقد سبق بهذا المعنى أيضاً.

مِنَ الْعَذَابِ: يعني الحدّ، كما قال تعالى: «وليشهد عذابهما طائفة»[3].

وفي الآية دلالة: على أنّ الأمة لا ترجم، لأنّ الرجم لاينتصف.

في تفسير علي بن إبراهيم: يعني به الإماء والعبيد إذا زنيا ضربا نصف الحدّ، فإن عادا فمثل ذلك حتى يفعلوا ذلك ثماني مرات، ففي الثامنة يقتلون.

---

(١) التهذيب: ج ٧ ص ٢٥٨ باب ٢٤ تفصيل أحكام النكاح ح ٤١.

(٢) الاستبصار: ج ٣ ص ١٤٦ باب ٩٥ جواز التمتع بالإماء ح١. (٣) النور: ٢.

قال الصادق (عليه السلام): وإنّما صار يقتل في الثامنة، لأنّ الله رحمه أن يجمع عليه ربق الرقّ وحدّ الحرّ[١].

وفي الكافي ما في معناه عن الصادق (عليه السلام)[٢].

وعن الباقر (عليه السلام): في الأمة تزني؟ قال: تجلد نصف حدّ الحرّة كان لها زوج أو لم يكن لها زوج[٣].

وفي رواية: لا ترجم ولا تنفى[٤].

وفي تفسير العياشي: عن القاسم بن سليمان قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله: «فإذا احصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب» قال: يعني نكاحهنّ إذا أتين بفاحشة[٥].

عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله في الإماء: «إذا احصن» قال: إحصانهنّ أن يدخل بهنّ، قلت: فإن لم يدخل بهنّ فأحدثن حدثاً هل عليهنّ حدّ؟ قال: نعم، نصف الحرّ، فإن زنت وهي محصنة فالرجم[٦].

عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ) في الإماء: «إذا أحصن»، ما إحصانهنّ؟ قال: يدخل بهنّ، قلت: وان لم يدخل بهنّ ما عليهنّ حدّ؟ قال: بلى[٧].

عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن المحصنات من الإماء؟ قال هنّ المسلمات[٨].

عن حريز قال: سألته عن المحصن؟ فقال: الذي عنده ما يغنيه[٩].

ذَٰلِكَ: أي نكاح الإماء.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٦ عند تفسيره لآية ٢٥ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٢٣٥ كتاب الحدود، باب مايجب على المماليك والمكاتبين من الحدّ ح٧.

(٣) الكافي: ج ٧ ص ٢٣٤ كتاب الحدود، باب مايجب على المماليك والمكاتبين من الحدّ ح٤.

(٤) الكافي: ج ٧ ص ٢٣٨ كتاب الحدود، باب مايجب على المماليك والمكاتبين من الحدّ قطعة من ح٢٣.

(٥و٦و٧و٨و٩) تفسير العياشي: ج١ ص٢٣٥ ح٩٦و٩٤و٩٣و٩٢و٩٥.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ: لمن خاف الوقوع في الزنا.

وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر، مستعار لكلّ مشقّة وضرر، ولاضرر أعظم من مواقعة الإثم بأفحش القبائح. وقيل: المراد به الحدّ وهذا شرط آخر لنكاح الإماء.

وفي تفسير العياشي: عن عباد بن صهيب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا ينبغي للرجل المسلم أن يتزوّج من الإماء إلّا من خشي العنت ولا يحلّ له من الإماء إلّا واحدة[1].

وَأَن تَصْبِرُواْ: أي وصبركم عن نكاح الإماء متعفّفين.

خَيْرٌ لَّكُمْ: من نكاح الإماء، لما فيه من المهانة ونقصان حقّ الزوج.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ: لمن يصبر.

رَّحِيمٌ: بأن رخّص لهم.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ: ماتعبّدكم به من الحلال والحرام، أو ماخفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم، وأن يبيّن مفعول «يريد»، واللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة. وقيل: المفعول محذوف، و«ليبين» مفعول له، أي يريد الحقّ لأجله.

وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ: مناهج من تقدّمكم من أهل الرشد، لتسلكوا طريقهم.

وفي اصول الكافي: محمد، عن أحمد، عن علي بن النعمان رفعه، عن أبي جعفر

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٥ ح ٩٧.

قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): يمصّون الثماد[١] ويدعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). والعلم الذي أعطاه الله (عزّوجلّ) جمع لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سنن النبيّين من آدم وهلمّ جرا إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيّين بأسره، وأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صيّر ذلك كلّه عند أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فقال له رجل: يابن رسول الله فأميرالمؤمنين أعلم ام بعض النبيّين؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): اسمعوا، إنّ الله يفتح مسامع من يشاء، إنّي حدثت أنّ الله جمع لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علم النبيّين وأنّه جمع ذلك كلّه عند أميرالمؤمنين (عليه السلام) وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين[٢].

وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ: ويغفر لكم ذنوبكم، أو يرشدكم إلى مايمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة، أو إلى مايكون كفّارة لسيئاتكم.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ: بها.

حَكِيمٌ: في وضعها.

---

(١) قوله: (يمصّون الثماد) الثمد، ويحرّك، وككتاب، الماء القليل الذي لامادّة له، أو مايبقى في الجلد، وهو الأرض الصلبة، أو مايظهر في الشتاء ويذهب في الصيف. وفيه تمثيل حيث شبّه الخلق في تركهم العلم الكثير الصافي والأخذ بالعلم القليل الذي لامادّة له، وهو ينجرّ بالاخرة إلى الخلط بالشبهات والمفتريات بالعطاش الذين تركوا الماء الكثير الصافي والنهر العظيم الذي له مادّة ومصّوا الماء القليل الذي لامادّة له، ولامحالة ينتهي مصّهم إلى شرب الماء المختلط بالطين البالغ إلى حدّ لايسمّى ماءً.
وقوله: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صيّر ذلك كلّه عند أميرالمؤمنين (عليه السلام) بعضه في حال حياته وبعضه عند موته لما ثبت أنّه علّمه عند تغسيله علوماً كثيرة، أو كله في حياته، وما علّمه بعد موته كان من العلوم المختصّة به (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولم يكن لسائر الأنبياء.
وقوله: (إنّ الله يفتح مسامع من يشاء)، في الفائق: المسامع جمع مسمع، وهو آلة السمع، أو جمع السمع على غير قياس كمشابه وملامح في جمع شبه ولمحة (شرح اصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٥ ص٣٤٧).

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٢٢ كتاب الحجة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ورثة العلم، يرث بعضهم بعضاً العلم، ح٦.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ: كرّره للتأكيد والمبالغة.

وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ: يعني الفجرة، فإنّ اتباع الشهوات الائتمار لها. وأمّا المتعاطي لما سوّغه الشرع منها دون غيره فهو متّبع له في الحقيقة، لا لها.

وقيل: المجوس، وقيل: اليهود فإنهم يحلّون الأخوات من الأب، وبنات الأخ والأخت.

أَن تَمِيلُوا۟: عن الحقّ.

مَيْلًا: بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرّمات.

عَظِيمًا: بالإضافة إلى من اقترف خطيئة على ندور غير مستحلّ لها.

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ: فلذلك شرّع لكم الشريعة الحنيفيّة السمحة السهلة، ورخّص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة عند الاضطرار.

وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا: لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمّل مشاق الطاعات.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ: بما لم يبحه الشرع(1)

---

(1) من قوله: (ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢١٥ ←

في تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) عنى بها القمار، وكانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله، فنهاهم الله عن ذلك[١].

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) الربا والقمار والبخس والظلم[٢].

إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ: استثناء منقطع، أي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه، أو اقصدوا كون تجارة.

وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحلّ تناول مال الغير، لأنّها أغلب وأوفق لذوي المروآت.

ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: يعني بها الشراء، والبيع الحلال[٣].

وقيل: المقصود بالنهي، المنع عن صرف المال فيما لايرضاه الله، وبالتجارة صرفه فيما يرضاه.

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد وأحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن سماعة قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الرجل منّا يكون عنده الشيء يتبلّغ به وعليه دين، أيطعمه عياله[٤] حتى يأتي الله (عزّوجلّ) بميسرة فيقضي دينه، أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدّة المكاسب، أو يقبل الصدقة؟ قال: يقضي بما عنده دينه ولايأكل من أموال الناس إلّا وعنده مايؤدّي إليهم حقوقهم، إنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم» ولايستقرض على ظهره إلّا

لاحظ تفسيره لآية (٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩) من سورة النساء.

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٦ ح ١٠٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٧ عند تفسيره لآية ٢٩ من سورة النساء.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٦ عند تفسيره لآية ٢٩ من سورة النساء.

(٤) قوله: (أيطعمه عياله) أي لا يؤدّي الدين ويطعم مافي يده عياله، أو يؤدّيه ممّا في يده، فإذا أدّى فإمّا أن يستقرض على ظهره، أي بلاعين مال يكون الدين عليه، أو يأخذ الصدقة؟ فأمره (عليه السلا) بردّ الدين وقبول الصدقة (مرآة العقول ط حجري: ج٣ ص٣٨٨).

وعنده وفاء، ولو طاف على أبواب الناس، فردّوه باللقمة واللقمتين والتمرة والتمرتين، إلّا أن يكون له وليّ يقضي دينه من بعده، ليس منّا من ميت إلّا جعل الله له وليّاً يقوم في عدّته ودينه، فيقضي عدّته ودينه[١].

وقرأ الكوفيون «تجارة» بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم، أي إلّا أن تكون التجارة، أو الجهة تجارة[٢].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: قيل: بالنخع[٣] كما يفعله أهل الهند. أو بإلقاء النفس إلى التهلكة. أو بارتكاب ما يؤدّي إلى قتلها، أو باقتراف مايذلّلها ويرديها، فإنّه القتل الحقيقيّ للنفس.

وقيل: المراد بالأنفس من كان على دينهم، فإنّ المؤمنين كنفس واحدة[٤].

في تفسير علي بن إبراهيم: كان الرجل إذا خرج مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الغزو، يحمل على العدوّ وحده من غير أن يأمره رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فنهى الله أن يقتل نفسه من غير أمره[٥].

في مجمع البيان: عن الصادق (عليه السلام): إنّ معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال، فتقاتلوا من لا تطيقونه[٦].

وفي تفسير العياشي: عنه (عليه السلام) كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٩٥ كتاب المعيشة، باب قضاء الدين ح٢.

(٢) قرئ، تجارة بالرفع والنصب، فالرفع على أنّها فاعل (تكون) وهي التامة ولا تفتقر إلى خبر، والنصب على أنّها خبر (تكون) وهي الناقصة، وهي تفتقر إلى اسم وخبر، واسمها مضمر فيها، والتقدير فيه، إلّا أن تكون التجارة، تجارة. وأن في قوله (إلّا أن) في موضع نصب على الاستثناء المنقطع (البيان لابن الأنباري: ج١ ص٢٥١).

(٣) النخع أشد القتل، حتى يبلغ الذبح النخاع وهو الخيط الأبيض الذي في فقار الظهر، ويقال له خيط الرقبة (النهاية: ج٥ ص٣٣ لغة نخع).

(٤) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢١٦ في تفسيره للآية ٢٩ من سورة النساء.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٦ في تفسيره لآية ٢٩ من سورة النساء.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٧ عند تفسيره لآية ٢٩ من سورة النساء، قال: (ورابعها) ماروي عن أبي عبدالله (عليه السلام)، أنّ معناه إلخ.

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ
مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم
مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

المغارات، فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف شاء، فنهاهم الله تعالى أن يدخلوا عليهم في المغارات[1].

قيل: جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث أنّه سبب قوامها استبقاءً لهم ريثما يستكمل النفوس ويستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة، كما أشار إليه بقوله:

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا: أي أمر ما أمر ونهى عمّا نهى لفرط رحمته عليكم[2].

معناه: أنّه كان بكم يا أُمّة محمد رحيماً، لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه.

وفي تفسير العياشي: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سألت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن الجبائر تكون على الكسير، كيف يتوضّأ صاحبها؟ وكيف يغتسل إذا أجنب؟ قال: يجزيه المسح بالماء عليها في الجنابة والوضوء قلت: وإن كان في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده؟ فقرأ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً»[3].

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ: إشارة إلى ماسبق من المنهيّات.

(١و٣) تفسير العياشي: ج١ ص٢٣٧و٢٣٦ قطعة من ح١٠٣و١٠٢.

(٢) مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢١٦، لاحظ تفسيره لآية ٢٩ من سورة النساء.

عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا: إفراطاً في التجاوز عن الحدّ وإتياناً بما لايستحقه.

وقيل: أراد بالعدوان التعدّي، وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب.

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا: ندخله إيّاها.

وقرئ بالتشديد، من صلى، وبفتح النون من صلاه يصليه، ومنه شاة مصليّة. ويصليه بالياء، والضمير لله، أو لـ«ذلك» من حيث أنّه سبب الصّلي.

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا: لاعسر فيه ولاصارف.

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ: أي كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها.

وقرأ كثير على إرادة الجنس.

نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ: نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم.

وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا: الجنة وما وعدتم من الثواب. أو إدخالاً مع كرامة.

وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم، وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر.

وفي تفسير العياشي: عن ميسر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: كنت أنا وعلقمة الحضرمي وابو حسان العجلي وعبدالله بن عجلان ننتظر أبا جعفر (عليه السلام) فخرج علينا، فقال: مرحباً وأهلاً، والله لأحبّ ريحكم وأرواحكم وإنكم لعلى دين الله. فقال علقمة: فمن كان على دين الله فتشهد أنّه من أهل الجنة؟ قال: فمكث هنيئة، قال: ونوّروا أنفسكم، فإن لم تكونوا اقترفتم الكبائر، فأنا أشهد، قلنا: وما الكبائر؟ قال: هي في كتاب الله على سبع، قلنا: فعدّها علينا جعلنا فداك؟ قال: الشرك بالله العظيم، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا بعد البيّنة، وعقوق الوالدين والفرار من الزحف، وقتل المؤمن، وقذف المحصنة، قال: مامنّا أحد أصاب من هذا شيئاً، قال: فأنتم إذاً في الجنة[1].

وفي كتاب ثواب الأعمال: أبي (رحمه الله) قال: حدّثني سعد بن عبدالله، عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عمر

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٧ ح ١٠٤.

الحلبيّ قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم»؟ قال: من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفّر الله عنه سيئاته ويدخله مدخلاً كريماً. والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف[١].

وبإسناده إلى محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في هذه الآية قال: من اجتنب ماأوعد الله عليه النار، إذا كان مؤمناً كفّر عنه سيئاته[٢].

وفي كتاب التوحيد: حدّثنا أحمد بن زياد بن حفص الهمداني (رضي الله عنه) قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: لايخلّد الله في النار إلّا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك. ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر[٣].

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً» قال: الكبائر التي أوجب الله (عزّوجلّ) عليها النار[٤].

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): ومباين بيّن محارمه من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه[٥].

وفي روضة الكافي: علي بن محمد، عن علي بن عباس، عن الحسن بن

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٢٩ (ثواب من اجتنب الكبائر).

(٢) ثواب الأعمال: ص١٣٠ (ثواب من اجتنب الكبائر).

(٣) كتاب التوحيد: ص٤٠٧ باب٦٣ الأمر والنهي والوعد والوعيد قطعة من ح٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٦ كتاب الإيمان والكفر، باب الكبائر، ح ١.

(٥) نهج البلاغة: ص ٤٥ القرآن والأحكام الشرعية، س ٣.

عبدالرحمان، عن منصور، عن حريز، عن عبدالله، عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: أما والله يافضيل مالله (عزّوجلّ) حاجّ غيركم ولايغفر الذنوب إلّا لكم، ولايقبل إلّا منكم، وإنكم لأهل هذه الآية: «ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[١].

وفي من لايحضره الفقيه: وقال الصادق (عليه السلام): من اجتنب الكبائر كفّر الله عنه جميع ذنوبه، وفي ذلك قول الله (عزّوجلّ): «أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً»[٢].

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) أنّه سأله زرارة عن الكبائر؟ فقال: هنّ في كتاب علي (عليه السلام) سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيّنة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة، قال: قلت: فهذا أكبر المعاصي؟ قال: نعم، قلت: فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر، أم ترك الصلاة؟ قال: ترك الصلاة، قال: قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر؟ فقال: أي شيء أوّل ماقلت لك؟ قلت: الكفر، قال: فإنّ تارك الصلاة كافر، يعني من غير علّة[٣][٤].

وفي معاني الأخبار: عن الصادق (عليه السلام) التعرّب بعد الهجرة، التارك لهذا الأمر بعد معرفته[٥].

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٨٨، فضل الشيعة، ح ٤٣٤ س ١٦.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٧٦ باب ١٧٩ معرفة الكبائر ح ٣٧.

(٣) قوله: «فإنّ تارك الصلاة كافر، يعني من غير علّة» تاركها من غير علّة مستخفاً بها كافر جاحد، وغير مستخف بها كافر مخالف لأعظم الأوامر. وإطلاق الكفر على مخالفة الأوامر والنواهي شائع كما سيجيء. والظاهر أنّ (يعني) كلام المصنف (شرح اصول الكافي للعلّامة المازندراني: ج٩ ص٢٤٩).

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٨ كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر، ح٨.

(٥) معاني الأخبار: ص ٢٦٥ باب معنى التعرب بعد الهجرة، ح١.

وفي بعض الأخبار عدّة أشياء أخر غير ما ذكر من الكبائر: كالإشراك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والسحر، والزنا، واليمين الغموس الفاجرة، والغلول، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة وشرب الخمر، وترك الصلاة والزكاة المفروضتين، ونقض العهد، وقطيعة الرحم، واللواط، والسرقة، إلى غير ذلك[١].

وعن ابن عباس: انّ الكبائر إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع[٢].

وفي مجمع البيان: نسب إلى أصحابنا أنّ المعاصي كلّها كبيرة، لكن بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغيرة. وإنّما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر واستحقاق العقاب عليه أكثر[٣].

قيل: وتوفيقه مع الآية أن يقال: من عنّ له أمران ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك، فكفّها عن أكبرهما، كفّر عنه ما ارتكبه، لما استحقّ من الثواب على اجتناب الأكبر. كما اذا تيسّر له النظر بشهوة والتقبيل فاكتفى بالنظر عن التقبيل.

ولعلّ هذا ممّا يتفاوت أيضاً باعتبار الأشخاص والأحوال (فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين) ويؤاخذ المختار بما يعفى عن المضطرّين.

ويردّ على هذا التوفيق: إنّ من قدر على قتل أحد، فقطع أطرافه، كان قطع أطرافه مكفّراً.

وما نسبه في مجمع البيان إلى أصحابنا لا مستند له.

وظاهر الآية والأخبار الواردة في تفسيرها وتفسير الكبائر يعطي تمايز كلّ من

---

(١) لاحظ الوسائل: ج ١١ ص ٢٥٢ كتاب الجهاد، الجهاد، باب أبواب جهاد النفس وما يناسبه.
والكافي: ج ٢ ص ٢٧٨، كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر ح ٤، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٢ ص ١٤٨ في تفسيره لآية ٣١ من سورة النساء.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٢ ص ١٤٦ في تفسره لآية ٣١ من سورة النساء، وتمامه (غير أنّه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار) وفيه (إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع) بدون الألف واللام.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٨ في نقله المعنى لآية ٣١ من سورة النساء ولفظه (وقيل: كلّ ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس وإلى هذا ذهب أصحابنا: فإنّهم قالوا: المعاصي كلّها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها... إلخ).

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

الصغائر والكبائر عن صاحبها.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أكبر الكبائر سبع، الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرّم الله، وأكل أموال اليتامى، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وإنكار ماأنزل الله: فأمّا الشرك بالله (عزّوجلّ) العظيم، فقد بلغكم ماأنزل الله فينا، وما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فردّوا على الله وعلى رسوله. وأمّا قتل النفس الحرام فقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) وأصحابه (رحمهم الله). وأمّا أكل أموال اليتامى، فقد ظلموا فينا وذهبوا به. وأمّا عقوق الوالدين، فقد قال الله تعالى في كتابه: «النبيّ أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم» وهو أب لهم فعقّوا في ذريته وفي قرابته. وأمّا قذف المحصنة فقد قذفوا فاطمة الزهراء بنت النبيّ وزوجة الوليّ (عليهم السلام) والتحية والاكرام على منابرهم. وأمّا الفرار من الزحف فقد أعطوا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) البيعة طائعين غير كارهين، ثم فرّوا عنه وخذلوه. وأمّا إنكار ماأنزل الله فقد أنكروا حقّنا وجحدوا به. هذا مالايتعاجم فيه أحد إنّ الله تعالى يقول في كتابه: «إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيّئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً»[1].

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ: من الامور الدنيوية كالجاه

(١) تفسير فرات بن إبراهيم؛ ص ٣٣ مع تقديم وتأخير وزيادة ونقصان في بعض الكلمات مع المطبوع.

والمال، لأنّه حسد يورث التعادي والتباغض.

في مجمع البيان: عن الصادق (عليه السلام): أي لايقل أحد: ليت ماأعطى فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء، كان لي، فإنّ ذلك حسد، ولكن يجوز أن يقول: اللهمّ أعطني مثله[١].

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من تمنّى شيئاً وهو لله تعالى رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه[٢].

وفيما علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه: في كلّ امرئ واحد من الثلاث، الكبر، والطيرة، والتمنّي. فإذا تطيّر أحدكم فليمض على طيرته وليذكر الله (عزّوجلّ). وإذا خشي الكبر فليأكل مع عبده وخادمه وليحلب الشاة. وإذا تمنّى فليسأل الله (عزّوجلّ) وليبتهل إليه، ولا تنازعه نفسه إلى الإثم[٣].

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾: بيان لذلك، أي لكلّ من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب مااكتسب ومن أجله، فاطلبوا الفضل بالعمل، لابالحسد والتمنّي.

وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ماقسم لكلّ منهم على حسب ماعرف من حاله الموجب للزيادة والنقص كالمكتسب[٤].

﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي لا تتمنّوا ماللناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد[٥].

قيل: أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقرّبه ويسوقه إليكم[٦].

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٠ عند تفسيره لآية ٣٢ من سورة النساء.

(٢) الخصال: باب الواحد (خصلة بخصلة) ص ٤ ح٧.

(٣) الخصال: ص ٦٢٤ علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه س٦.

(٤ و٥ و٦) من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢١٧، لاحظ تفسيره لآية ٣٢ من سورة النساء.

وفي الحديث السالف مايردّ هذا الأخير.

وفي اصول الكافي: حميد بن زياد، عن الخشاب، عن ابن بقّاح، عن معاذ، عن عمرو بن جُمَيْع، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من لم يسأل الله (عزّوجلّ) من فضله افتقر[١].

أبوعلي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان، عن ميسر[٢] بن عبدالعزيز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال لي: ياميسر ادع، ولا تقل الأمر قد فرغ منه، إنّ عندالله (عزّوجلّ) منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تعط، ياميسر ليس من باب يقرع الّا يوشك أن يفتح لصاحبه[٣][٤].

وفي فروعه: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: ليس من نفس إلّا وقد فرض الله (عزّوجلّ) لها رزقاً حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاصّها به من الحلال الذي فرض لها، وعندالله سواهما فضل كثير، وهوقوله (عزّوجلّ): «واسألوا الله من فضله»[٥].

وفي من لايحضره الفقيه: وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ الله (تبارك وتعالى) أحبّ شيئاً لنفسه وأبغضه لخلقه، أبغض (عزّوجلّ) المسألة، وأحبّ لنفسه أن يسأل، وليس شيء أحبّ إليه من أن يسأل، فلايستحي أحدكم أن

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٧ كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ح٤.

(٢) ميسر هذا بضمّ الميم وفتح الياء المثناة التحتانيّة وكسر العين المهملة، وربّما يضبط بفتح الميم.

(٣) لما أبى الله سبحانه أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب، ومن جملة الأسباب لبعض الامور الدعاء، فمن لم يدع لم يعط ذلك الشيء، وهذا معنى قوله (عليه السلام): إنّ عندالله منزلة إلى قوله: لم يعط شيئاً (الوافي: ص ٢٢٠ باب فضل الدعاء والحثّ عليه).

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٧ كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ح٣.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٨٠ كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب، ح٢.

يسأل الله (عزّوجلّ) من فضله، ولو شسع نعل[١].

وفي تفسير العياشي: عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: لمّا نزلت هذه الآية: «واسألوا الله من فضله» قال أصحاب النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ماهذا الفضل؟ أيّكم يسأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن ذلك ؟ قال: فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): أنا أسأله عنه، فسأله عن ذلك الفضل ماهو؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ الله خلق خلقه وقسّم لهم أرزاقهم من حلّها، و عرض لهم بالحرام، فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ماانتهك من الحرام وحوسب به[٢].

عن أبي الهذيل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله قسّم الأرزاق بين عباده، وأفضل فضلاً كثيراً لم يقسّمه بين أحد، قال الله: «واسألوا الله من فضله»[٣].

عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك أنهم يقولون: إنّ النوم بعد الفجر مكروه، لأنّ الأرزاق تقسّم في ذلك الوقت، فقال: الأرزاق مضمونة مقسومة، ولله فضل يقسّمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله: «واسألوا الله من فضله» ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: فهو يعلم مايستحقّه كلّ إنسان، فيفضل. أو هو يعلم مايسأله أحد من فضله، فيفضل.

ونقل في سبب نزول هذه الآية: إنّ أمّ سلمة قالت: يارسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يغزوا الرجال ولانغزوا، وإنّما لنا نصف الميراث، ليتنا كنّا رجالاً، فنزلت[٥].

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ٤٠ باب ١٩ فضل الصدقة ح٢٨.

(٢و٣) تفسير العياشي: ج١ ص٢٣٩ ح١١٦ و١١٧.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٠ ح ١١٩.

(٥) رواه في مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٠ في سبب نزول الآية. ورواه في التبيان ط بيروت: ج٣ ص١٨٤ في سبب نزول الآية. ورواه في الدر المنثور ط بيروت: ج٢ ص٥٠٧ في تفسيره للآية.

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ: أي لكلّ تركة جعلنا وارثاً يلونها ويحرزونها.

و«ممّا ترك» بيان «لكل» مع الفصل بالعامل. أو لكلّ ميت جعلنا وارثاً ممّا ترك، على أنّ «من» صلة «موالي» لأنّه في معنى الوارث، وفي «ترك» ضمير «كل» و«الوالدان»، «والأقربون» مفسّر لـ«موالي» وفيه خروج الأولاد، فإنّ الأقربون لايتناولهم، كما لايتناول الوالدين. أو لكلّ قوم جعلناهم موالي حظّ ممّا ترك الوالدان والأقربون، على أنّ «جعلنا موالي» صفة «كل» والراجع إليه محذوف، وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر[1].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب قال: أخبرني ابن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «ولكل جعلنا موالي ممّا ترك الوالدان والأقربون» قال: إنّما عنى بذلك اولي الأرحام في المواريث، ولم يعن أولياء النعمة، فأولاهم بالميت أقربهم إليه من الرحم التي تجرّه إليها[2].

وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ: موالي الموالاة.

قيل: كان الرجل يعاقد الرجل، فيقول: دمي دمك وهدمي هدمك وحربي

---

(١) من قوله: (وممّا ترك بيان) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢١٧، لاحظ تفسيره لآية ٣٣ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٧٦ كتاب المواريث، باب بلاعنوان، ح٢.

حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله: «واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض»[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم أيضاً: أنّها منسوخة بقوله: «واولوا الأرحام»[٢].

وفي مجمع البيان: عن مجاهد: أنّ معناه فاعطوهم نصيبهم من النصر والعقل، والرفد ولا ميراث[٣].

فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة.

ويؤيده قوله تعالى: «أوفوا بالعقود»[٤].

وقول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في خطبته يوم فتح مكة: ما كان من حلف في الجاهلية فتمسّكوا به، فإنّه لم يزده الإسلام إلّا شدّة، ولا تحدثوا حلفاً في الاسلام[٥].

وروى عبدالرحمن بن عوف أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: شهدت حلف المطيّبين وأنا غلام مع عمومتي فما أحبّ أنّ لي حمر النعم وإنّي أنكثه[٦].

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) إذا والى الرجل الرجل فله ميراثه وعليه معقلته[٧]، يعني ديّة (جناية خطأ)[٨].

---

(١) لاحظ جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جرير الطبري: ج ٥ ص ٣٣ في تفسيره لآية ٣٣ من سورة النساء. وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج٢ ص٥١٠ في تفسيره للآية الشريفة. ومجمع البيان: ج٣ ص٤٢ في تفسيره للآية الشريفة.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٧ ولفظه (وكان المواريث في الجاهلية على الإخوة لا على الرحم، وكانوا يورثون الحليف والموالي الذين أعتقوهم، ثم نزل بعد ذ [illegible] واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» نسخت هذه).

(٣ و٤ و٥ و٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤١.

(٧) الكافي: ج ٧ ص ١٧١، كتاب المواريث، باب ولاء [illegible] ح٣.

(٨) في النسخة ـ أ ـ: جناية خطئه والصحيح ما أثبتناه من المصدر.

وقيل: المراد الأزواج على أنّ العقد عقد النكاح[١].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن ابن محبوب قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله (عزّوجلّ): «ولكل جعلنا موالي ممّا ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم»[٢] قال: إنّما عنى بذلك الأئمّة (عليهم السلام)، بهم عقد الله (عزّوجلّ) أيمانكم[٣].

وتوجيه هذا التأويل أنّ قوله (عزّوجلّ): «ولكل جعلنا موالي» ولكلّ أُمّة من الأُمم جعلنا موالي أولياء أنبياء وأوصياء، لقول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (ألست أولى بكم من أنفسكم)؟ قالوا: بلى، فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) وقوله: «ممّا ترك الوالدان» من العلوم والشريعة. والوالدان، هم النبيّ والوصي (صلّى الله عليهما) لقوله (صلّى الله عليه وآله):(ياعلي أنا وأنت أبوا هذه الأمّة)، وقوله: «والأقربون» أي إليهما في النسب والعلوم والعصمة، وقوله: «والذين عقدت أيمانكم» وهم الأئمّة، أي والذين عقدت ولايتهم أيمانكم، وهو إيمان الدين، لا إيمان جمع يمين، ليصحّ التأويل، وقوله: «واتوهم نصيبهم» المفروض لهم من الولاية والطاعة.

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢١٧ في تفسيره لآية ٣٣ من سورة النساء، قال في بيان معنى الآية (أو الأزواج على أنّ العقد عقد النكاح).

(٢) قوله: «ولكل جعلنا موالي» يعني ولكلّ ميت جعلنا موالي، أي ورّاثاً يرثونه ممّا تركه، فقوله: (من) صلة للموالي باعتبار أنّهم الوارثون وفاعل (ترك) ضمير يعود إلى (كلّ)، وقوله: «الوالدان والأقربون» وما عطف عليها وهو قوله: «والذين عقدت ايمانكم» استئناف مفسّر للموالي والأقربون، يتناول الأولاد، كما أنّ الوالدين يتناول الأجداد والجدات أيضاً، وقوله: (إنّما عنى بذلك) أي بقوله: «والذين عقدت ايمانكم» الأئمّة (عليهم السلام)، بهم عقد الله تعالى أيمانكم، يعني بيعتكم وعهدكم في الميثاق، وصريح في أنّ الإمام وارث لمن مات من هذه الأمّة، إلاّ أنّه وارث من لاوارث له. هذا الذي ذكره (عليه السلام) أولى ممّا قيل، من أنّ المراد بذلك ضامن الجريرة، أو الأزواج على أنّ المراد بالعقد عقد النكاح، لأنّه أعلم بالكتاب وبما هو المراد منه، والحديث صحيح (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٥ ص ٣٣٥).

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢١٦ كتاب الحجة، باب أنّ القرآن يهدى للإمام، ح ١.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾

وعلى كل تقدير، وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره.

فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ: أو منصوب بمضمر يفسّره مابعده كقولك: زيداً فاضربه، أو معطوف على «الوالدان» وقوله: «فآتوهم» جملة مسبّبة عن الجملة المتقدّمة مؤكّدة لها والضمير للموالي، وقرأ الكوفيون «عقدت» بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الأخرى.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا: تهديد على منع نصيبهم.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ: يقومون عليهم قيام الولاة على الرعيّة.

وعلّل ذلك بأمرين، موهبي وكسبي، فقال:

بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ: بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوّة في الأعمال والطاعات. ولذلك خصّوا بالنبوّة والإمامة وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا، ووجوب الجهاد والجمعة وزيادة سهمهم في الميراث.

وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ: في نكاحهنّ كالمهر والنفقة.

وفي كتاب علل الشرائع: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه، عن أحمد

ابن أبي عبدالله، عن أبي الحسن البرقي، عن عبدالله بن جبلة، عن معاوية بن عمار، عن الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فسأله أعلمهم عن مسائل؛ فكان فيما سأله أن قال: مافضل الرجال على النساء؟ «بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» وقال اليهودي: لأي شيء كان هكذا؟ فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): خلق الله (عزّوجلّ) آدم من طين ومن فضلته وبقيته خلقت حوّاء وأوّل من أطاع النساء آدم فأنزله الله (عزّوجلّ) من الجنة، وقد بيّن فضل الرجال على النساء في الدنيا، ألا ترى إلى النساء كيف يحضن ولايمكنهنّ العبادة من القذارة، والرجال لايصيبهم شيء من الطمث، فقال اليهودي: صدقت يامحمّد[1].

قال البيضاوي: روي أنّ سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، فلطمها، فانطلق بها أبوها إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فشكى، فقال (عليه السلام): لتقتصّ منه، فنزلت، فقال: أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير[2].

ويدلّ على كذب مانقله: ماتواتر من أخبارنا على أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يكن يقدم على أمر لم يوح إليه، وفي هذا الخبر، أنّه حكم برأيه ثم نزلت الآية على خلاف رأيه، وهو خلاف مايجب أن يكون عليه (عليه السلام).

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعات لله، قائمات بحقوق الأزواج.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «قانتات» يقول: مطيعات[3].

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ١٩٨ باب ٢٨٦ العلّة التي من أجلها فضّل الرجال على النساء، ح١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢١٨ في تفسيره لآية ٣٤ من سورة النساء، ونقله في مجمع البيان أيضاً لاحظ: ج٣ ص٤٣.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٧ في تفسيره لآية ٣٤ من سورة النساء.

حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ: أي لمواجب الغيب، أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال.

وقيل: لأسرارهم[١].

وفي تهذيب الأحكام: محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبدالله بن الميمون القداح، عن أبي عبدالله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): مااستفاد امرء مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها. وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله[٢].

بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ: بحفظ الله إيّاهن، بالأمر على حفظ الغيب والحثّ عليه بالوعد والوعيد، والتوفيق له، أو بالذي حفظ الله لهنّ عليهم من المهر والنفقة، والقيام بحفظهنّ، والذبّ عنهن.

وقرئ بالنصب على أنّ «ما» موصولة، فإنّها لو كانت مصدرية لم يكن لـ «حفظ» فاعل[٣].

والمعنى: بالأمر الذي حفظ حقّ الله، أو طاعته، وهو التعفّف والشفقة على الرجال.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج١ ص ٢١٨ في تفسيره لآية ٣٤ من سورة النساء.

(٢) التهذيب: ج ٧ ص ٢٤٠ كتاب النكاح باب ٢٢ السنه في النكاح ح٤.

(٣) (ما) فيها وجهان. أحدهما: أن تكون مصدرية، وتقديره، بحفظ الله لهنّ. والثاني: أن تكون بمعنى الذي. أي، الشيء الذي حفظه الله. وقرئ: (بما حفظ الله) بالنصب، و(ما) على هذه القراءة بمعنى الذي، وتقديره، بالشيء الذي حفظ طاعة الله تعالى وفي (حفظ) ضمير مرفوع هو فاعل يعود إلى (الذي) ولايجوز أن تكون مصدرية على تقدير بحفظهنّ الله، وإن كان صحيحاً في المعنى إلّا أنّه فاسد من جهة الصناعة اللفظية، لأنّ (ما) المصدرية حرف وإذا كانت حرفاً لم يكن في حفظ ضمير عائد إليها، لأنّه لاحظّ للحرف في عود الضمير، فيبقى (حفظ) بلافاعل، والفعل لابد له من فاعل وذلك محال، فوجب أن تكون بمعنى الذي على مابيّنّا. (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ص٢٥٢).

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ: أي عصيانهن، وترفعن عن مطاوعتكم، من النشز، وهو الارتفاع في مكان.

فَعِظُوهُنَّ: بالقول.

وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ: أي لم ينجع القول.

قيل: فلا تدخلوهنّ تحت اللحف ولا تباشروهنّ، فيكون كناية عن الجماع[1].

وقيل: المضاجع المبايت، أي لا تبايتوهنّ[2].

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام)، يحوّل ظهره إليها[3].

وَٱضْرِبُوهُنَّ: إن لم تنفع الهجرة، ضرباً غير شديد، لايقطع لحماً ولايكسر عظماً.

وفي المجمع: عن الباقر (عليه السلام) إنه الضرب بالسواك[4].

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا: بالتوبيخ والإيذاء.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا: فاحذروه، فإنه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم. أو إنه على علوّشأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم، فأنتم أحقّ بالعفو عن أزواجكم، أو إنه يتعالى ويكبر أن يظلم أحداً، أو ينقص حقه.

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا: خلافاً ونزاعاً بين المرء وزوجه لايرجى معه الاجتماع على رأي، كان كلّ واحد في شقّ، أي جانب. وأضمرهما وإن لم يسبق

(١ و٢) نقلها البيضاوي: ج ١ ص ٢١٨ في تفسيره لآية ٣٤ من سورة النساء.

(٣ و٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٤ في تفسيره لآية ٣٤ من سورة النساء.

ذكرهما، لسبق مايدلّ عليهما. وأضاف الشقاق إلى الظرف، إما لإجرائه مجرى المفعول به، كقوله:

يا سارق الليلة[١].

أو الفاعل. كقولهم: نهارك صائم، مجازاً عقلياً في الإضافة.

فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ: قيل: الخطاب للحكّام، وقيل: للأزواج والزوجات.

وفي مجمع البيان: واختلف في المخاطب بإنفاذ الحكمين من هو؟ فقيل: هو السلطان الذي يترافع الزوجان إليه، وهو الظاهر في الأخبار عن الصادق (عليه السلام)[٢].

والبعث، قيل: لتبيين الأمر، والأظهر أنّه لإصلاح ذات البين. وكونه من أهلها على سبيل الوجوب، فإنّ الأقارب أعرف ببواطن الأحوال.

إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ: أمّا الضمير الأوّل للحكمين، والثاني للزوجين، أي إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين، أو كلاهما للحكمين، أي إن قصدا الإصلاح يوفّق الله بينهما، ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما. أوللزوجين، أي إن أرادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الإلفة والوفاق.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن هذه الآية: قال: ليس للحكمين أن يفرّقا حتى يستأمرا الرجل والمرأة ويشترطا عليهما، إن شئنا جمعنا وإن شئنا فرّقنا، فإن جمعا فجائز، وإن فرّقا فجائز[٣].

---

(١) وتمامه (أهل الدار يا آخذاً مالي ومال جاري) لم يسم قائله. السارق فاعل من سرق منه الشيء أي جاء مستتراً إلى حرز فأخذ مالغيره، وأهل الدار منصوب على التحذير، أي احذر أهل الدار، والآخذ فاعل من الأخذ بمعنى التناول، والجار بالجيم والراء المهملة الذي يجاور بيتك (جامع الشواهد: ص ٣٧٠ باب الياء بعده الألف).

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٤ في تفسيره لآية ٣٥ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ١٤٦ كتاب الطلاق، باب الحكمين والشقاق، ح ٢.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن سماعة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن هذه الآية؟ أرأيت إن استأذن الحكمان، فقالا للرجل والمرأة، أليس قد جعلتما أمركما إلينا في الإصلاح والتفريق، فقال الرجل والمرأة نعم، فأشهدا بذلك شهوداً عليهما، أيجوز تفريقهما عليهما؟ قال: نعم، ولكن لايكون إلّا على طهر من المرأة من غير جماع من الرجل، قيل له: أرأيت إن قال أحد الحكمين: قد فرّقت بينهما، وقال الآخر: لم أُفرّق بينهما؟ فقال: لايكون تفريق حتى يجتمعا جميعاً على التفريق، فإذا اجتمعا على التفريق جاز تفريقهما[١].

وفيه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة قال: سألت العبد الصالح (عليه السلام) عن قول الله (تبارك وتعالى): «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» فقال: يشترط الحكمان إن شاءا فرّقا، وإن شاءا جمعا ففرّقا أو جمعا جاز[٢].

حميد بن زياد، عن ابن سماعة، عن عبدالله بن جبلّة، عن على بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» قال الحكمان يشترطان إن شاءا فرّقا وإن شاءا جمعا فإن جمعا فجائز وإن فرّقا فجائز[٣].

وعن محمد بن يحيى، عن عبدالله بن جبلّة وغيره، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من اهلها» قال: ليس للحكمين أن يفرّقا حتى يستأمرا[٤].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: وأتىٰ علي بن أبي طالب (عليه السلام) رجل وامرأة على هذه الحال فبعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها وقال للحكمين هل

(١) الكافي: ج ٦ ص ١٤٦ كتاب الطلاق، باب الحكمين والشقاق، ح٤.
(٢) الكافي: ج ٦ ص ١٤٦، كتاب الطلاق، باب الحكمين والشقاق، ح١.
(٣) الكافي: ج ٦ ص ١٤٦، كتاب الطلاق، باب الحكمين والشقاق، ح٣.
(٤) الكافي: ج ٦ ص ١٤٧، كتاب الطلاق، باب الحكمين والشقاق، ح٥.

تدريان ما الحكمان احكما إن شئتما فرّقتما وإن شئتما جمعتما، فقال الزوج: لا أرضى بحكم فرقة ولا أُطلّقها فأوجب عليه نفقتها ومنعه أن يدخل عليها(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾: بالظواهر والبواطن، فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق.

وفي كتاب الاحتجاج: وروي أنّ نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن علي بن الحسين (عليهم صلوات الله) فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) في عرض كلامه: قل لهذه المارقة: بما استحللتم فراق أميرالمؤمنين (عليه السلام) وقد سفكتم دماؤكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته؟ فيقولون لك: إنّه حكم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله في شريعة نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بين رجلين من خلقه فقال جل اسمه: «فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما»(٢)(٣). والحديث

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ١٣٨.

(٢) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٢٤ س ٥، احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) في شيء ممّا يتعلّق بالأصول والفروع، وتمام الحديث (وحكّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سعد ابن معاذ في بني قريظة، فحكم بما أوصاه الله، أو ما علمتم أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه، واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال، وقال حين قالوا له: حكّمت على نفسك من حكم عليك، فقال: ما حكّمت مخلوقاً، إنّما حكّمت كتاب الله، فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشترط ردّ ما خالفه، ولولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان. فقال نافع بن الأزرق: هذا والله ما طرق بسمعي قط ولا خطر منّي ببال، هو الحقّ إن شاء الله تعالى).

(٣) ويعجبني أن أثبت هنا بمناسبة المقام ما أثبته الصدوق (قدّس سرّه) في الفقيه: ج ٣ ص ٣٣٧ باب الشقاق، بعد نقله الحديث الذي قدّمناه على الحلبيّ، قال ما لفظه:

(قال مصنف هذا الكتاب (رحمه الله) لمّا بلغت هذا الموضع ذكرت فصلاً لهشام بن الحكم مع بعض المخالفين في الحكمين بصفّين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، فأحببت إيراده، وإن لم يكن من جنس ما وضعت له الباب. قال المخالف: إنّ الحكمين لقبولهما الحكم كانا مريدين للإصلاح بين الطائفتين، فقال هشام: بل كانا غير مريدين للإصلاح بين الطائفتين، فقال المخالف: من أين قلت هذا؟ قال هشام: من قول الله (عزّوجلّ) في الحكمين، حيث يقول: «إن ←

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: صنماً وغيره، أو شيئاً من الإشراك جلياً أو خفياً.

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا: وأحسنوا بهما إحساناً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أحد الأبوين وعليّ الآخر، فقلت: أين موضع ذلك من كتاب الله؟ قال: اقرأ «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً»[1].

عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «وبالوالدين إحساناً» قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أحد الأبوين وعليّ الآخر. وذكر أنّها الآية التي في سورة النساء[2].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي قال: حدّثني سعيد بن الحسن بن مالك،

يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما» فلما اختلفا ولم يكن بينهما اتفاق على أمر واحد ولم يوفق الله بينهما، علمنا أنهما لم يريدا الإصلاح.

(١) لم نعثر عليه في تفسير علي بن إبراهيم ونقلناه عن تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤١ ح ١٢٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤١ ح ١٢٩.

معنعناً عن أبي مريم الأنصاري قال: كنّا عند جعفر بن محمد (عليهما السلام)، فسأله أبان بن تغلب عن قول الله تعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً» قال: هذه الآية التي في النساء مَن الوالدين؟ قال جعفر: رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهما الوالدان[1].

وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ: وبصاحب القرابة.

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ: الذي قرب جواره.

وقيل: الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين[2].

وقرئ بالنصب على الاختصاص.

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ: أي البعيد، أو الذي لاقرابة له.

في اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن عمرو بن مكرمة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): كلّ أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله[3].

وفيه: عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله[4][5].

وفي معاني الأخبار: أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن

---

(١) تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: ص ٢٧ من سورة النساء س ٢٥.

(٢) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢١٩ في تفسيره لآية ٣٦ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩ كتاب العشرة، باب حد الجوار، ح١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩ كتاب العشرة، باب حد الجوار، ح ٢.

(٥) واعلم أنّ مادلّ عليه هذا الحديث من أنّ الجوار أربعون داراً من كلّ جانب مذهب طائفة من أصحابنا، وذهب جماعة منهم الشهيد الأوّل في اللمعة إلى أنّه أربعون ذراعاً، وقال الشهيد الثاني: الأقوى في الجيران الرجوع إلى العرف، لأنّ مستند الأوّل رواية عاميّة روتها عائشة عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: الجار إلى أربعين داراً، والثاني وإن كان مشهوراً مستنده ضعيف. وكأنّه غفل عن هاتين الروايتين وجعل مستند الأوّل رواية عائشة (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج١١ص١٣٢)

أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك ماحدّ الجار؟ قال: أربعون ذراعاً من كلّ جانب[١].

والتوفيق بين هذا الخبر والخبرين الأوّلين: إنّ المراد بالجار في هذا الخبر، الجار ذي القربى، وفي الأوّلين الجار الجنب.

وفي من لايحضره الفقيه: في الحقوق المرويّة عن علي بن الحسين (عليهما السلام): وأمّا حقّ جارك فحفظه غائباً وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، وإن علمت عليه سوء سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنوبه، وتعاشره معاشرة كريمة ولاقوة إلّا بالله[٢].

وعن الصادق (عليه السلام): حسن الجوار يزيد في الرزق[٣].

وقال: حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الأعمار[٤].

وعن الكاظم (عليه السلام): ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى[٥].

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الجيران ثلاثة، فجار له ثلاثة حقوق، حقّ الجوار وحقّ القرابة وحقّ الإسلام. وجار له حقّان، حقّ الجوار وحقّ الإسلام. وجار له حقّ واحد، حقّ الجوار، وهو المشرك من أهل الكتاب. ذكر هذا الخبر البيضاوي والفاضل الكاشي في تفسيره[٦].

---

(١) معاني الأخبار: ص ١٦٥ باب معنى الجار وحدّ المجاورة ح١.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٧٩ باب ٢٢٦ الحقوق، ح١ س١٧.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٦ كتاب العشرة، باب حق الجوار، ح ٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧ كتاب العشرة، باب حق الجوار، ح ٨.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧ كتاب العشرة، باب حق الجوار، ح ٩.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢١٩، في تفسيره لآية ٣٦ من سورة النساء (والجار الجنب) ورواه أيضاً في الصافي: ج١ ص ٤١٦ في تفسيره للآية.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾: الرفيق في أمر حسن، كتعلّم وتصرّف وصناعة وسفر وتزوّج، فإنّه صحبك وحصل بجنبك.

وقيل: المرأة[١].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله، عن آبائه (عليهم السلام): أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) صاحب رجلاً ذمّياً، فقال له الذمّيّ: أين تريد ياعبدالله؟ قال: أريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذمّيّ، عدل معه أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فقال له الذمّيّ: ألست زعمت أنّك تريد الكوفة؟ قال: له: بلى، فقال له الذمّيّ فقد تركت الطريق، فقال له: قد علمت، قال: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له أميرالمؤمنين (عليه السلام): هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمر نبيّنا (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقال له الذمّيّ: هكذا؟ قال: نعم، قال الذمّيّ: لاجرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، فأنا أشهد أنّي على دينك ورجع الذمّيّ مع أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فلمّا عرفه أسلم[٢].

وفي من لايحضره الفقيه: وأمّا حقّ الصاحب فأن تصحبه بالمودّة والإنصاف وتكرمه كما يكرمك ولا تدعه يسبقك الى معونة فإن سبق كافيته وتودّه كما يودّك وتزجره عمّا يهمّ به من معصية وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً ولاقوة إلّا بالله[٣].

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر، أو الضيف.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: العبيد والإماء.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢١٩، في تفسيره لآية ٣٦ من سورة النساء، قال (وقيل: هي المرأة تكون معك إلى جنبك).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٧٠، كتاب العشرة، باب حسن الصحابة وحقّ الصاحب في السفر، ح ٥.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٧٩، باب ٢٢٦ الحقوق، ح ١ س ٢٠.

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا: متكبّراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه، ولايلتفت إليهم.

فَخُورًا: يتفاخر عليهم.

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ: بدل من قوله: «من كان» أو نصب على الذمّ، أو رفع عليه، أي هم الذين، أو مبتدأ خبره محذوف، أي الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به، أحقّاء بكلّ ملامة.

في كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام): قال ماكان في شيعتنا فلايكون فيهم ثلاثة أشياء. لايكون فيهم من يسأل بكفّه، ولايكون فيهم بخيل، الحديث[1].

عن عبدالله بن غالب، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): خصلتان لايجتمعان في مسلم، البخل وسوء الخلق[2].

عن أحمد بن سليمان قال: سأل رجل أبا الحسن (عليه السلام)، وهو في الطواف، فقال له: أخبرني عن الجواد؟ فقال: إنّ لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوقين، فإنّ الجواد الذي يؤدّي ماافترض الله تعالى عليه، والبخيل من يبخل بما افترض الله عليه. وإن كنت تعني الخالق، فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد

---

(١) الخصال: ص ١٣١ باب الثلاثة ثلاث خصال لاتكون في الشيعة، ح ١٣٧ وتمام الحديث (ولايكون فيهم من يؤتى في دبره).

(٢) الخصال: ص ٧٥ باب الاثنين خصلتان لايجتمعان في مسلم، ح ١١٧.

إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطى ماليس له، وإن منع، منع ماليس له(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ليس البخيل من أدّى الزكاة المفروضة من ماله وأعطى البائنة في قومه(٢)، إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ المفروضة من ماله ولم يعط في قومه، وهويبذّر فيما سوى ذلك(٣).

وروي عن المفضّل بن أبي قرة السمندي أنّه قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): أتدري من الشحيح؟ فقلت: هو البخيل، فقال: الشحّ أشدّ من البخل، إنّ البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشحّ بما في أيدي [الناس وعلى مافي يديه حتى لايرى في أيدي](٤) الناس شيئاً إلّا تمنى أن يكون له بالحلّ والحرام ولايقنع بما رزقه الله (عزّوجلّ)(٥).

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): إذا لم يكن لله (عزّوجلّ) في العبد حاجة ابتلاه بالبخل(٦).

وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين، وهي لغة.

وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ: من الغنى والعلم حيث ينبغي الإظهار.

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا: وضع الظاهر فيه موضع المضمر، إشعاراً بأنّ من هذا شأنه، فهو كافر لنعمة الله، ومن كان كافراً فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء.

---

(١) الخصال: ص ٤٣ باب الاثنين الجواد على وجهين، ح ٣٦.

(٢) البائنة: القطيعة، سمّيت بها، لأنّها أبينت من المال (الوافي: ص٦٩ كتاب الزكاة باب الجود والبخل.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٤ باب ١٦ فضل السخاء والجود ح ٨ وفيه (النائبة) بالنون والألف والهمزة والباء الموحدة، في المقامين.

(٤) مابين المعقوفتين ليس في النسخة ـ أ ـ واثبتناه من المصدر لاقتضاء السياق.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٤ باب ١٦ فضل السخاء والجود ح٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٥ باب ١٦ فضل السخاء والجود ح ١١.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

قيل: الآية نزلت في طائفة من اليهود، يقولون للأنصار تنصيحاً، لا تنفقوا أموالكم، فإنّا نخشى عليكم الفقر.

وقيل: في الذين كتموا صفة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1].

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ: عطف على «الذين يبخلون» أو الكافرين، شاركهم مع البخلاء في الذمّ والوعيد، لأنّ البخل والسرف الذي هو الإنفاق لاعلى ماينبغي، من حيث أنّهما طرفا إفراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذمّ. أو مبتدأ خبره محذوف يدلّ عليه مابعده، أي قرينهم الشيطان.

وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ: لتحرّوا بالإنفاق مراضيه وثوابه.

قيل: هم مشركوا مكة. وقيل: المنافقون.

وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا: تنبيه على أنّ الشيطان قرينهم، فحملهم على ذلك وزيّنه لهم، كقوله: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين»[2] والمراد إبليس وأعوانه. ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار.

(١) من قوله: (وقرأ حمزة والكسائي) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص٢١٩، لاحظ تفسيره لآية ٣٧ من سورة النساء.

(٢) الإسراء: ٢٧.

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ: أي أيّ تبعة تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله، وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة، والاعتقاد في الشيء على خلاف ماهو عليه، وتحريض على الفكر لطلب الجواب، لعلّه يؤدّي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة، وتنبيه على أنّ المدعو إلى أمر لاضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه إحتياطاً، فكيف إذا تضمّن المنافع.

وإنّما قدّم الإيمان ههنا وأخّره في الآية السابقة؛ لأنّ القصد بذكره إلى التخصيص هنا والتعليل ثمّة[1]. أو لأنّ المقصود في السابق ذمّهم وفي تأخير عدم الإيمان سلوك مسلك الترقّي، والمقصود ههنا إزالة الأوصاف الذميمة، وإزالة الكفر يستحقّ التقديم، لأنّ إزالة الإنفاق رياء موقوفة على إزالته، ولأنّ إزالة الأقبح أهم.

وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا: وعيد لهم.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: لا ينقص من الأجر ولايزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة، وهي النملة الصغيرة. ويقال لكلّ جزء من أجزاء الهباء[2].

والمثقال: مفعال من الثقل. وفي ذكره إيماء إلى أنّه وإن صغر قدره، عظم جزاؤه، حيث أثبت للذرّة ثقلاً، وإيماء إلى أنّ وضع الشيء في غير محلّه وإن كان حقيراً، فهو عظيم ثقيل في القبح.

وَإِن تَكُ حَسَنَةً: وإن تك مثقال الذرّة حسنة. وأنّث الضمير لتأنيث الخبر، أو لإضافة المثقال إلى المؤنث، وحذف النون من غير قياس، تشبيهاً بحروف العلّة.

وقرأ ابن كثير ونافع «حسنة» بالرفع على كان التامّة.

يُضَاعِفْهَا: أي ثوابها، أو الحسنة نفسها، بناء على تجسّم الأعمال.

---

(١) من قوله: (عطف على الذين) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢١٩، لا حظ تفسيره ٣٩ من سورة النساء.

(٢) الهباء مايخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه الغبار (مجمع البحرين: ج١ ص٤٦٩، لغة هبا).

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾

وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب «يضعفها» وكلاهما بمعنى.

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ: ويؤت صاحبها من عنده على سبيل التفضّل على ماوعد في مقابلة العمل.

أَجْرًا عَظِيمًا: عطاء جزيلاً، وإنّما سمّاه أجراً، لأنّه تابع للأجر مزيد عليه.

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ: فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كلّ امة بشهيد، يعني نبيّهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم.

والفاء في «فكيف» للفضيحة، أي إذا عرفت حال هؤلاء.

والظرف، أعني «إذا» متعلق بـ«كيف» أي كيف حال هؤلاء في هذا الوقت[1].

وَجِئْنَا بِكَ: يا محمد.

عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا: تشهد على صدق هؤلاء الشهداء، لعلمك بعقائدهم، واستجماع شرعك مجامع قواعدهم.

وقيل: «هؤلاء» إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم، وقيل: إلى المؤمنين، لقوله تعالى: «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[2].

---

(١) في هامش نسخة ماهذا لفظه (ردّ على البيضاوي حيث جعله متعلّقاً بمضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن. منه. دام عزّه) ولفظ البيضاوي: ج١ ص٢٢٠ هكذا (والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن) لاحظ تفسيره لآية ٤١ من سورة النساء.

(٢) البقرة: ١٤٣.

في كتاب التوحيد: عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، حديث طويل وفيه يقول (عليه السلام) وقد ذكر أهل المحشر: ثم يجتمعون في مواطن أُخر، فيستنطقون، فيفرّ بعضهم من بعض، فذلك قوله (عزّوجل): «يوم يفر المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبيته وبنيه»[١] فيستنطقون، فلا يتكلّمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقوم الرسل (عليهم السلام) فيشهدون في هذه المواطن، فذلك قوله: «فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً»[٢].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث يذكر فيه أحوال أهل الموقف وفيه: فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم، فيخبروا أنّهم قد أدّوا ذلك إلى أممهم، وتسأل الأمم فيجحدونه، كما قال الله: «فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين»[٣] فيقولون «ما جاءنا من بشير ولا نذير»[٤] فيستشهد الرسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيشهد بصدق الرسل ويكذّب من جحدها من الأُمم، فيقول لكل أمّة منهم بلى «قد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير»[٥] أي يقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم؛ ولذلك قال الله تعالى لنبيّه: «فكيف إذا جئنا من كلّ امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» فلا يستطيعون ردّ شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم وأن يشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون، ويشهد على منافقي قومه وأمّته وكفّارهم بإلحادهم وعنادهم ونقضهم عهوده وتغييرهم سنّته واعتدائهم على أهل بيته وانقلابهم على أعقابهم وارتدادهم على أدبارهم، واحتذائهم في ذلك سنّة من تقدّمهم من الأُمم الظالمة الخائنة لأنبيائها،

---

(١) عبس: ٣٦.

(٢) التوحيد: ص ٢٦١ باب ٣٦ الرّد على الثنويّة والزنادقة س٦.

(٣) الأعراف: ٦.

(٤ و٥) المائدة: ١٩.

فيقولون بأجمعهم «ربناغلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ظالمين»(١)(٢).

وفي أصول الكافي: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن سماعة قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): في هذه الآية، قال: نزلت في أمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خاصّة في كلّ قرن(٣) منهم إمام منّا شاهد عليهم ومحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) شاهد علينا(٤).

وفي شرح الآيات الباهرة مثله سواء(٥).

أقول: نزول هذه الآية في هذه الأمّة، لاينافي عموم حكمها، فلا تنافي بين الأخبار.

وفي مجمع البيان: وروي أنّ عبدالله بن مسعود قرأ هذه الآية ففاضت عيناه(٦).

---

(١) المؤمنون: ١٠٦.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٢، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القران متشابهة... ص٢١.

(٣) قوله: (في كلّ قرن) في النهاية: ج ٤ ص ٥١ القرن أهل كلّ زمان: و هومقدار التوسّط في أعمار أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، وقيل: القرن أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: هومطلق الزمان.
قوله: (شاهد عليهم) يوم القيامة بما علم منهم من خير وشرّ، كما أنّ عليهم شاهداً من الملائكة والأعضاء لقوله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون».
قوله: (شاهد علينا) الظاهر أنّ المراد بضمير المتكلّم الأئمّة (عليهم السلام)، واحتمال إرادة جميع الأمّة بعيد.
وتحقّق هذه الشهادة: أنّ النفس القدسية النبويّة مع كونها متعلّقة بالبدن كانت مطلعة على الأمور الغائبة، فكيف إذا فارقه، فإنّها إذن تكون مطلعة على جميع أفعال الأمم من خير أو شرّ قطعاً. وأمّا فائدتها فلأنّ الناس إذا علموا أنّ لهم شهيداً ورقيباً وكتاباً لما يفعلون كان ذلك ادعى لهم إلى الطاعة والقربات وأمنع لهم عن المعصية والشهوات، لاحترازهم عن الافتضاح في محفل القيامة على رؤوس الأشهاد (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج٥ ص١٩٣).

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٩٠ كتاب الحجة باب في أنّ الأئمّة شهداء الله (عزّوجلّ) على خلقه، ح ١.

(٥) لايوجد لدينا هذا الكتاب ووجدناه في تأويل الآيات الظاهرة: ص١٣٥.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٩ في تفسيره لآية ٤١ من سورة النساء.

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ: بيان لحالهم حينئذٍ، أي يودّ الذين كفروا بمعصية الرسول في ذلك الوقت أن تسوّى بهم الأرض كالموتى، أو لم يبعثوا، أو لم يخلقوا، وكانوا هم والأرض سواء.

وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا: عطف على «يودّ» أي يومئذٍ لايقدرون على كتمان حديث من الله، لأنّ جوارحهم تشهد عليهم.

وقيل: الواو للحال، أي يودّون أن تسوّى بهم الأرض وحالهم أنّهم لايكتمون من الله حديثاً ولايكذّبونه بقولهم: «والله ربنا ماكنا مشركين» يشتدّ عليهم الأمر من شهادة جوارحهم فيتمنّون أن تسوّى بهم الأرض.

وفي تفسير العياشي: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام)، عن جدّه، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في خطبة يصف فيها هول يوم القيامة ختم على الأفواه فلا تكلّم، وتكلّمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثاً[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: يتمنّى الذين غصبوا أميرالمؤمنين (عليه السلام) أن تكون الأرض ابتلعتهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غصبه، وأن لايكتموا ماقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيه[٢].

وقرأ نافع وابن عامر «تسوى» على أن أصله تستوي فادغمت التاء في السين. وحمزة والكسائي تسوّى على حذف التاء الثانية، يقال: سوّيته فتسوّى[٣].

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٢ ح ١٣٣.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٩ س ٩ في تفسيره لآية ٤٩ من سورة النساء.

(٣) وقرئ تسوّى بتشديد السين والواو وفتح التاء. وتسوّى بتخفيف السين وفتح التاء. فمن قرأ بتشديد
←

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ:
أي لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم وكسل وغيرذلك، حتى تعلموا وتفهموا ماتقولون في صلاتكم.

قال البيضاوي: روي أن عبدالرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعى نفراً من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا[١]، وجاء وقت صلاة المغرب، فتقدّم أحدهم ليصلّي بهم فقرأ «أعبد ماتعبدون» فنزلت.

قال: وقيل: أراد بالصلاة مواضعها، وهي المساجد.

وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة، وإنّما المراد منه النهي عن الإفراط بالشرب.

السين والواو كان التقدير فيه (تتسوّى) فأبدلت التاء الثانية سيناً لقرب مخرجها وأدغمت السين في السين. ومن قرئ تسوّى بتخفيف السين حذف إحدى التائين (البيان لابن الأنباري: ص٢٥٤).

(١) ثمل الرجل كفرح فهو ثمل، إذا أخذ فيه الشراب (مجمع البحرين: ج٥ ص٣٣٢ لغة ثمل) وقد كتب بعض أهل اللغة وبعض أصحاب التفسير من العامّة هنا في معنى الكلمة وتفسير الآية بعض الترّهات التي يخجل القلم عن كتابته وتنكره العقول السليمة، ويستنكر نشره أرباب المروآت، عصمنا الله وجميع المسلمين عن مثل هذه الزلّات وعن اتباع هذه الضلالات. آمين.

والسكر من السكر، وهو السدّ[١].

وما قاله: مبنيّ على أنّ الخمر كان حلالاً في أوّل الإسلام، وقد قدّمنا مايدلّ على خلافه، بل المراد منه النهي عن قربان الصلاة في حالة سكر النوم والكسل وغيره.

وفي تفسير العياشي: عن الحلبي قال: سألته عن هذه الآية قال: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ» يعني سكر النوم، يقول: بكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ماتقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم، وليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشراب، والمؤمن لايشرب مسكراً ولايسكر[٢].

وفي كتاب علل الشرائع: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه: قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)وذكر حديثاً طويلاً، وفيه يقول (عليه السلام): لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولامتناعساً ولامتثاقلاً، فإنّها من خلال النفاق، وقد نهى الله (عزّوجلّ) المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى، يعني من النوم[٣].

وفي الكافي مثله[٤].

وفيه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي اسامة زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) قول الله (عزّوجلّ): «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» قال: سكر النوم[٥].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٢١ في تفسيره لآية ٤٣ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٦ ح ١٣٧.

(٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٧ باب ٧٤ علّة الإقبال على الصلاة وعلّة النهي عن التكفير وعلّة النهي عن القيام إلى الصلاة على غير سكون ووقار، قطعة من ح١.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٢٩٩، كتاب الصلاة، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث قطعة من ح١.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٣٧١ كتاب الصلاة، باب بناء المساجد وما يؤخذ منها والحدث فيها من النوم وغيره ح١٥.

وفي من لايحضره الفقيه: وروى زكريا النقاض، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» قال: منه سكر النوم[١].

وفي كتاب الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه: السكر أربع سكرات: سكر الشراب، وسكر المال، وسكر النوم، وسكر الملك[٢].

وأمّا مارواه في مجمع البيان عن موسى بن جعفر (عليه السلام): أنّ المراد به سكر الشراب[٣].

فمحمول على التقيّة، لأنّه موافق لمذهب العامّة كما نقلنا عنهم.

وقد روى فيه عن أبي جعفر (عليه السلام): أنّ المراد به سكر النوم خاصة[٤].

وقرئ «سكارى» بالفتح، وسكرى على أنّه جمع كهلكى، أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى، وسكرى كحبلى على أنّها صفة الجماعة.

وَلَا جُنُبًا: قيل: عطف على قوله: «وأنتم سكارى» إذ الجملة في موضع النصب على الحال.

والجنب: الذي أصابته الجنابة، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع، لأنّه يجري مجرى المصدر.

إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ: قيل: متعلق بقوله: «ولا جنباً» استثناء من أعمّ الأحوال، أي لا تقربوا الصلاة جنباً في حال من الأحوال إلّا في حال السفر، وذلك إذا لم يجد الماء وتيمّم. ويدلّ عليه تعقيبه بذكر التيمّم، أو صفة لقوله: «جنباً» أي جنباً غير عابري سبيل.

وفيه دلالة على أنّ التيمّم لايرفع الحدث[٥].

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج١ ص ٣٠٣ باب ٦٦ وقت صلاة الليل ح١٢.

(٢) الخصال: ص ٦٣٦ حديث الأربعمائة س٩.

(٣و٤) مجمع البيان: ج٣ ص٥١ و٥٢ في نقله المعنى لآية ٤٣ من سورة النساء.

(٥) من قوله: (وقرئ سكارى بالفتح) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص٢٢١، لاحظ تفسيره لآية ٤٣ من سورة النساء.

وقيل: المراد بالصلاة، مواضع الصلاة، وبعابري سبيل، المجتازون فيها.

وقيل: في الآية الكريمة قد استخدم سبحانه بلفظ الصلاة لمعنيين.

أحدهما: إقامة الصلاة، بقرينة قوله: «حتى تعلموا ماتقولون».

والآخر: موضع الصلاة بقرينة قوله (جلّ شأنه): «ولاجنباً إلّا عابري سبيل»[(١)].

وفيه: أنّ الاستخدام، إمّا بذكر لفظ وإرادة معنى، وبضميره معنى آخر. أو بإرجاع ضميرين إلى شيء، والإرادة من كلّ من ضميريه غير ماأُريد بالآخر، لا ثالث له، وفي الآية ليس كذلك.

والأوجه أن يقال: بحذف «تقربوها» بعد كلمة «لا» معطوفاً على الجملة السابقة، والحمل على الاستخدام حتى لا تلزم مخالفة قاعدة الاستخدام، ويطابق الأخبار الأُولة الدالّة على أنّ المراد بالصلاة معناها والأخبار الدالّة على أنّ المراد هنا، المساجد.

ففي كتاب علل الشرائع: أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا؟ قال: الحائض والجنب لايدخلان المسجد إلّا مجتازين، إنّ الله تعالى يقول: «ولاجنباً إلّا عابري سبيل حتى تغتسلوا». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[(٢)].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: سئل الصادق (عليه السلام) عن الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا؟ فقال: الحائض والجنب لايدخلان المسجد إلّا مجتازين فإنّ الله تعالى يقول: «ولاجنباً إلّا عابري سبيل حتى تغتسلوا» ويضعان فيه الشيء

---

(١) نقله في الصافي: ج ١ ص ٤٢٠، لاحظ تفسيره لآية ٤٣ من سورة النساء.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٧٢ باب ٢١٠ العلّة التي من أجلها يجوز للحائض والجنب أن يجوزا في المسجد ولايضعا فيه شيئاً، ح ١.

ولايأخذان منه، فقلت: فما بالهما يضعان فيه ولايأخذان منه؟ فقال: لأنّهما يقدران على وضع الشيء من غير دخول، ولايقدران على أخذ مافيه حتى يدخلا[1].

وقد روي في الكافي: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته كيف صارت الحائض تأخذ مافي المسجد ولا تضع فيه؟ فقال: لأنّ الحائض تستطيع أن تضع مافي يدها في غيره، ولا تستطيع أن تأخذ مافيه إلّا منه[2].

ويمكن دفع المنافاة بين الخبرين بأنّ المراد أنّ الوضع والأخذ إذا كان كلّ منهما مستلزماً للدخول واللبث ودعت الضرورة إلى أخذ ماوضعته سابقاً جاز الأخذ دون الوضع، وإذا لم يكن الوضع مستلزماً للدخول واللبث وكان الأخذ غير مستلزم لهما، جاز الوضع دونه.

﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾: غاية النهي عن القربان حال الجنابة.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾: مرضاً يخاف معه من استعمال الماء، فإنّ الواجد له فاقده معه، أو مرضاً يمنعه عن الوصول إليه. وهذا التقييد وكذا التقييد الآتي مفهوم من قوله: «فلم تجدوا» لأنّه متعلّق بالجمل الأربع.

وفي مجمع البيان: «وإن كنتم مرضى» قيل: نزلت في رجل من الأنصار كان مريضاً ولم يستطع أن يقوم فيتوضّأ، فالمرض الذي يجوز فيه التيمّم، مرض الجراح والكسر والقروح إذا خاف أصحابها من مسّ الماء، عن ابن عباس وابن مسعود والسدّي والضحاك ومجاهد وقتادة، وقيل: هو المرض الذي لايستطيع معه تناول الماء، ولايكون هناك من يناوله، عن الحسن وابن زيد، وكان الحسن لايرخّص للجريح، التيمّم. والمروي عن السيّدين الباقر والصادق (عليهما السلام) جواز التيمّم في جميع ذلك[3].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٣٩ في تفسيره لآية ٤٣ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ١٠٦ كتاب الحيض، باب الحائض تأخذ من المسجد ولا تضع فيه شيئاً ح ١.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٥٢ في نقل المعنى لآية ٤٣ من سورة النساء.

أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ: لا تجدونه فيه.

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ: فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين، ولم يجد ماء.

وأصل الغائط، المطمئن من الأرض.

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ: قيل: أي ماسستم بشرتهن ببشرتكم.

وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة «لمستم».

واستعماله كناية عن الجماع أقلّ من الملامسة، والمراد هنا جامعتم.

ففي الكافي: علي بن إبراهيم [عن أبيه](١)، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «أو لامستم النساء» قال: هو الجماع، ولكن الله ستير يحب الستر فلم يسمّ كما تسمّون(٢).

وفي تفسير العياشي: عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: اللمس هو الجماع(٣).

عن أبي مريم قال قلت: لأبي جعفر: ماتقول في الرجل يتوضّأ ثم يدعو بجاريته فتأخذ بيده حتى ينتهي إلى المسجد فإنّ من عندنا يزعمون أنّها الملامسة؟ فقال: لاوالله مابذلك بأس، وربّما فعلته، وما يعني بهذا أي «لامستم النساء» إلّا المواقعة دون الفرج(٤).

عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سأله قيس بن رمانة قال: أتوضّأ ثم أدعو الجارية فتمسك بيدي فأقوم وأُصلّي، أعليّ وضوء؟ فقال: لا، قال: فإنّهم يزعمون أنّه اللمس، قال: لا، والله مااللمس إلّا الوقاع، يعني الجماع، ثم قال: قد كان أبوجعفر (عليه السلام) بعد ماكبّر يتوضّأ، ثم يدعوا الجارية فتأخذ

---

(١) مابين المعقوفتين ليس في النسخة ـ أ ـ والصحيح ماأثبتناه من المصدر.

(٢) الكافي: ج ٥، ص ٥٥، كتاب النكاح، باب نوادر، ح٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٣ ح ١٤٠. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٣ ح ١٣٩.

بيده فيقوم ويصلّي[١].

﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾: بأن تفقدوه، أو لم تتمكّنوا من استعماله كما سبق. والعبارة: فلم يوجد ماء، والعدول لإرادة هذا المعنى:

﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾: فتعمّدوا تراباً طاهراً.

وفي تفسير العياشي: عن أبي أيوب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: التيمّم بالصعيد لمن لم يجد الماء، كمن توضّأ من غدير من ماء، أليس الله يقول: «فتيمّموا صعيداً طيّباً» قال: قلت: فإن أصاب الماء وهو في آخر الوقت؟ قال: فقال: قد مضت صلاته، قال: قلت له: فيصلّي بالتيمّم صلاة أُخرى؟ قال: إذا رأى الماء وكان يقدر عليه انتقض التيمّم[٢].

وفي كتاب معاني الأخبار: وقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: الصعيد الموضع المرتفع، والطيّب الموضع الذي ينحدر منه الماء[٣].

وقيل: الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره، فيجوز التيمم على الحجر الصلد.

ويدفعه من القرآن قوله في المائدة: «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه»[٤] أي من بعضه.

وجعل «من» لابتداء الغاية تعسّف، إذ لايفهم في مثله إلّا التبعيض.

ومن الحديث قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً)[٥] فلو كان مطلق الأرض طهوراً لكان ذكر التراب مخلاً، وكانت العبارة أن يقول: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا)[٦] كما في الرواية الاخرى.

والآية دلّت على أنّ المسح ببعض الرأس واليدين، لمكان الباء، لالإفادة الباء

(١و٢) تفسير العياشي: ج١ ص٢٤٣و٢٤٤ ح١٤٢و١٤٣.

(٣) بالرغم من الفحص الشديد لم نعثر عليه في معاني الأخبار ولكن رواه في الصافي: ج١ ص ٤٢٠ عند تفسيره لآية ٤٣ من سورة النساء عن معاني الأخبار.

(٤) المائدة: ٦.

(٥) عوالي اللآلئ: ج ٢ ص ١٣ ح ٢٦ وص ٢٠٨ ح ١٣٠.

(٦) عوالي اللآلئ: ج ٢ ص ١٤ ح ٢٧.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

التبعيض حتى يرد أنّ سيبويه صرّح بخلافه، بل لمكانه وكونه حيث لم يحتج إليه لتعدية الفعل بنفسه إلى المفعول.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا: فلذلك يسّر الأمر عليكم ورخّص لكم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا: من رؤية البصر، أي ألم تنظر إليهم. أو القلب، وعدّي بإلى لتضمين معنى الانتهاء.

نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ: قيل: حظاً يسيراً من التوراة، لأنّ المراد أحبار اليهود.

يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ: بالهدى يختارونها على الهدى، أو يستبدلونها بعد تمكّنهم منه، أو حصوله لهم.

قيل: بإنكار نبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1].

وقيل: يأخذون الرشى ويحرّفون التوراة[2].

وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا: أيها المؤمنون.

السَّبِيلَ: سبيل الحقّ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم في هذه الآية: ويشترون الضلالة، يعني ضلّوا في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) «ويريدون أن تضلوا السبيل» يعني أخرجوا الناس من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو الصراط المستقيم[3].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ: منكم.

(١ و٢) نقلها البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ج١ ص ٢٢٢ عند تفسيره لآية ٤٤ من سوره النساء. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ٣٩ في تفسيره لآية ٤٤ من سورة النساء.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

بِأَعْدَائِكُمْ: وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم، فاحذروهم.

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا: يلي أمركم.

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا: يعينكم، فثقوا عليه، واكتفوا به عن غيره.

والباء تزاد في فاعل «كفى» ليؤكّد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا : بيان للذين أوتوا نصيباً. أو لأعدائكم، أو صلة لـ(نصير) أي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم على الاحتمال الأوّل، وخبر مبتدأ محذوف بناء عليه، أو على ما في تفسير علي بن إبراهيم وصفة ذلك المبتدأ.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ :أي من الذين هادوا قوم «يحرفون الكلم» أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، بإزالته عنها وإثبات غيره فيها، كما حرّفوا في وصف محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة ووضعوا مكانه (ادم طوال)[1] أو يؤوّلونه على مايشتهون، فيميلونه عمّا أنزل الله فيه.

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا: قولك.

وَعَصَيْنَا: أمرك.

---

(١) في هامش النسخة مالفظه (الأسمر من يشبه لونه لون الحنطة والأدم من اشتدت سمرته، والربعة من ليس بطويل ولاقصير منه).

وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ: أي مدعو عليك، بلاسمعت، بصمم أو موت. أو اسمع غير مجاب إلى ماتدعو إليه. أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه. أو اسمع كلاماً غير مسمع إيّاك، لأنّ إذنك تنبو عنه فيكون مفعولاً به، أو اسمع غير مسمع مكروهاً من قولهم: اسمعه فلان إذا سبّه. وإنّما قالوه نفاقاً.

وَرَٰعِنَا: انظرنا نكلّمك، أو نفهم كلامك.

لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ: فتلاً بها[1] وصرفاً للكلام إلى مايشبه السب، حيث وضعوا «راعنا» المشابه لما يتسابّون به في موضع «انظرنا» و«غير مسمع» موضع «لاسمعت مكروهاً»، أو فتلاً وضمّاً مايظهرون من الدعاء، والتوقير إلى مايضمرون من السبّ والتحقير نفاقاً.

وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ: استهزاء به وسخرية.

وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا: ولو ثبت قولهم هذا مكان ماقالوا.

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ: أعدل وأسدّ.

ويجب حذف الفعل بعد «لو» في مثل ذلك، لدلالة «ان» عليه ووقوعه موقعه.

وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ: ولكن أبعدهم الله من الهدى بسبب كفرهم.

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا: أي إيماناً قليلاً لايعبأ به، وهو الإيمان ببعض الكتاب والرسل، أو إيماناً ضعيفاً لاإخلاص فيه. ويجوز أن يراد بالقلّة العدم، كقوله:

قليل التشكّي للمهم يصيبه[2].

---

(١) فتله عن وجهه فانفتل، أي صرفه فانصرف، وانفتل عن الصلاة انصرف عنها (مجمع البحرين: ج٥ ص٤٣٩ لغة فتل).

(٢) وبعده: كثير الهوى شتى النوى والمسالك. لتأبّط شرّاً، أو لأبي كبير الهذلي: والمعنى أنّه عديم التشكّي، ليظهر المدح، أي لايشتكي لأجل المهم حال كونه يصيبه، كثير هوى النفس، والشت كالشتات في الأصل مصدر، ويستعملان بمعنى المتفرّق المنتشر، أي نواه ومسالكه شتى، أي كثيرة مختلفة. والنوى اسم جمع نواة، وهي نيّة المسافر (الكشاف: ج١ ص ٥١٨).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

أو إلّا قليلاً منهم قد آمنوا أو يؤمنون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ: الطمس المحو، يقال: طمسته طمساً، محوته، والشيء، استأصلت أثره.

قيل: أي من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها، يعني الاقفاء[1]، أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة[2].

وقيل: الطمس يطلق لمطلق التغيير والقلب. والمعنى: من قبل أن نغيّر وجوهاً فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والأدبار، أو نردّها إلى حيث جاءت منه، وهي أذرعات الشام، يعني أجلاء بني النضير، ويقرب منه قول من قال: إنّ المراد بالوجوه الرؤساء.

وفي مجمع البيان: في رواية أبي الجارود، عن الباقر (عليه السلام): أنّ المعنى نطمسها عن الهدى فنردّها على أدبارها في ضلالتها بحيث لا يفلح أبداً[3].

---

(١) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفاء مطموسة مثلها (الكشاف: ج١ ص٥١٨).

(٢) من قوله: (من رؤية البصر) إلى هنا، باستثناء مانقله من تفسير علي بن إبراهيم، مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢٢٢، فلاحظ تفسيره لآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧) من سورة النساء.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٥٥ في نقل المعنى لآية ٤٧ من سورة النساء.

وفي تفسير العياشي: عن جابر الجعفي قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام) في حديث طويل ـ: ياجابر، أوّل الأرض المغرب تخرب أهل الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات، راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني. فيلقى السفياني الأبقع، فيقتله ومن معه، وراية الأصهب، ثم لايكون لهم همّ إلّا الأقبال نحو العراق، ومن جيش بقرقيسا[1] فيقتلون بها مائة ألف من الجبّارين، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة، وعدّتهم سبعون ألف، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً، فبيناهم كذلك إذ أقبلت رايات من ناحية خراسان تطوي المنازل حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم (عليه السلام) يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فيفرّ المهدي (عليه السلام) منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أنّ المهدي قد خرج من المدينة فيبعث جيش على أثره فلايدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقّب، على سنّة موسى بن عمران، قال: وينزل جيش أمير السفياني، البيداء، فينادي مناد من السماء يابيداء بيدي بالقوم، فيخسف بهم البيداء فلايفلت منهم إلّا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم في أقفيتهم، وهم من كلب، وفيهم أنزلت هذه الآية: «ياأيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا على عبدنا «يعني القائم (عليه السلام)» من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها»[2].

وروى عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): نزلت

---

(١) بالفتح ثم السكون وقاف اخرى وياء ساكنة وسين مكسورة وياء اخرى وألف ممدودة، ويقال: بياء واحدة، قال حمزة الأصبهاني قرقيسا معرب كركيسا وهو مأخوذ من كركيس، وهو اسم لإرسال الخيل المسمّى بالعربية الحلبة، وكثيراً مايجيء في الشعر مقصوراً، وقال سعد بن أبي وقاص وقد أنفذ جيشاً وهو بالمدائن في سنة ١٦ إلى هيت وقرقيسيا ورئيسهم عمرو بن مالك الزهري فنزلوا على حكمه، قيل: سمّيت به قرقيسيا، ابن طهمورث الملك إلخ (معجم البلدان للحموي: ج ٤ ص٣٢٨).

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص ٢٤٤ ح ١٤٧ وما رواه المفسّر (قدّس سرّه) عن العياشي رواه في البحار الطبعة الحديثة: ج ٥٢ ص٢٣٧ ح١٠٥ عن العياشي وعن غيبة النعماني.

هذه الآية على محمّد هكذا: «يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلت ـ في علي ـ[1] مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم ـ إلى ـ مفعولاً».

وأمّا قوله: «مصدقاً لما معكم» يعني مصدّقاً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[2].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم: عن أحمد بن محمد البرقي، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن منخل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نزل جبرئيل على محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بهذه الآية هكذا: «يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ـ في علي (عليه السلام) ـ نوراً مبيناً»[3][4].

أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ: أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب

---

(١) هذه من الزيادة التفسيرية. أي نزلت الآية في شأنه.. لان الزيادة كانت من النصّ. راجع تعليقنا السابق من سورة آل عمران الآية رقم ٣٢.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٥ ح ١٤٨.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤١٧. كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٢٧.

(٤) ليس في المصحف هكذا، بل صدر الآية في أوائل سورة النساء هكذا «يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها إلى أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا» وآخرها في أواخر تلك السورة هكذا «يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً» وكأنّه سقط من الخبر شيء، وكان (عليه السلام) ذكر اسمه في الموضعين، فسقط آخر الآية الأولى واتصلت بآخر الآية الثانية، لتشابه الآيتين، وكثيراً مايقع ذلك. ويحتمل أن يكون في مصحفهم (عليهم السلام) إحدى الآيتين هكذا، وعلى الأوّل ظاهرة التنزيل ويحتمل التأويل أيضاً كما عرفت مراراً.

ولايتوهم أنّ قوله في الآية الاولى: «مصدقاً لما معكم» ينافي ذلك على الاحتمال الأوّل، لأنّ معاداة أهل الكتاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) كانت أشدّ منها لغيره، لأنّه (عليه السلام) قتل كثيراً منهم بيده، فيحتمل أن يكون الخطاب إليهم، وقوله: «مصدقاً لما معكم» لأنّه كان اسمه (عليه السلام) كاسم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مثبتاً عندهم في كتبهم كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة. وكذا قوله: «اوتوا الكتاب» وإن احتمل أن يكون المراد بالكتاب القرآن (مرآة العقول: ج ٥ ص ٢٩ ح ٢٧).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨﴾

السبت. أو نلعنهم على لسانك كما لعنّاهم على لسان داود.

والضمير لأصحاب الوجوه. أو للذين على طريقة الالتفات، أو للوجوه إن أُريد بها الوجهاء.

قيل: وعطفه على الطمس بالمعنى الأوّل، يدلّ على أنّ المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا[1].

وفيه: أنّه مسخ خاص، فيصحّ أن يكون مقابلاً لمسخ أصحاب السبت.

ومن حمل الوعيد على تغيّر الصورة في الدنيا، قال: إنّه بعد مترقّب. أو كان وقوعه مشروطاً بعدم إيمانهم، وقد آمن منهم طائفة.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: بإيقاع شيء، أو وعيده، أو ماحكم به وقضاه.

﴿مَفْعُولًا﴾: نافذاً، أو كائناً. فيقع لامحالة ماأُوعدتم به إن لم تؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: لأنّه حكم بخلود عذابه وأوجب على نفسه تعذيبه، لأنّه لاينمحي عنه أثره، فلايستعدّ للعفو إلّا أن يتوب ويرجع إلى التوحيد، فإنّ باب التوبة مفتوح أبداً.

في عيون الأخبار: عن الرضا (عليه السلام)، وبإسناده قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله يحاسب كلّ خلق إلّا من أشرك بالله، فإنّه لايحاسب ويؤمر به إلى النار[2].

---

(١) قاله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ج١ ص ٢٢٣ عند تفسيره لآية ٤٧ من سورة النساء.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٣٤ باب ٣١ فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة ح٦٦.

وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ: أي مادون الشرك صغيراً كان أو كبيراً.

في اصول الكافي: عن يونس، عن ابن بكير، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إن الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» الكبائر فما سواها، قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء؟ قال: نعم[١].

لِمَن يَشَآءُ: تفضّلاً عليه واحساناً.

والمراد بـ«من يشاء» الشيعة خاصّة، يغفر لهم ماسوى الشرك، فمن كان شيعة وخرج من الدنيا مشركاً لايغفر له، كما لايغفر لسائر المشركين، وإن لم يكن مشركاً يغفر له وإن كان عليه ذنوب أهل الأرض غير الشرك. والدليل على أنّ المراد بـ«من يشاء» الشيعة.

ماروواه العياشي في تفسيره: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أمّا قوله: «إن الله لايغفر أن يشرك به» يعني أنّه لايغفر لمن يكفر بولاية علي. وأمّا قوله: «ويغفر مادون ذلك» يعني لمن يشاء يعني لمن والى علياً (عليه السلام)[٢].

وما رواه في من لايحضره الفقيه: بإسناده إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: ولقد سمعت حبيبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: لو أنّ المؤمن خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذنوب، ثم قال (عليه السلام): من قال: لاإله إلّا الله بإخلاص فهو بريء من الشرك، ومن خرج من الدنيا لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ثم تلا هذه الآية: «إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» من شيعتك ومحبيك ياعلي، قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): فقلت يارسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): هذا لشيعتي؟ قال: اي وربي إنّه لشيعتك، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[٣].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٤ كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر، ح ١٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٥ ح ١٤٩.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٩٥ باب ١٧٦ النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، قطعة من ح ٧٢ س ٨.

والدليل على أنّه يغفر ذنوب الشيعة و إن لم يتب، ولو كان عليه مثل ذنوب أهل الأرض، ماسبق.

وما رواه في كتاب التوحيد: بإسناده إلى أبي ذر (رحمه الله) قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يمشي وحده وليس معه إنسان، فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني فقال لي: من هذا؟ فقلت: أبوذر جعلني الله فداك ، قال: ياأباذر تعال، قال: فمشيت معه ساعة، قال: إنّ المكثرين هم الأقلّون يوم القيامة إلّا من أعطاه الله خيراً، فنفح منه بيمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل فيه خيراً، قال: فمشيت معه ساعة فقال لي: اجلس ههنا، وأجلسني في قاع حوله حجارة، فقال لي: اجلس حتى أرجع إليك ، قال: فانطلق في الحرّة حتى لم أره وتوارى عنّي ، فأطال اللبث، ثم إنّي سمعته وهو مقبل، وهو يقول: وإن زنى وإن سرق قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يانبيّ الله جعلني الله فداك ، من تكلّمه في جانب الحرّة، فإنّي ماسمعت أحداً يردّ عليك شيئاً؟ قال: ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة فقال: بشّر أمّتك أنّ من مات لايشرك بالله (عزّوجلّ) شيئاً دخل الجنة، قال: فقلت: ياجبرئيل وإن زنى وإن سرق؟ قال: نعم، قلت: وإن زنى وسرق؟ قال: نعم قلت: وإن زنى وسرق قال: نعم وإن شرب الخمر(١).

وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قوله: «ان الله لايغفر ان يشرك به» أنّه لايغفر لمن يكفر بولاية علي وأمّا قوله: «ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» يعني لمن والى علياً(٢).

---

(١) التوحيد. ص ٢٥ باب ١ ثواب الموحدين والعارفين ح ٢٤ ورواه بعين السند والمتن في ص ٤٠٩ باب ٦٣ ح٩. وقال الصدوق ـ طيّب الله رمسه ـ بعد نقل الحديث ماهذا لفظه (قال مصنف هذا الكتاب: يعني بذلك أنّه يوفّق للتوبة حتى يدخل الجنة).

أقول: ونقل الحديث أئمة الحديث من العامّة مع اختلاف يسير في ألفاظه، لاحظ صحيح البخاري: ج٨ ص١١٦ ومسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص١٥٢ وصحيح مسلم: ج٢ ص٦٨٨، كتاب الزكاة باب٩ الترغيب في الصدقة، ح٣٣.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص ٢٤٥ ح ١٤٩.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

وفي تفسير علي بن إبراهيم: فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء؟ قال: نعم[١].

عن أبي العباس قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن أدنى مايكون به الإنسان مشركاً؟ قال: من ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو أبغض[٢].

وفي مجمع البيان: وقف الله سبحانه المؤمنين الموحّدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل، وذلك صفة المؤمنين، ولذلك قال الصادق (عليه السلام): لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا[٣].

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى ثوير، عن أبيه، أن علياً (عليه السلام) قال: مافي القرآن آية أحبّ إليّ من قوله (عزّوجلّ): «إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء»[٤].

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ارتكب مااستحقر دونه الآثام. وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب.

والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل، وكذلك الاختلاق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾:

في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): أنّها نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: «نحن أبناء الله وأحبائه»[٥] وقالوا: «لن يدخل الجنة إلّا من كان

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٠ عند تفسيره لآية ٤٨ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٦ ح ١٥٠.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٥٧ في نقله المعنى لآية ٤٨ من سورة النساء.

(٤) التوحيد: ص ٤٠٩ باب ٦٣ الأمر والنهي والوعد والوعيد ح٨. (٥) المائدة: ١٨.

انظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١

هوداً أو نصارى»[(١)][(٢)].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: هم الذين سمّوا أنفسهم بالصدّيق والفاروق وذي النورين[(٣)].

والجمع أنّها نزلت في الأولين، وجرت في الآخرين، وكذلك تجري فيمن يسمّون أنفسهم بأهل السنّة والجماعة، وفيمن يسمّون أنفسهم بأهل الرياضة والتوحيد ويجعلون أنفسهم ممتازة عن أهل القشر والتقليد.

بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ: لأنّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح فلا غرض في التزكية، وقد ذمّهم وزكّى المرتضين من عباده المؤمنين.

وأصل التزكية نفي مايستقبح فعلاً وقولاً.

وَلَا يُظۡلَمُونَ: بالذمّ والعقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حقّ.

فَتِيلًا: أدنى ظلم وأصغره. وهو الخيط الذي في شقّ النواة. يضرب به المثل في الحقارة.

انظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ: في زعمهم أنّهم أبناء الله وأزكياء عنده، أو خلفاءه أو أولياءه.

---

(١) البقرة: ١١١.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٥٨ في سبب نزول آية ٤٩ من سورة النساء.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٠ في تفسيره لآية ٤٩ من سورة النساء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: هم هؤلاء الثلاثة[(١)].

وَكَفَىٰ بِهِۦ : بزعمهم هذا، أو بالافتراء.

إِثْمًا مُّبِينًا: لايخفى كونه مأثماً من بين آثامهم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ:

قيل: نزلت في يهود كانوا يقولون: إنّ عبادة الأصنام أرضى عندالله ممّا يدعو إليه محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[(٢)].

وقيل: في حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وجمع من اليهود خرجوا يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالوا: أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمّد منكم إلينا، فلانأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئنّ إليكم، ففعلو[(٣)].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: نزلت في اليهود حين سألهم مشركو العرب: أديننا أفضل أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم أفضل[(٤)].

وروي أيضاً أنّها نزلت في الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وحسدوا منزلتهم[(٥)].

وروى العياشي: عن الباقر (عليه السلام): إنّ الجبت والطاغوت فلان وفلان[(٦)].

والجبت في الأصل اسم صنم، فاستعمل في كلّ ماعبد من دون الله.

وقيل: أصله الجبس[(٧)] وهو الذي لاخير فيه، فقلبت سينه تاء. والطاغوت

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٠ في تفسيره لآية ٥٠ من سورة النساء، ولفظه (هم الذين غاصبوا آل محمّد حقّهم).

(٢ و٣) قاله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ج١ ص ٢٢٤ عند تفسيره لآية ٥١ من سورة النساء.

(٤ و٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٠ في تفسيره لآية ٥١ من سورة النساء.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٦ قطعة من ح ١٥٣.

(٧) الجبس: الجبان الفدم، وقيل: الضعيف اللئيم، وقيل: الثقيل الذي لايجيب إلى خير. والجِبْس: الرديء الدنيء الجبان، ويقال: ولد زنية. والجبس هو الجامد من كلّ شيء، الثقيل الروح ←

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾

يطلق لكلّ باطل من معبود أو غيره.

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ: أي لأجلهم وفيهم.

هَٰٓؤُلَآءِ: إشارة إليهم.

أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا: أقوم ديناً وأرشد طريقاً.

في الكافي: عن الباقر (عليه السلام): يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1].

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا: يمنع العذاب بشفاعة أو غيرها.

أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ: إنكار. يعني ليس لهم ذلك.

فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا: يعني لو كان لهم نصيب، فإذا لايؤتون الناس مايوازي نقيراً. وهو النقطة التي في وسط النواة، وهذا هو الإغراق في بيان شحّهم، فإنّهم بخلوا بالنقير وهم ملوك، فما ظنّك بهم إذا كانوا أذلّاء متفاقرين.

ويحتمل أن يكون إنكار أنّهم أُوتوا نصيباً من الملك على الكناية، وأنّهم لايؤتون الناس شيئاً.

والفاسق، ويقال: إنّه لجبس من الرجال، إذا كان عيياً (لسان العرب: ج٦ ص٣٤ لغة جبس).

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٠٥ كتاب الحجة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ)، قطعة من ح١.

وإذن (إذا) وقع بعد الواو أو الفاء لالتشريك مفرد، جاز فيه الإلغاء والإعمال[١]، ولذلك قرئ «فإذا لا يؤتوا» على النصب[٢].

وفي الكافي: عن الباقر (عليه السلام): «أم لهم نصيب من الملك» يعني الإمامة والخلافة، قال: ونحن الناس الذين عنى الله[٣].

والنقير: النقطة التي في وسط النواة.

أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ: قيل: بل أيحسدون النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأصحابه، أو العرب أو الناس جميعاً.

عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ: قيل: النبوّة والكتاب والنصرة والإعزاز، وجعل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) الموعود منهم.

وفي الكافي، وفي تفسير العياشي وغيرهما في عدة روايات عنهم (عليهم السلام): نحن الناس المحسودون ـ الذين قال الله... ـ على ما أتانا الله من الإمامة[٤][٥].

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): المراد بالناس النبيّ وآله (صلوات الله عليهم)[٦].

---

(١) ذكروا في كتبهم أنّ إذن إذا وقعت بعد الواو أو الفاء، يجوز الإلغاء والإعمال، ولم يذكروا القيد الذي ذكره المصنّف، وهو أن يكون بغير التشريك في المفرد، والظاهر أنّ مراده: أن لا يذكر بعد الواو والفاء مفرد، مثل قوله: (فاممّا إذن آتيك) إذ لا يجوز في هذه الصورة الإعمال، لوجود اعتماد مابعدها على ماقبلها (من حاشية الخطيب الكازروني على تفسير البيضاوي).

(٢) من قوله: (والجبت في الأصل) إلى هنا سوى مانقله عن الكافي، مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٤، لاحظ تفسيره لآية ٥١ ـ ٥٢ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٠٥ كتاب الحجة، باب أن الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ)، قطعة من ح ١.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٠٥ كتاب الحجة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ)، قطعة من ح ١ ولاحظ سائر أحاديث الباب أيضاً.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٦ ح ١٥٣.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ٦١ في تفسيره لآية ٥٣ من سورة النساء.

وفي اصول الكافي: أحمد بن محمد، عن محمد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): نحن قوم فرض الله (عزّوجلّ) طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: «أم يحسدون الناس على ماأتاهم الله من فضله»(١).

عدّة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله (تبارك وتعالى): «أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله» قال: نحن المحسودون(٢).

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشا، عن حماد بن عثمان، عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «ام يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله»، فقال: ياأبا الصباح نحن والله الناس المحسدون(٣).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن علي بن مهزيار، عن علي بن فضال، عن ابن أيوب جميعاً، عن معاوية ابن عمار، عن عمرو بن عكرمة، قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقلت: لي جار يؤذيني فقال: ارحمه، فقلت: لارحمه الله، فصرف وجهه عنّي، فكرهت أن أدعه فقال: ارحمه فقلت: لارحمه الله فصرف وجهه عنّي فكرهت أنّ أدعه، فقلت يفعل بي كذا وكذا ويفعل ويؤذيني فقال: أرأيت إن كاشفته انتصفت منه؟ قلت: بلى أُربي عليه فقال (عليه السلام): إنّ ذا ممّن يحسدالناس على ماأتاهم الله من فضله، فإذا رأى نعمة على أحد وكان له أهل جعل بلاءه عليهم،

---

(١) الكافي: ج ١ ص ١٨٦ كتاب الحجة، باب فرض طاعة الأئمة، الحديث٦.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٠٦ كتاب الحجة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ)، ح٢.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٠٦، كتاب الحجة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ) ح٤.

وإن لم يكن له أهل جعله على خادمه، فإن لم يكن له خادم أسهر ليله وأغاظ نهاره، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[١].

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: الذين هم أسلاف النبيّ وبنو عمّه.

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: فلا يبعد أن يؤتيهم مثل ماآتاهم.

في تفسير علي بن إبراهيم: عن الصادق (عليه السلام): الكتاب، النبوّة، والحكمة، الفهم والقضاء، والملك العظيم، الطاعة المفروضة[٢].

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام): يعني جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمّة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم). وقال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم[٣].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله: «وآتيناهم ملكاً عظيماً» قال: الطاعة المفروضة[٤].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن محمد الأحول، عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): قول الله (عزّوجلّ): «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب» فقال: النبوّة، قلت: الحكمة، قال: الفهم والقضاء، قلت: «وآتيناهم ملكاً عظيماً»؟ قال: الطاعة[٥].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن بريد

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٦، كتاب العشرة، باب حق الجوار، ح ١.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٠ في تفسيره لآية ٥٤ من سورة النساء.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٨ ح ١٥٨.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٨٦ كتاب الحجة، باب فرض طاعة الأئمّة، ح ٤.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٠٦ كتاب الحجة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ)، ح ٣.

العجلي، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمّة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم). قال: قلت: «وآتيناهم ملكاً عظيماً» قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّة من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم[(١)].

وفي عيون الأخبار: في باب ماجاء عن الرضا (عليه السلام) في وصف الإمامة والإمام، قال (عليه السلام): إنّ الأنبياء والأئمّة يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالايؤتيهم غيرهم، فيكون علمهم فوق كلّ علم أهل زمانهم في قوله (عزّوجلّ): «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لايهدّي إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»[(٢)] وقال (عزّوجلّ) لنبيّه: «وكان فضل الله عليك عظيماً»[(٣)] وقال (عزّوجلّ) في الأئمّة من أهل بيته وعترته وذريته: «أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً»[(٤)].

وفيه في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة، حديث طويل، وفيه: فقال له المأمون: فضّل الله العترة على الناس؟ فقال أبوالحسن (عليه السلام): إنّ الله تعالى بان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، فقال له المأمون أين ذلك من كتاب الله تعالى؟ فقال له الرضا (عليه السلام): في قوله تعالى: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض»[(٥)] وقال (عزّوجلّ) في موضع آخر: «أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم

---

(١) الكافي: ج١ ص٢٠٦ كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة (عليهم السلام) ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله (عزّوجلّ)، ح٥.

(٢) يونس: ٣٥. (٣) النساء: ١١٣.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٢١ باب ٢٠ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته، ح١ س٥. (٥) آل عمران: ٣٣.

ملكاً عظيماً» يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك ههنا هو الطاعة[١].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): فإنّ الله (تبارك وتعالى) لم يجعل العلم جهلاً، ولم يكل أمره إلى ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ولكنه أرسل رسلاً من ملائكته إلى نبيّه فقال له كذا وكذا، وأمره بما يحبّه ونهاه عمّا يكره، فقصّ عليه ماقبله وما خلفه بعلم، فعلّم ذلك العلم أنبياءه وأولياءه وأصفياءه من الآباء والإخوان بالذرّيّة التي بعضها من بعض، وذلك قوله (عزّوجلّ): «ولقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» فأمّا الكتاب فالنبوّة، وأمّا الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء والأصفياء، وقال (عليه السلام) فيه أيضاً: إنّما الحجة في آل إبراهيم لقول الله (عزّوجلّ): «ولقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» والحجة الأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء حتى يقوم الساعة[٢].

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد ابن الفضل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله سواء[٣].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثني علي بن محمد بن عمر الزهري معنعناً، عن إبراهيم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك ماتقول في هذه الآية: «أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» قال: نحن الناس الذي قال الله، ونحن المحسودون، ونحن أهل الملك، ونحن ورثنا النبيّين، وعندنا عصا موسى، وإنّا لخزّان الله في الأرض، لابخزّان ذهب ولافضة، وإنّ منّا رسول الله (صلّى الله عليه وآله

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٣٠ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة، ح١ س٩.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢١٧ باب ٢٢ اتصال الوصيّة من لدن آدم (عليه السلام) وأنّ الأرض لاتخلو من حجة لله (عزّوجلّ) على خلقه إلى يوم القيامة، ح٢ س١٨.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ١١٧، حديث آدم مع الشجرة، ح ٩٢ س ١٤.

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

وسلّم) والحسن والحسين (عليهما السلام)[١].

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ: قيل بمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم). أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم.

وقيل: معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر، ولم يكن في ذلك وهن في أمره، وكذا لايوهن كفر هؤلاء أمرك[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: فمنهم من آمن به، يعني أميرالمؤمنين (عليه السلام). وهم سلمان وأبوذر والمقداد وعمّار[٣].

وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ: أي أعرض عنهم ولم يؤمن.

وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا: ناراً مسعورة يعذّبون بها. يعني إن لم يعجّلوا بالعقوبة فقد كفاهم ماأعدّ لهم من سعير جهنم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا:

في تفسير علي بن إبراهيم: الآيات أميرالمؤمنين والأئمة (عليهم السلام)[٤].

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ: قيل: بأن يعاد

---

(١) تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: ص ٣٢ من سورة النساء س١٦.

(٢) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٤ عند تفسيره لآية ٥٥ من سورة النساء.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٠ قاله عند تفسيره لآية ٥٥ من سورة النساء.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤١ عند تفسيره لآية ٥٦ من سورة النساء.

ذلك الجلد بعينه على صورة أُخرى، كقولك: بدّلت الخاتم قرطاً، أو بأن يزال عنه أثر الإحراق، ليعود إحساسه للعذاب.

وقيل: يخلق مكانه جلد آخر، والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة، لا لآلة إدراكها فلا محذور[١].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): وعن حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبدالله (عليه السلام) عن هذه الآية، فقال: ماذنب الغير؟ قال: ويحك هي هي وهي غيرها، قال: فمثل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا؟ قال: نعم، أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردّها في ملبنها، فهي هي وهي غيرها[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قيل لأبي عبدالله (عليه السلام): كيف تبدّل جلودهم غيرها؟ قال: أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيّرتها تراباً، ثم ضربتها في القالب، أهي التي كانت إنّما هي ذلك وحدث تغيّر آخر والأصل واحد[٣].

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن محمد بن علي قال: أخبرني الكلبي النسابة قال: قلت لجعفر بن محمد (عليهما السلام) ماتقول في المسح على الخفّين؟ فتبسّم، ثم قال: إذا كان يوم القيامة وردّ الله كلّ شيء إلى منبته، وردّ الجلد إلى الغنم، فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم[٤]؟ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عيون الأخبار: في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي قال الرضا (عليه السلام) في أثناء كلام بينه (عليه السلام) وبين سليمان:

---

(١) من قوله (بأن يعاد ذلك الجلد) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢٢٥، لاحظ تفسيره لآية ٥٦ من سورة النساء.

(٢) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٤، احتجاج الإمام الصادق (عليه السلام) على الزنادقة، س١١.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤١ عند تفسره لآية ٥٦ من سورة النساء.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٥٠ كتاب الحجة، باب مايفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل، قطعة من ح٦.

ياسليمان هل يعلم [الله][1] جميع مافي الجنة والنار؟ قال سليمان: نعم، قال: فإذاً فيكون ماعلم الله تعالى أنه يكون، من ذلك؟ قال: نعم، قال: فإذا كان حتى لايبقى منه شيء ألا كان أيزيدهم أو يطويه عنهم؟ قال سليمان: بل يزيدهم، قال: فأراه في قولك: قد زادهم مالم يكن في علمه أنّه يكون، قال: جعلت فداك فالمزيد لاغاية له، قال: فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما، لم يعلم مايكون فيهما قبل أن يكون، تعالى الله (عزّوجلّ) عن ذلك علوّاً كبيراً، قال سليمان: إنّما قلت لايعلمه لأنّه لاغاية لهذا، لأنّ الله (عزّوجلّ) وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً، قال الرضا (عليه السلام): ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم، لأنّه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم، ثم لايقطعه عنهم، وكذلك قال الله (عزّوجلّ) في كتابه: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» وقال لأهل الجنة: «عطاء غير مجذوذ»[2] وقال (عزّوجلّ): «وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة»[3] فهو (جلّ وعزّ) يعلم ذلك ولايقطع عنهم الزيادة[4].

وفي باب آخر عنه (عليه السلام) بإسناده قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ قاتل الحسين بن علي (عليه السلام) في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا وقد شدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار منكّس في النار حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم مع جميع من شايع على قتله كلّما نضجت جلودهم بدّل الله (عزّوجلّ) عليهم الجلود حتى يذوقوا العذاب الأليم، لايفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم، فالويل لهم من عذاب النار[5].

---

(١) مابين المعقوفتين ليس في النسخة ـ أ ـ وأثبتناه من المصدر لاقتضاء السياق.

(٢) هود: ١٠٨.   (٣) الواقعة: ٣٣.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٨٤ باب ١٣ في ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي متكلّم خراسان عند المأمون في التوحيد ح ١ س٨.

(٥) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٤٧، باب ٣١ فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من ←

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ
إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا: لايمتنع عليه مايريده.

حَكِيمًا: يعاقب على وفق حكمته.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا: تقديم ذكر الكفار ووعيدهم، لأنّ الكلام فيهم، وذكر المؤمنين بالعرض.

لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ: من الأقذار التي تكون لأزواج الدنيا.

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا: فياناً لاجوب فيه[1] ودائماً لا تنسخه الشمس.

وهذا إشارة إلى النعمة التامة الدائمة.

والظليل صفة مشتقّة من الظلّ، لتأكيده، كقولهم: شمس شامس، وليل أليل، ويوم أيوم.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا: قيل: نزلت يوم الفتح في عثمان ابن طلحة بن عبدالدار، لمّا أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها. وقال: لو علمت أنّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم أمنعه، فلوى علي

الأخبار المجموعة، ح ١٧٨.

(١) في هامش النسخة ماهذا لفظه: (فيانا، أي متصلاً منبسطاً، الفنن كأنه كثير الافتنان، والجوب بضم الجيم وفتح الواو جمع جوبة، وهي الفرجة في السحاب. منه دام عزّه).

(عليه السلام) يده وأخذه منه ودخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصلّى ركعتين، فلمّا خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح، ويجمع له السقاية والسدانة، فأمره الله أن يردّه إليه، فأمر علياً (عليه السلام) بأن يردّ ويعتذر إليه، وصار ذلك سبباً لإسلامه، ونزل الوحي بأنّ السدانة في أولاده أبداً[١].

وفي مجمع البيان: عنهما (عليهما السلام): أنّها في كلّ من ائتمن أمانة من الأمانات. أمانات الله أوامره ونواهيه، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره[٢].

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عمار ابن مروان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) في وصية له: اعلم أنّ ضارب علي (عليه السلام) بالسيف وقاتله لو ائتمنني واستنصحني واستشارني، ثم قبلت ذلك منه، لأدّيت إليه الأمانة[٣].

وفي معاني الأخبار: حدّثنا علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقي قال: حدّثني أبي، عن جدّه أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه محمد بن خالد، عن يونس بن عبدالرحمن قال: سألت موسى بن جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزوجلّ): «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»؟ فقال: هذه مخاطبة لنا خاصّة، أمر الله (تبارك وتعالى) كلّ إمام منّا أن يؤدّي إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه، ثم هي جارية في سائر الأمانات[٤].

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٥ عند تفسيره لآية ٥٨ من سورة النساء. ونقله الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ٥٢٣ عند تفسيره للآية وزاد فيه (فقال عثمان لعلي: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، فهبط جبرئيل وأخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ السدانة في اولاد عثمان أبداً).

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٦٣ قال: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام).

(٣) الكافي: ج٥ ص ١٣٣ كتاب المعيشة، باب أداء الأمانة ح٥.

(٤) معاني الأخبار: ص ١٠٧ باب معنى الأمانات التي أمر الله (عزّوجلّ) عباده بأدائها إلى أهلها، صدر ح١.

ولقد حدّثني أبي، عن أبيه أنّ علي بن الحسين (عليه السلام) قال لأصحابه: عليكم بأداء الأمانة فلو أنّ قاتل الحسين بن علي ائتمنني على السيف الذي قتله به لأدّيته إليه[١].

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام). إيانا عنى أن يؤدي الامام الأوّل إلى الذي بعده العلم والكتب والسلاح[٢].

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشا، عن أحمد بن عمر قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»؟ قال: هم الأئمّة من آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يؤدّي الإمام الأمانة إلى من بعده ولايخصّ بها غيره ولايزويها عنه[٣].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»؟ قال: هم الأئمّة يؤدّي الإمام إلى الإمام من بعده، ولايخصّ بها غيره ولايزويها عنه[٤].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن عمار، عن ابن أبي يعفور، عن المعلى بن خنيس قال: سألت أبا عبدالله (علبه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»؟ قال: أمر الله الإمام الأوّل أن يدفع إلى الإمام الذي بعده كلّ شيء عنده[٥].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي

---

(١) معاني الأخبار: ص ١٠٧ باب معنى الأمانات التي أمر الله (عزّوجلّ) عباده بأدائها إلى أهلها، قطعة من ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٧ قطعة من ح ١٥٣.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٧٦ كتاب الحجة، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده، ح ٢.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٧٦ كتاب الحجة، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده، ح ٣.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٧٧ كتاب الحجة، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده، ح ٤.

كهمس قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): عبدالله بن أبي يعفور يُقرئك السلام قال: عليك وعليه السلام، إذا أتيت عبدالله فاقرأه السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمد يقول لك: انظر مابلغ به عليّ (عليه السلام) عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فالزمه، فإنّ علياً (عليه السلام) إنّما بلغ مابلغ به عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بصدق الحديث وأداء الأمانة(١).

محمد بن يحيى، عن أبي طالب رفعه قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته(٢).

وفي شرح الآيات الباهرة، قال محمد بن العباس: عن الحسين بن محمد بإسناده، عن رجاله، عن أحمد بن عمر قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»؟ قال: هم الأئمّة من آل محمّد (صلوات الله عليهم)، أمرهم أن يؤدّوا الأمانات الإمامة إلى من بعده، لايختصّ بها غيره ولايزويها عنه(٣).

وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ:

في الكافي، وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام): يعني العدل الذي في أيديكم(٤)(٥).

وفي رواية أُخرى للعياشي: أن تحكموا بالعدل إذا ظهرتم أن تحكموا بالعدل إذا بدت في أيديكم(٦).

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٤ كتاب الايمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٥ كتاب الايمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١٢.

(٣) لايوجد لدينا هذا الكتاب ووجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ج ١ ص ١٣٤ ح ١٠ وليس فيه جملة (قال محمد بن العباس).

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٧٦، كتاب الحجة، باب أن الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام الذي يكون من بعده، قطعة من ح١.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٦ قطعة من ح ١٥٣. (٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٧ ح١٥٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾

إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ: أي نعم الشيء الذي يعظكم به.

فـ«ما» منصوبة موصوفة بـ«يعظكم به» أو مرفوعة موصولة به، والمخصوص بالمدح محذوف، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات.

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام): فينا نزلت والله المستعان[1].

إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا: بأقوالكم وأحكامكم.

بَصِيرًا: بما تفعلون بأداء الأمانات.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ:

في الكافي، والعياشي: عن الباقر (عليه السلام) إيانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا[2][3].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده حدّثنا أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا عبدالله بن جعفر الحميري، قال: حدّثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن عبدالله بن محمد الحجّال، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» قال: الأئمّة من ولد علي وفاطمة (عليها السلام) إلى

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٩ ح ١٦٦.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٧٦ كتاب الحجة، باب أن الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام الذي يكون من بعده، قطعة من ح١.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٧ قطعة من ح ١٥٣.

أن تقوم الساعة[١].

و بإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: لمّا أنزل الله (عزّوجلّ) على نبيّه محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» قلت: يارسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن طاعتهم بطاعته؟ فقال (عليه السلام): هم خلفائي ياجابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه ياجابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي محمد وكنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لايثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يارسول الله، فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال (عليه السلام): والذي بعثني بالنبوّة أنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وأن تجلّاها سحاب، ياجابر هذا من مكنون سرّالله ومخزون علم الله، فاكتمه إلّا عن أهله[٢].

وفي تفسير العياشي: عن أبان أنّه قال: دخلت على أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال سألته عن قول الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم»؟ فقال: ذلك علي بن أبي طالب ثم سكت، قال: فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: ثم الحسن قلت: ثم من؟ قال: ثم الحسين، قلت: ثم من؟ قال: ثم علي بن الحسين فلم يزل يسكت عند كلّ واحد حتى أعيد المسألة،

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢٢ باب ٢٢ اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وأنّ الارض لاتخلو من حجّة لله (عزوجلّ) على خلقه إلى يوم القيامة ح٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٥٣، باب ٢٣ نصّ الله (تبارك وتعالى) على القائم (عليه السلام) وأنّه الثاني عشر من الأئمّة (عليهم السلام) ح٣.

فيقول، حتى سمّاهم إلى آخرهم (صلّى الله عليهم)[١].

عن عمران الحلبي، قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنكم أخذتم هذا الأمر من حذو، يعني من أصله عن قول الله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» ومن قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (ما أن تمسّكتم به لن تضلّوا) لا من قول فلان ولا من قول فلان[٢].

عن عبدالله بن عجلان، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» قال: هي في علي (عليه السلام) وفي الأئمّة، جعلهم الله مواضع الأنبياء غير أنّهم لا يحلّون شيئاً ولا يحرّمونه[٣].

عن حكيم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك أخبرني من أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ فقال لي: أُولئك علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر (عليهم السلام) فاحمدوا الله الذي عرّفكم أئمّتكم وقادتكم حين جحدهم الناس[٤].

وفيه: عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): ثم قال للناس: يا أيّها الذين آمنوا، فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» إيّانا عنى خاصّة[٥].

وفي عيون الأخبار: في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وقال (عزّوجلّ) في موضع آخر: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» ثم ردّ المخاطبة في إثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما[٦].

(١و٢و٣و٤) **تفسير العياشي**: ج١ ص٢٥١ و٢٥٢ ح١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٤. ٢ و ٤ ١

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٧ قطعة من ح ١٥٣ س ٣.

(٦) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٣٠ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة، ح١ س١٣.

وفي هذا المجلس كلام طويل له (عليه السلام) يقول فيه في شأن ذي القربى: فما رضيه لنفسه ولرسوله رضيه لهم وكذلك الفيء مارضيه منه لنفسه ولنبيّه رضيه لذي القربى، كما أجراهم في الغنيمة، فبدأ بنفسه جلّ جلاله، ثم برسوله، ثم بهم وقرن سهمهم بسهمه وسهم رسوله، وكذلك في الطاعة قال الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فبدأ بنفسه، ثم برسوله، ثم بأهل بيته[١].

وفي باب ماكتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين: وبإسناده إلى الرضا (عليه السلام)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي (عليهم السلام) قال: أوصى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى علي والحسن والحسين (عليهم السلام)، ثم قال في قول الله (عزّوجلّ): «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» قال: الأئمّة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة[٢].

وفي اصول الكافي: أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء قال: ذكرت لأبي عبدالله (عليه السلام) قولنا في الأوصياء: إنّ طاعتهم مفترضة؟ فقال: نعم، الذين قال الله (عزّوجلّ): «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» وهم الذين قال الله (عزّوجلّ): «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»[٣][٤].

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٣٨ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة، ح١ س٤.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ١٣١ باب ٣٥ ماكتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين، ح١٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٨٧ كتاب الحجة، باب فرض طاعة الأئمّة، ح ٧.

(٤) ولقد أجاد وأفاد العلامة المجلسي طيب الله رمسه هنا في مرآة العقول: ج٢ ص٣٢٦ في تقرير الاستدلال بالآية الشريفة: «إنما وليكم الله» الآية، على خلافة سيّدنا ومولانا أميرالمؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين. وكذلك العالم المتبحّر المغفور له الحاج ميرزا أبوالحسن الشعراني (قدس سرّه) ←

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن الحسين بن أبي العلا قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الأوصياء طاعتهم مفروضة؟ قال: نعم، الذين قال الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وهم الذين قال الله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[١].

علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد أبي سعيد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (عليهم السلام) فقلت له: إنّ الناس يقولون: فماله لم يسمّ علياً وأهل بيته (عليهم السلام) في كتابه (عزّوجلّ)؟ فقال: قولوا لهم: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولاأربعاً حتى كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فسّر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهماً درهم حتى كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هوالذي فسّر ذلك لهم، ونزل الحج، فلم يقل لهم: طوفوا اسبوعاً حتى كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هوالذي فسّر ذلك لهم، ونزلت «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» ونزلت في علي والحسن والحسين، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه وقال: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإنّي سألت الله أن لايفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك؛ وقال: لاتعلموهم فإنّهم أعلم منكم، وقال: إنّهم لم يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة، فلو سكت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولم

في تعليقته على الحديث: (شرح اصول الكافي: ج٥ ص ١٨٤) في بيان المراد من (أولي الأمر) فلاحظ، ولولاخوف الإطالة لأثبتّ ونقلت ما أفاده.

(١) الكافي: ج ١ ص ١٨٩ كتاب الحجة. باب فرض طاعة الأئمة، ح١٦.

يبيّن من أهل بيته، لادّعاها آل فلان وآل فلان، ولكنّ الله (عزّوجلّ) انزل في كتابه تصديقاً لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» فكان علي والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) فأدخلهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تحت الكساء في بيت أمّ سلمة، ثم قال: اللهمّ إنّ لكلّ نبيّ أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت أمّ سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء، أهل بيتي وثقلي، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[1][2].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن السري أبي اليسع قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أخبرني بدعائم الإسلام التي لايسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه، وقبل منه عمله ولم يضيق به ممّا هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله؟ فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله، والإيمان بأنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رسول الله، والإقرار بما جاء به من عندالله، وحقّ في الأموال الزكاة، والولاية التي أمر الله (عزّوجلّ) بها، ولاية آل محمّد (صلّى الله عليه وآله) قال: فقلت: فهل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به؟ قال: نعم، قال الله (عزّوجلّ): «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٨٦ كتاب الحجة، باب مانصّ الله (عزّوجلّ) ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً، قطعة من ح١.

(٢) لقد كفانا مؤونة الاستدلال في إثبات الإمامة والذبّ عن حرم الولاية، ماحكاه العلامة المجلسيّ (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج٣ ص٢١٣ عند شرحه لهذا الحديث، من أسانيد وطرق جمهور المسلمين، والتي أثبتها أصحاب الصحاح والسنن في كتبهم كالترمذيّ، والبغويّ، والبيضاويّ، والزمخشريّ، وابن حجر العسقلاني، وابن أبي الحديد، والنسائي، والسيوطيّ وأمثالهم، ولولا خوف الإطالة لأشرت إلى ما استدل به من الصحاح والسنن والتفاسير ومواضعها؛ لأنّ العلامة المجلسي (رحمه الله) أشار إلى مصادرها من دون تعيين مواضعها (راجع مرآة العقول: ج٣ ص٢١٣ - ٢٤٨).

واولي الأمر منكم» وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة الجاهلية). وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكان علي (عليه السلام)، وقال الآخرون: وكان معاوية، ثم كان الحسن ثم كان الحسين، وقال الآخرون: يزيد بن معاوية وحسين بن علي ولاسواء ولاسواء، قال: ثم سكت، ثم قال: أزيدك ؟ فقال له حكم الأعور: نعم جعلت فداك قال: ثم كان علي بن الحسين، ثم كان محمد بن علي أبا جعفر، وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لايعرفون مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم، حتى صار الناس يحتاجون إليهم بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس، فهكذا يكون الأمر، والأرض لا تكون إلّا بإمام، ومن مات لايعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ماتكون إلى ماأنت عليه، إذا بلغت نفسك هذه، وأهوى بيده إلى حلقه وانقطعت عنك الدنيا، تقول حينئذٍ: لقد كنت على أمر حسن[(١)].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): قال علي (عليه السلام) في خطبة له: إنّ الله ذوالجلال والاكرام لـمّا خلق الخلق واختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عباده وأرسل رسولاً منهم وأنزل عليه كتابه وشرّع له دينه وفرض فرائضه فكانت الجملة قول الله (جلّ ذكره) حيث أمر فقال: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فهو لنا أهل البيت خاصّة دون غيرنا فانقلبتم على أعقابكم وارتددتم ونقضتم الأمر منكم ونكثتم العهد ولم يضرّ الله شيئاً وقد أمركم أن تردّوا الأمر إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم المستنبطين للعلم فأقررتم ثم جحدتم[(٢)].

وفي كتاب معاني الأخبار: عن سُليم بن قيس الهلالي، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)، أنّه سأله: ماأدنى مايكون به الرجل ضالاً؟ فقال: أن لايعرف من أمر الله

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٩ كتاب الايمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح ٦.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ١٦، احتجاجه (عليه السلام) على طلحه والزبير. ط بيروت.

بطاعته وفرض ولايته وجعل حجّته في أرضه وشاهده على خلقه، قال: فمن هم يا أميرالمؤمنين؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه، فقال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» قال: فقبّلت رأسه وقلت: أوضحت عنّي وفرّجت وأذهبت كلّ شكّ كان في قلبي(١).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: وبإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): قد أخبرني ربّي (جلّ جلاله) أنّه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك ، فقلت: يارسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله (عزّوجلّ) بنفسه وبي فقال: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فقلت: يارسول الله ومن هم؟ قال: الأوصياء من آلي، يردون عليّ الحوض كلّهم هادين مهديين، لايضرّهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لايفارقهم ولايفارقونه، بهم تنصر اُمتي، وبهم يمطرون، وبهم يدفع عنهم البلاء، وبهم يستجاب دعاؤهم، قلت: يارسول الله سمّهم لي، قال: قال: ابني هذا، ووضع يده على رأس الحسن، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له عليّ، وسيولد في حياتك فاقرأه منّي السلام، ثم تكمل اثني عشر إماماً، فقلت: يارسول الله سمّهم لي فسمّاهم رجلاً رجلاً، فقال فنهم والله ياأخا بني هلال مهدي امّة محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً، والله إنّي لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم(٢).

وبإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنّه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيّام خلافة عثمان: فأنشدكم الله (عزّوجلّ) أتعلمون حيث نزلت: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله

---

(١) معاني الأخبار: ص ٣٩٤ باب نوادر المعاني ح ٤٥.

(٢) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٨٥، باب ٢٤ ماروي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في النصّ على القائم (عليه السلام) وأنّه الثاني عشر من الأئمّة (عليهم السلام) قطعة من ح٣٧ س٧.

وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» وحيث نزلت: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[١] وحيث نزلت: «ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة»[٢] قال الناس: يارسول الله هذه خاصّة لبعض المؤمنين أم عامّة لجميعهم؟ فأمر الله (عزّوجلّ) نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يعلّمهم ولاة أمرهم، وأن يفسّر لهم من الولاية مافسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجّهم، فنصبني للناس بغدير خم، ثم خطب، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة، الأهم في المقام وفي آخره قالوا: اللهمّ نعم قد سمعنا ذلك كلّه وشهدنا كما قلت سواء، وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ماقلت ولم نحفظ كلّه، وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا بما فضّلنا[٣].

وفيه: حدّثنا أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا عبدالله بن جعفر قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن أبي الخطّاب، عن عبدالله بن محمد الحجّال، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» قال: الأئمة من ولد عليّ (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) إلى أن تقوم الساعة[٤].

وفي كتاب التوحيد بإسناده إلى الفضل بن السكر[٥]، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة واولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان[٦].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى عمر بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام): لأيّ شيء يحتاج إلى

---

(١) المائدة: ٦٠. (٢) التوبة: ١٦.

(٣) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٧٦ باب ٢٤ ماروي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في النصّ على القائم (عليه السلام) قطعة من ح٢٥.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢٢ باب ٢٢ اتصال الوصيّة من لدن آدم (عليه السلام) وأنّ الأرض لاتخلو من حجة الله (عزّوجلّ) على خلقه إلى يوم القيامة، ح٨.

(٥) في المصدر: السكن. (٦) التوحيد: ص ٢٨٥ باب ٤١ أنّه (عزّوجلّ) لايعرف إلّا به ح٣.

النبيّ والإمام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أنّ الله (عزّوجلّ) يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام، قال الله (عزّوجلّ): «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»[١] وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء مايكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض مايكرهون، يعني بأهل بيته الذين قرن الله (عزّوجلّ) طاعتهم بطاعته، فقال «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» وهم المعصومون المطهّرون الذين لايذنبون ولايعصون، وهم المؤيّدون الموفّقون المسدّدون، بهم يرزق الله عباده، وبهم يعمر بلاده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم تخرج بركات الأرض، وبهم يمهل أهل المعاصي ولايعجّل عليهم بالعقوبة والعذاب، لايفارقهم روح القدس ولايفارقونه، ولايفارقون القرآن ولايفارقهم (صلوات الله عليهم أجمعين)[٢].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثنا زيد بن الحسن الأنماطي قال: سمعت محمد بن عبدالله بن الحسن، وهو يخطب بالمدينة ويقول: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣].

وقال: حدّثني عبيدالله بن كثير، معنعناً عن عمي الحسين أنّه سأل جعفر بن محمد (عليهما السلام) عن قول الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» قال: فأُولي الأمر في هذه الآية آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٤].

وقال: حدّثني أحمد بن القاسم، معنعناً عن أبي مريم قال: سألت جعفر بن محمد (عليه السلام) عن قول الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» كانت طاعة عليّ مفترضه؟ قال: كانت طاعة رسول الله (صلّى الله عليه

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١١٧، باب ١٠٣ العلّة التي من أجلها يحتاج إلى النبيّ والإمام، ح١.

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم: ص٢٧ س ٢٢.

(٤) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٢٨ س ١٤ وسند الحديث هكذا (فرات قال: حدّثني جعفر بن محمد الفزاري، معنعناً عن أبي جعفر (عليه السلام) إلخ).

وآله) خاصّة مفترضة لقول الله تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وكانت طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) طاعة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[١].

وقال: حدّثني عبيدالله بن كثير، معنعناً عن سلمان الفارسي (رحمه الله) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ياعلي من برأ من ولايتك فقد برأ من ولايتي، ومن برأ من ولايتي فقد برأ من ولاية الله، ياعلي طاعتك طاعتي وطاعتي طاعة الله، فمن أطاعك أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله، والذي بعثني بالحقّ نبياً لحبنا أهل البيت أعزّ من الجوهر ومن الياقوت الأحمر ومن الزمرّد، وقال: أخذ ميثاق محبّنا أهل البيت في ام الكتاب لايزيد فيهم رجل ولاينقص منهم رجل إلى يوم القيامة، وهو قول الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢].

وقال: حدّثني إبراهيم بن سليمان، معنعناً عن عيسى بن السريّ قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أخبرني عن دعائم الإسلام التي لايسع أحداً من الناس التقصير عن معرفة شيء منها، التي من قصر عن شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله، ومن قام بها صلح دينه وقبل عمله، ولم يضيق ماهو فيه بجهل شيء جهله؟ قال: شهادة أن لاإله إلّا الله، والإيمان برسوله، والإقرار بما جاء من عندالله، والصلاة، والزكاة، والولاية التي أمر الله بها، ولاية آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، قلت: هل في الولاية شيء؟ قال: قول الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فكان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٣].

وقال: حدّثني علي بن محمد بن عمر الزهري، معنعناً عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» قال:

---

(١) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٢٨ س ٢٣.

(٢) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٣٢ س١ وفيه (عبيد بن كثير) بحذف كلمة (الله).

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٣٢ س ٢٢.

نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١].

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾: أنتم أيها المؤمنون.

﴿فِي شَيۡءٖ﴾: من أمور الدين.

﴿فَرُدُّوهُ﴾: فراجعوا فيه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى محكم كتابه.

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: بالسوال عنه في زمانه، وبالأخذ بسنته، والمراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده، فإنّها ردّ إليه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نزل[٢] «فإن تنازعتم في شيء ـ فارجعوه ـ إلى الله وإلى الرسول وإلى اولي الأمر منكم»[٣].

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشا، عن أحمد بن عائذ، عن ابن اذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل وفي آخره قال (عليه السلام): فإن خفتم تنازعاً في أمر فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منكم، كذا نزلت، وكيف يأمرهم الله (عزّوجلّ) بطاعة ولاة الأمر ويرخّص لهم في منازعتهم[٤] إنّما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[٥].

---

(١) تفسير فرات بن إبراهيم: ص٣٢ س٧.

(٢) هذه من تبديل النص بمعناه، كما كان يفعله ابن مسعود في تبديل لفظ القرآن بما يرادفه، ولايقصد بذلك تحريف الكتاب بل الايضاح.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤١ في تفسيره لآية ٥٩ من سورة النساء.

(٤) قوله: «وكيف يأمرهم الله» ردّ على المخالفين حيث قالوا: معنى قوله سبحانه: «فإن تنازعتم» فإن اختلفتم أنتم وأُولي الأمر منكم في شيء من أمور الدين فارجعوا فيه إلى الكتاب والسنّة. ووجه الردّ أنه كيف يجوز الأمر بإطاعة قوم مع الرخصة في منازعتهم، فقال (عليه السلام): إنّ المخاطبين بالتنازع ليسوا إلّا المأمورين بالإطاعة خاصة، وإنّ أُولي الأمر داخلون في المردود إليهم لفظاً أو معنى (مرآة العقول: ج٣ ص١٨١).

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٧٦ كتاب الحجة، باب أنّ الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام الذي يكون من
←

وفي نهج البلاغة: في معنى الخوارج لمّا أنكروا تحكيم الرجال: إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن وهذا القرآن إنّما هو خط مستور بين الدفّتين لاينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال، ولمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله سبحانه، قال الله سبحانه: «فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول» فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن أحقّ الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله فنحن أولاهم به[١].

وقال (عليه السلام) في عهده للأشتر: واردد إلى الله ورسوله مايضلعك من الخطوب[٢] ويشتبه عليك من الامور، فقد قال الله تعالى لقوم أحبّ إرشادهم «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله وإلى الرسول» فالرّاد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرّاد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[٣].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): وعن أميرالمؤمنين (عليه السلام)، حديث طويل: وقد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» وبقوله: (ولو ردّوه إلى الله وإلى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)[٤].

بعده، قطعة من ح١.

(١) نهج البلاغة: ص ١٨٢، (١٢٥) ومن كلام له (عليه السلام) في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين صبحي الصالح.

(٢) ضلع فلاناً ـ كمنع ـ ضربه في ضلعه، والمراد مايشكل عليك (شرح نهج البلاغة (عبده): ج٣ ص٩٣).

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٣٤ (٥٣) ومن كلام له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لمّا ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر صبحي الصالح.

(٤) كتاب الاحتجاج: ج١ ص ٢٤٨، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه س٧.

وفيه وقد ذكر (عليه السلام) الحجج. قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله ومن حلّ محلّه، وأصفياء الله، وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وقال فيهم: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» قال السائل: ماذلك الأمر؟ قال (عليه السلام): الذي تنزّل به الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كلّ أمر حكيم من خلق أو رزق وأجل وعمر وحياة وموت، وعلم غيب السماوات والأرض والمعجزات التي لاينبغي إلّا لله وأصفيائه والسفرة بينه وبين خلقه[1].

عن الحسين بن علي (عليهما السلام) في خطبة له: وأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله (عزّوجلّ): «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول» وقال: «ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولافضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلّا قليلاً»[2].

وفي شرح الآيات الباهرة: قال محمد بن يعقوب: عن الحسن بن محمد بإسناده عن رجاله، عن بريد بن معاوية العجلي قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» قال: إيّانا عنى، أن يؤدّي الإمام الأوّل إلى الإمام الذي بعده ماعنده من العلم والكتب والسلاح، وقال إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الذي في أيديكم، ثم قال للناس: «ياأيها الناس آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» إيّانا عنى خاصّة، ثم أمر جميع المؤمنين بطاعتنا إلى يوم القيامة، إذ يقول: فإن خفتم تنازعاً في أمر فردّوه إلى الله والرسول وأُولي الأمر منكم كذا نزلت، وكيف يأمرهم الله (عزّوجلّ) بطاعة ولاة الأمر ويرخص في منازعتهم، إنّما

---

(١) كتاب الاحتجاج: ج ١ ص ٢٥٢، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه... س١٠.

(٢) كتاب الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٩٩، احتجاجه (صلوات الله عليه) بإمامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفاخراته ومشاجراته التي جرت له مع معاوية وأصحابه س٩.

قبل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم»(١).

وممّا ورد من أنّ ولاة الأمر بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هم الأئمّة الاثني عشر (صلوات الله عليهم):

مانقله الشيخ أبوعلي الطبرسي (قدّس الله روحه) في كتابه أعلام الورى بأعلام الهدى، قال: حدّثنا غير واحد من أصحابنا، عن محمد بن همام، عن جعفر ابن محمد بن مالك الفزازي، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحارث، عن المفضل بن عمرو، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: لما نزلت: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» قلت: يارسول الله قد عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (صلّى الله عليه وآله): هم خلفائي ياجابر وأئمّة المسلمين بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه ياجابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميّي وكنيتي حجة الله في أرضه وبقيته على عباده ابن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله (عزّوجلّ ذكره)، على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لايثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان، قال جابر: فقلت: يارسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال (صلّى الله عليه وآله): إي والذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيؤون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها السحاب، ياجابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلّا عن أهله(٢).

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب ووجدناه في تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ص١٤٠.

(٢) اعلام الورى بأعلام الهدى: الطبعة الثالثة ص٣٩٧، في ذكر بعض الأخبار التي جاءت من طريق ←

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾

إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ: فإنّ الإيمان يوجب ذلك.

ذَٰلِكَ: أي الردّ.

خَيْرٌ: لكم.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا: أي عاقبة، من تأويلكم بلاردّ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ:

في تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في الزبير بن العوام نازع رجلاً من اليهود في حديقة فقال الزبير: نرضى بابن شيبة اليهودي، وقال اليهوديّ: نرضى بمحمّد فأنزل الله[1].

قال البيضاوي: عن ابن عباس أنّ منافقاً خاصم يهودياً، فدعى اليهوديّ إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم أنّهما احتكما إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فحكم لليهودي، فلم يرض المنافق وقال: نتحاكم إلى عمر، فقال اليهوديّ لعمر: قضى لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم يرض بقضائه وخاصم إليك، فقال عمر للمنافق:

الشيعة الإماميّة في النصّ على إمامة الاثني عشر من آل محمّد (عليهم السلام)، وليس في المطبوع جملة (ذلك الذي يفتح الله عزّوجلّ ذكره، على يديه مشارق الأرض ومغاربها).

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤١ عند تفسيره لآية ٦٠ من سورة النساء.

أكذلك؟ فقال: نعم، فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل فأخذ سيفه، ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت، وقال جبرئيل (عليه السلام): إنّ عمر فرق بين الحق والباطل، فسمّي الفاروق[1] انتهى.

ولا يخفى أنّه لو صحّ هذا النقل، لدلّ على أنّ من أراد المنافق التحاكم إليه، هو الطاغوت، وهو كعب بن الأشرف وعمر، فهما طاغوتان بناء على هذا النقل.

وفي روضة الكافي: حميد بن زياد، عن محمد بن الحسن بن محمد الكندي، عن غير واحد من أصحابه، عن ابان بن عثمان، عن أبي جعفر الأحول والفضيل بن يسار، عن زكريا النقاض، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[2].

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن داود بن الحصين، عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الرجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو دنيا أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو القضاة، (أيحل)[3] ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى الطاغوت، فحكم، فإنّما يأخذ سحتاً، وإن كان حقّه ثابتاً، لأنّه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قيل: كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما بحكم الله استخف وعلينا ردّ والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله[4].

﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾: وقرئ: «بها» على أنّ الطاغوت جمع، لقوله:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ٢٢٦ عند تفسيره لآية ٦٠ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٧ ح ٤٥٦ س ٢.

(٣) في النسخة ـ أ ـ: (مايحلّ) والصحيح ماأثبتناه من المصدر.

(٤) الفروع: ج ٧ ص ٤١٢، كتاب القضاء والأحكام، باب كراهية الارتفاع إلى قضاة الجور ح ٥.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ
إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾

«أوليائهم الطاغوت».

وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا: عن الحق لا يرجى معه الاهتداء إلى الصواب.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ: وقرئ بضمّ اللام، على أنه حذف لام الفعل تخفيفاً ثم ضمّ اللام لواو الضمير[1].

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا: يحتمل رؤية البصر، فيكون «يصدون» حالاً، ورؤية القلب، فيكون مفعولاً ثانياً.

والصدود مصدر، أو اسم للمصدر الذي هو الصدّ، والفرق بينه وبين (السدّ) أنه غير محسوس والسدّ محسوس.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: هم أعداء آل محمّد، كلهم جرت فيهم هذه الآية[2].

فَكَيْفَ: يكون حالهم.

إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ: نالتهم من الله عقوبة.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ: من التحاكم إلى غيرك، وعدم الرضا بحكمك.

---

(١) قال لبيضاوي: ج ١ ص ٢٢٦ عند تفسيره للآية وقرئ: «تعالوا» بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطاً ثم ضمّ اللام لواو الضمير).

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٢ عند تفسيره لآية ٦١ من سورة النساء.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣

ثُمَّ جَآءُوكَ: عطف على «اصابتهم» أو على «يصدون» وما بينهما اعتراض.

يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ: للاعتذار، حال من فاعل (جاء).

إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا: وهو التخفيف عنك.

وَتَوۡفِيقًا: بين الخصمين، ولم نرد مخالفتك.

وقيل: جاء أصحاب القتيل طالبين دمه وقالوا: ماأردنا بالتحاكم إلى عمر إلّا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه[١].

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ: من النفاق، فلايغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب.

فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ: أي لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم.

وفي روضة الكافي: علي، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبي جنادة الحصين ابن مخارق بن عبدالرحمن بن ورقاء بن حبشي بن جنادة السلوليّ صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) في قوله (عزوجلّ): «اولئك الذين» الآية، فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب[٢][٣].

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٧، عند تفسيره لآية ٦٢ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٨٤ ح ٢١١ وتمام الحديث (وقل لهم قولاً بليغاً).

(٣) قوله (فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء) ظاهر الخبر أنّ هاتين الفقرتين كانتا داخلتين في الآية ويحتمل أن يكون (عليه السلام) أوردهما للتفسير، أي إنّما أمر تعالى بالإعراض عنهم لسبق كلمة الشقاء عليهم. أي علمه تعالى بشقائهم، وسبق تقدير العذاب لهم، لعلمه بأنّهم يصيرون أشقياء بسوء اختيارهم. ولعلّ الأمر بالإعراض لعدم المداهنة والاهتمام في دعوتهم والحزن على عدم قبولهم، أو
←

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾

وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ: في شأن أنفسهم، أو خالياً بهم فإنّ النصيحة في السرّ أنجع.

قَوۡلَۢا بَلِيغٗا: يؤثّر فيهم، كتخويفهم بالقتل والاستئصال إن ظهر منهم النفاق، والتخويف بعذاب الله للمنافقين، والوعد بالثواب على الإخلاص «والقول البليغ» هو الذي يطابق مدلوله المقصود.

وقيل: الظرف، أي في أنفسهم، متعلّق بـ«بليغا» على معنى بليغاً في أنفسهم مؤثّراً فيها.

وفيه ضعف، لأنّ معمول الصفة لايتقدّم على موصوفها.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ: بسبب إذنه في طاعته، وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه فمن لم يرض بحكمه وبما نصّ عليه فهو كافر وإن أظهر الإسلام وتكلّف أكثر شعائره، لأنّه عدم رضا بما أمر الله وحكم به.

وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ: بالنفاق.

جَآءُوكَ: خبر أنّ، و«إذ» متعلّق به.

فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ: بالتوبة والإخلاص.

وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ: واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعاً.

جبرهم على الإسلام، ثمّ أمر تعالى بموعظتهم لاتمام الحجة عليهم فقال: (وعظهم) أي بلسانك وكفّهم عمّا هم عليه. رتركه في الخبر، إمّا من النسّاخ، أو لظهوره، أو لعدمه في مصحفهم (عليهم السلام) (مرآة العقول: ج ٤ ط حجري ص ٣٣١).

وإنّما عدا، عن الخطاب، تفخيماً لشأنه، وتنبيهاً على أنّ حقّ الرسول أن يقبل اعتذار التائب، وإن عظم جرمه ويشفع، ومن منصبه أن يشفع في كبار الذنوب.

﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: لعلموه قابلاً لتوبتهم، متفضلاً عليهم بالرحمة.

وإن كان (وجد) بمعنى (صادف) كان «توابا» حالاً، و«رحيماً» بدلاً منه، أو حالاً آخر، أو من الضمير فيه.

وفي كتاب المناقب لابن شهرآشوب: إسماعيل بن يزيد بإسناده، عن محمد بن علي (عليهما السلام) أنّه قال: أذنب رجل ذنباً في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فتغيّب حتى وجد الحسن والحسين (عليهما السلام) في طريق خال، فأخذهما واحتملهما على عاتقه وأتى بهما النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقال: يارسول الله إنّي مستجير بالله وبهما، فضحك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتى ردّ يده إلى فيه، ثم قال للرجل: اذهب فأنت طليق، وقال للحسن والحسين: قد شفّعتكما فيه، اي فتيان فأنزل الله تعالى: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً»[1].

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها، أو حين تدخلها ثم تأتي قبر النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، إلى أن قال (عليه السلام): اللهمّ إنّك قلت: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً عن ذنوبي، وإنّي أتوجه بك إلى الله ربّي وربّك ليغفر ذنوبي[2].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وقوله «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك (ياعلي)

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٣ ص ٤٠٠ فصل في مكارم أخلاقهما س٢.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٥١ كتاب الحج باب دخول المدينة وزيارة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والدعاء عند قبره، قطعة من ح١.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» هكذا نزلت[١].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾: أي فوربّك، ولا مزيدة لتأكيد القسم، وقيل: لتظاهر «لا» في قوله:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وفيه ضعف: لأنّها تزاد في الإثبات أيضاً، كقوله: «لا اقسم بهذا البلد»[٢][٣].

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم واختلط، ومنه الشجر، لتداخل أغصانه واختلاطها.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾: ضيّقاً ممّا حكمت به، أو من حكمك، أو شكّاً من أجله، فإنّ الشاكّ في ضيق من أمره.

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: وينقادوا لك بظاهرهم وباطنهم.

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن زرارة، أو بريد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال: لقد خاطب الله أميرالمؤمنين (عليه السلام) في كتابه[٤]، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٢ س ١٤ في تفسيره لآية ٦٤ من سورة النساء، وسند الحديث: (حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ولو انهم» الآية.

(٢) البلد: ١.

(٣) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٧ عند تفسيره لآية ٦٥ من سورة النساء.

(٤) قوله: (لقد خاطب الله) يعني أنّ المخاطب في (جاؤك) وأمثاله، أميرالمؤمنين (عليه السلام) بقرينة (واستغفر لهم الرسول) فإنّ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ثم العود إلى الخطاب نادر جداً، وتفسير ←

قوله «ولو أنهم» وتلا إلى قوله «حتى يحكموك فيما شجر بينهم» فيما تعاقدوا عليه: لئن أمات الله محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لايردوا هذا الأمر في بني هاشم «ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت» عليهم من القتل أو العفو «ويسلموا تسليماً»(١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له، وأقاموا الصلاة، وأتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ألّا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين(٢)، ثم تلا هذه الآية، ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام) فعليك بالتسليم(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر،

(ماشجر بينهم) بما تعاقدوا عليه، امّا مبني على أنّ المراد بالشجر، الجريان كما قيل، أو على أنّه وقع ابتداء بينهم تشاجر ثم اتفقوا، أو على أنّ المراد التشاجر بينهم وبين المؤمنين، أو إنّه لمّا كان الأمر عظيماً من شأنه أن يتشاجر فيه، عبّر عن وقوعه بالشجر، وقيل: أراد أنّ المراد بظلمهم أنفسهم تعاقدهم فيما بينهم منازعين لله ولرسوله وللمؤمنين أن يصرفوا الأمر عن بني هاشم، وأنّه المراد بقوله: «فيما شجر بينهم»، أي فيما وقع النزاع بينهم مع الله ورسوله والمؤمنين بهذا التعاقد، فإنّ الله كان معهم وفيما بينهم كما قال سبحانه: «وهو معهم إذ يبيتون مالايرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً» (النساء: ١٠٨) والرسول أيضاً كان عالماً بما أسرّوا من مخالفته، فكأنه كان فيهم شاهداً على منازعتهم إيّاه. ومعنى تحكيمهم أميرالمؤمنين (عليه السلام) على أنفسهم أن يقولوا له: إنّا ظلمنا أنفسنا بظلمنا إيّاك وإرادتنا صرف الأمر عنك مخالفة لله ولرسوله، فاحكم علينا بما شئت وطهّرنا في بني هاشم «ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت» عليهم من القتل أو العفو «ويسلّموا تسليماً» (مرآة العقول: ج ٤ ص ٢٨٣).

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٩١ كتاب الحجة، باب التسليم وفضل المسلّمين، ح ٧.

(٢) قوله: (لكانوا بذلك مشركين) دلّ على أنّ كلّ من خطر بباله، أو جرى على لسانه ذلك فهومشرك، وإن أخذه وعمل به، لفوات معنى الرضا والتسليم منه، فاحفظ نفسك فإنّ الطريق دقيق والشيطان رفيق (شرح اصول الكافي: ج٦ ص ٣٧٨).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك ، ح٦.

عن حماد بن عثمان، عن عبدالله الكاهلي قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): وذكر مثله سواء[١].

وفيه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: إنّ عندنا رجلاً يقال له كليب[٢]، فلايجيء عنكم شيء إلّا قال: أنا أُسلّم، فسمّيناه كليب تسليم، قال: فترحّم عليه، ثم قال: أتدرون ماالتسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الاخبات قول الله (عزّوجلّ): «الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم»[٣][٤].

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه: «ولايسأل عما يفعل وهم يسألون»، قال جابر: فقلت له: يابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكيف لايسأل عمّا يفعل؟ قال: لأنّه لايفعل إلّا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبّر الجبّار والواحد القهّار، فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء ممّا قضى كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد[٥].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن قيس، عن ثابت

---

(١) الكافي: ج ١ ص٣٩٠ كتاب الحجة. باب التسليم وفضل المسلّمين، ح٢.

(٢) (كليب) بصيغة التصغير (أُسلّم) بصيغة المتكلم من باب التفعيل (فترحّم عليه) أي قال: رحمه الله، والإخبات الخشوع في الظاهر والباطن والتواضع بالقلب والجوارح والطاعة في السرّ والعلن، من الخبت وهي الأرض المطمئنة، قال الراغب: الخبت المطمئنّ من الأرض وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله، نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات في استعمال اللين والتواضع، قال (عزّوجلّ): «وأخبتوا إلى ربهم» وقال تعالى: «وبشر المخبتين» أي المتواضعين، نحو لايستكبرون عن عبادته، وقوله تعالى: «فتخبت له قلوبهم» أي تلين وتخشع انتهى. و(قول الله) خبر مبتدأ محذوف، أي هو قول الله، أو مبتدأ خبره محذوف، أي قوله الله من ذلك (مرآة العقول: ج٤ ص٢٨٠).

(٣) هود: ٢٣.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٩٠ كتاب الحجة، باب التسليم وفضل المسلّمين، ح ٣.

(٥) كتاب التوحيد: ص ٣٩٧ باب ٦١ الأطفال وعدل الله (عزّوجلّ) فيهم قطعة من ح١٣.

الثمالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في آخر حديث له: إنّ للقائم منّا غيبتين، أحدهما أطول من الأُخرى، أمّا الأُولى: فستّة أيّام، أو ستّة أشهر، أو ستّ سنين[١]. وأمّا الأُخرى فيطول أمرها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به، فلايثبت عليه إلّا من قوي يقينه وصحت معرفته، ولم يجد في نفسه حرجاً ممّا قضينا، وسلم لنا أهل البيت[٢].

وبهذا الإسناد قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): إنّه قال: دين الله (عزّوجلّ) لايصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولايصاب إلّا بالتسليم، فمن سلّم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدي، ومن دان القياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً ممّانقوله أونقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لايعلم[٣].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)،

---

(١) قوله: (فستّة أيّام) لعله إشارة إلى اختلاف أحواله (عليه السلام) في غيبته، فستّة أيّام لم يطّلع على ولادته إلّا خاصّ الخاصّ من أهاليه ثم بعد ستّة أشهر اطّلع عليه غيرهم من الخواصّ ثم بعد ستّ سنين عند وفاة والده (عليه السلام) ظهر أمره لكثير من الخلق. أو إشارة إلى أنّه بعد إمامته لم يطّلع على خبره إلى ستّة أيّام أحد، ثم بعد ستّة أشهر انتشر أمره وبعد ستّ سنين ظهر وانتشر أمر السفراء. والأظهر أنّه إشارة إلى بعض الأزمان المختلفة التي قدرت لغيبته، وأنّه قابل للبداء، ويؤيّده مارواه الكليني: بإسناده عن الأصبغ في حديث طويل، قد مرّ بعضه في باب أخبار أميرالمؤمنين (عليه السلام)، ثم قال: فقلت: ياأميرالمؤمنين وكم تكون الحيرة والغيبة؟ فقال: ستة أيّام أو ستّة أشهر أو ستّ سنين، فقلت: وإنّ هذا لكائن؟ فقال: نعم كما أنّه مخلوق، وأنّى لك بهذا الأمر ياأصبغ، اولئك خيار هذه الأمّة مع خيار أبرار هذه العترة، فقلت: ثم مايكون بعد ذلك؟ فقال: ثم يفعل الله مايشاء فإنّ له بداءات وإرادات وغايات ونهايات. فإنّه يدلّ على أنّ هذا الأمر قابل للبداء. والترديد قرينة على ذلك والله يعلم (بحارالأنوار: ج٥١ ص١٣٤) ماروي في ذلك عن علي بن الحسين (عليه السلام).

(٢) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٣ باب ٣١ ماأخبر به سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) ح٨ و٩.

(٣) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣٢٣ باب ٣١ ماأخبر به سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) ح٩.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾

حديث طويل، وفيه: وليس كلّ من أقرّ أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً، إنّ المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله ويدفعون عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بما عهد به من دين الله وعزائمه وبراهين نبوّته إلى وصيّه، ويضمرون من الكراهيّة لذلك والنقض لما أبرمه منه عند إمكان الأمر لهم فيما قد بيّنه الله تعالى لنبيّه بقوله: «فلا وربّك ـ وتلا إلى قوله ـ ويسلموا تسليماً»[1].

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ: قيل: تعرّضوا بها للقتل بالجهاد، أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل.

و«أن» مصدريّة، أو مفسّرة، لأنّ كتبنا في معنى أمرنا.

أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم: خروجهم.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب «أن اقتلوا» بكسر النون على التحريك، واو اخرجوا بضمّ الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو «ولا تنسوا الفضل»[2] وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الأصل، والباقون بضمّهما، إجراء لهما مجرى الهمزة المتّصلة بالفعل[3].

مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ: توبيخ لهم. والضمير للمكتوب المدلول عليه بقوله

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٨، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة... س ٢٠.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) اقتباس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨، لاحظ تفسيره لآية ٦٦ من سورة النساء.

«كتبنا»، أو لأحد مصدري الفعلين.

وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء، أو على، إلّا فعلاً قليلاً.

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ: من مطاوعة الرسول وما يقوله طوعاً ورغبة.

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ: في العاجل والآجل.

وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا: لإيمانهم، ونصبه على التميز.

قال البيضاوي: والآية أيضاً نزلت في شأن المنافق واليهودي.

وقيل: إنّها والتي قبلها نزلت في حاطب بن أبي بلتعه[١] خاصم زبيراً في شراج من الحرة[٢] كانا يسقيان بها النخل، فقال (عليه السلام): اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال حاطب: لأنّ كان ابن عمّتك، فقال (عليه السلام): اسق يازبير ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف حقّك ثم أرسله إلى جارك[٣].

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن إسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم وسلّموا للإمام تسليماً أو اخرجوا من دياركم رضاً له مافعلوه إلّا قليلاً منهم ولو أنّ أهل الخلاف فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً وفي هذه الآية: «ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت» في امر الوالي ويسلّموا لله الطاعة تسليماً[٤].

---

(١) في النسخة «أ» بلعة والصحيح ماأثبتناه وهو حاطب بن أبي بلتعة الخالفيّ اللخميّ، من بني خالفة، بالخاء المعجمة والألف واللام والفاء، بطن من بني لخم، عدّه ابن عبدالبرّ وابن مندة وأبونعيم من الصحابة، شهد بدرا، وحاله مجهول (تنقيح المقال: ج١ ص ٢٤٩ تحت رقم ٢٢١٨).

أقول: كفى في ضعفه وعدم وثاقته مانسب إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بقوله: لأنّ كان ابن عمتك.

(٢) سراج الحرة، بالكسر وآخره جيم، وهو جمع سرج، وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل، وهي بالمدينة التي خوصم فيها الزبير عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (معجم البلدان: ج٣ ص٣٣١).

وفي هامش النسخة: شراج جمع شرج وهو مابين الحرة الى السهل، والحرة نهر بالموصل ودار بنجد وآخر بالجزيرة (منه دام عزّه).

(٣) تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٨، عند تفسيره لآية ٦٦ من سورة النساء.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ١٦٠ ح ٢١٠ ط النجف.

وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

وفي اصول الكافي: أحمد بن مهران، عن عبدالعظيم، عن بكار، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: هكذا نزلت هذه الآية: «ولو أنهم فعلوا مايوعظون به (في علي عليه السلام) لكان خيراً لهم»(١).

علي بن محمد، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي طالب، عن يونس، عن بكّار، عن أبيه، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام): «ولو أنّهم فعلوا مايوعظون به (في علي عليه السلام) لكان خيراً لهم»(٢).

وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا: جواب لسؤال مقدر، كأنّه قيل: وما يكون لهم بعد التثبيت؟ فقال: وإذاً لو ثبتوا لآتيناهم، لأنّ (إذاً) جواب وجزاء، والواو للاستئناف.

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا: يصلون بسلوكه إلى رضوان الله وجنّته، كما يقول:

وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ: الذين في أعلى علّيين.

وَالصِّدِّيقِينَ: الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٢٤، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٦٠.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤١٧ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٢٨. وفيه: يونس بن بكّار.

وَٱلشُّهَدَآءِ: المقتولين في سبيل الله.

وَٱلصَّٰلِحِينَ: الذين صلحت حالهم، واستقامت طريقتهم.

وكلمة «من» مع مايتبعها، بيان لـ«الذين» أو حال منه أو من ضميره.

وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا: فيه معنى التعجّب.

و«رفيقاً» نصب على التمييز، أو الحال. ولم يجمع، لأنّه يقال للواحد والجمع، كالصديق. أو لأنّه أريد به، وحسن كلّ واحد منهم رفيقاً.

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن علي بن الحزور الغنوي، عن الأصبغ بن نباتة الحنظلي قال: رأيت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يوم افتتح البصرة وركب بغلة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ثم قال: أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله؟ فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال: بلى يا أميرالمؤمنين حدّثنا، فإنّك كنت تشهد ونغيب، فقال: إنّ خير خلق الله يوم يجمعهم الله سبعة من ولد عبدالمطلب لاينكر فضلهم إلّا كافر ولايجحد بهم إلّا جاحد، فقام عمار بن ياسر (رحمه الله) فقال: ياأميرالمؤمنين، سمّهم لنا فلنعرفتهم فقال: إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله، الرسل، وإن أفضل الرسل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وإن أفضل كلّ أمّة بعد نبيّها، وصيّ نبيّها حتى يدركه نبيّ، الا وأنّ أفضل الأوصياء وصى محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، الا وأنّ أفضل الخلق بعد الاوصياء الشهداء، الا وأنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب، له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة لم ينحل أحد من هذه الأمّة جناحان غيره، شيء كرّم الله به محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وشرّفه، والسبطان الحسن والحسين (عليهما السلام)، والمهديّ يجعله الله من شاء منّا أهل البيت، ثم قرأ هذه الآية: «ومن يطع الله -إلى- وحسن اولئك رفيقاً»[١][٢].

(١و٢) (علوان) بضم العين وسكون اللام، و(الحزور) بالفتحات وتشديد الواو، و(الغنوي) بفتحتين، و(نباتة) بضم النون، و(الحنظلي) نسبة إلى حنظلة بن مالك أبي بطن من تميم، و(نغيب) بصيغة ←

....

المتكلّم، أي كنت تحضر دائماً عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكنّا نتغيب أحياناً في الغزوات وغيرها، مع أنّه (صلوات الله عليه) كان يدخل مداخل من الخلوات لايدخل فيها غيره، وفي بعض النسخ بصيغة الخطاب، أي تغيب بعد ذلك عنّا، والأوّل أظهر، والمراد بالرسل أولوا العزم أو الأعمّ منهم وممّن له كتاب من غيرهم، أو جميع الأنبياء والأوصياء وهم النبيّون والصدّيقون والأوصياء، والمراد بالشهداء من استشهد من غير الأنبياء والأوصياء بقرينة المقابلة، فالمراد بقوله: (أفضل الشهداء) أفضلهم من غير المعصومين، فلاينافي فضل الشهداء من الأئمّة (عليهم السلام)، (خضيبان) أي ملوّنان بلون دمه، (لم ينحل) أي لم يعط، و(جناحان) بالرفع على ما في النسخ، حكاية للسابق، وإلّا فالظاهر (جناحين) ويمكن حمله على أنّه لم ينحل أحد قبله، أو من جملة الصحابة، فلاينافي اعطاؤهما العباس بن أميرالمؤمنين (عليهما السلام) كما ورد في الخبر، وإعطاء الجناحين إما في الجسد الأصلي في الآخرة في جنة الخلد، أو في الجسد المثالي في البرزخ في جنة الدنيا، أو الجسد الأصلي أيضاً في البرزخ، و(السبطان) مبتدأ خبره محذوف، أي منهم السبطان، وكذا (المهدي) منصوب بفعل مضمر يفسّره (يجعله) فالسبعة: النبيّ وعلي والحسن والحسين والمهدي وحمزة وجعفر، وكونهم (خير الخلق) إما إضافي بالنسبة إلى غير سائر الأئمّة (عليهم السلام)، أو المراد خيرته كلّ منهم بالنسبة إلى صنفهم، فالنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أفضل الأنبياء، وعلي أفضل الأوصياء بلاواسطة، والحسنان والمهدي أفضل الأئمّة (عليهم السلام)، وحمزة وجعفر أفضل الشهداء غير المعصومين، واكتفى من ذكر سائر الأئمّة بذكر أوّلهم وآخرهم، أو هو محمول على التقيّة، أو هو من أخبار المخالفين ذكر إلزاماً عليهم كما سيأتي، وعلى بعض الوجوه المراد بالصالحين سائر الائمّة، وعلى بعضها لمن لم يرتكب كبيرة أو لم يصرّ عليها وعلى الصغائر (أولئك) إشارة إلى الذين، و(رفيقا) تمييز عن النسبة، و(ذلك) إشارة إلى حسن حال رفيقهم، و(الفضل) خبر، أو الفضل صفة ذلك والظرف خبر.

وأقول: قد روي مثل هذا الخبر من طرق المخالفين: روى السيد في الطرائف من مناقب ابن المغازلي الشافعي يرفعه إلى أبي أيوب الأنصاري، أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: يافاطمة إنّا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأوّلين والآخرين من قبلنا، أو قال: الأنبياء، ولايدركه أحد من الآخرين غيرنا، نبيّنا أفضل الأنبياء وهو أبوك ، ووصيّنا أفضل الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا أفضل الشهداء وهو حمزة عمك ، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عمك ، ومنّا سبطا هذه الامّة، وهما إبناك ، ومنّا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمّة (مرآة العقول: ج٥ ص٢٦٢- ٢٦٤).

الكافي: ج ١ ص ٤٥٠، كتاب الحجة، أبواب التاريخ، باب مولد النبيّ (صلّى الله عليه وآله ←

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أعينونا بالورع، فإنّه من لقي الله (عزّوجلّ) منكم بالورع كان له عندالله فرجاً، إنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «من يطع الله ـ وقرأ إلى ـ وحسن اولئك رفيقاً» فمنّا النبيّ ومنّا الصدّيق والشهداء والصالحين[١].

أبوعلي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النصر الخزاز، عن جدّه الربيع بن سعد قال: قال لي أبوجعفر (عليه السلام): ياربيع إنّ الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً[٢].

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبدالله، عن خالد الرقي، عن خضر بن عمرو، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: المؤمن مؤمنان، مؤمن وفي لله بشروطه التي اشترطها عليه، فذلك مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً، وذلك ممّن يشفع ولايشفع له، وذلك ممّن لايصيبه أهوال الدنيا ولاأهوال الآخرة ومؤمن زلّت به قدم فذلك كخامة[٣] الزرع كيف ماكفته الريح انكفى او ذلك ممّن يصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة ويشفع له وهو على خير[٤].

وفي روضة الكافي: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل، يقول فيه (عليه السلام): ألم تسمعوا ماذكر الله من فضل اتّباع الأئمّة الهداة، وهم

وسلم) ووفاته، ح٣٤.

أقول: روى الحافظ الكبير عبيدالله بن عبدالله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني الحذّاء الحنفيّ النيسابوريّ روايات بهذا المضمون، لاحظ شواهد التنزيل: ج١ ص١٥٤، ح٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٨، كتاب الايمان والكفر، باب الورع، ح ١٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٥، كتاب الايمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ٨.

(٣) خامة كياه تر وتازة: وفي الحديث: مثل المؤمن المنافق مثل الخامة من الزرع يجعلها الريح مرّة هكذا ومرّة هكذا (منه دام عزه) كذا في هامش النسخة.

(٤) الكافي: ج ٢، ص٢٤٨، كتاب الإيمان والكفر، باب في أن المؤمن صنفان، ح٢.

المؤمنون قال: «اولئك -إلى- حسن اولئك رفيقاً» فهذا وجه من وجوه فضل اتّباع الأئمّة، فكيف بهم وفضلهم(١).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال لأبي بصير: ياأبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه، فقال: «اولئك -إلى- حسن اولئك رفيقاً»، فرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الآية النبيّون، ونحن في هذا الموضع الصدّيقون والشهداء، وأنتم الصالحون، فتسمّوا بالصلاح كما سمّاكم الله (عزّوجلّ)، والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة(٢).

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن جندب، عن الرضا (عليه السلام) قال: حقّ على الله أن يجعل وليّنا رفيقاً للنبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً(٣).

وفي كتاب الخصال عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أوصى إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان فيما أوصى به أن قال له: ياعلي من حفظ من أُمّتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً، فقال علي (عليه السلام): يارسول الله ماهذه الأحاديث؟ فقال: أن تؤمن بالله وحده لاشريك له وتعبده ولا تعبد غيره -إلى أن قال-: بعد تعدادها (صلوات الله عليه وآله)، فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من أُمّتي دخل الجنة برحمة الله، وكان من أفضل الناس وأحبّهم إلى الله بعد النبيّين والوصيّين، وحشره الله تعالى يوم القيامة مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً(٤).

---

(١) الكافي: ج ٨ ص٤٠٤، رسالة أبي عبدالله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة، س٨.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٥، في مقامات الشيعة وفضائلهم قطعة من ح٦ س ٢٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٦ ح ١٨٩.

(٤) الخصال: ص ٥٤٣، أبواب الأربعين وما فوقه، قطعة من ح١٩.

عن محمد بن أبي ليلى قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الصدّيقون ثلاثة، علي بن أبي طالب، وحبيب النجار، ومؤمن آل فرعون[١].

وفي عيون الأخبار: عن الرضا (عليه السلام)، عن أبيه، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لكلّ أُمّة صدّيق وفاروق، وصدّيق هذه الأُمّة وفاروقها علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢].

وفي شرح الآيات الباهرة وذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) في كتاب مصباح الأنوار قال: حدّث النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعمّه العباس، بمشهد من القرابة والصحابة، روى أنس بن مالك قال: صلّى بنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في بعض الأيام صلاة الفجر ثم أقبل علينا بوجهه الكريم، فقلت: يارسول الله أرأيت أن تفسّر لنا قوله تعالى: «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أمّا النبيّون فأنا، وأمّا الصدّيقون فأخي علي، وأمّا الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين، قال: وكان العباس حاضراً فوثب وجلس بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال: ألسنا أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة؟ قال: وما ذاك ياعمّ؟ قال: لأنّك تعرّف بعلي وفاطمة والحسن والحسين دوننا؟! قال: فتبسّم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال: وأمّا قولك: ألسنا من نبعة واحدة، فصدقت، ولكن ياعمّ إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لاسماء مبنيّة ولاأرض مدحيّة ولاظلمة ولانور ولاشمس ولاقمر ولاجنة ولانار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يارسول الله؟ فقال: ياعمّ لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم كلمة خلق منها نوراً، ثم تكلّم كلمة أُخرى فخلق منها روحاً، ثم مزج

(١) الخصال: ص ١٨٤، باب الثلاثة، الصديقون ثلاثة، ح ٢٥٤.

(٢) عيون الأخبار: ج ٢ ص ١٣ قطعة من ح ٣٠.

النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس فلمّا أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة شقّ نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نورالله، ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي ونور علي من نورالله وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نورالله (عزّوجلّ) وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نورالله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين ثم خلق منه الجنة والحورالعين فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نورالله والحسين أفضل من الجنة والحور العين، ثم أمر الله الظلمات أن تمرّ على السحاب المنظر، فأظلمت السماوات على الملائكة فضجّت الملائكة بالتسبيح والتقديس وقالت: إلهنا وسيّدنا منذ خلقتنا وعرّفتنا هذه الأشباح لم نر بؤساً، فبحقّ هذه الأشباح إلّا ما كشفت عنّا هذه الظلمة، فأخرج الله من نور ابنتي فاطمة قناديل فعلّقها في بطنان العرش، فأزهرت السماوات والأرض، ثم أشرقت بنورها، فلأجل ذلك سمّيت الزهراء، فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا لمن هذا النور الزاهر الذي قد أشرقت به السماوات والأرض؟ فأوحى الله إليها هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة بنت حبيبي وزوجة وليّي وأخي نبيّي وأبي حججي على عبادي، أُشهدكم ملائكتي أنّي قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبّيها إلى يوم القيامة، قال: فلمّا سمع العباس من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذلك، وثب قائماً وقبّل بين عيني علي (عليه السلام)، وقال: والله ياعلي أنت الحجّة البالغة لمن آمن بالله واليوم الآخر[1].

---

(١) مصباح الأنوار مخطوط في المكتبة العامة لآية... المرعشي دام ظلّه. ورواه في البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص ٣٩٢ ح٥ في تفسيره لآية ٦٩ من سورة النساء.

وفي اصول الكافي[١]: عن رجاله، عن إسماعيل بن جابر قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): من سرّه أن يلقى الله وهو مؤمن حقاً حقاً فليتولّ الله ورسوله والذين آمنوا، وليتبرّأ إلى الله من عدوّهم، وليسلّم إلى ماانتهى إليه من فضلهم، إنّ فضلهم لايبلغه ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ولامن دون ذلك، ألم تسمعوا ماذكره الله من فضل أتباع الأئمّة الهداة، وهم المؤمنون، قال (تبارك وتعالى): «ومن يطع الله -وتلا إلى قوله- وحسن اولئك رفيقاً» وقال: وهذا وجه من وجوه فضل أتباع الأئمّة، فكيف بهم وفضلهم[٢].

وفي كتاب معاني الأخبار: حدّثنا محمد بن القاسم الاسترابادي المفسّر قال: حدّثني يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «صراط الذين أنعمت عليهم» أي: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله (عزّوجلّ): «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً»[٣].

حكى هذا بعينه، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)[٤].

وفي بصائر الدرجات: الحسن بن أحمد، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن العباس والحريش، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ لنا لشأناً -وذكر حديثاً، وفي آخر ماقلت- ماعندي كثير صلاح، قال: لا تكذب على الله، فإنّ الله قد سمّاك صالحاً حيث يقول: «اولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» يعني الذين آمنوا بنا وبأميرالمؤمنين (عليه السلام)[٥].

---

(١) هكذا في النسخ التي تحت أيدينا ولم نعثر عليه في الأصول ولكنه موجود في الروضة كما يأتي.

(٢) الكافي: ج٨ص٤٠٤ في رسالة أبي عبدالله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة س٦.

(٣ و٤) معاني الأخبار: ص ٣٦، باب معنى الصراط قطعة من ح٩.

(٥) بصائر الدرجات: ج ٣ ص ١٣١ باب ٨ مايزاد الأئمّة في ليلة الجمعة من العلم المستفاد قطعة من ح٢ س١.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ۝٧١﴾

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وأمّا قوله: «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» قال: النبيّين رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والصدّيقين والشهداء الحسن والحسين، والصالحين الأئمة، وحسن اولئك رفيقاً، القائم من آل محمّد (صلوات الله عليهم)[1].

ونقل في سبب نزول هذه الآية: إنّ ثوبان مولى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أتاه يوماً وقد تغيّر وجهه ونحل جسمه، فسأله عن حاله؟ فقال: مابي من وجع غير أنّي إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لاأراك هناك، لأنّي عرفت أنّك ترفع مع النبيّين، وإن أُدخلت الجنّة كنت في منزل دون منزلك، وإن لم أدخل فذاك حين لاأراك أبداً، فنزلت[2].

ذَٰلِكَ: إشارة إلى ماللمطيعين من الأجر ومزيد الهداية، ومرافقة المنعم عليهم، أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومرتبتهم.

ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ: خبره، أو «الفضل» خبره، و«من الله» حال والعامل فيه معنى الإشارة.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٢ عند تفسيره لآية ٦٩ من سورة النساء.

(٢) نقله في مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٢، والبيضاوي: ج١ ص٢٢٩ عند تفسيرهما لآية ٦٩ و٧٠ من سورة النساء.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾: بجزاء من أطاعه، أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال حدّثني عبيد بن كثير معنعناً، عن اصبغ بن نباتة قال: لمّ هزمنا أهل البصرة جاءَ علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى استند إلى حائط من حيطان البصرة واجتمعنا حوله وأميرالمؤمنين راكب والناس نزول فيدعوا الرجل باسمه فيأتيه حتى وافاه بها نحو ستّين شيخاً كلّهم قد صفروا اللحىٰ وعقصوها وأكثرهم يومئذ من همدان، فأخذ أميرالمؤمنين في طريق من طرق البصرة ونحن معه وعلينا الدروع والمغافر متقلّدين السيوف متنكّبي الاترسة حتى انتهىٰ الى دار قوز فدخلنا فإذا فيها نسوة يبكين فلمّا رأينه صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبّة، فأسكت عنهم ثم قال: أين منزل عائشة فأومؤوا إلى حجرة في الدار فحملنا علياً عن دابته فأنزلناه فدخل عليها فلم أسمع من قول علي شيئاً إلّا أنّ عائشة امرأة كانت عالية الصوت فسمعت كهيئة المعاذير إنّي لم أفعل، ثم خرج علينا أميرالمؤمنين (عليه السلام). فحملنا علياً على دابته فعارضت امرأة من قبل الدار فقال: اين صفيّة؟ قالت: لبّيك ياأميرالمؤمنين، قال: ألاتكفيني عنّي هؤلاء الكلبات التي يزعمن أنّي قتلت الأحبّه، لو قتلت الأحبّة لقتلت من في تلك الدار وأومأ بيده الى ثلاث حجر في الدار فضربنا بأيدينا على قوائم السيوف وضربنا بأبصارنا الى الحجر التي أومأ إليها فوالله مابقيت في الدار باكية إلّا سكتت ولاقائمة إلّا جلست قلت: ياأبا القاسم فمن كان في تلك الثلاث حجر؟ قال: أمّا واحدة فكان فيها مروان بن الحكم جريحاً ومعه شباب قريش جرحىٰ، وأمّا الثانية فكان فيها عبدالله بن زبير ومعه آل الزبير جرحىٰ، وأمّا الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة يدور مع عائشة أينما دارت قلت: ياأبا القاسم هؤلاء أصحاب القرحة فهلا ملتم عليهم بهذه السيوف قال ابن أخي أميرالمؤمنين: كان اعلم منك وسعهم أمانه إنّا لمّا هزمنا القوم نادىٰ مناديه لايدفف على جريح ولايتبع مدبر ومن ألقىٰ سلاحه فهو آمن سنّة يستنّ بها بعد يومكم هذا ثم مضىٰ ومضينا معه حتى انتهينا العسكر فقام إليه ناس من أصحاب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) منهم أبو أيوب الأنصاريّ وقيس بن سعد وعمار بن ياسر وزيد بن حارثة وأبو ليلىٰ فقال: ألا

أخبركم بسبعة من أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى؟ قال أبو أيوب: بلىٰ والله فاخبرنا يا أمير المؤمنين فإنّك كنت تشهد ونغيب قال: فإنّ أفضل الخلق يوم يجمعهم الله سبعة من بني عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلّا كافر ولا يجحد إلّا جاحد، قال عمار بن ياسر (رضي الله عنه): ما اسمهم يا أمير المؤمنين فلنعرفهم؟ قال: إنّ أفضل الخلق يوم يجمع الله، الرسل، وان من أفضل الرسل محمّداً (عليهم الصلاة والسلام) ثم أنّ أفضل كل أمّة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتى يدركه نبيّ وأنّ أفضل الأوصياء وصيّ محمّد (عليهما السلام) ثم أنّ أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء، وأنّ أفضل الشهداء جعفر بن أبي طالب (رحمه الله) ذا جناحين مع الملائكة لم يحلّ بحليته أحد من الآدميّين في الجنة شيء شرّفه الله به والسبطان الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنة من ولدت اباهما[1] والمهدي يجعله الله من أحبّ منّا أهل البيت، ثم قال: ابشروا ثلاثة من يطع الله والرسول «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفىٰ بالله عليماً»[2].

وقال: حدّثني الحسن بن علي بن بزيع معنعناً، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): إنّي أُريد أن أذكر حديثاً، قلت: فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تذكره؟ فقال: ما قلت هذا إلّا وأنا أُريد أن أذكره، ثم قال: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين كان أفضلهم سبعة منّا بني عبد المطلب، الانبياء أكرم الخلق ونبيّنا أفضل الانبياء (عليهم السلام) ثم الاوصياء أفضل الامم ووصيّه أفضل الاوصياء (عليهم السلام) ثم الشهداء أفضل الأُمم بعد الاوصياء وحمزة سيد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين يطير مع الملائكة لم ينحله الله شهيداً قط قبله (رحمة الله عليهم أجمعين) «اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً» ثم السبطان حسناً وحسيناً، والمهدي (عليهم السلام) والتحيّة والإكرام، جعلهم الله

(١) هكذا في المصدر والعبارة غامضة.
(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٩.

ممّن يشاء أهل البيت[١].

وقال: حدّثني محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً، عن سليمان الديلمي قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) إذ دخل عليه أبو بصير وقد أخذه النفس فلمّا أن أخذ مجلسه قال أبو عبدالله (عليه السلام) ياأبا محمد ماهذا النفس العالية؟ قال: جعلت فداك يابن رسول الله كبرت سنّي ودقّ عظمي واقترب أجلي ولست أدري ماأرد عليه من أمر آخرتي، فقال أبو عبدالله: ياأبا محمد وإنّك لتقول هذا؟ قال: وكيف لاأقول هذا فذكر كلاماً ثم قال: ياابامحمد لقد ذكركم الله في كتابه المبين «أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» فرسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الآية النبيّين ونحن في هذا الموضع الصدّيقين والشهداء، وأنتم الصالحون فسمّوا بالصلاح كما سمّاكم ياأبامحمد[٢].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ: فتيقّظوا واستعدّوا للأعداء. الحذر والحذر كالاثر والأثر، وقيل: مايحذر به كالحزم والسلاح، ويؤيّده مارواه في مجمع البيان، عن أبي جعفر (عليه السلام): أنّ معناه خذوا أسلحتكم[٣].

فَٱنفِرُواْ: فاخرجوا إلى الجهاد.

ثُبَاتٍ: جماعات متفرّقة، جمع ثبة، من ثبت على فلان تثبته، إذا ذكرت متفرّق محاسنه، ويجمع أيضاً على ثبين جبراً لما حذف من عجزه.

أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا: مجتمعين كوكبة واحدة.

وروي في مجمع البيان، عن أبي جعفر (عليه السلام): أنّ المراد بالثبات السرايا، وبالجميع العسكر[٤].

---

(١) تفسيرفرات الكوفي:ص٣٥وفيه الحسين بدل الحسن.

(٢) تفسيرفرات الكوفي ص ٣٦ وفيه القسم بدل القاسم.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٣ عند تفسيره لآية ٧١ من سورة النساء، قال: أنّ معناه خذوا أسلحتكم، سمّى الأسلحة حذراً، لأنّها الآلة التي بها يتّقي الحذر وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وغيره.

(٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٣ في تفسيره لآية ٧١ من سورة النساء.

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ
مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى
كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ
وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

والاية وإن نزلت في الحرب، لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلّها كيف ما أمكن قبل الفوات.

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ: الخطاب لعسكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المؤمنين منهم والمنافقين، والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلّفوا عن الجهاد، من بطأ بمعنى إبطاء، وهو لازم، أو ثبّطوا غيرهم كما ثبّط ابن أُبي ناساً يوم أُحد من بطأ منقولاً من بطء، كثقل من ثقل، واللام الأُولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل، والثانية جواب قسم محذوف، والقسم بجوابه صلة «من» والراجع إليه ما استكن في «ليبطئن» والتقدير: وإن منكم من لاقسم بالله ليبطئنّ.

فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ: كقتل وهزيمة.

قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا: أي المبطئ حاضراً فيصيبني ما أصابهم.

وفي مجمع البيان: عن الصادق (عليه السلام): لو أنّ أهل السماوات والأرض قالوا: قد أنعم الله علينا إذ لم أكن مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لكانوا

بذلك كفّاراً مشركين[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم، والعياشي: عن الصادق (عليه السلام): لو قال هذه الكلمة أهل الشرق والغرب لكانوا بها خارجين من الايمان، ولكنّ الله سمّاهم مؤمنين بإقرارهم[٢][٣].

وفي رواية سمّاهم مؤمنين بإقرارهم. وفي رواية سمّاهم مؤمنين، وليسوا هم بمؤمنين ولا كرامة[٤].

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾: كفتح وغنيمة.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكّده تنبيهاً على فرط تحسّرهم.

وقرئ بضم اللام إعادة للضمير على المعنى.

﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ﴾: وقرأ ابن كثير وحفص، عن عاصم ورويس، عن يعقوب بالتاء لتأنيث لفظ المودّة.

﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: اعتراض بين الفعل ومفعوله، وهو.

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: تنبيه على ضعف عقيدتهم، وإنّ قولهم هذا قول من لامواصلة بينكم وبينه، وإنّما يريد أن يكون معكم لمجرد المال، أو حال عن الضمير في «ليقولن» أي حال كونهم لامودّة بينه وبينكم، بناء على أنّه إنّما يريد أن يكون معهم لمجرد المال، أو داخل في المقول، أي يقول المبطئ لمن يثبّطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريباً وحسداً، كأن لم يكن بينكم وبين محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مودّة، حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز، ياليتني كنت معهم. والقول باتصاله بالجملة الأُولى ضعيف، إذ لايفصل أبعاض الجملة بما لايتعلّق بها لفظاً ومعنى، و«كأن» مخفّفة واسمه ضمير الشأن المحذوف والمنادى في «ياليتني» محذوف، أي ياقوم.

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٤ في تفسيره لآية ٧٢ من سورة النساء.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٣ س ٤ في تفسيره لآية ٧٢ من سورة النساء.

(٣و٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٧ ح ١٩١.

وقيل: «يا» للتنبيه على الاتساع «فأفوز» نصب على جواب التمنّي.

وقرئ بالرفع على تقدير، فأنا أفوز في ذلك الوقت، أو العطف على «كنت».

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا: أي يبيعونها. **بِالْآخِرَةِ**: يعني إن بطأ هؤلاء عن القتال، فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة، أو فليقاتل الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة، وهم المبطئون، والمقصود حثّهم على ترك ماحكي عنهم.

وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا: وعدَ له الأجر العظيم غَلَبَ او غُلِبَ، ترغيباً في القتال، وتكذيباً لقولهم «قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً».

وإنّما قال: «فيقتل أو يغلب» تنبّهاً على أنّ المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعزّ نفسه بالشهادة، أو الدين بالظفر والغلبة، وأن لايكون قصده بالذات إلى القتل، بل إعلاء الحقّ واعزاز الدين[1].

وفي كتاب الخصال: عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: فوق كلّ برّ برّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله ليس فوقه برّ[2].

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كلّ ذنب يكفّره القتل في سبيل الله إلاّ الدين لاكفّارة له إلاّ أداؤه أو يقضي صاحبه أو يعفو الذي له عليه الحقّ[3].

وعن الصادق (عليه السلام): من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته[4].

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): للشهيد سبع خصال من الله، أوّل

---

(١) من قوله: (وقرأ ابن كثير) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٢٩، فراجع.

(٢) الخصال: ص ٩ باب الواحد، (برّ ليس فوقه برّ وعقوق ليس فوقه عقوق) ح٣١ وتمام الحديث (وفوق كلّ عقوق عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه، فإذا قتل أحدهما فليس فوقه عقوق).

(٣) الخصال: ص ١٢ باب الواحد (كل ذنب يكفّره القتل في سبيل الله...) ح٤٢.

(٤) الكافي: ج٥ ص ٥٤، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة ح ٦.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ٧٥

قطرة من دمه مغفور له كلّ ذنب، والثانية يقع رأسه في حجر زوجيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه، تقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يكسى من كسوة الجنة، والرابعة يبتدره خزنة الجنة بكلّ ريح طيّبة أيّهم يأخذه منه، والخامسة أن يرى منزله، والسادسة يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة أن ينظر في وجه الله وأنّها الراحة لكلّ نبيّ وشهيد[1].

وَمَا لَكُمْ: مبتدأ وخبره.

لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل.

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ: عطف على اسم الله، أي وفي سبيل المستضعفين، وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدوّ، أو على السبيل بحذف المضاف، أي وفي خلاص المستضعفين، ويحتمل النصب على الاختصاص، فإنّ سبيل الله يعمّ أبواب الخير، وتخليص المسلمين من أيدي الكفّار أعظمها وأخصّها.

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ: بيان للمستضعفين، وهم المسلمون الذين بقوا بمكة، لصدّ المشركين، أو لضعفهم عن الهجرة مبتذلين.

وإنّما ذكر الولدان مبالغة في الحثّ، وتنبيهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان، وإنّ دعوتهم أُجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البليّة.

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٢١ كتاب الجهاد باب ٥٤ فضل الجهاد وفروضه ح٣.

وفي الكشاف: إنّ المراد به العبيد والإماء، وهو جمع وليد[١].

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾: فاستجاب الله دعاءهم، بأن يسّر لبعضهم الخروج إلى المدينة، وجعل لمن بقي منهم خير وليّ وناصر، ففتح مكة على نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فتولّاهم ونصرهم.

قيل: ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعزّه أهلها[٢].

والقرية، مكة، والظالم صفتها، وتذكيرها لتذكير ماأُسند إليه، لأنّ اسم الفاعل أو المفعول إذا أجرى على غير من هو له كان كالفعل يذكّر ويؤنّث على حسب ماعمل فيه.

في روضة الكافي: ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن سعيد بن المسيّب، عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، في حديث طويل: وقد كانت خديجة (عليها السلام) ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب (عليه السلام) بعد موت خديجة بسنة، فلمّا فقدهما رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سئم المقام بمكة ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفّار قريش، فشكى إلى جبرئيل ذلك، فأوحى الله (عزّوجلّ) إليه أن اخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً، فعند ذلك توجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى المدينة[٣].

وفي تفسير العياشي: عن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه تلا:

---

(١) الكشاف: ج ١ ص ٥٣٤ في تفسيره لآية ٧٥ من سورة النساء، قال: (ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر، و بالولدان العبيد والإماء، لأنّ العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة).

(٢) الكشاف: ج ١ ص ٥٣٤ في تفسيره لآية ٧٥ من سورة النساء، قال: (ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا).

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٣٤٠، حديث إسلام علي (عليه السلام)، ح ٥٣٦ س١٨.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

«المستضعفين -إلى- نصيراً»، وقال: نحن اولئك[١].

وعن سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام): مثله[٢].

الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي فيما يصلون به إلى الله.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ: فيما يبلغ بهم إلى الشيطان.

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ: لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان، ثم شجعهم بقوله.

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا: أي إنّ كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين، ضعيف لايؤبه به[٣] فلا تخافوا أولياءه، فإنّ اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه واعتمادكم على أقوى شيء وأحكمه.

وبما سبق من دلالة سبب نزول آية «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت» من نقل البيضاوي عن ابن عباس، من أنّ الطاغوت فلان، وبهذه الآية يثبت كفر أوليائه ووجوب مقاتلتهم وكونهم أولياء الشيطان.

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عمن ذكره، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إذا سمعتم العلم فاستعملوه، ولتتسع قلوبكم فإنّ العلم إذا

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٧ ح ١٩٣.
(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٧ ح ١٩٤.
(٣) يقال: فلان لايؤبه له ولايُؤبه به، أي لايُبالى به، وعن ابن السكيت: ماوبهت له، أي مافطنت له (مجمع البحرين: ج٦ ص٣٦٥ لغة وبه).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

كثر في قلب رجل لايحتمله، قدر الشيطان عليه، فإذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون، فإنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً، فقلت: وما الذي نعرفه؟ قال: خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله (عزّوجلّ)[1][2].

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ: عن القتال.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥ باب استعمال العلم، ح ٧.

(٢) قوله: (إذا سمعتم العلم) المراد بالعلم المذعن به، لانفس التصديق، والمقصود أنّه بعد حصول العلم ينبغي الإشتغال بأعماله والعمل على وفقه عن طلب علم آخر، وقوله (عليه السلام): (ولتتسع قلوبكم) أي يجب أن يكون طلبكم للعلم بقدر تتسعه قلوبكم ولا تستكثروا منه، ولا تطلبوا مالا تقدرون على الوصول إلى كنهه، فإنّه حينئذٍ يستولي الشيطان عليكم ويوقعكم في الشبهات. وقيل: ينبغي أن يكون اهتمامكم بالعمل، لابكثرة السماع والحفظ إلى حدّ يضيق قلوبكم عن احتماله، وذلك إنّما يكون بترك العمل، لأنّ العالم إذا عمل بعلمه، لايضيق قلبه عن احتمال العلم.

وقوله (عليه السلام): (فإذا خاصمكم) تنبيه على دفع مايتوهم من أنّ القناعة من العلم بما يسعه القلب يؤدّي إلى العجز عن مخاصمة الشيطان، بأنّ الإقبال على الشيطان بما تعرفون من العقائد المعتبرة في أصل الإيمان يكفي في رفعه، فإنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً.

والمراد بقوله: (خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله عزّوجلّ) خاصموه بآثار قدرته الظاهرة في الرسول، أو على يده الدالّة على رسالته، وبآثار قدرته الظاهرة في الوصيّ من فطانته وعلمه وصلاحه بعد تنصيص النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على عينه أو صفاته، وبما ظهر من قدرته تعالى في كلّ شيء، فإنّه يدلّ على قدرته على إنشاء النشأة الآخرة وإثابة المطيع وتعذيب العاصي، فإنّ بهذه

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ : واشتغلوا بما أُمرتم به منها.

قيل: وذلك حين كانوا بمكة وكانوا يتمنّون أن يؤذن لهم في ذلك(١).

وفي مجمع البيان: المروي عن أئمتنا (عليهم السلام) أنّ هذه الآية منسوخة بقوله: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم»(٢)(٣).

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل ابن شاذان، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن عبدالله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في هذه الآية «كفوا ألسنتكم»(٤).

فعلى هذه الرواية تكون الآية فيمن لايصح له القتال، ويكون المراد بكف الأيدي، كف الألسن عمّا يوجب القتال، ولم تكن الآية منسوخة.

والجمع بينها وبين الرواية الأولى: أنّها منسوخة ببعض معانيها محكمة ببعض آخر.

وفي روضة الكافي: علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبدالرحمان، عن منصور، عن حريز، عن عبدالله(٥)، عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يافضيل أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا ألسنتكم وتدخلوا الجنة، ثم قرأ «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا

المعرفة تنبعث النفس على فعل الطاعات وترك السيئات، ثم كلما ازداد علماً وسعياً ازداد بصيرة ويقيناً (مرآة العقول: ج١ ص١٤٦).

(١) قال في الكشاف: ج ١ ص ٥٣٥ عند تفسيره لآية ٧٧ من سورة النساء (وذلك أنّ المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفّار ماداموا بمكة وكانوا يتمنّون أن يؤذن لهم فيه).

(٢) البقرة: ١٩٠.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٨٥ عند تفسيره لآية ١٨٩ من سورة البقرة قال: واختلف في الآية (أي قوله تعالى: «وقاتلوا في سبيل الله» هل هي منسوخة أم لا، إلى أن قال: وروي عن أئمتنا أن هذه الآية ناسخة لقوله: «كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة».

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٤ كتاب الايمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان، ح ٨.

(٥) سند الحديث في الروضة هكذا (عنه، عن علي بن الحسن، عن منصور، عن حريز بن عبدالله، عن الفضيل).

الصلاة وآتوا الزكاة» أنتم والله أهل هذه الآية[١].

يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): يامالك اما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا وتدخلوا الجنة[٢].

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ: يخشون الكفار أن يقتلوهم، كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه.

و«اذا» للمفاجأة، جواب «لمّا» و«فريق» مبتدأ «منهم» صفته «يخشون» خبره «كخشية الله» من اضافة المصدر إلى المفعول وقع موقع المصدر، أو الحال من فاعل «يخشون» على معنى يخشون مثل أهل خشية الله منه.

أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً: عطف عليه إن جعلته حالاً، وإن جعلته مصدراً فلا، لأنّ أفعل التفضيل إذا نصب مابعده لم يكن من جنسه، بل هو معطوف على اسم الله، أي كخشية الله، أو كخشية أشدّ خشية منه على الفرض، اللهمّ إلّا أن يجعل الخشية ذات خشية، كقولهم: جدّ جدّه، على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله، أو خشية أشدّ خشية من خشية الله.

وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ: استزادة في مدّة الكفّ عن القتال حذراً عن الموت.

ويحتمل أنّهم ماتفوّهوا به، ولكن قالوه في أنفسهم، فحكى الله عنهم[٣].

وفي تفسير العياشي عنه: «كفوا أيديكم واقيموا الصلاة» قال: نزلت في الحسن بن علي أمره الله بالكفّ «فلمّا كتب عليهم القتال» نزلت في الحسين بن علي كتب الله عليه وعلى أهل الأرض أن يقاتلوا معه[٤].

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٨٩ ح ٤٣٤ س ٢.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٤٦ ح ١٢٢.

(٣) من قوله (وإذا للمفاجأة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٣١.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٨ ح ١٩٨.

علي بن اسباط يرفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لو قاتل معه أهل الأرض لقتلوا كلهم[1].

عن إدريس مولى لعبدالله بن جعفر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم» وهو الاصح مع الحسن (عليه السلام)، «فلمّا كتب عليهم القتال» مع الحسين (عليه السلام) «قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا إلى أجل قريب» إلى خروج القائم (عليه السلام) فإنّ معه النصر والظفر[2].

وفي روضة الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي الصباح بن عبدالحميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: والله للذي صنعه الحسن بن علي (عليهما السلام) كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس، والله لقد نزلت هذه الآية: «ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» إنّما هي طاعة الإمام وطلبوا القتال فلمّا كتب عليهم القتال مع الحسين (عليه السلام) قالوا: «ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل» أرادوا تأخير ذلك الى القائم (عليه السلام)[3].

قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ: سريع التقضّي.

وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا: أي ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم، فلا ترغبوا عنه، أو من آجالكم المقدّرة.

والفتيل حبل دقيق من ليف، والسحاة التي في شق النواة، وما فتلته بين أصابعك من الوسخ، يكنّى به عن القليل، كقولهم: وما أغنى عنك فتيلاً.

وقرأ ابن كثير والكسائي بالياء لتقدّم الغيبة.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٨ ح ١٩٩.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٧ ح ١٩٥.

(٣) الكافي: ج٨ ص٣٣٠ ح٥٠٦.

أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن
تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ
سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ
فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩

أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ : وقرئ بالرفع على حذف الفاء، أو على أنه كلام مبتدأ، و«أينما» متصل بلا تظلمون.

وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ: في قصور أو حصون مرتفعة، والبروج في الاصل بيوت على أطراف القصر، من تبرّجت المراة، إذا ظهرت.

وقرئ مشيِّدة بصيغة اسم الفاعل، وصف لها بوصف فاعلها، كقولهم: قصيدة شاعرة ومشيِّدة، من شاد القصر، إذا رفعه.

وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ: نعمة، كخصب.

يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ : أي بليّة، كقحط.

يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ: يطّيّروا بك، ويقولون: إن هي إلّا بشؤمتك، كما قالت اليهود حين دخل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها.

قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ: يبسط ويقبض حسب إرادته.

فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا : يوعظون به، وهو القرآن، فإنّهم لو فهموه وتدبّروا معانيه، لعلموا أنّ الكلّ من الله، أو حديثاً ما، كبهائم لا أفهام لها، أو حادثاً من صروف الزمان، فيتفكّروا فيها، فيعلموا أنه الباسط والقابض.

مَآ أَصَابَكَ : ياإنسان.

مِنْ حَسَنَةٍ : من نعمة.

فَمِنَ ٱللَّهِ : تفضّلاً، فإنّ كلّ مايفعله الإنسان من عبادة فلا يكافئ صغرى نعمة من أياديه.

وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ : من بليّة.

فَمِن نَّفْسِكَ : لأنّها السبب فيها، لاستجلابها بالمعاصي، وهو لاينافي قوله: «كل من عندالله» فإنّ الكلّ منه إيجاداً وإيصالاً، غير أنّ الحسنة إحسان والسيئة مجازاة وانتقام، قال الله: «ماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»[(١)].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن الصادقين (عليهما السلام) أنّهم قالوا: إنّ الحسنات في كتاب الله على وجهين، أحدهما الصحة والسلامة والأمن والسعة في الرزق، والآخر الأفعال كما قال: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[(٢)] وكذلك السيئات،فمنها الخوف والمرض والشدّة، ومنها الأفعال التي يعاقبون عليها[(٣)].

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى زرارة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: كما أنّ بادي النعم من الله (عزّوجلّ) وقد نحلكموه، فكذلك الشرّ من أنفسكم، وإن جرى به قدره[(٤)].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبوالحسن الرضا (عليه السلام): قال الله: ابن آدم بمشيئتي كنت، أنت الذي تشاء لنفسك ماتشاء، وبقوّتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً، ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذاك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك منّي،

---

(١) الشورى: ٣٠. (٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٤ س ١٢ في تفسيره لآية ٧٩ من سورة النساء.

(٤) التوحيد: ص ٣٦٨ باب ٦٠ القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والاجال ح٦.

مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾

وذاك أنّي لاأسأل عمّا أفعل وهم يسألون(١).

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ربعي بن عبدالله بن الجارود، عمّن ذكره، عن علي بن الحسين (صلوات الله عليه وآبائه) قال: إنّ الله (عزّوجلّ) خلق النبيّين من طينة علّيّين وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدانهم من دون ذلك، وخلق الكافرين من طينة سجين وقلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة ويصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ماخلقوا منه، وقلوب الكافرين تحنّ إلى ماخلقوا منه(٢).

وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ: حال قصد بها التأكيد، إن علق الجار بالفعل، والتعميم إن علق بها، أي رسولاً للناس جميعاً، ويجوز نصبه على المصدر.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا: على رسالتك بنصب المعجزات، فما ينبغي لأحد أن يخرج من طاعتك.

مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ: لأنّه في الحقيقة مبلّغ، والآمر والناهي هو الله.

نقل أنه (عليه السلام) قال: من أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أطاعني فقد أطاع

---

(١) الكافي: ج ١ ص ١٥٩ كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين ح١٢ وصدر الحديث (أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): إنّ بعض أصحابنا يقول بالجبر وبعضهم يقول بالاستطاعة قال: فقال لي: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال علي بن الحسين: قال الله (عزّوجلّ): يابن آدم إلخ، وتمامه (قد نظمت لك كلّ شيء تريد).

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٧٨ باب ٧٧ العلّة في خروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن ح٢.

الله، فقال المنافقون: لقد قارف الشرك وهوينهى عنه، مايريد إلّا أن نتّخذه ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى، فنزلت[١].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد أبي زاهر، عن علي بن إسماعيل، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحوي قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فسمعته يقول: إنّ الله (عزّوجلّ) أدّب نبيّه على محبّته، فقال: «إنّك لعلى خلق عظيم»[٢] ثم فوّض إليه فقال (عزّوجلّ): «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[٣] وقال (عزّوجلّ): «من يطع الرسول فقد أطاع الله» ثم قال: وإنّ نبيّ الله فوّض إلى علي وائتمنه، فسلّمتم وجحد الناس، فوالله لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله (عزّوجلّ) ماجعل الله خيراً في خلاف أمرنا[٤].

عدّة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول، ثم ذكر مثله[٥] [٦].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ذروة الأمر وسنامه، ومفتاحه، وباب الأشياء، ورضا الرحمان (تبارك وتعالى)، الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إنّ الله (تبارك وتعالى) يقول: «من يطع الرسول» إلى قوله: «حفيظاً»[٧].

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ج١ ص٢٣٢ عند تفسيره لآية ٨٠ من سورة النساء. (٢) القلم: ٤. (٣) الحشر: ٧.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٦٥، كتاب الحجة باب التفويض إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وإلى الأئمّة (عليهم السلام) في أمر الدين ح١.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٦٥، كتاب الحجة، باب التفويض ذيل ح١.

(٦) وللعلامة المجلسي (قدّس سرّه) بحث دقيق وتحقيق لطيف هنا في معنى التفويض فراجع إن شئت (مرآة العقول: ج٣ ص ١٤٢).

(٧) (ذروة الأمر) بالضم والكسر: أعلاه، والأمر، الإيمان، أو جميع الأمور الدينيّة، أو الأعمّ منها ومن الدنيويّة (وسنامه) بالفتح، أي أشرفه وأرفعه، مستعاراً من سنام البعير، لأنّه أعلى عضو منه: ←

علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعبدالله بن الصلت جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبدالله، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله، وزاد في آخره: أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله، فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه،ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان[1].

وفي روضة الكافي: خطبة لأميرالمؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها (عليه السلام): ولا مصيبة عظمت، ولا رزيّة جلّت كالمصيبة برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، لأنّ الله ختم به الإنذار والإعذار، وقطع به الاحتجاج، والعذر بينه وبين خلقه، وجعله بابه الذي بينه وبين عباده، ومهيمنه الذي لا يقبل إلّا به ولا قربة إليه إلّا بطاعته، وقال في محكم كتابه: «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» فقرن طاعته بطاعته

(ومفتاحه) أي ما يفتح به ويعلم به سائر أمور الدين (وباب الأشياء) أي سبب علمها، أو ما ينبغي أن يعلم قبل الدخول فيها، أو ما يصير سبباً للدخول في منازل الإيمان. وعلى بعض الوجوه تعميم بعد التخصيص، (ورضا الرحمان) بالكسر والقصر بمعنى ما يرضى به (بعد معرفته) أي الإمام، أو الرحمن تعالى شأنه، والأول أظهر (ومن تولّى) أي عن طاعته (حفيظاً) أي تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها: «إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب» والاستشهاد بالآية إمّا لأنّ طاعة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنّما كانت تجب من حيث الخلافة والإمامة التي هي رئاسة عامّة، فإنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان إماماً على الناس في زمانه مع رسالته، فبهذه الجهة تجب طاعة الإمام بعده، أو لعلمه (عليه السلام) بأنّ المراد بالرسول فيها أعمّ من الإمام، أو لأنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمر بطاعة الأئمة (عليهم السلام) بالنصوص المتواترة، فطاعتهم طاعة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وطاعته طاعة الله، فطاعتهم طاعة الله، أو علم (عليه السلام) أن المراد بطاعة الرسول طاعته في تعيين أُولي الأمر بعده وأمره بطاعتهم، أو لأنّهم لمّا كانوا نوّاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخلفائه فحكمهم حكمه في جميع الأشياء إلّا ما يعلم اختصاصه بالرسالة، وهذا ليس منه (مرآة العقول: ج٢ ص ٣٢٣).

الكافي: ج ١ ص١٨٥، كتاب الحجه، باب فرض طاعة الأئمة، ح ١.

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨ كتاب الايمان والكفر، باب دعائم الإسلام، قطعة من ح٥.

ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على مافوّض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه، وبيّن ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم[١].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه: وأجرى فعل بعض الأشياء على ايدي من أصطفى من أُمنائه، فكان فعلهم فعله وأمرهم أمره، كما قال: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»[٢].

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلي ابن موسى الرضا (عليه السلام): يابن رسول الله ماتقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: أن المؤمنين يرون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال (عليه السلام): ياأبا الصلت إن الله تعالى فضّل نبيّه محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على جميع خلقه من النبيّين والملائكة، وجعل طاعته طاعته ومبايعته مبايعته وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال (عزّوجلّ): «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وقال: «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم»[٣]. وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله) ودرجة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله، فقد زار الله (تبارك وتعالى)[٤].

وَمَن تَوَلَّىٰ: عن طاعته.

فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا: تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، إنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف.

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦، خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة س ٤.

(٢) كتاب الاحتجاج: ج١ ص ٣٧٤، احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل... س٢١.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) عيون الأخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٥ باب ١١ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد ح٣.

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ
الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

وَيَقُولُونَ: إذا أمرتهم.

طَاعَةٌ: أي أمرنا طاعة، أو منّا طاعة. وأصلها النصب على المصدر، والرفع للدلالة على الثبات.

فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ: خرجوا.

بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ: زوّرت خلاف ما قلت لها، أو ماقالت لك من القبول وضمان الطاعة.

والتبييت إمّا من البيتوتة، لأنّ الأُمور تدبّر بالليل، أو من بيت الشعر، أو البيت المبني، لأنّه يسوّى ويدبّر.

وقرأ حمزة وأبو عمرو «بيت طائفة» بالإدغام لقربهما في المخرج.

وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ: يثبته في صحائفهم للمجازاة، أوفي جملةمايوحى إليك لتطلع على أسرارهم أو في كليهما.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ: قلّل المبالاة بهم، أو تجاف عنهم.

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ: في الأُمور كلّها، خصوصاً في شأنهم.

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا: يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ: يتأمّلون في معانيه، ويتبصّرون مافيه.

وأصل التدبّر النظر في أدبار الشيء.

وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ: لو كان كلام البشر كما زعم الكفّار.

لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا: من تناقض المعنى، وتفاوت النظم، وكون بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه معجزاً وبعضه غير معجز، وبعضه مطابقاً للواقع وبعضه غير مطابق لنقصان القوّة البشريّة.

ولعلّ ذكره هنا للتنبيه على أنّ اختلاف ماسبق من الأحكام، ليس لتناقض في الحكم، بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح.

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وأنّه لااختلاف فيه فقال سبحانه: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»(١).

وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ: ممّا يوجب الأمن أو الخوف.

أَذَاعُوا۟ بِهِۦ: أفشوه.

قيل: كان قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أو أخبرهم الرسول بما أُوحي إليه من وعد بالظفر، أو تخويف من الكفرة، أذاعوا به، لعدم جزمهم وكانت إذاعتهم مفسدة(٢).

---

(١) نهج البلاغة: ص ٦١ ومن كلام له (عليه السلام) في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا، وفيه يذمّ أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن صبحي الصالح.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ج١ ص٢٣٣ عند تفسيره لآية ٨٣ من النساء.

وقيل: كانوا يسمعون أراجيف المنافقين، فيذيعونها، فيعود وبالاً على المسلمين.

والباء مزيدة، أو لتضمين الإذاعة معنى التحدّث[١].

في اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان ابن عيسى، عن محمد بن عجلان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ الله (عزّوجلّ) عيّر أقواماً بالإذاعة في قوله (عزّوجلّ): «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به» فإيّاكم والإذاعة[٢].

وَلَوْ رَدُّوهُ: ذلك الأمر.

إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ: أي الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) على ما في الجوامع، عن الباقر (عليه السلام)[٣].

لَعَلِمَهُ: في أي وجه يذكره، أو يذكرونه.

ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ: يستخرجون تدبيره بعقلهم المؤيّد بروح القدس.

وأصل الاستنباط اخراج النبط، وهو الماء يخرج من البئر أوّل مايحفر.

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن جندب، عن الرضا (عليه السلام): يعني آل محمّد وهم الذين يستنبطون من القرآن، ويعرفون الحلال والحرام، وهم حجة الله على خلقه[٤].

عن عبدالله بن عجلان، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: هم الأئمّة (عليهم السلام)[٥].

وفي اصول الكافي: بإسناده الى عبدالحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وقال (عزّوجل): «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فقال (عزّوجلّ): «ولو ردّوه الى الله والى

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ج١ ص٢٣٣ عند تفسيره لآية ٨٣ من النساء.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٩، كتاب الايمان والكفر، باب الإذاعة، ح١.

(٣) جوامع الجامع: ص ٩٢ س ١٣ عند تفسيره لآية ٨٣ من سورة النساء.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٠ قطعة من ح ٢٠٦. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٠ ح ٢٠٥.

الرسول والى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» فردّ الأمر أمر الناس الى أُولي الأمر منهم الذين أمر بطاعتهم وبالردّ إليهم[١].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): ومن وضع ولاية الله وأهل استنباط علم الله، في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء، فقد خالف أمر الله (عزّوجلّ) وجعل الجهّال ولاة أمر الله والمتكلفين بغير هدى وزعموا أنّهم أهل استنباط علم الله، فكذبوا على الله، وزاغوا عن وصيّة الله وطاعته، فلم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله (تبارك وتعالى)، فضلّوا وأضلّوا أتباعهم، فلايكون لهم يوم القيامة حجة[٢].

وقال أيضاً بعد أن قرأ «فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين»[٣]: فإن يكفر بها أُمّتك فقد وكّلنا أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلناك به، فلا يكفرون بها أبداً ولاأضيع الإيمان الذي أرسلناك به وجعلت أهل بيتك بعدك على أُمّتك ولاة من بعدك وعلى الاستنباط الذي ليس فيه كذب ولاإثم ولازور ولابطر ولارياء[٤].

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ: بإرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأئمّة (عليهم السلام).

في الجوامع: عنهم (عليهم السلام): فضل الله ورحمته النبيّ وعلي (عليهم السلام)[٥].

وفي تفسير العياشي: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، وحمران، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قالا: فضل الله رسوله، و رحمته الأئمّة (عليهم السلام)[٦].

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٩٥ قطعة من ح ٣.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢١٨ باب ٢٢ اتصال الوصيّة من لدن آدم (عليه السلام)، ح ٢ س ٦.

(٣) الأنعام: ٨٩.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢١٩ باب ٢٢ اتصال الوصيةمن لدن آدم(عليه السلام)...س٦.

(٥) جوامع الجامع: ص ٩٢ س ١٦.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٠ ح ٢٠٧.

فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾

عن محمد بن الفضيل، عن العبد الصالح (عليه السلام) قال: الرحمة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والفضل علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١].

لَاتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ: بالكفر والضلالة.

إِلَّا قَلِيلٗا: منكم تفضّل عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحقّ والصواب، وعصمه عن متابعة الشيطان، أو إلّا اتباعاً قليلاً عن الندور.

وفي تفسير العياشي: عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلّا قليلاً» فقال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّك لتسأل عن كلام القدر، وما هو من ديني ولادين آبائي، ولاوجدت أحداً من أهل بيتي يقول به[٢].

فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: ان تثبّطوا وتركوك وحدك.

لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ: إلّا فعل نفسك، لايضرّك مخالفتهم وتقاعدهم، فتقدّم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد، فإنّ الله ناصرك لاالجنود.

وفي اصول الكافي: بإسناده إلى مرازم[٣] عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله كلّف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مالم يكلّف أحداً من خلقه،

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦١ ح ٢٠٩. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦١ ح ٢١٠.

(٣) مرازم بن حكيم الأزدي المدائني: مرازم بالميم المضمومة والراء المهملة والألف والزاء المعجمة المكسورة والميم، وحكيم بضم الحاء المهملة، وفتح الكاف وسكون الياء المثناة من تحت، والميم (تنقيح المقال: ج٣ ص٢٠٨ تحت رقم ١١٦٢٢).

كلّفه أن يخرج إلى الناس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، ولم يكلف أحداً هذا قبله ولابعده، ثم تلا هذه الآية[١].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن محمد بن مروان جميعاً، عن ابان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله (تبارك وتعالى) أعطى محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وعدّد أشياء كثيرة، وفي آخر الحديث قال (عليه السلام): ثم كلف مالم يكلّف أحداً من الأنبياء، أنزل عليه سيفاً من السماء في غير غمد، وقيل له: قاتل في سبيل الله لاتكلّف إلّا نفسك[٢].

ونقل أنّ أبا سفيان يوم أُحد لـمّا رجع واعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) موسم بدر الصغرى، فكره الناس، وتثاقلوا حين بلغ الميعاد، فنزلت، فخرج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وما معه إلّا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده[٣].

وقرئ «لا تكلف» بالجزم، و«لانكلف» بالنون على بناء الفاعل، أي لانكلّفك إلّا فعل نفسك، لاأنّا لانكلّف أحداً إلّا نفسك.

وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ: على القتال إذ ماعليك في شأنهم إلّا التحريض.

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ: يعني قريشاً، وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا.

وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا: من قريش.

وَأَشَدُّ تَنكِيلًا: تعذيباً، وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه.

وفي تفسير العياشي: عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): قول الناس لعلي إن كان له حقّ فما منعه أن يقوم به؟ قال: فقال: إنّ الله

---

(١) لم نعثر على الحديث في اصول الكافي، ولكنه موجود في الروضة: ص٢٧٤ قطعة من ح ٤١٤ س٢٢.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٧ كتاب الايمان والكفر، باب الشرائع، قطعة من ح١.

(٣) نقله بوجه أبسط في مجمع البيان: ج ٣ ص ٨٣ تحت عنوان (القصة).

﴿مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

لم يكلّف هذا إلّا إنساناً واحداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: «فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلّا نفسك وحرض المؤمنين» فليس هذا إلّا الرسول وقال لغيره: «إلّا متحرفاً لقتال اومتحيزاً إلى فئة» فلم يكن يومئذٍ فئة يعينونه على أمره[1].

عن الثمالي، عن عيص، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلّف مالم يكلّف أحد أن يقاتل في سبيل الله وحده وقال: «حرض المؤمنين على القتال»، وقال: إنما كلفتم اليسير من الأمر أن تذكروا الله[2].

عن ابراهيم بن مهزم، عن أبيه، عن رجل، عن أبي جعفر (عليه السلام): إنّ لكلّ كلباً يبتغي الشرّ فاجتنبوه يكفيكم الله بغيركم إن الله يقول: «والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً» لا تعلمون بالشرّ[3].

مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً : راعى بها حقّ مسلم، ودفع بها عنه ضرّاً، أو جلب إليه نفعاً، ابتغاء لوجه الله، ومنها الدعاء لمسلم.

وفي الجوامع: عن الصادق (عليه السلام): من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له، وقال له الملك: ولك مثلاه، فذلك النصيب[4].

يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا: أي ثوابها.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦١ ح ٢١١. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٢ ح ٢١٤.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٢ ح ٢١٥ وفيه: لكلّ كلباً يبغي.

(٤) جوامع الجامع: ص ٩٢ س ١٥ عند تفسيره لآية ٨٥ من سورة النساء.

وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً: وهي ما كان خلاف ذلك، ومنها الدعاء على المؤمن.

يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا: نصيب من وزرها، مساوٍ لها في القدر والكفل النصيب.

وفي تفسير علي بن إبراهيم :قال: يكون كفيل ذلك الظلم الذي يظلم صاحب الشفاعة(١).

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا: مقتدراً، من أقات الشيء، قدر عليه، أو شهيداً حافظاً واشتقاقه من القوت، فإنّه يقوّي البدن ويحفظه.

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام)، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دلّ على خير، أو أشار به، فهو شريك. ومن أمر بسوء، أو دلّ عليه، أو أشار به، فهو شريك(٢).

وفي الكافي: عن السجاد (عليه السلام): إنّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب ويذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطاك الله تعالى مثلي ماسألت له، وأثنى عليك مثلي ماأثنيت عليه، ولك الفضل عليه، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه، قالوا: بئس الأخ أنت لأخيك، كفّ أيها المستّر على ذنوبه وعورته وأربع على نفسك(٣) واحمد الله الذي ستر عليك، واعلم أنّ الله أعلم بعبده منك(٤).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٥.

(٢) الخصال: ص ١٣٨ باب الثلاثة ثلاثة يشتركون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ١٥٦.

(٣) أربع على نفسك، أي قف وامسك ولا تتعب نفسك، من ربع كمنع ـمنه دام عزّه (كذا في هامش النسخة).

(٤) (المستّر) على بناء المجهول من التفعيل أو الأفعال، وما قيل أنّه على بناء الفاعل فهو بعيد، و(العورة) العيب وما يستحى منه. وقال الجوهري: ربع الرجل يربع، إذا وقف وتحبّس ومنه قولهم: أربع على نفسك وأربع على ظلعك، أي ارفق بنفسك وكفّ، انتهى، والمعنى: اقتصر على النظر في حال نفسك، ولا تلتفت إلى غيرك . واعلم أنّ الله أعلم بعبده منك فإنّ علم صلاحه وصلاح سائرعباده ←

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾: التحيّة في الأصل مصدر حيّاك الله، على الأخبار من الحياة، ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك، ثم قيل لكلّ دعاء، فغلب في السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: السلام وغيره من البرّ[1].

وفي مجمع البيان: وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادق (عليه السلام): أنّ المراد بالتحيّة في قوله: «وإذا حييتم بتحيّة» السلام وغيره من البرّ والإحسان[2].

وفي كتاب المناقب لابن شهرآشوب: وقال أنس: جاءت جارية للحسن (عليه السلام) بطاق ريحان فقال لها: أنت حرّة لوجه الله، فقيل له في ذلك، فقال: أدّبنا الله تعالى وقال: «إذا حييتم بتحيّة» الآية وكان أحسن منها إعتاقها[3].

وفي أصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): السلام تطوّع والردّ فريضة[4].

في دفعه يدفعه، وفي ابتلائه يبتليه، وفي عافيته يعافيه، ولايحتاج في شيء من ذلك إلى تعليمك (تلخيص من مرآة العقول: ج ١٢ ص ١٦٩).

الكافي: ج ٢ ص ٥٠٨ كتاب الدعاء، باب الدعاء للاخوان بظهر العيب، ح ٧.

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٥ عند تفسيره لآية ٨٦ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٨٥ س ١٣ في نقله المعنى لآية ٨٦ من سورة النساء.

(٣) مناقب لابن شهرآشوب: ج٤ ص ١٨، باب امامة أبي محمد الحسن (عليه السلام) فصل في مكارم أخلاقه س٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٤ كتاب العشرة، باب التسليم، ح١.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن يحيى، عن غياث ابن إبراهيم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا سلّم من القوم واحدا أجزأ عنهم، وإذا ردّ واحد أجزأ عنهم[١].

علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن عنبسة بن مصعب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: القليل يبدؤون الكثير بالسلام، والراكب يبدأ الماشي، وأصحاب البغال يبدؤون أصحاب الحمير، وأصحاب الخيل يبدؤون أصحاب البغال[٢].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ من تمام التحيّة للمقيم المصافحة، وتمام التسليم على المسافر المعانقة[٣].

وفي رواية: يسلّم الصغير على الكبير، والمارّ على القاعد[٤].

وفي أخرى: وإذا لقيت جماعة، جماعة سلّم الأقلّ على الأكثر، وإذا لقي واحد جماعة، سلّم الواحد على الجماعة[٥].

وعنه (عليه السلام): من التواضع أن تسلّم على من لقيت[٦].

وقال: البخيل من بخل بالسلام[٧].

وعنه، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أولى الناس بالله ورسوله من بدأ

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٧ كتاب العشرة، باب إذا أسلم واحد من الجماعة أجزأهم، وإذا رد واحد من الجماعة أجزأ عنهم، ح٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦، كتاب العشرة، باب من يجب أن يبدأ بالسلام، ح٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ١٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦، كتاب العشرة، باب من يجب أن يبدأ بالسلام، ح١ وتمام الحديث (والقليل على الكثير).

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٧، كتاب العشرة، باب من يجب أن يبدأ بالسلام، ح٣ وصدر الحديث (عن أبي عبدالله (عليه السلام): يسلّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد وإذا الخ).

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ١٢.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥، كتاب العشرة، باب التسليم، ح٦.

بالسلام[١].

وعن الباقر (عليه السلام): إنّ الله يحبّ إفشاء السلام[٢].

وعن الصادق (عليه السلام): ثلاثة يردّ عليهم ردّ الجماعة وإن كان واحداً. عند العطاس يقال: يرحمكم الله، وإن لم يكن معه غيره. والرجل يسلّم على الرجل فيقول: السلام عليكم. والرجل يدعو للرجل، فيقول: عافاكم الله وإن كان واحداً، فإنّ معه غيره[٣].

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى فضل بن كثير، عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال: من لقي فقيراً مسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغني، لقي الله (عزّوجلّ) يوم القيامة وهو عليه غضبان[٤].

وفي كتاب الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه: إذا عطس أحدكم قولوا: يرحمكم الله، ويقول هو: يغفر الله لكم، ويرحمكم الله، قال الله: «وإذا حييتم بتحيّة» الآية[٥].

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن الحسن بن المنذر قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: من قال: السلام عليكم، فهي عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله، فهي عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فهي ثلاثون حسنة[٦].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٤، كتاب العشرة، باب التسليم ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ١٠.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٥٢، باب ٣١ فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المجموعة، ح ٢٠٢.

(٥) الخصال: ص ٦٣٣ (علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه س٨).

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥، كتاب العشرة، باب التسليم، ح٩.

أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: مرّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) بقوم، فسلّم عليهم، فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال لهم أميرالمؤمنين (عليه السلام): لاتجاوزوا بنا مثل ماقالت الملائكة لأبينا إبراهيم (عليه السلام)، إنّما قالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت[1].

وروي عن طريق العامة: أن رجلاً قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): السلام عليك، فقال: وعليك السلام ورحمة الله، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك، فقال الرجل: نقصتني فاين ماقال الله؟ وتلا الآية فقال (عليه السلام): إنّك لم تترك لي فضلاً، فرددت عليك مثله[2].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي ابن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يسلّم على النساء ويرددن (عليه السلام)، وكان أميرالمؤمنين (عليه السلام) يسلّم على النساء وكان يكره أن يسلّم على الشابّة منهنّ ويقول: أتخوّف أن يعجبني صوتها فيدخل عليّ أكثر ممّا أطلب من الأجر[3].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦، كتاب العشرة، باب التسليم، ح١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٨٥ عند نقل المعنى لآية ٨٦ من سورة النساء بتفاوت يسير في بعض الكلمات.

(٣) قوله: (كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يسلم على النساء الخ) دلّ هذا الخبر على جواز السلام على النساء وإن كانت شابّة وعلى جواز ردّهنّ وسماع صوتهنّ، ويؤيّده الأصل، وتكلّم فاطمة (عليها السلام) مع سلمان وبلال وغيرهما من الأصحاب، وهو الظاهر من مذهب بعض الأصحاب، وظاهر عبارات أكثر الأصحاب أنّ صوتهنّ عورة واستماعه حرام، وأنّ سلامهنّ على الأجنبيّ حرام، وكذا سلامه عليهنّ، وأنّ الجواب في الصورتين ليس بمشروع، لأنّ الشارع لايأمر بردّ الجواب عن الحرام، أنّه ليس ذلك بتحيّة شرعاً، فلايوجب الأجر والعوض، ويدلّ عليه ماروي عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: لا تبدؤوا النساء بالسلام، وما روي عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا تسلّم على المرأة. ويمكن حمل النهي فيها على الكراهة مطلقاً، أو عند توهم الفتنة، أو إذا

←

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن يحيى، عن غياث ابن إبراهيم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لا تبدؤوا أهل الكتاب بالتسليم، وإذا سلّموا عليكم، فقولوا: وعليكم[1][2].

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن اليهوديّ والنصراني والمشرك إذا سلّموا على الرجل وهو جالس، كيف ينبغي أن يردّ عليهم؟ فقال: يقول: عليكم[3].

محمد بن يحيى، عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن ابان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: تقول في الردّ على اليهوديّ والنصرانيّ: سلام[4].

وفي كتاب الخصال: عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهم السلام) قال: لا تسلّموا على اليهود ولا على النصارى ولا على المجوس ولا على عبدة الأوثان، ولا على موائد شرّاب الخمر، ولا على صاحب الشطرنج والنرد، ولا على المخنّث، ولا على الشاعر الذي يقذف المحصنات، ولا على المصلّي، وذلك لأنّ المصلي لا يستطيع أن يردّ السلام، لأنّ التسليم من المسلّم تطوّع والردّ عليه فريضة، ولا على آكل الربا، ولا على رجل جالس على غائط، ولا على الذي في الحمام، ولا على الفاسق المعلن بفسقه[5].

كانت شابّة، للجمع بين الأخبار، ويؤيّده ما في آخر هذا الحديث، لأنّ الظاهر أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد بما تسب على نفسه، غيره (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج١١ ص٩٩).

الكافي: ج ٢ ص ٦٤٨ كتاب العشرة، باب التسليم على النساء ح١.

(١) للمحقق المازندراني هنا تحقيق أنيق في أنّ قوله (عليه السلام): (وعليكم) هل هو مع الواو أو بدونه، ولولا خوف الإطالة لأوردته، فلاحظ شرح اصول الكافي: ج١١ ص١٠١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٨، كتاب العشرة، باب التسليم على أهل الملل، ح٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٩، كتاب العشرة، باب التسليم على أهل الملل، ح ٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٩، كتاب العشرة، باب التسليم على أهل الملل، ح ٦.

(٥) الخصال: ص ٤٨٤، أبواب الاثني عشر لا يسلّم على اثني عشر، ح ٥٧.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

وفيه في حديث آخر: ولاعلى المتفكّهين بالأُمّهات[١]

وفي حديث آخر: النهي عن السلام على من يلعب بأربعة عشر، وعلى من يعمل التماثيل[٢].

وعن الصادق (عليه السلام) قال: ثلاثة لايسلّمون، الماشي مع الجنازة، والماشي إلى الجمعة وفي بيت حمام[٣].

وعن أميرالمؤمنين (عليه السلام): يكره للرجل أن يقول: حيّاكم الله[٤] ثم يسكت حتى يتبعها بالسلام[٥].

وعن الصادق (عليه السلام) قال: من بدأ بالكلام قبل السلام فلاتجيبوه[٦].

وقال (عليه السلام): ابدؤوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلاتجيبوه[٧].

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا: يحاسبكم على التحيّة وغيرها

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: مبتدأ وخبر، أو «الله» مبتدأ، والخبر

---

(١) الخصال: ص ٣٢٦، باب الستة ستة لايسلّم عليهم، ح١٦.

(٢) الخصال: ص ٢٣٧، باب الأربعة أربعة لايسلّم عليهم، ح ٨٠.

(٣) الخصال: ص ٩١، باب الثلاثة ثلاثة لايسلّمون، ح ٣١.

(٤) قوله: (يكره للرجل أن يقول حيّاكم الله) الحياة، البقاء ضد الموت، والحياء بالفتح والقصر الخصب والرخاء والملك والتحيّة، وهي السلام، ومعنى حيّاك الله: ابقاك، من الحياة، أو رزقك رزقاً حسناً، أو ملّكك وفرّحك، أو سلام عليك من الحياة بالمعاني المذكورة (شرح اصول الكافي للمازندراني: ج ١١ ص ٩٦). (٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ١٥.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٤ كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٢ وفي الخصال: ص١٩ باب الواحد من بدأ بالكلام قبل السلام فلاتجيبوه ح٦٧. (٧) تقدم في الرقم - ٦ - من الخصال.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: أي الله، والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة، مفضين إليه، أو في يوم القيامة.

و«لا إله إلّا هو» اعتراض، والقيام والقيامة، كالطلاب والطلابة، وهي قيام الناس من القبور، أو للحساب.

لَا رَيْبَ فِيهِ: في اليوم، أو في الجمع، فهو حال من اليوم، أو صفة للمصدر.

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا: إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه، فإنّه لا يتطرّق الكذب إلى خبره بوجه، لأنّه نقص، وهو على الله محال.

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ:

في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): نزلت في قوم قدموا من مكة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك، ثم سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم، لاختلافهم في إسلامهم وشركهم[1] أي مالكم تفرّقتم في أمر المنافقين فئتين أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم.

و«فئتين» حال، عاملها «مالكم» كقولك: مالك قائماً، و«في المنافقين» حال

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٨٦ في شأن نزول آية ٨٨ من سورة النساء.

من «فئتين» أي متفرقين فيهم، أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم، ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين.

وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ: ردّهم إلى حكم الكفرة، أو نكسهم بأن صيّرهم للنار، وأصل الركس ردّ الشيء مقلوباً.

أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ: أن تجعلوه من المهتدين.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا: إلى الهدى.

وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ: تمنّوا أن تكفروا ككفرهم.

فَتَكُونُونَ سَوَآءً: في الضلال. وهو عطف على تكفرون، ولو نصب على جواب التمنّي لجاز.

في روضة الكافي: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وإنّ لشياطين الإنس حيلة ومكراً، وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا أكرمهم الله به من النظر في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحقّ في الشكّ والإنكار والتكذيب، فيكونون كما وصف الله تعالى في كتابه من قوله: «ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء»[1].

فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحقّقوا إيمانهم بهجرة هي لله و لرسوله، لا لأغراض الدنيا.

«وسبيل الله» ما أمر بسلوكه.

فَإِن تَوَلَّوْاْ: عن الإيمان المصاحب للهجرة المستقيمة.

وقيل: أو عن إظهار الإيمان.

فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ: كسائر الكفرة.

وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا: أي جانبوهم رأساً، ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة.

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٤٠٥ (الحاق) رسالة أبي عبدالله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة، س ٢٢.

إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ: استثناء من مفعول «فخذوهم واقتلوهم» أي إلّا الذين يتّصلون و ينتهون إلى قوم عاهدوكم، و يفارقون محاربيكم.

قيل: القوم هم خزاعة، وقيل: بنو بكر بن زيد مناة، وقيل: الأسلميّون فإنّه (عليه السلام) وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلميّ على أن لايعينه ولايعين عليه، ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ماله[1]، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) على مافي مجمع البيان[2].

أَوْ جَآءُوكُمْ: عطف على الصلة، أي والذين جاؤوكم كافّين من قتالكم وقتال قومهم، استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم، من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين، أو أتى الرسول وكفّ عن قتال الفريقين.

قيل: أو على صفة قوم، فكأنّه قيل: إلّا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم كافّين عن القتال لكم وعليكم.

وقرئ بغير العاطف على أنّه صفة بعد صفة، أو بيان لـ «يصلون» أو استئناف.

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ: حال بإضمار «قد».

---

(١) الأقوال المذكورة منقول عن تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٣٥ لاحظ تفسيره لآيات (٨٨- ٩٠) من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٨٨ في نقل المعنى لآية ٩٠ من سورة النساء.

وقرئ «حصرة وحصرات» وهو يؤيّد كونه حالاً، أو بيان لـ«جاؤكم» أو صفة لمحذوف، أي جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم.

والحصر الضيق والانقباض على ماروه العياشي، عن الصادق (عليه السلام)[1].

أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ: أي (عن ـ أن) أو (لأن)، أو كراهة أن يقاتلوكم.

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان، عن الفضل أبي العباس، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «أو جاؤكم حصرت» الآية، قال: نزلت في بني مدلج، لأنّهم جاؤوا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقالوا: إنّا قد حصرت صدورنا، أن نشهد أنّك رسول الله، فلسنا معك ولامع قومنا عليك، قال: قلت: كيف صنع بهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟ قال: واعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثم يدعوهم فإن أجابوا، وإلّا قاتلهم[2].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: في قوله (عزّوجلّ): «ودّوا لو تكفرون» إلى آخر الآية، نزلت في أشجع وبني ضمرة، وكان من خبرهم أنّه لـمّا خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى بدر لموعد، مرّ قريباً من بلادهم، وقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هادن بني ضمرة ووادعهم قبل ذلك، فقال أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يارسول الله هذه بني ضمرة قريبامنّا، ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة، أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): كلا، إنّهم أبرّ العرب بالوالدين، وأوصلهم للرحم، وأوفاهم بالعهد، وكان أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة، وهم بطن من كنانة، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف بالمراعاة والأمان، فأجدبت بلاد أشجع

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٢ قطعة من ح ٢١٦ ولفظه: قال: وحصرت صدورهم هو الضيق).
(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٢٧ قصة بني مدلج، ح ٥٠٤.

وأخصبت بلاد بني ضمرة، فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فلما بلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مسيرهم إلى بني ضمرة تهيّأ للمصير إلى أشجع فيغزوهم للموادعة التي كانت بينه وبين بني ضمرة، فأنزل الله «ودّوا لو تكفرون كما كفروا» الآية ثم استثنى بأشجع فقال «إلّا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم» الآية، وكانت أشجع محالّها البيضاء والحل والمستباح، وقد كانوا قربوا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فهابوا من رسول الله أن يبعث إليهم من يغزوهم، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً، فهمّ بالمسير إليهم، فبينا هو على ذلك، إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رجيلة، وهم سبعمائة، ونزلوا شعب سلع[1]، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست، فدعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أسيد بن حصين، فقال له: اذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ماأقدم أشجع، فخرج أسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم، فقال: ماأقدمكم؟ فقام إليه مسعود بن رجيلة وهو رئيس أشجع فسلّم على أسيد وعلى أصحابه، وقالوا: جئنا لنوادع محمّداً، فرجع أسيد إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأخبره، فقال رسول الله: خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم، ثم بعث إليهم بعشرة أجمال تمر فقدّمها أمامه، ثم قال: نعم الشيء الهديّة أمام الحاجة، ثم أتاهم، فقال: يامعشر أشجع ماأقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقلّ عدداً منّا، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقنا لحرب قومنا لقلتنا فيهم، فجئنا لنوادعك، فقبل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذلك منهم ووادعهم، فأقاموا يومهم ثم رجعوا إلى بلادهم، وفيهم نزلت هذه الآية: «إلّا الذين يصلون» [2] الآية.

فما يتراءى من هذا النقل من منافاته لما سبق لأنّه في هذا النقل جعل «إلّا

---

(١) سلع جبل بالمدينة، قال تأبط شرّاً: (أنّ بالشعب الذي دون سلع- لقتيلاً دمه مايطل) الصحاح: ج٣ ص ١٢٣٠.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٥ في تفسيره لآية ٩٠ من سورة النساء.

الذين يصلون» عبارة عن الأشجع حين صاروا إلى بني ضمرة المعاهدين: «والذين جاؤوكم حصرت صدورهم» أيضاً عبارة عنهم حين جاؤوا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وفي الخبرين الأوّلين: جعل الأوّل عبارة عن الأسلميّين والثاني عبارة عن بني مدلج (فمدفوع إن صحّ النقل، بحملها على أنّهما من أشجع أيضاً، أو يجعل مايتناوله العبارة فرقتين، الأوّل الأسلميّون وأشجع، والثاني بني مدلج وأشجع)[(١)].

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ: بأن قوّى قلوبهم وبسط صدورهم، وأزال الرعب عنهم.

فَلَقَـٰتَلُوكُمْ: ولم يكفّوا عنكم.

فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ: ولم يتعرّضوا لكم.

وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ: الاستسلام والانقياد.

فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا: فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كانت سيرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبل نزول سورة براءة ألّا يقاتل إلّا من قاتله، ولايحارب إلّا من حاربه وأراده، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله (عزّوجلّ): «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً» فكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لايقاتل أحداً قد تنحّى عنه واعتزله، حتى نزلت عليه سورة براءة، وأمر بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلّا الذين قد كان عاهدهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم فتح مكة إلى مدّة، منهم صفوان ابن أُمية وسهيل بن عمرو، والحديث طويل، وهو مذكور بتمامه في أول براءة[(٢)].

---

(١) بين الهلالين غير موجود في نسخة (ب) ولكنّه مكتوب في نسختي (الف وج).

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج١ ص٢٨١ في تفسيره لآية١ من سورة البراءة.

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ : قيل: هم أسد وغطفان. وقيل: بنو عبدالدار، أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين، فلما رجعوا كفروا[١].

وفي مجمع البيان: عن الصادق (عليه السلام) نزلت في عيينة بن حصين الفزاري، أجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووادعه على أن يقيم ببطن نخل ولايتعرّض له: وكان منافقاً ملعوناً، وهو الذي سمّاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الأحمق المطاع[٢].

---

(١) نقلها البيضاوي: ج ١ ص ٢٣٥ عند تفسيره لآية ٩١ من سورة النساء.

(٢) في النسخة ـ أ ـ: عيينة بن حصين الغزازي وهذا تصحيف والصحيح ماأثبتناه من المصادر، وهو أبو مالك، قالوا: اسلم بعد الفتح، وقيل: قبل الفتح وشهد الفتح مسلماً وشهد حنيناً والطائف أيضاً ثم ارتدّ وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأُخذ أسيراً وحمل إلى أبي بكر فأسلم وأطلقه أبوبكر، وقد اتفق المؤرّخون أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أعطاه من غنائم حنين من سهم المؤلّفة قلوبهم مائة بعير، وقوله تعالى: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم» الآية، وعلى مافي تفسير القمّي: نزلت في سلمان الفارسي وكان عليه كساء فيه يكون طعامه ودثاره وكان كساؤه من صوف فدخل عيينة بن حصن على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسلمان عنده فتأذّى عيينة بريح كساء سلمان، وقد كان عرق، وكان يوم شديد الحرّ، فعرق في الكساء، فقال: يارسول الله إذا نحن دخلنا عليك فاخرج هذا واصرفه من عندك ، فإذا نحن خرجنا فادخل من شئت، فانزل الله «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا» وهو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري (سفينة البحار: ج٢ ص٣٠٤ باب العين ←

وفي تفسير علي بن إبراهيم مثله، إلّا أنّه لم يسنده إليه (عليه السلام)[1].

كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ: دعوا إلى الكفر، أو إلى قتال المسلمين.

أُرْكِسُواْ فِيهَا: عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب.

فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ: ولم يستسلموا لكم.

وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ: أي لم يكفّوا أيديهم عن قتالكم.

فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ: حيث تمكّنتم منهم.

وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا: حجة واضحة في التعرّض لهم بالقتل والسبي، لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم، أو تسلّطاً ظاهراً حيث أذن لكم في قتلهم.

* * *

بعده الياء).

وعن أبي هريرة قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي، تنزل لي عن امرأتك فأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: «ولاأن تبدل بهن من أزواج» قال: فدخل عيينة بن حصن على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعنده عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فأين الاستئذان؟ قال: مااستأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذه عائشة ام المؤمنين، قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل عنها؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إن الله (عزّوجلّ) قد حرّم ذلك عليّ، فلمّا خرج قالت له عائشة: من هذا يارسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟ قال: هذا أحمق مطاع، وأنه على ماترين سيّد قومه. (بحارالأنوار: ج٢٢ ط بيروت ص٢٣٨).

مجمع البيان: ج ٣ ص ٨٩ في بيان نزول آية ٩١ من سورة النساء.

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٧ في تفسيره لآية ٩١ من سورة النساء.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ: وما صحّ لمؤمن ولااستقام له، وما لاق بحاله.

أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا: بغير حق.

إِلَّا خَطَـًٔا: لأنّه في عرضة الخطأ[1]، ونصبه على الحال، أو المفعول له، أو على المصدر. أي لايقتله في حال من الأحوال إلّا في حال الخطأ، أو لايقتله لعلمه إلّا للخطأ، أو إلّا قتلاً خطأً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أي لاعمداً ولاخطأً، و«إلا» في موضع (لا) وليست باستثناء[2].

---

(١) قوله: (لأنّه في عرضة الخطأ) مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص٢٣٦ في تفسيره لآية ٩٢ من سورة النساء، وقال: محيي الدين شيخ زاده في حاشيته مالفظه: (أي فإنّ المؤمن مجبول على أن يكون عرضة للخطأ، ومحلاً لأن يعرض له الخطأ كثيراً، وفي الصحاح يقال: جعلت فلاناً عرضة لكذا، أي نصبته له، فقوله تعالى: «ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم» أي نصباً، الخ» حاشية شيخ زاده: ج٢ ص٥٨.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج١ ص١٤٧ س١٣ في تفسيره لآية ٩٢ من سورة النساء.

وقيل: «ماكان» في معنى النهي، والاستثناء منقطع، أي ولكن إن قتله خطا فجزاؤه مانذكره[١].

وفي تفسير العياشي: عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: كلّما أُريد به، ففيه القود، وإنّما الخطأ أن يريد الشيء فيصيب غيره[٢].

عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ليس الخطأ أن تعمده ولا تريد قتله بما لايقتل مثله، والخطأ ليس فيه شك أن يعمد شيئاً آخر فيصيبه[٣].

عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّما الخطأ أن يريد شيئاً فيصيب غيره، فأمّا كلّ شيء قصدت إليه فأصبته فهو العمد[٤].

عن الفضل بن عبدالملك، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الخطأ الذي فيه الدية والكفّارة، هو الرجل يضرب الرجل ولايتعمّد قتله؟ قال: نعم، فإذا رمى شيئاً فأصاب رجلاً؟ قال: ذلك الخطأ الذي لاشكّ فيه، وعليه الكفّارة والدية[٥].

وقرئ خطأ بالمدّ، وخطا كعصا بتخفيف الهمزة.

وفي مجمع البيان: عن أبي جعفر (عليه السلام) نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي -أخي أبي جهل لأمّه- كان أسلم وقتل بعد إسلامه رجلاً مسلماً، وهو لايعلم بإسلامه، وكان المقتول الحارث بن يزيد بن أبي نبشة العامري، قتله بالحرّة، وكان أحد من ردّه عن الهجرة، وكان يعذب عياشاً مع أبي جهل[٦].

وفي البيضاوي: لقيه في طريق وكان قد أسلم، ولم يشعر به عياش، فقتله[٧].

---

(١) نقلة البيضاوي: ج ١ ص ٢٣٦ في تفسيره لآية ٩٢ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٤ ح ٢٢٣.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٤ ح ٢٢٤.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٤ قطعة من ح ٢٢٥.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٦ ح ٢٢٩.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ٩٠ في بيان النزول لاية ٩٢ من سورة النساء، وقال بعد نقل القصة (وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام).

(٧) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٣٦ في تفسيره لآية ٩٢ من سورة النساء.

وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ: أي فعليه، أو فواجبه تحرير رقبة، والتحرير الإعتاق، والحرّ، كالعتيق، الكريم من الشيء، ومنه حرّ الوجه، لأكرم موضع منه، سمّي به، لأنّ الكرم في الأحرار، والرقبة عبّر بها عن النسمة، كما عبّر بها عن الرأس.

مُّؤْمِنَةٍ: مقرّة بالإسلام قد بلغت الحنث.

في تفسير العياشي: عن كردويه الهمداني، عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله: «فتحرير رقبة مؤمنة»، كيف تعرف المؤمنة؟ قال: على الفطرة[١].

عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن علي (عليهم السلام) قال: الرقبة المؤمنة التي ذكر الله إذا عقلت، والنسمة التي لا تعلم إلّا ماقلته، وهي صغيرة[٢].

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، وابن أبي عمير جميعاً، عن معمر بن يحيى، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يظاهر من امرأته يجوز عتق المولود في الكفارة فقال: كلّ العتق يجوز فيه المولود إلّا في كفّارة القتل، فإنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «فتحرير رقبة مؤمنة» يعني بذلك مقرّة قد بلغت الحنث[٣].

وهذا، أي التحرير يجب عليه فيما بينه وبين الله، كما رواه العياشي عن الصادق (عليه السلام)[٤].

وأما مايجب عليه فيما بينه وبين أولياء المقتول، فالدية، كما يقول:

وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ: مؤدّاة إلى أولياء المقتول.

إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟: يتصدّقوا عليه بالدية. سمّي العفو عنها صدقة، حثّاً عليه وتنبيهاً على فضله.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٣ ح ٢٢٠.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٣ ح ٢٢١.

(٣) الكافي: ج ٧ ص ٤٦٢، كتاب الايمان والنذور والكفّارات، باب النوادر، قطعة من ح ١٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٣ قطعة من ح ٢١٨.

وفي الحديث عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): كلّ معروف صدقة[١].

وهو متعلّق بعليه أي يجب الدية عليه، أو بـ«مسلمة» أي يسلّمها إلى أهله إلّا حال تصدّقهم عليه، أو زمانه، فهو في محل النصب على الحال، من القاتل، أو الأهل، أو على الظرف.

فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ: اي إن كان المقتول خطأمن قوم كفّار وهومؤمن،فيجب عتق رقبةمؤمنة، وليس دية، إذ لاوراثة بينه وبينهم، لأنّهم محاربون.

وفي من لايحضره الفقيه: روى ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في رجل مسلم كان في أرض الشرك، فقتله المسلمون، ثم علم به الإمام بعد، فقال: يعتق مكانه رقبة مؤمنة وذلك قول الله (عزّوجلّ): «وإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة»[٢].

وروى العياشي في هذا المعنى مايدلّ صريحاً على أنّ التحرير على القاتل وليس عليه دية كما سيجيء.

وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ: أي إن كان المؤمن المقتول خطأ من قوم كفرة معاهدين، أو أهل الذمّة، فيجب دية مسلّمة إلى أهله، وهو وارثه المسلم الذي عليه سبيل بالإرث، أو الإمام إن لم يكن وارث مسلم، فإنّه أهل من لاوارث له، وتحرير رقبة مؤمنة كفّارة لقتله المؤمن خطأ.

وفي تفسير العياشي: عن مسعدة بن صدقة قال: سئل جعفر بن محمد (عليه السلام) عن قول الله: «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله» قال: أمّا تحرير رقبة مؤمنة، ففيما بينه وبين

---

(١) عوالي اللآلئ: ج ١ ص ٣٧٦ ح ١٠١ وأيضاً: ج ١ ص ٤٥٣ ح ١٨٦.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٢٠ ب ٣٦ ما يجب في الرجل المسلم يكون في أرض الشرك فيقتله المسلمون ثم يعلم به الإمام ح١.

الله وأمّا الدية المسلّمة، فإلى أولياء المقتول: «وإن كان من قوم عدو لكم» قال: وإن كان من أهل الشرك الذين ليس لهم في الصلح وهو مؤمن، فتحرير رقبة فيما بينه وبين الله وليس عليه الدية «وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة» فيما بينه و بين الله: «ودية مسلمة إلى أهله»[1].

عن حفص بن البختري، عمن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله: «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأ» إلى قوله: «فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن» قال: إذا كان من أهل الشرك فتحرير رقبة مؤمنة فيما بينه وبين الله وليس عليه دية «وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة» قال: تحرير رقبة مؤمنة فيما بينه وبين الله، ودية مسلّمة إلى أوليائه[2].

وفي مجمع البيان: واختلف في صفة هذا القتيل أهو مؤمن أم كافر؟ قيل: بل هو مؤمن تلزم قاتله الدية يؤدّيها إلى قومه المشركين، لأنّهم أهل ذمّة، ورواه أصحابنا أيضاً إلّا أنّهم قالوا: تعطى ديّته ورثته المسلمين دون الكفّار[3].

فَمَن لَّمْ يَجِدْ: رقبة، بأن لايملكها، ولامايتوسّل به إليها.

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ: فعليه، أو فالواجب عليه صوم شهرين.

وفي من لايحضرة الفقيه: عن الزهري، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) حديث طويل يذكر فيه وجوه الصوم وفيه وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب لقول الله (عزّوجلّ): «ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله» الى قوله (عزّوجلّ): «فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين»[4].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٢ ح ٢١٧.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٣ ح ٢١٨.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ٩١ س ١٦ في تفسيره لآية ٩٢ من سورة النساء.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ٧٧ قطعة من حديث ١٧٨٤.

﴿تَوْبَةً﴾: نصب على المفعول، أي شرح ذلك توبة، من تاب عليه إذا قبل توبته، أو على المصدر، أي تاب عليكم توبة، أو حال بحذف مضاف، أي فعليه صيام شهرين ذا توبة.

﴿مِّنَ اللَّهِ﴾: صفتها.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بحاله.

﴿حَكِيمًا﴾: في ما أمر في شأنه.

وفي عيون الأخبار: في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنّه سمعها عن الرضا (عليه السلام): فإن قال: فلم وجب في الكفّارة على من لم يجد رقبة، الصيام، دون الحج والصلاة وغيرهما؟ قيل: لأنّ الصلاة والحج وسائر الفرائض مانعة للإنسان من التقلّب في أمر دنياه. فإن قال: فلم وجب عليه صوم شهرين متتابعين، دون أن يجب عليه شهر واحد أو ثلاثة أشهر؟ قيل: لأنّ فرض الذي فرضه الله (عزّوجلّ) على الخلق، هو شهر واحد، فضوعف في هذا الشهر في الكفّارة تأكيداً وتغليظاً عليه، فإن قال: فلم جعلت متتابعين؟ قيل: لئلا يهون عليه الأداء فيستخفّ به، لأنّه إذا قضاه متفرّقاً كان عليه القضاء[1].

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قطع صوم كفّارة اليمين وكفّارة الظهار، وكفّارة القتل؟ فقال: إن كان على رجل صيام شهرين متتابعين، فأفطر، أو مرض في الشهر الأوّل، فإنّ عليه أن يعيد الصيام، وإن صام الشهر الأوّل وصام من الشهر الثاني شيئاً ثم عرض له ماله فيه عذر، فإنّ عليه أن يقضي[2].

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ١١٧ ب ٣٤ العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنّها سمعها من الرضا (عليه السلام) مرّة بعد مرّة وشيئاً بعد شيء، س ١٢.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ١٣٩، كتاب الصيام، باب من وجب عليه صوم شهرين متتابعين فعرض له أمر يمنعه عن إتمامه ح٧.

علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن محمد بن سليمان، عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): ماتقول في الرجل يصوم شعبان وشهر رمضان؟ قال: هما الشهران اللذان(١) قال الله (تبارك وتعالى): «شهرين متتابعين توبة من الله» قلت: فلايفصل بينهما؟ قال: إذا أفطر من الليل فهو فصل، وإنّما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لاوصال في صيام، يعني لايصوم الرجل يومين متواليين من غير إفطار(٢).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن رجل قتل رجلاً خطأً في الشهر الحرام؟ قال: تغلّظ عليه الدية وعليه عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين من أشهر الحرم، قلت: فإنّه يدخل في هذا شيء، فقال: ماهو؟ قلت: هو يوم العيد وأيّام التشريق؟ قال: يصومه(٣)، فإنّه حقّ يلزمه(٤).

---

(١) قوله: (هما الشهران) هذه الآية وردت ظاهراً في كفّارة قتل الخطأ، ولاخلاف في أنّه لايجزي هذان الشهران عنها، ويحتمل أن يكون أولاً كذلك ثم نسخ، أو يكون المراد أنّهما نظير هذين الشهرين في كون كلّ منهما كفّارة من الذنوب، ولايبعد أن يكون في بطن الآية هذا أيضاً مراداً (مرآة العقول: ج ٣ ط حجري ص ٢٢١).

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٩٢، كتاب الصيام، باب فضل صوم شعبان وصلته برمضان وصيام ثلاثة أيّام في كلّ شهر ح٥ وتمام الحديث (وقد يستحب للعبد أن لايدع السحور).

(٣) قوله: (يصومه) أي العيد وأيّام التشريق أو سواهما، والأوّل أظهر، كما فهمه الشيخ وقال به. وردّ الأكثر الخبر بضعف السند ومخالفة الاصول، مع أنّه ليس بصريح في صوم الأيّام المحرّمة كما عرفت: وقال المحقق في المعتبر: الرواية مخالفة لعموم الأحاديث المجمع عليها، على أنّه ليس بصريح في صوم العيد انتهى. أمّا مخالفته لسائر الأخبار فظاهر، وأمّا ضعف السند فليس كذلك لما سيأتي بسند حسن، ورواه الشيخ في التهذيب بسند صحيح وسند موثّق عن زرارة، والمسألة محل إشكال وإن كان التحريم أقوى (مرآة العقول: ج ٣ ط حجري ص ٢٣٢).

(٤) الكافي: ج ٤ ص ١٣٩ باب من وجب عليه صوم شهرين متتابعين فعرض له أمر يمنعه عن اتمامه ح٨.

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا

في اصول الكافي: علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسن بن ميمون، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل، يقول فيه: فلمّا أذن الله لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الخروج من مكة إلى المدينة بني الإسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عبده ورسوله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، وأنزل عليه الحدود وقسمة الفرائض، وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها النار لمن عمل بها، وأنزل عليه في بيان القاتل «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» ولايلعن الله مؤمناً، قال الله (عزّوجلّ): «إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً ولانصيراً»[1] وكيف تكون في المشيئة وقد ألحق به -حين جزاه جهنم- الغضب واللعنة[2]، قد بيّن ذلك من الملعونين في كتابه[3].

---

(١) الأحزاب: ٦٤ و٦٥.

(٢) قوله: (وكيف تكون المشيئة) كيف للإنكار، ردأ على من زعم أنّ القاتل في مشيئة الله تعالى، إن شاء عذّبه وأخزاه، وان شاء رحمه ونجّاه، أي كيف يكون هو في المشيئة وقد ألحقه بالكافر في دخوله النار أبداً وصرّح بالغضب واللعن عليه (شرح اصول الكافي للمازندراني: ج٨ ص٩٢).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣١ كتاب الايمان والكفر باب (بدون عنوان بعد باب أنّ الإسلام قبل الإيمان)

⟵

وفي كتاب علل الشرائع: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثنا علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: حدّثنا محمد بن علي، عن أبيه، عن جدّه قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: قتل النفس من الكبائر، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «ومن يقتل مؤمناً» إلى قوله: «وأعد له عذاباً عظيماً»(١).

وفي كتاب معاني الأخبار: عن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنم» قال: من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمّد الذي قال الله (عزّوجلّ) في كتابه: «وأعد له عذاباً عظيماً» قلت: فالرجل يقع بين الرجل وبينه شيء فيضربه بالسيف، فيقتله؟ قال: ليس ذلك الذي قال الله (عزّوجلّ)(٢).

وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ)، ونقل مثل مافي معاني الأخبار سواء(٣).

وفي كتاب معاني الأخبار: حدّثنا محمد بن الحسن قال: حدّثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم» قال: إن جازاه(٤).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان وابن بكير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمّداً، أله توبة؟ فقال: إن كان

قطعة من ح ١.

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ١٦٤ ب ٢٢٨ العلّة التي من أجلها حرّم قتل النفس ح٢.

(٢) معاني الأخبار: باب نوادر المعاني، ص ٣٨٠ ح٤.

(٣) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٥ كتاب الديات، باب أنّ من قتل مؤمناً على دينه فليست له توبة ح١.

(٤) معاني الأخبار: ص ٣٨٠، باب نوادر معاني ح ٥.

قتله لإيمانه فلاتوبة له، وإن كان لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدنيا، فإنّ توبته أن يقاد منه، وإن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فأقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الديّة وأعتق نسمة وصيام شهرين متتابعين وأطعم ستّين مسكيناً، توبة إلى الله (عزّوجلّ)[١].

محمد بن يحيى، عن عبدالله بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لايزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً، وقال: لايوفّق قاتل المؤمن متعمّداً للتوبة[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: من قتل مؤمناً على دينه لم يقبل توبته ومن قتل نبيّاً أو وصيّ نبيّ فلا توبة له لأنّه لايكون مثله فيقاد به[٣].

وقيل: إنّ الآية نزلت في مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام في بني النجار، ولم يظهر قاتله، فأمرهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يدفعوا إليه ديته، فدفعوا إليه، ثم حمل على مسلم فقتله، ورجع إلى مكة مرتداً[٤].

---

(١) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٦ كتاب الديات، باب أنّ من قتل مؤمناً على دينه فليست له توبة ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٢ كتاب الديات، باب القتل ح ٧.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٨.

(٤) في النسخة ـ أ ـ: (مقيس بن ضبانة) والظاهر أنه تصحيف والصحيح ماأثبتناه من المصادر و الآية نزلت في مقيس ابن صبابة (الكناني خ ل) الكندي وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجّار: فذكر ذلك لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأرسل معه قيس بن هلال الفهري، وقال له: قل لبني النجّار: إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلى أخيه ليقتصّ منه، وإن لم تعلموا فادفعوا إليه ديته: فبلغ الفهري الرسالة، فأعطوه الدية، فلمّا انصرف ومعه الفهري وسوس إليه الشيطان فقال: ماصنعت شيئاً أخذت دية أخيك فيكون سبّة عليك، اقتل الذي معك لتكون نفس بنفس والدية فضل، فرماه بصخرة فقتله وركب بعيراً ورجع إلى مكة كافراً وأنشد يقول:

قتلت به فهراً و حملت عقله ... سراة بني النجار لارباب فارع

فادركت ثأري واضطجعت موسداً ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لاأومنه في حلّ ولاحرم، فقتل يوم الفتح وهو متعلّق بأستار الكعبة (نقله الطبرسي (رحمه الله) في مجمع البيان. والبغوي في معالم التنزيل ـ والالوسي في روح ←

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ
لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ
عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ
فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: سافرتم وذهبتم للغزو.

فَتَبَيَّنُواْ: فاطلبوا بيان الأمر وثباته، وميّزوا بين الكافر والمؤمن.

وقرأ حمزة والكسائي «فتثبتوا» من التثبّت، هنا وفي الحجرات.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ: لمن حيّاكم بتحية السلام.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير ألف، أي الاستسلام والانقياد، وفسّر به السلام أيضاً.

لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا: وإنّما فعلت ذلك من الخوف.

وقرئ مؤمناً بالفتح، أي مبذولاً له الأمان.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام): ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم[1].

تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا: تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد. وهو حال من الضمير في «تقولوا» وهو مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبّت.

فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞ: تغنيكم عن قتل أمثاله، لماله.

المعاني- والسيوطي في الدرّ المنثور وغيرهم من المفسّرين).

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٩٨ ح ٢٤٢.

كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ: أي أوّل ما دخلتم في الإسلام تفوّهتم بكلمتي الشهادة، فحصنت بها دماؤكم وأموالكم، من غير أن يعلم مواطاة قلوبكم ألسنتكم.

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ: بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين.

فَتَبَيَّنُوٓاْ: فافعلوا بالداخلين، كما فعل الله بكم، ولا تبادروا إلى قتلهم ظنّاً بأنهم دخلوا فيه اتقاءً وخوفاً، فإنّ إبقاء الكافر أهون عندالله من قتل امرىءٍ مسلم.

وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم، على ماذكر من حالهم.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا: عالماً به وبالغرض منه، فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أنها نزلت لمّا رجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من غزوة خيبر وبعث أُسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك، ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى، فلمّا أحسّ بخيل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: أشهد أن لاإله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فمرّ به أُسامة بن زيد فقتله، فلمّا رجع إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أخبره بذلك، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قتلت رجلاً شهد أن لاإله إلّا الله وأنّي محمّد رسول الله؟! فقال: يارسول الله قالها تعوّذاً من القتل. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أفلا شققت الغطاء عن قلبه؟ لاما قال بلسانه قبلت، ولاما كان في نفسه علمت. فحلف أُسامة بعد ذلك أن لايقاتل أحداً شهد أن لاإله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فتخلّف عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في حروبه، وأنزل الله في ذلك: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم» الآية[1].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٨ في تفسيره لآية ٩٤ من سورة النساء. ورواه مجملاً في مجمع ←

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

وفي رواية العامّة: أنّ مرداس أضاف إلى الكلمتين: السلام عليكم[1].

وهي تؤيّد قراءة (السلام) وتفسيره بتحيّة السلام.

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ: عن الحرب.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: في موضع الحال من «القاعدون» أو من الضمير الذي فيه، ويحتمل الصفة.

غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ: الأصحّاء بالرفع صفة للقاعدين، لأنّه لم يقصد قوم بأعيانهم، أو بدل منه.

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال، أو الاستثناء. وقرئ بالجرّ على أنّه صفة للمؤمنين أو بدل منه.

في مجمع البيان: نزلت في كعب بن مالك من بني سلمة، ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أُميّة من بني واقف، تخلّفوا عن رسول الله (صلّى الله

البيان: ج٣ ص ٩٥ في نقله سبب نزول آية ٩٤ ثم قال بعد نقل القصة: (وبهذا اعتذر إلى علي (عليه السلام) لمّا تخلّف عنه، وإن كان عذره غير مقبول، لأنّه قد دلّ الدليل على وجوب طاعة الإمام في محاربة من حاربه من البغاة لاسيّما وقد سمع النبيّ يقول: حربك ياعلي حربي وسلمك سلمي).

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٢ ص ٦٣٤ في تفسيره لآية ٩٤ من سورة النساء، وفيه (فقال: السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلّا الله الخ).

عليه وآله وسلّم) يوم تبوك، وعذر الله أُولي الضرر، وهو عبدالله بن أُمّ مكتوم، قال: رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره[(١)].

وفي عوالي اللآلئ: روى زيد بن ثابت أنّه لم يكن في آية نفي المساواة بين المجاهدين والقاعدين استثناء «غير أُولي الضرر» فجاء ابن أُمّ مكتوم وكان أعمى وهو يبكي، فقال: يارسول الله كيف لمن لايستطيع الجهاد؟ فغشيه الوحي ثانياً، ثم سرى عنه فقال: اقرأ «غير أُولي الضرر» فألحقتها، والذي نفسي بيده، لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف[(٢)].

﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: أي لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علّة. وفائدته تذكير مابينهما من التفاوت، ليرغب القاعد في الجهاد، رفعاً لرتبته، وإنفةً عن انحطاط منزلته.

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾: جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق.

و«درجة» نصب بنزع الخافض، أو على المصدر، لأنّه تضمّن معنى التفضيل ووقع موقع المرّة منه، أو الحال بمعنى ذوي درجة.

﴿وَكُلًّا﴾: من القاعدين والمجاهدين.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى، وهي الجنة، لحسن عقيدتهم وخلوص نيّتهم، وإنّما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب.

في الجوامع: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لقد خلّفتم في المدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ولاقطعتم وادياً إلّا كانوا معكم، وهم الذين صحّت نيّاتهم، ونصحت جيوبهم، وهوت أفئدتهم إلى الجهاد وقد منعهم من المسير ضرراً وغيره[(٣)].

﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: نصب على المصدر، لأنّ فضل

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٩٦ في نقله سبب نزول آية ٩٥ من سورة النساء.

(٢) عوالي اللآلئ: ج ٢ ص ٩٩ ح ٢٧٢.

(٣) جوامع الجامع: ص ٩٤ في تفسيره لآية ٩٥ من سورة النساء.

بمعنى أجراً، والمفعول الثاني له، لتضمّنه معنى الإعطاء، كأنّه قيل: وأعطاهم زياد على القاعدين أجراً عظيماً.

دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗ: كلّ واحدة منهما بدل من «أجر» ويجوز أن ينتصب «درجات» على المصدر، كقولك: ضربته أسواطاً، و«أجراً» على الحال عنها، تقدّمت عليها، لأنّها نكرة، و«رحمة ومغفرة» على المصدر بإضمار فعليهما.

في مجمع البيان: وجاء في الحديث أنّ الله سبحانه فضّل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كلّ درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر[1].

كرّر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالاً وتفصيلاً، تعظيماً وترغيباً فيه.

وقيل: الأوّل ماحقّ لهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر. والثاني ماجعل لهم في الآخرة.

وقيل: المراد بالدرجة الأُولى ارتفاع منزلتهم عندالله تعالى، والدرجات منازلهم في الجنة.

وقيل: القاعدون الأوّل، هم الأضرار، والقاعدون الثاني، هم الذين أذن لهم في التخلّف اكتفاء بغيرهم.

وقيل: المجاهدون الأوّلون من جاهد الكفّار، والآخرون من جاهد نفسه، كما في الحديث: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[2].

وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالأوّل، قوماً، وبالآخر، آخرين، فإنّ مابين القاعد والمجاهد كما بين السماء والأرض.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا: لما عسى أن يفرط منهم.

رَّحِيمًا: يرحمهم بإعطاء الثواب.

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٩٧ في تفسيره لآية ٩٥ و٩٦ من سورة النساء.

(٢) من قوله: (كرّر تفضيل المجاهدين) والأقوال المذكورة إلى هنا، مأخوذ من البيضاوي، لاحظ تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ج١ ص٢٣٨ في تفسيره لآية ٩٦ من سورة النساء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ: يحتمل الماضي والمضارع.

وقرئ «توفيهم وتوفاهم» على مضارع وفيت، بمعنى أنّ الله يوفّي الملائكة أنفسهم فيتوفّونها، أي يمكّنهم من استيفائها، فيتوفّونها.

ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ: في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة.

في كتاب الاحتجاج: عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنّه سئل عن قول الله تعالى: «الله يتوفى الأنفس حين موتها»[1] وقوله: «قل يتوفاكم ملك الموت»[2] وقوله (جلّ وعزّ): «توفته رسلنا»[3] وقوله: «الذين توفاهم الملائكة» فمرّة يجعل الفعل لنفسه، ومرة لملك الموت، ومرّة للرسل، ومرّة للملائكة؟! فقال: إنّ الله (تبارك وتعالى) أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته، فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس»[4] فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره وفعلهم فعله وكلّ مايؤتونه منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، ففعل ملك الموت فعل الله، لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أُمناؤه فعله، كما قال:

---

(١) الزمر: ٤٢.
(٢) السجدة: ١١.
(٣) الأنعام: ٦١.
(٤) الحج: ٧٥.

«وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله»(١)(٢).

وفي من لايحضره الفقيه: عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن ذلك، فقال: إنّ الله (تبارك وتعالى) جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فيتوفّاهم الملائكة، ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة، مع مايقبضُ هوويتوفّاهاالله من ملك الموت(٣).

وفي كتاب التوحيد: سئل أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن ذلك فقال: إنّ الله (تبارك وتعالى) يدبّر الأمور كيف شاء، ويوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فإنّ الله يوكّله بخاصّة من يشاء، ويوكّل رسله من الملائكة خاصّة بمن يشاء من خلقه، والملائكة الذين سمّاهم الله (عزّ ذكره) وكّلهم بخاصّة من يشاء من خلقه والله (تبارك وتعالى) يدبّر الأمور كيف يشاء، وليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ الناس، لأنّ منهم القويّ والضعيف،، ولأنّ منه مايطاق حمله ومنه مالايطيق حمله إلّا من يسهّل الله له حمله وأعانه عليه من خاصّة أوليائه، وإنّما يكفيك أن تعلم أنّ الله المحيي والمميت، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم(٤).

قَالُوٓاْ: أي الملائكة توبيخاً لهم.

فِيمَ كُنتُمْ: في أيّ شيء كنتم من أمر دينكم.

قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ: اعتذار عمّا وبّخوا به، بضعفهم عن إظهار الدين وإعلاء كلمته، لقلّة العَدد وكثرة العدو(٥).

---

(١) الإنسان: ٣٠.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٤، احتجاجه على زنديق جاء مستدلاً بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل، والأسئلة س ٢٦، والأجوبة في ص٢٤٧ س٨.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج١ ص٨٢ باب٢٣ غسل الميت، قطعة من ح٢٦.

(٤) التوحيد: ص ٢٦٨ باب٢٦ الردّ على الثنوية والزنادقة، س١٦.

(٥) وفي هامش النسخة: وفسّر البيضاوي الاستضعاف بالعجز عن الهجرة، وفيه أنّه لايكون قوله: (ألم
←

قَالُوٓاْ: أي الملائكة تكذيباً لهم.

أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ: إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة.

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ: لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفّار وكفرهم. وهو خبر (إنّ) والفاء فيه لتضمّن الاسم معنى الشرط، و«قالوا فيم كنتم» حال من الملائكة بإضمار (قد)، أو الخبر (قالوا) والعائد محذوف، أي قالوا لهم، وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها.

وَسَآءَتۡ مَصِيرًا: أي مصيرهم، أو جهنم.

وقيل: الآية نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة[١].

والظاهر أنّها في الكفرة.

وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام)، هم قيس بن الفاكهة بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبوالعاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن أُميّة بن خلف[٢].

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): ولايقع استضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أُذنه ووعاها قلبه[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في من اعتزل أميرالمؤمنين (عليه السلام) ولم يقاتلوا معه، فقال الملائكة لهم عند الموت: «فيم كنتم»؟ «قالوا كنا مستضعفين في الأرض» أي لم نعلم مع من الحقّ، فقال الله: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا

تكن أرض الله واسعة) إلى آخره وارداً عليهم ـمنه دام عزه ـ.

(١) قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ٢٣٩ في تفسيره لآية ٩٧ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٩٨ في نقله سبب نزول آية ٩٧ من سورة النساء نقلاً عن أبي جعفر (عليه السلام).

(٣) نهج البلاغة: ص ٢٧٩ ومن كلام له (عليه السلام) في الايمان ووجوب الهجرة صبحي الصالح،

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ٩٨

فيها» أي دين الله و كتابه واسع فتنظروا فيه[١].

والجمع بينه وبين الأوّل: أنها نزلت في الأوّل وجرت في الثاني.

وفي الآية دلالة على وجوب الهجرة من موضع لايتمكّن الرجل فيه من إقامة دينه.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق (عليه السلام) بعد أن أمر بالكلام بما ينفع ولايضرّ: فإن لم تجد السبيل إليه، فالانقلاب والسفر من بلد إلى بلد وطرح النفس في براري[٢] التلف، بسرّ صافٍ وقلبٍ خاشعٍ وبدنٍ صابرٍ، قال الله تعالى: «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها»[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن يسار، عن معروف بن خربوذ، عن الحكم بن المستنير، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): الأرض مسيرة خمسمائة عام، الخراب منها مسيرة أربعمائة، والعمران منها مسيرة مائة عام، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[٤].

إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ: استثناء منقطع لعدم دخولهم

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٤٩ في تفسيره لآية ٩٧ من سورة النساء.

(٢) بوادي خ ل.

(٣) مصباح الشريعة: ص ١٨ الباب الثالث والعشرون س ١٣.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ١٧ س ١ في تفسيره لآية ٩٧ من سورة بني إسرائيل وصدره (قال: وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): الأرض مسيرة الخ وصدر الحديث في ص١٤ س٢٢.

في الموصول بظلموا ولا في ضميره، ولا في الإشارة إليه.

وذكر الولدان، إن أريد به المماليك فظاهر، وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر، والإشعار بأنّهم على صدد وجوب الهجرة، فإنّهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة، فلا محيص لهم عنها، وإن قوّامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت.

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا: صفة للمستضعفين، إذ لا توقيت فيه، أو حال عنه، أو عن المستكن فيه.

واستطاعة الحيلة، قدرة وجدان أسباب دفع الكفر. واهتداء السبيل، وجدان سبيل الإيمان بنفسه أو بدليل.

في كتاب معاني الأخبار: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، وفضالة بن أيّوب جميعاً، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عزّوجلّ): «إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان» فقال: هو الذي لايستطيع الكفر فيكفر، ولايهتدي سبيل الإيمان فيؤمن. والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان، مرفوع عنهم القلم[(١)].

قوله: «هو الذي لايستطيع الكفر» يعني ليس له من العقل مابه يطّلع على الكفر، فيكفر أو يدفعه عن نفسه.

وبإسناده إلى سالم بن مكرم الجمّال، عن أبي عبدالله (عليه السلام) عن قوله (عزّوجلّ): «إلّا المستضعفين» إلى قوله «سبيلاً» فقال: لايستطيعون حيلة إلى النصب، فينصبون، ولايهتدون، سبيلاً الى الحقّ فيدخلون فيه. وهؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله (عزّوجلّ) عنها، ولاينالون منازل الأبرار[(٢)].

حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رحمه الله) قال: حدّثنا الحسين

---

(١) و(٢) معاني الأخبار: ص ٢٠١، باب معنى المستضعف ح ٤ و٥.

ابن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن حجر بن زائدة، عن حمران قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «إلّا المستضعفين» الآية، قال: هم أهل الولاية، قلت: وأيّ ولاية؟ فقال: أما إنّها ليست بولاية في الدين، لكنّها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة، وهم ليسوا بالمؤمنين ولابالكفار، وهم المرجون لأمر الله(١).

حدّثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه، عن علي بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عبدالكريم بن عمرو الخثعمي، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان» الآية؟ قال: ياسليمان في هؤلاء المستضعفين من هو أثخن رقبة منك، المستضعفون قوم يصومون ويصلّون تعف بطونهم وفروجهم، لايرون أنّ الحقّ في غيرنا، آخذين بأغصان الشجرة، فأُولئك عسى الله أن يعفو عنهم إذا كانوا آخذين بالأغصان، وإن لم يعرفوا أُولئك فإن عفى الله عنهم فبرحمته وإن عذّبهم فبضلالتهم عمّا عرّفهم(٢).

أبي (رحمه الله) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال في المستضعفين الذين لايجدون حيلة ولايهتدون سبيلاً: لايستطيعون حيلة فيدخلوا في الكفر، ولم يهتدوا فيدخلوا في الإيمان، فليس هم من الكفر والإيمان في شيء(٣).

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن اسباط، عن سُليم مولى طربال قال: حدّثني هشام، عن حمزة بن الطيّار قال: قال لي أبو

---

(١) معاني الأخبار: ص ٢٠٢، باب معنى المستضعف، ح ٨.
(٢) معاني الأخبار: ص ٢٠٢، باب معنى المستضعف، ح ٩.
(٣) معاني الأخبار: ص ٢٠٣، باب معنى المستضعف، ح ١١.

عبدالله (عليه السلام): الناس على ستة أصناف، قال: قلت: أتأذن لي أن أكتبها؟ قال: نعم، قلت: ماأكتب؟ قال: اكتب «إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان»، لايستطيعون حيلة إلى الكفر، ولايهتدون سبيلاً إلى الإيمان، «فاولئك عسى الله أن يعفوعنهم»[(١)(٢)].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن زرارة قال: دخلت أنا وحمران، أو أنا وبكير على أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: إنّا نمدّ (المطمار) قال: وما (المطمار)؟ قلت: التر[(٣)] فمن وافقنا من علويّ وغيره تولّيناه، ومن خالفنا من علويّ وغيره برئنا منه، فقال لي: يازرارة قول الله أصدق من قولك، فأين الذين قال الله (عزّوجلّ) «إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً» (أين المرجون لأمرالله)[(٤)] والحديثان طويلان أخذنا منهما موضع الحاجة.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٨١، كتاب الايمان والكفر، باب أصناف الناس، ح ١.

(٢) الظاهر أنّ غرض المؤلف (قدّس سرّه) من إيراد الحديث كان الاستشهاد بالآية الشريفة فقط، ولذا أورده مقطعاً، ولما كان فهم الحديث موكولاً إلى إيراده بتمامه، فنقول: بعد قوله (عليه السلام): (اكتب) (قال: اكتب أهل الوعيد من أهل الجنة وأهل النار، واكتب «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً» (التوبة: ١٠٢) قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: وحشيّ منهم (هو الذي قتل حمزة في الجاهلية ومسيلمة الكذاب في الاسلام) قال: واكتب (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) (التوبة: ١٠٦) قال: واكتب «إلّا المستضعفين من الرجال» إلى قوله: «عسى الله أن يعفوعنهم» قال: واكتب، أصحاب الأعراف، قال: قلت: وما أصحاب الأعراف؟ قال: قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم فإن أدخلهم النار فبذنوبهم وإن أدخلهم الجنة فبرحمته).

ثم اعلم أنّ للعلامة المجلسي (طيّب الله رمسه) وللمولى صالح المازندراني (قدّس سرّه) تحقيقات أنيقة في شرح الحديث ولوجه الحصر في ستة أصناف، فلاحظ إن شئت (شرح اصول الكافي للمازندراني: ج ١٠ ص ٤١، ومرآة العقول: ج١١ ص ١٠٠).

(٣) في النسخة ـ أ ـ: (المضمار) بدل (المطمار) و(النرّ) بدل (الترّ) والصحيح ماأثبتناه والتربالضم والتثقيل خيط البناء، والمطمر مثله (مجمع البحرين: ج٣ ص٢٣٣ لغة ترر).

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٨٢ كتاب الايمان والكفر، باب أصناف الناس ح ٣.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: المستضعفون الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً، قال: لايستطيعون حيلة إلى الإيمان ولايكفرون، الصبيان وأشباه عقول الصبيان من الرجال والنساء[١].

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن المستضعف؟ فقال: هو الذي لايستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر ولايهتدي بها سبيلاً إلى الإيمان، لايستطيع أن يؤمن ولايكفر، قال: والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان[٢].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبدالله ابن جندب،عن سفيان بن السمط البجلي قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): ماتقول في المستضعفين؟ فقال لي شبيهاً بالفزع[٣]: فتركتم أحداً يكون مستضعفاً،

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٤ كتاب الايمان والكفر، باب المستضعف ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٤ كتاب الايمان والكفر، باب المستضعف، ح ٣.

(٣) (شبيهاً بالفزع) بكسر الزاي، أي الخائف المضطرب، وكان ذلك غيظاً وإنكاراً على أهل الإذاعة من الشيعة، فإنهم لتركهم التقيّة أفشوا هذا الأمر حتى عرف الناس كلّهم مذهب الشيعة حتى الجواري الباكرات المخدّرات مع عدم خروجهن من الخدور، والنساء السقايات اللواتي ليس شأنهنّ تفحّص المذاهب.

السقايات بالياء، جمع سقاءة بالهمزة.

وهذه الإذاعة صارت سبباً للضرر على الأئمة وشيعتهم ولم ينفع لهداية الخلق،وصارت سبباً لصيرورة المستضعفين نواصب غير معذورين.

و(تركتم) استفهام للإنكار وكذا (أين).

ثم اعلم أنّ المستضعف عند أكثر الأصحاب: من لايعرف الإمام ولاينكره ولايوالي أحداً بعينه كما ذكره الشهيد (قدّس سرّه) في الذكرى، وحكي عن المفيد في الغرية: أنه عرّفه بأنّه الذي يعرف بالولاء ويتوقّف عن البراءة، وقال ابن إدريس: هومن لايعرف اختلاف الناس في المذاهب ولايبغض أهل الحقّ على اعتقادهم، وهذا اوفق بأخبار هذا الباب (مرآة العقول: ج١١ ص٢٠٩).

وأين المستضعفون؟ فوالله لقد مشى بأمركم هذا العواتق الى العواتق في خدورهن، وتحدّث به السقايات في طريق المدينة[١].

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشا، عن مثنى، عن إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام)، في حديث طويل: فهل سلم أحد لايعرف هذا الأمر؟ فقال: لاإلاّ المستضعفين، قلت: من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم، ثم قال: أرأيت أمّ أيمن؟ فإنّي أشهد أنها من أهل الجنة، وما كانت تعرف ماأنتم عليه[٢][٣].

وبإسناده إلى أيوب بن الحرّ قال: قال رجل لأبي عبدالله (عليه السلام) ونحن عنده: جعلت فداك إنّا نخاف أن ننزل بذنوبنا منازل المستضعفين، قال: فقال: لاوالله، لايفعل الله ذلك بكم أبداً[٤].

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن محمد بن منصور الخزاعي، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: سألته عن الضعفاء؟ فكتب إليّ، الضعيف من لم يرفع إليه حجة ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف[٥].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٤ كتاب الايمان والكفر، باب المستضعف، ح ٤.

(٢) أمّ أيمن مولاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وهي من شهود فدك ، وروى الخاصّة والعامّة عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أنّها من أهل الجنة، قال في المغرب: الأيمن خلاف الأيسر وهو جانب اليمنى، أو من فيه، وبه سمّي أمّ أيمن حاضنة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أي حافظته، وهو أخو اسامة بن زيد لامّه، انتهى. (وما كانت تعرف ماأنتم عليه) أي إمامة سائر الأئمّة سوى أميرالمؤمنين (عليه السلام) وكانت معذورة في ذلك لعدم سماعها ذلك وعدم تمام الحجة عليها، فكذا المستضعف، معذور لذلك، أو صفات الأئمّة وكمالهم، أو لم تكن تعرف ذلك بالدليل بل بالتقليد، وأمّا أصل معرفة إمامة أميرالمؤمنين، فعدم معرفتها ذلك بعيد جداً، وكون أمّ أيمن امرأة أُخرى معروفة للمخاطب سوى الحاضنة، فأبعد. (مرآة العقول: ج ١١ ص ٢١١).

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٥ كتاب الايمان والكفر، باب المستضعف، قطعة من ح ٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٦ كتاب الايمان والكفر، باب المستضعف، ح ٩.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٦ كتاب الايمان والكفر، باب المستضعف، ح ١١.

وفي الكافي: أبوعلي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عبدالله بن مسكان، عن يحيى الحلبي، عن عبدالحميد الطائي، عن زرارة بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أتزوّج بمرجئة أو حرورية[١]؟ قال: لا، عليك بالبله من النساء، قال زرارة: فقلت: والله ماهي إلّا مؤمنة أو كافرة، فقال أبوعبدالله (عليه السلام): وأين أهل ثنوي الله[٢] (عزّوجلّ)؟ قول الله أصدق من قولك «إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً»[٣].

وفي تفسير العياشي: عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن المستضعفين؟ فقال: البلهاء في خدرها، والخادم تقول لها: صلّي، فتصلّي، لا تدري إلّا ماقلت لها، والجليب الذي لايدري إلّا ماقلت له[٤]، والكبير الفاني، والصبيّ والصغير، هؤلاء المستضعفين[٥].

---

(١) المرجئة بالميم ثم الراء ثم الهمزة بغير تشديد من الإرجاء بمعنى التأخير، وقد وقع الخلاف في تفسير اللفظة فقيل: هم فرقة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلاعمل، كأنّهم قدّموا القول وأرجؤوا العمل أي أخّروه، لأنّهم يريدون أنّهم لو لم يصلّوا ولم يصوموا لنجّاهم إيمانهم، وقيل: هم فرقة من المسلمين يعتقدون أنّه لايضرّ مع الإيمان معصية، كما لاينفع مع الكفر طاعة، سمّوا مرجئة، لاعتقادهم أنّ الله تعالى أرجأ تعذيبهم عن المعاصي، أي أخّره عنه، وقيل: هم الفرقة الجبريّة، وقيل: هم الذين يقولون كلّ الافعال من الله تعالى، وقيل: المرجئ هو الأشعريّ، وربّما يطلق على أهل السنّة لتأخيرهم عليّاً (عليه السلام) عن الثلاثة. والحروريّة، هم الذين تبرّؤوا من علي (عليه السلام) وشهدوا عليه بالكفر لعنهم الله، والحروريّة نسبة إلى حروراء موضع بقرب الكوفة كان أوّل مجمعهم فيه (تلخيص من مقياس الهداية: ص ٨٥ـ٨٦).

(٢) قوله (ثنوي الله) استثناء الله (مرآة العقول ط حجري: ج٣ ص ٤٥٠).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٤٨ كتاب النكاح، باب مناكحة النصاب والشكّاك ح٢.

(٤) الجليب الذي يجلب من بلد إلى آخر غيره، وعبد جليب (لسان العرب: ج ١ ص ٢٦٨ لغة جلب).

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٠ قطعة من ح ٢٥١.

فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ: ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو إيذاناً بأنّ ترك الهجرة أمر خطير حتى المضطرّ من حقه أن لايأمن ويترصّد الفرصة ويعلّق بها قلبه.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا: ذا صفح عن ذنوب عباده، ساتر عليهم ذنوبهم.

وَمَن يُهَاجِرْ: يفارق أهل الشرك وهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام.

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ: في منهاج دينه.

يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا: متحوّلاً، من الرغام وهو التراب[1].

وقيل: طريقاً يراغم قومه بسلوكه، أي يفارقهم على رغم أنوفهم، وهو أيضاً من الرغام.

وَسَعَةً: في الرزق وإظهار الدين، فيرغم بذلك أنوف، قومه ممّن ضيّق عليه.

وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ: وقرئ يدركه على

---

(١) (قوله: متحوّلاً) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه فسّر (مراغماً) بقوله: (متحوّلاً) يتحوّل إليه، وقال الجوهري: المراغم، المذهب والمهرب، ثم نقل عن الفرّاء أنّه قال: المراغم، المضروب والمذهب في الأرض، والرغام بالفتح التراب. ولمّا كانت الأنف من جملة الأعضاء في غاية العزّة والتراب في غاية الذلّة، جعل قولهم: (رغم أنفه) كناية عن الذلّة، وسمّيت المفارقة عن القوم بغضاً لهم بالمراغمة، لأنّ من يهاجر قومه، يراغمهم، لأنّه يجد في البلد الذي هاجر إليه من النعمة والخير مايكون سبباً لرغم أنف أعدائه (من حاشية محيي الدين شيخ زاده على البيضاوي).

أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي ثم هو يدركه، و بالنصب على إضمار (أن) كقوله: (وألحق بالحجاز فأستريحا)(١).

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: الوقوع والوجوب متقاربان، وفي لفظ الوقوع زيادة مبالغة لإشعاره بأنّ أجره وقع.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

في مجمع البيان: عن أبي حمزة الثمالي، لمّا نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين، وهو جندع، أو جندب بن حمزة، وكان بمكة، فقال: والله ما أنا ممّن استثنى الله، إنّي لأجد قوة، وإنّي لعالم بالطريق، وكان مريضاً شديد المرض، فقال لبنيه: والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإنّي أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية(٢).

وممّا جاء في معنى الآية من الحديث.

ما رواه الحسن، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (عليهما السلام)(٣).

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمان قال: حدّثنا حماد، عن عبدالأعلى قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول العامّة(٤): إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: من

---

(١) وقبله: سأترك منزلي لبني تميم. هو لمغيرة بن حنين التميميّ الحنظليّ، قوله: (بني تميم) قبيلة معروفة و(ألحق) بفتح الحاء المهملة والقاف متكلّم من اللحوق بمعنى الإدراك والإتيان، قوله: (بالحجاز) أي بقبيلة في الحجاز، وهو بالحاء المهملة والجيم والزاء المعجمة ككتاب مكة والمدينة، و(أستريح) متكلّم من الاستراحة (جامع الشواهد: ج٢ ص٣٩ باب السين بعده الألف).

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠٠ في بيان نزول آية ١٠٠ من سورة النساء.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠٠ في نقله المعنى لآية ١٠٠ من سورة النساء، وقد مرّ نقل الحديث أيضاً.

(٤) قوله: (سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول العامّة) أي عن قول عامّة الأمّة بمعنى جميعهم، أو عن قول أكثر الامّة المخالفين للفرقة الناجية القائلين بخلافة الثلاثة، والحديث حجة عليهم في نفي

مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية؟ قال: الحق والله قلت، فإن إماماً هلك ورجل بخراسان لايعلم من وصيّه، لم يسعه ذلك، قال: لايسعه أنّ الإمام إذا هلك، وقعت حجة وصيّه على من هو معه في البلد، وحقّ النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم، أنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «فلولانفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»[1] قلت: فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصِلَ فَيَعْلَمَ؟ قال إنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقدوقع أجره على الله»[2]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

الإمام من عترةالرسول في كلّ عصر،لنقلهم هذاالحديث في كتبهم وقبولهم له وماذهب إليه قدمائهم، من أنّ المرادبالإمام فيه، صاحب الشوكة والاقتدار من ملوك الأُمّة كائناً من كان، عالماً أو جاهلاً عدلاً أو فاسقاً، في غاية السخافة، لأنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يأمر أُمّته بمتابعة الجاهل الفاسق، لأنّ متابعته يوجب الخروج عن الدين لمخالفة الحق، ولهذا ذهب بعض متأخريهم إلى أن المراد بالإمام فيه، الكتاب، وهو في غاية الضعف، إذ لايمكن الاقتداء بالقرآن إلّا بالاقتداء بإمام يفسّره، وهذا الإمام ليس بقرآن بالضرورة، ولاجاهل فاسق، بالاتفاق، فتعيّن ماذهب إليه الفرقة الناجية من أنّه ناطق من الله، وهو المطلوب.

قوله: (فقال الحقّ والله) خبر مبتدأ محذوف، أي هو الحقّ.

قوله: (لم يسعه ذلك) من باب الاستفهام، وذلك اشارة إلى عدم العلم المفهوم من سياق الكلام.

قوله: (أنّ الإمام إذا هلك) تعليل لما سبق، توضيح ذلك :أنّ الناس عند موت الإمام على صنفين، صنف حاضرون في بلد موته، عالمون بمن هو وصّى له، بوصيّة ظاهرة أو باطنة، فوجب عليهم الاذعان له والاعتقاد به من غير مهلة، وصنف نائون عنه قد بلغهم خبر موت الإمام دون خبر وصيّه، وهذا الصنف يجب عليهم الإيمان اجمالاً بأنّ له وصيّاً يقوم مقامه، ثم يجب عليهم النفر، ليعرفوه باسمه وشخصه، وقوله: (وحقّ النفر) جملة فعلية، أي وجب النفر ولزم، قوله: (قبل أن يصل فيعلم) أي قبل أن يصل إلى بلد موت الإمام، وقبل أن يعلم وصيّ باسمه وشخصه، والجواب يدلّ على أنّه مؤمن عندالله تعالى، وأنّه مثاب لأجل الحركة (شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج٦ ص٣٣٨).

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) الكافي: ج ١، ص٣٧٨، كتاب الحجة، باب مايجب على الناس عند مضى الإمام (عليه السلام)، قطعة من ح٢.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بريد بن معاوية، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبدالله: أصلحك الله، بلغنا شكواك [1] وأشفقنا، فلو أعلَمتنا أو علّمتنا من؟ فقال: إنّ علياً (عليه السلام) كان عالماً، والعلم يتوارث، فلا يهلك عالم إلّا بقي من بعده من يعلم مثل علمه، أو ماشاء الله، قلت: أفيسع الناس إذا مات العالم ألّا يعرفوا الذي بعده؟ فقال: أمّا أهل هذه البلدة فلا (يعني المدينة) وأمّا غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إنّ الله يقول: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» قال: قلت: أرأيت من مات في ذلكْ؟ فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله[2].

وفي تفسير العياشي: بإسناده عن محمد بن أبي عمير قال: وجّه زرارة بن أعين ابنه عبيداً إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر وعبدالله، فمات قبل

---

(١) قوله (بلغنا شكواك) في النهاية: الشكوى المرض، وفي الصحاح: الشكوى اسم من شكوت فلاناً اشكوه شكواً، إذا أخبرت عنه سوء فصله، وقد يطلق الشكوى على المكروه والبليّة، والمراد بالإشفاق، الخوف من موته (عليه السلام)، أو من الضلالة بعده والترديد في قوله (أو علّمتنا) من الراوي، والمراد بقوله (عليه السلام): (أنّ علياً كان عالماً) هو أنّ الإمام يعرف بعلمه جميع الأشياء ولايشتبه على غيره، فانّه بإضاعة علمه كالنور الساطع، وقد ذكرنا أنّ القادر على معرفته بسبب علمه هو العالم دون غيره، وقوله: (أو ماشاء الله) يحتمل الترديد من الراوي، وحتم مالم يكن محتوماً قبل، فانه قد يحصل لكلّ إمام علم بالحتم الذي لم يكن قبله، والله أعلم.

قوله: (أرأيت من مات في ذلك) أي أخبرني من مات في حال نفره ووقت طلبه قبل الوصول إلى المطلوب كيف حاله؟ أهو مؤمن أم لا؟ ومحصّل الجواب: أنه مؤمن ومثاب لأجل النفر. وفيه دلالة على أنّ الإيمان بالإمام على سبيل الاجمال عند تعذّر معرفة اسمه وشخصه كافٍ، وهو كذلك، لاستحالة التكليف بالمحال (شرح الاصول للمولى صالح المازندراني: ج٦ ص٣٤٢).

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٧٩ كتاب الحجة، باب مايجب على الناس عند مضي الإمام (عليه السلام) قطعة من ح٣. وتمام الحديث: (قال: قلت: فإذا قدموا بأيّ شيء يعرفون صاحبهم؟ قال: يعطى السكينة والوقار والهيبة).

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ ١٠١

أن يرجع إليه عبيد ابنه، قال محمد بن أبي عمير: حدثني محمد بن حكيم قال: ذكرت لأبي الحسن (عليه السلام) زرارة وتوجيهه عبيداً إلى المدينة، فقال: إني لأرجو أن يكون زرارة ممّن قال الله «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله»[1] الآية.

عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): ماتقول في رجل دعي إلى هذا الأمر فعرفه وهو في أرض منقطعة إذ جاء موت الإمام، فبينا هو ينتظر إذ جاءه الموت؟ فقال: هو والله بمنزلة من هاجر إلى الله ورسوله فمات قد وقع أجره على الله[2].

وفي الكافي: علي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان المديني، عن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من أتى مكة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة[3]، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله تعالى حشره الله تعالى يوم القيامة مع أصحاب بدر[4].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٠ ح ٢٥٣. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٠ ح ٢٥٢.

(٣) وإنّما نسب الجفاء إلى نفسه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تجوّزاً، لأنّ تارك زيارته هو الجاني نفسه، وموصلها بالتأسّف والحرمان عن الشفاعة المعبّر عنها بالجفاء (الوافي ط حجري: ج ٢ ص ١٩٣ باب ١٧١ لقاء النبيّ والإمام وزيارة قبورهم).

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨ كتاب الحج، باب زيارة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ح ٥.

﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾. بتنصيف الرباعيات، و «من الصلاة» صفة محذوف، أي شيئاً من الصلاة، عند سيبويه. ومفعول «تقصروا» بزيادة «من» عند الأخفش. والقصر واجب، ونفي الجناح لأنّهم ألفوا التمام وكان مظنّة لأن يخطر ببالهم. أنّ عليهم نقصاناً في التقصير، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا إليه.

وفي من لايحضره الفقيه وتفسير العياشي: روى عن زرارة ومحمد بن مسلم أنّهما قالا: قلنا لأبي جعفر (عليه السلام): ماتقول في الصلاة في السفر، كيف هي؟ وكم هي؟ فقال: إنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «وإذاضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة» فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر، قالا: قلنا: إنّما قال الله تعالى «فليس عليكم جناح» ولم يقل افعلوا، كيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ فقال (عليه السلام) أوليس قد قال الله (عزّوجلّ): «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما»[١] ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض، لأنّ الله (جلّ وعزّ)، ذكره في كتابه وصنعه نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وكذلك التقصير في السفر، شيء صنعه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وذكره الله تعالى في كتابه، قالا: قلنا: فمن صلّى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال: إن كان قد قرئت عليه آية التقصير وفسّرت له وصلّى أربعاً أعاد، وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه. والصلاة كلّها في السفر الفريضة ركعتان كلّ صلاة إلّا المغرب فإنّها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في السفر والحضر ثلاث ركعات وزاد في الفقيه، وقد سافر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى ذي خشب، وهي مسيرة يوم من المدينة، يكون إليها بريدان أربعة وعشرون ميلاً، فقصّر وأفطر فصارت سنّة، وقد سمّى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوماً صاموا حين أفطر: العصاة، قال: فهم العصاة إلى يوم القيامة، وإنّا

(١) البقرة: ١٥٨.

لنعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا[(١)(٢)(٣)].

وفي عيون الأخبار: في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنّه سمعها من الرضا (عليه السلام)، فإن قال: فلم قصّرت الصلاة في السفر؟ قيل: لأنّ الصلاة المفروضة أوّلاً، إنّما هي عشر ركعات، والسبع إنّما زيدت فيما بعد، فخفّف الله عنه تلك الزيادة لموضع سفره وتعبه ونصبه واشتغاله بأمر نفسه، وظعنه وإقامته، لئلا يشتغل عمّا لابدّ له من معيشته، رحمة من الله تعالى، وتعطّفاً عليه إلّا صلاة المغرب، فإنّها لم تقصّر، لأنّها صلاة مقصّرة في الأصل. فإن قال: فلم وجب التقصير من في ثمانية فراسخ؟ لاأقلّ من ذلك ولاأكثر؟ قيل: لأنّ ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامّة والقوافل والأثقال فوجب التقصير في مسيرة يوم، فإن قال: فلم وجب التقصير في مسيرة يوم؟ قيل: لأنّه لولم يجب في مسيرة يوم، لما وجب في مسيرة سنة، وذلك أنّ كلّ يوم يكون بعد هذا اليوم فإنّما هو نظير هذا اليوم، فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره إذ كان نظيره مثله لافرق بينهما[(٤)].

وفي الكافي: علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن ربيع ابن محمّد السلمي، عن عبدالله بن سليمان العامري، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لـمّا عرج برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نزل بالصلاة عشر ركعات، ركعتين ركعتين، فلمّا ولد الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) زاد رسول

---

(١) لمّا دلّ ظاهر الآيةعلى مذهب المخالفين القائلين بالتخيير بين القصر والإتمام في السفر، تكلّم الرجلان مع الإمام (عليه السلام) من جانبهم في ذلك، ولمّا لم يكونوا قائلين بالتخيير في الطواف مع أنّ الآيتين وردتا على وتيرة واحدة عارضهما (عليه السلام) بآية الطواف وجادلهم بالتي هي أحسن، ثم بيّن أنّ الآيتين كلتيهما من المتشابهات التي تأويلها إنّما يستفاد من فعل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (الوافي ط حجري: ج٢ باب٢ فرض الصلاة ص١١).

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٧٨ باب ٥٩ الصلاة في السفر، ح١.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧١ ح ٢٥٤.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ١١١ باب٣٤ العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنّه سمعها من الرضا علي بن موسى مرّة بعد مرّة وشيئاً بعد شيء.

الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سبع ركعات شكراً لله، فأجاز الله له ذلك، وترك الفجر ولم يزد فيها شيئاً لضيق وقتها، لأنّه يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، فلمّا أمره الله بالتقصير في السفر وضع عن أُمّته ستّ ركعات وترك المغرب لم ينقص منها شيئاً[١].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي محمد العلوي الدينوري، بإسناده رفع الحديث إلى الصادق (عليه السلام) قال: قلت: لم صارت المغرب ثلاث ركعات وأربعاً بعدها، ليس فيها تقصير في حضر ولا في سفر؟ فقال: إن الله (عزّوجلّ) أنزل على نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلّ صلاة ركعتين في الحضر، فأضاف إليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لكلّ صلاة ركعتين في الحضر، وقصّر فيها في السفر إلّا المغرب، فلمّا صلّى المغرب، بلغه مولد فاطمة (عليها السلام) فأضاف إليها ركعة شكراً لله (عزّوجلّ)، فلمّا أن ولد الحسن (عليه السلام) أضاف إليها ركعتين شكراً لله (عزّوجلّ)، فلمّا أن ولد الحسين (عليه السلام) أضاف إليها ركعتين شكراً لله (عزّوجلّ)، فقال: «للذكر مثل حظ الأُنثيين» فتركها على حالها في الحضر والسفر[٢].

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فرض المسافر ركعتان غير قصر[٣].

ومعنى قوله: (غير قصر) أي ثوابه تمام.

وفي كلّ الأسفار المشروعة القصر واجب إلّا في أربعة مواضع، مكة والمدينة ومسجد الكوفة وحرم الحسين (عليه السلام). فإنّ المسافر فيها مخيّر بين القصر والإتمام، والإتمام أفضل.

ففي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٤٨٧ كتاب الصلاة، باب النوادر قطعة من ح ٢.

(٢) علل الشرائع: ص ٣٢٤ باب١٥ العلّة التي من أجلها لا تقصير في صلاة المغرب ونوافلها في السفر والحضر ح١.

(٣) رواه في مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠١ في تفسيره لآية ١٠١ من سورة النساء.

الحسين بن المختار، عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال: قلت له: إنّا إذا دخلنا مكة والمدينة، نتمّ أو نقصّر؟ قال: إن قصّرت فذاك فإن أتممت فهو خير يزداد[١].

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن عبدالملك القمّيّ، عن إسماعيل بن جابر، عن عبدالحميد خادم إسماعيل بن جعفر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: تتمّ الصلاة في أربعة مواطن، المسجد الحرام، ومسجد الرسول (عليه السلام)، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين (عليه السلام)[٢].

والأخبار في معناه كثيرة.

وفي بعضها قال أبو إبراهيم (عليه السلام): ـ وقد ذكر الحرمين ـ: كان أبي يقول: إنّ الإتمام فيهما من الأمر المذخور[٣].

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت، ولذلك لم يعتبر مفهومها، وقد تظاهرت الأخبار على وجوبه أيضاً في حال الأمن.

ويحتمل أن يكون المراد (والله أعلم) أنّه لا جناح عليكم في القصر في صورة الأمن في السفر فيقصّر أربع ركعات إلى ركعتين، وأمّا مع الخوف فيقصّر الركعتين إلى ركعة واحدة، بمعنى كون إحدى الركعتين مع الجماعة والأُخرى بدونها، أو كونها بإيماء، ونقص الكيفية يعد الركعتان معها بركعة واحدة.

وعلى هذا المعنى يحمل ما رواه في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه وأحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا» قال: في الركعتين تنقص

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٢٤، كتاب الحج باب إتمام الصلاة في الحرمين ح ٦.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٨٧، كتاب الحج باب بلاعنوان ح٥.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٢٤، كتاب الحج باب إتمام الصلاة في الحرمين ح ٧ وصدر الحديث (عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال: كان أبي يرى لهذين الحرمين مالايراه لغيرهما، ويقول: الحديث).

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

منها واحدة[1][2].

وقرئ «من الصلاة أن يفتنكم» بغير «إن خفتم» بمعنى كراهة أن يفتنكم، وهو القتال والتعرّض بما يكره[3].

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ: الخطاب، وإن تعلّق بالنبيّ فالمقصود

---

(١) قال في المدارك: قال ابن بابويه في كتابه: سمعت شيخنا محمد بن الحسن يقول: رويت أنّه سئل الصادق (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا» فقال: هذا تقصير ثان، وهو أن يردّ الرجل الركعتين إلى الركعة، وروى الشيخ ذلك عن حريز، ونقل عن ابن الجنيد أنّه قال بهذا المذهب. وما وردت من الرواية وأن كانت صحيحة لكنّها معارضة بأشهر منها، ويمكن حلمها على التقيّة، أو على أنّ كلّ طائفة إنّما تصلّي مع الإمام ركعة، فكان صلاتها ردّت إليها، انتهى.
وأقول: يمكن أن يكون المراد: ينقص من كلّ ركعتين ركعة، فتصير الأربع اثنين، وكذا في خبر ابن الوليد بأن يكون المراد أنّ هذا علّة ثانية لتقصير مؤكّدة للأُولى (مرآة العقول: ج ١٥ ص ٤٢٨).

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٤٥٨ كتاب الصلاة، باب صلاة المطاردة والموافقة والمسايفة ح ٤.

(٣) نقله البيضاوي: ج١ ص ٢٤٠ في تفسيره لآية ١٠١ من سورة النساء.

عمومه، لإجماع الطائفة المحقّة وغيرهم على عدم الاختصاص بحضرة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ: وتقوم الطائفة الأُخرى تجاه العدوّ.

وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ: أي المصلّون، صرفاً.

وقيل: الضمير للطائفة الأُخرى، وذكر الطائفة الأُولى يدلّ عليهم، وسياق الآية يدلّ على الأوّل.

فَإِذَا سَجَدُواْ: يعني المصلين.

فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ: يحرسونكم، يعني النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومن يصلّي معه، فغلب المخاطب على الغائب.

وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ: لاشتغالهم بالحراسة.

فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ: والآية مطلقة في أنّ الإمام يصلّي مرّتين، بكلّ طائفة، وكانت الثانية نفلاً له كما فعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ببطن النخل[١]، وفي أن يصلّي بكلّ فرقة ركعة إن كانت الصلاة ركعتين، وفي أن يصلّي مع الفرقة الأُولى ركعة ومع الثانية ركعتين، أو بالعكس إذا كانت ثلاثية.

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن عبدالله بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: صلّى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأصحابه في غزوة ذات الرقاع[٢]

---

(١) بطن نخل: جمع نخلة: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، بينهما الطرف على الطريق، وهو بعد ابرق العذاف للقاصد إلى مكة (معجم البلدان: ج١ ص ٤٤٩).

(٢) غزوة ذات الرقاع، غزوة معروفة كانت سنة خمس من الهجرة بأرض غطفان من نجد، واختلف الأصحاب في سبب تسمية ذات الرقاع، فقيل: لأنّ القتال كان في سفح جبل فيه جدد حمر وصفر وسود كالرقاع، وقيل: كانت الصحابة حفاة فلفّوا على أرجلهم الجلود الخرق لئلا تحترق، وقيل: سمّيت برقاع، لأنّ الرقاع كانت في ألويتهم، وقيل: الرقاع اسم شجرة كانت في موضع الغزوة، وقيل: مرّ بذلك الموضع ثمانية حفاة، فنقبت أرجلهم، وتساقطت أظفارهم، فكانوا يلفّون عليه الخرق. ثم أنه يدلّ على عدم لزوم انتظار الإمام للتسليم عليهم كما ذهب إليه جماعة من الأصحاب ←

صلاة الخوف ففرق أصحابه فرقتين، أقام فرقة بإزاء العدوّ وفرقة خلفه، فكبّر وكبّروا، فقرأ وأنصتوا وركع فركعوا، وسجد فسجدوا، ثم استمرّ رسول الله قائماً وصلّوا لأنفسهم ركعة، ثم سلّم بعضهم على بعض، ثم خرجوا[١] إلى أصحابهم، فقاموا بإزاء العدوّ، وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فصلّى بهم ركعة، ثم تشهّد وسلّم عليهم، فقاموا فصلّوا لأنفسهم ركعة، ثم سلّم بعضهم على بعض[٢].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن صلاة الخوف؟ قال: يقوم الإمام وتجيء طائفة من أصحابه فيقومون خلفه، وطائفة بإزاء العدوّ، فيصلّي بهم الإمام ركعة ثم يقوم ويقومون معه، فيمثل قائماً[٣] ويصلّون الركعة الثانية، ثم يسلّم بعضهم على بعض، ثم ينصرفون فيقومون في مقام أصحابهم ويجيء الآخرون فيقومون خلف الإمام، فيصلّي بهم الركعة الثانية، ثم يجلس الإمام، فيقومون هم، فيصلّون ركعة أُخرى، ثم يسلّم عليهم فينصرفون بتسليمه، قال: وفي المغرب مثل ذلك يقوم الإمام وتجيء طائفة فيقومون خلفه ثم يصلّي بهم ركعة، ثم يقوم ويقومون معه، فيمثل الإمام قائماً، فيصلّون ركعتين، فيتشهّدون ويسلّم بعضهم على بعض، ثم ينصرفون فيقومون في موقف أصحابهم ويجيء الآخرون ويقومون في موقف أصحابهم خلف الإمام، فيصلّي بهم ركعة يقرأ فيها ثم يجلس فيتشهّد ثم يقوم ويقومون ويصلّي بهم ركعة أُخرى، ثم يجلس ويقيمون هم فيتمّون ركعة أُخرى، ثم يسلّم عليهم[٤].

(مرآة العقول: ج ١٥ ص ٤٢٤).

(١) في النسخة ـ أ ـ: حرسوا. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٤٥٦ كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف ح٢.

(٣) قوله: (فيمثل) بالتخفيف من قولهم مثل مثولاً، إذا انتصبت بين يديه قائماً، فقوله: (قائماً) إمّا على التجريد أو التأكيد، والإمام يسكت، أو يطوّل القراءة، أو يسبّح، وقد صرّح العلامة بالثاني، وفي الذكرى خيّر بينه وبين الثالث مع ترجيح الثاني، وصرّح بعض العامّة بالاولى، وهو الظاهر من هذا الخبر (مرآة العقول: ج ١٥ ص ٤٢٤).

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٤٥٥، كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف ح ١.

وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ: جعل الحذر آلة يتحصّن بها الغازي، فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ، ونظيره قوله تعالى: «والذين تبوّؤا الدار والايمان»[١][٢]

وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً: تمنّوا أن ينالوا منكم غرّة في صلاتكم، فيشدّون عليكم شدّة واحدة، وهو بيان ما لأجله أُمروا بأخذ السلاح.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ: رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض. وهذا ممّا يشعر بأنّ الأمر بأخذ السلاح للوجوب.

وَخُذُوا حِذْرَكُمْ: كيلا يهجم عليكم العدوّ.

إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا: وعد للمؤمنين بالنصر على الكفّار بعد الأمر بالحزم لتقوى قلوبهم، وليعلموا أنّ الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوّهم، بل لأنّ الواجبَ أن يحافظوا في الأُمور على مراسم التيقّظ والتدبّر ويتوكّلوا على الله.

في تفسير علي بن إبراهيم: هذه الآية نزلت لمّا خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الحديبية يريد مكة، فلمّا وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس يستقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان يعارض رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على الجبال، فلمّا كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر أذّن بلال وصلّى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وقال خالد ابن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم وهم في الصلاة، لأصبناهم، فإنّهم لا يقطعون الصلاة، ولكن تجيء لهم الآن صلاة أُخرى هي أحبّ إليهم من ضياء أبصارهم فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم، فنزل جبرئيل (عليه السلام) بصلاة الخوف بهذه الآية،

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) جواب عمّا يقال: أنّ أخذ الحذر مجاز وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما ـ منه دام عزّه (كذا في هامش النسخة ـ أ).

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

ففرق رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أصحابه فرقتين، فوقف بعضهم تجاه العدوّ وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلّوا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قائماً ومرّوا، فوقفوا موقف أصحابهم، وجاء اولئك الذين لم يصلّوا فصلّى بهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الركعة الثانية ولهم الاولى، وقعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقاموا أصحابه فصلّوا هم الركعة الثانية وسلّم عليهم[(١)].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: أدّيتم وفرغتم منها، أو إذا أردتم الصلاة واشتد الخوف.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: فدوموا على الذكر في جميع الأحوال، أو فصلّوا كيف ماأمكن قياماً مسايفين ومقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم مثخنين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» قال: الصحيح يصلّي قائماً، والعليل يصلّي قاعداً، فمن لم يقدر فضطجعاً يومئ إيماءً[(٢)].

وفي من لايحضره الفقيه: وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): المريض يصلّي قائماً، فإن لم يستطع صلّى جالساً، فإن لم يستطع صلّى على جنبه الأيمن، فإن لم يستطع صلّى على جنبه الأيسر، فإن لم يستطع استلق وأومأ إيماءً وجعل وجهه نحو

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٠ في تفسيره لآية ١٠٢ من سورة النساء.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٠ س ١٥ في تفسيره لآية ١٠٣ من سورة النساء.

القبلة وجعل سجوده أخفض من ركوعه(١).

وقال الصادق (عليه السلام): المريض يصلّي قائماً، فإن لم يقدر على ذلك صلّى جالساً، فإن لم يقدر أن يصلّي جالساً صلّى مستلقياً، يكبّر ثم يقرأ، فإذا أراد الركوع غمض عينيه ثم سبّح، فإذا سبّح فتح عينيه، فيكون فتح عينيه رفع رأسه من الركوع، فاذا أراد أن يسجد غمض عينيه، ثم سبح فاذا سبّح فتح عينيه فيكون فتح عينيه رفع رأسه من السجود، ثم يتشهّد وينصرف(٢).

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: سكنت قلوبكم من الخوف واستقررتم في أمصاركم.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فعدّلوا واحفظوا أركانها وشرائطها، واتوا بها تامّة.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾: أي ثابتاًموجوباً مفروضا.

ففي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) قوله تعالى: «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» قال: كتاباً ثابتاً؛ وليس إن عجّلت قليلاً أو أخّرت قليلاً بالذي يضرّك مالم يضع تلك الإضاعة، فإن الله (عزوجلّ) يقول لقوم: «أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً»(٣)(٤).

عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام): «موقوتاً» أي موجباً(٥).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن حريز، عن زرارة والفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله (تبارك اسمه): «كتاباً موقوتاً» أي مفروضاً، وليس يعني وقت فوتها إذا جاز ذلك الوقت ثم صلاها لم تكن

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٣٦ باب ٥٠ صلاة المريض والمغمى عليه والضعيف والمبطون والشيخ الكبير وغير ذلك ح ٥.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٣٥ باب ٥٠ صلاة المريض والمغمى عليه والضعيف والمبطون والشيخ الكبير وغير ذلك ح ١.

(٣) مريم: ٥٩.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٢٧٠ كتاب الصلاة، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، ح ١٣.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٢٧٢ كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة ح ٤.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤﴾

صلاته هذه مؤدّاة، ولو كان كذلك لهلك سليمان بن داود حين صلاها لغير وقتها، ولكن متى ذكرها صلاها،[1] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي من لا يحضره الفقيه: وقال الصادق (عليه السلام): في قول الله (عزّوجلّ): «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» قال: مفروضاً[2].

وفي كتاب علل الشرائع: حدّثنا محمد بن الحسن (رحمه الله) قال: حدّثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن موسى ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله (عزّوجلّ): «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» قال: موجباً، إنّما يعني بذلك وجوبها على المؤمنين، ولو كان كما يقولون لهلك سليمان بن داود حين أخّر الصلاة حتى توارت بالحجاب، لأنّه لو صلاها قبل أن تغيب، كان وقتاً، وليس صلاة أطول وقتاً من العصر[3].

وَلَا تَهِنُوا: أي لا تضعفوا.

فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ: في طلب الكفّار الذين هم أعداء الله وأعداؤكم.

إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ: ممّا ينالكم من الجراح منهم.

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ: أيضاً ممّا ينالهم من ذلك.

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٩٤ كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو سهى عنها ح ١٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٢٥، باب ٢٩ فرض الصلاة ح ٢.

(٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٦٠٥ باب ٣٨٥ نوادر العلل ح ٧٩.

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ: من إظهار الدين واستحقاق الثواب فأنتم أحرى وأولى على حربهم، منهم على قتالكم.

وهذا إلزام على المؤمنين، وتقريع على التواني فيه، بأنّ الضرر دائر بين الفريقين، غير مختصّ بهم.

وقرئ «أن تكونوا» بالفتح، أي ولاتهنوا لأن تكونوا تألمون، ويكون قوله: «فإنهم يألمون» علّة للنهي عن الوهن لأجله.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا: بمصالح خلقه.

حَكِيمًا: فيما يأمر وينهي.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لمّا رجع من وقعة أُحد ودخل المدينة نزل عليه جبرئيل، فقال: يامحمّد إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولايخرج معك إلّا من به جراحة، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منادياً ينادي يامعشر المهاجرين والأنصار، من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم ويداوونها، فأنزل الله على نبيّه «ولاتهنوا» الآية وقال (عزّوجلّ): «أن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله» إلى قوله: «شهداء»[1]: فخرجوا على مابهم من الألم والجراح[2].

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ: بما عرّفك وأوحى إليك.

---

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٤ س ٢١ في تفسيره لآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

وليس من الرؤية بمعنى العلم، وإلّا لاستدعى ثلاثة مفاعيل.

في اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن قال: وجدت في نوادر محمد بن سنان، عن محمد بن سنان قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): لاوالله مافوّض الله إلى أحد من خلقه، إلّا إلى رسول الله وإلى الأئمّة (عليهم السلام)، قال الله (عزّوجلّ): «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» وهي جارية في الأوصياء (عليهم السلام)[(١)(٢)].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن أبي عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) لأبي حنيفة: وتزعم أنك صاحب رأي، وكان الرأي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صواباً ومن دونه خطأ، لأنّ الله تعالى قال: «فاحكم بين الناس بما أراك الله» ولم يقل ذلك لغيره[(٣)].

وفي الجوامع: روي أنّ أبا طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جار له، اسمه قتادة ابن النعمان ونقلها عند رجل من اليهود، فأخذ الدرع من منزل اليهود، فقال: دفعها إليّ أبو طعمة فجاء بنو أبيرقْ إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وكلّموا أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح، وبرأ اليهودي، فهمّ رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، فنزلت[(٤)].

والظاهر أنّ هذه الرواية من العامّة، لأنّهم رووها مع زيادات، ومنطبق على أصولهم[(٥)].

---

(١) وللعلامة المحقّق المجلسي (طيّب الله رمسه) تحقيقات دقيقة في معنى التفويض، وأعرضنا عن نقله خوفاً من الإطالة، ومن أراد فليراجع: (مرآة العقول: ج٣ ص١٤٢).

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٦٧ كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وإلى الأئمّة (عليهم السلام) في أمر الدين ح ٨.

(٣) الاحتجاج: ج ٢ ص ١١٧، فيا احتج به الصادق (عليه السلام) على أبي حنيفة س ٨. والآية: «لتحكم بين الناس بما أراك الله».

(٤) جوامع الجامع: ص ٩٥ في تفسيره لآية ١٠٥ و١٠٦ من سورة النساء.

(٥) لاحظ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ط بيروت: ج٢ من ص ٦٧٠ - ٦٧٧.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨

والصحيح ماروي عن علي بن إبراهيم في مجمع البيان، وسيأتي.

وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ: أي لأجلهم والذبّ عنهم.

خَصِيمٗا: للبرآء.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ: ممّا هممت به من عقاب اليهوديّ بالتماس بني أُبيرق، كما نقل عن النواصب، وممّا فعلت من معاتبة قتادة وصيرورتك سبب اغتمامه حين لم تطّلع على أنه محقّ على ماسيجي‌ء.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا: لمن يستغفره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: كان سبب نزولها أنّ قوماً من الانصار من بني أُبيرق، إخوة ثلاثة كانوا منافقين، بشير ومبشر وبشر، فنقبوا على عمّ قتادة بن النعمان، وكان قتادة بدريّاً وأخرجوا طعاماً كان أعدّه لعياله وسيفاً ودرعاً، فشكى قتادة ذلك إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: يارسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنّ قوماً نقبوا على عمّي وأخذوا طعاماً كان أعدّه لعياله، وسيفاً ودرعاً، وهم أهل بيت سوء، وكان معهم في الرأي رجل مؤمن يقال له: لبيد بن سهل، فقال بنو أُبيرق لقتادة: هذا عمل لبيد بن سهل، فبلغ ذلك قريش لبيداً فأخذ سيفه وخرج عليهم، فقال: يابني ابيرق أترمونني بالسرق وأنتم أولى به منّي، وأنتم منافقون تهجون رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتنسبونه إلى قريش،

لتبيننّ ذلك أو لأملأنّ سيفي منكم، فداروه وقالوا له: ارجع يرحمك الله فإنّك بريء من ذلك، فمشى بنو بن أبيرق إلى رجل من اهلهم يقال له: أسيد بن عروة وكان منطقياً بليغاً فمشى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقال: يارسول الله إنّ قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت من أهل شرف وحسب ونسب فرماهم بالسرق، واتهمهم بما ليس فيهم، فاغتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من ذلك وجاء إليه قتادة، فأقبل عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال له: عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتهم بالسرقة، فعاتبه عتاباً شديداً، فاغتمّ قتادة من ذلك، ورجع إلى عمّه وقال: ليتني متّ ولم أكلّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقد كلّمني بما كرهته، فقال له عمّه: الله المستعان، فأنزل الله في ذلك على نبيّه «إنا أنزلنا إليك الكتاب» الآيات[١].

وفي مجمع البيان: مايقرب منه، قال: وكان بشر يكنّى أبا طعمة، وكان يقول الشعر ويهجو به أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ثم يقول: قاله فلان[٢].

وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ: يخونونها، فإنّ وبال خيانتهم يعود إليها، أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا: مبالغاً في الخيانة مصرّاً عليها.

أَثِيمًا: منهمكاً فيه.

يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ: يستترون منهم حياءً وخوفاً.

وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ: ولايستحيون منه، وهو أحقّ بأن يُستحىٰ ويخاف منه.

وَهُوَ مَعَهُمۡ: لايخفى عليه سرّهم، فلا طريق معه إلّا ترك مايستقبحه ويؤاخذ عليه.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٠ س ٢٠ في تفسيره لآية ١٠٥ و١٠٦ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠٥ في بيان سبب نزول آية ١٠٥ و١٠٦ من سورة النساء.

هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾

إِذْ يُبَيِّتُونَ: يدبّرون ويزوّرون.

مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ: من رمي الغير، و الحلف الكاذب، وشهادة الزور.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: يعني الفعل، فوقع القول مقام الفعل[1].

وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا: لايفوت عنه شيء.

هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ: مبتدأ وخبر.

جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: جملة مبيّنة لوقوع «أولاء» خبراً، أو صلة عند من يجعله موصولاً.

فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا: محامياً يحميهم من عذاب الله.

وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا: قبيحاً يسوء به غيره.

أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ: بما يختصّ به ولايتعدّاه.

وقيل: المراد بالسوء مادون الشرك، وبالظلم الشرك.

وقيل: الصغيرة والكبيرة.

ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ: بالتوبة.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ١٥١ س ١٨ في تفسيره لآية ١٠٥ و١٠٦ من سورة النساء.

وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا: لذنوبه.

رَّحِيمًا: متفضلاً عليه، وفيه حثّ لهم على التوبة.

وفي نهج البلاغة: من أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة، ثم تلا الآية[1].

وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ: فلايتعدّاه وباله.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا: فهو عالم بفعله، حكيم في مجازاته.

وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً: صغيرة أو مالاعمد فيه.

أَوْ إِثْمًا: كبيرة، أو ما كان عن عمد.

ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا: كما رمى بشير لبيداً، ووحّد الضمير لمكان (أو).

فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا: بسبب رمي البريء، وتنزيه النفس الخاطئة، ولذلك سوّى بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر.

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن حماد الأنصاري، عن عبدالله بن سنان قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): الغيبة أن تقول في أخيك ماهو فيه ممّا قد

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٩٤ قصارى الحكم (١٣٥)، وضبط الآية الشريفة من السيد الرضيّ (طيّب الله رمسه) حيث قال: وتصديق ذلك كتاب الله.

ستره الله عليك. فأمّا إذا قلت ماليس فيه فذاك قول الله: «فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً»[١].

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ: بإلهام ماهمّ عليه بالوحي.

لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ: عن أن يضلّوك عن القضاء بالحقّ مع علمهم بالحال.

والجملة جواب «لولا» وليس المراد نفي همّتهم، بل نفي تأثيره فيه.

وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ: لأنّه ماأزالوك عن الحق، وعاد وباله إليهم.

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ: فإنّ الله عاصمك وناصرك ومؤيّدك، وما جرى عليك من معاتبة قتادة كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر.

و«من شيء» في موضع النصب على المصدر، أي شيئاً من الضرر.

وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ: من خفيات الأُمور وأُمور الدين والأحكام.

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا: إذ لافضل أعظم من النبوّة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ أُناساً من رهط بشير الأدنين انطلقوا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقالوا نكلّم في صاحبنا، ونعذره، فإنّ صاحبنا بريء، فلمّا أنزل الله «يستخفون من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم» إلى قوله «وكيلاً» فأقبلت رهط بشير فقال: يابشير استغفر الله وتب من الذنب، فقال: والذي أحلف به ماسرقها إلّا لبيد، فنزلت: «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً» ثم أنّ بشير كفر ولحق بمكة، وأنزل الله في النفر الذين أعذروا بشيراً وأتوا النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليعذروه: «ولولا فضل الله عليك ورحمته» الآية، ونزل في بشير وهو بمكة: «ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٥ ح ٢٧٠.

مصيراً»[١][٢].

وفي روضة الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين ابن سعيد، عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: في قول الله (تبارك وتعالى): «إذ يبيتون مالايرضى من القول» قال: يعني فلاناً وفلاناً وأبا عبيدة بن الجرّاح[٣].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله)، حديث طويل عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وفيه يقول (عليه السلام): وقد بيّن الله قصص المغيّرين بقوله «إذ يبيتون مالايرضى من القول» بعد فقد الرسول ممّا يقيمون به أوَدَ باطلهم حسب مافعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغيير التوراة والإنجيل وتحريف الكلم عن مواضعه[٤].

وفي تفسير العياشي: عن عامر بن كثير السرّاج، وكان داعية الحسين بن علي (عليه السلام)، عن عطاء الهمداني، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «إذ يبيتون ما لايرضى من القول» قال: فلان وفلان وأبو عبيدة ابن الجرّاح[٥].

وفي رواية عمر بن أبي سعيد، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: هما وأبو عبيدة بن الجرّاح[٦].

وفي رواية عمر بن صالح قال: الأوّل والثاني وأبو عبيدة بن الجرّاح[٧].

---

(١) النساء: ١١٥.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٢ س ١ في تفسيره لآية ١١٣ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٣٣٤ ح ٥٢٥.

(٤) كتاب الاحتجاج: ص ٢٤٩ احتجاجه على زنديق جاء مستدلاً بآي من القرآن متشابهة، س١٣.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٤ ح ٢٦٧

(٦) تفسير العياشي: ج١ص٢٧٤ح٢٦٨.

(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٥ ح ٢٦٩.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ: من متناجيهم، أو من تناجيهم.

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ: فهو على التقدير الثاني على حذف مضاف، أي إلّا نجوى من أمر، أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة، ففي نجواه الخير.

أَوْ مَعْرُوفٍ: المعروف كلّ مايستحسنه الشرع، ولاينكره العقل، ويندرج فيه القرض وإعانة الملهوف، وصدقة التطوّع.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله (عزّوجلّ): «لاخير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف» قال: يعني بالمعروف، القرض[1].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه جميعاً، عن يونس، عن عبدالله بن سنان وابن مسكان، عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر (عليه السلام) إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله؟ ثم قال في حديثه: إنّ الله نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقالوا: يابن رسول الله اين هذا من كتاب

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٣٤ كتاب الزكاة، باب القرض ح ٣.

الله؟ قال: إن الله (عزّوجلّ) يقول في كتابه: «لاخير في كثير من نجواهم» الآية، وقال: «لا تأتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً» وقال: «ولا تسألوا عن اشياءٍ إن تبد لكم تسؤكم»(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله فرض التمحّل في القرآن، قلت: وما التمحّل جعلت فداك ؟ قال: أن يكون وجهك أعرض عن وجه أبيك فتمحّل له، وهو قوله: «لاخير في كثير من نجواهم»، وحدّثني أبي، عن رجاله رفعه إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم ماملكت أيديكم(٢).

أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ: أي إصلاح ذات بين.

في اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبي يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الكلام ثلاثة، صدق وكذب وإصلاح بين الناس. قال: قلت: جعلت فداك ماالإصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل(٣) كلاماً يبلغه فيخبّث نفسه فتلقاه فتقول:

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٠ ح ٥.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٢ س ١٥ في تفسيره لآية ١٢٤ من سورة النساء.

(٣) (تسمع من الرجل) كان (من) بمعنى (في) كما في قوله تعالى: «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة» أي فيه، وكذا قالوا: في قوله سبحانه: «فاروني ماذا خلق من الأرض» أي في الأرض، ويحتمل أن يكون تقدير الكلام: تسمع من رجل كلاماً في حقّ رجل آخر يذمّه به، فيبلغ الرجل الثاني ذلك الكلام فتخبث نفسه عن الأوّل، أي يتغيّر عليه ويبغضه، فتلق الرجل الثاني فتقول: سمعت من الرجل الأوّل فيك كذا وكذا من مدحه خلاف ماسمعت منه من ذمّه. والتكلّف فيه من جهة ارجاع ضمير يبلغه إلى الرجل الثاني وهو غير مذكور في الكلام، لكنّه معلوم بقرينة المقام. وهذا القول، وإن كان كذباً لغة وعرفاً، جائز لقصد الاصلاح بين الناس، وكأنّه لاخلاف فيه عند أهل الأسلام، إلى أن قال: ويدلّ الحديث على أنّ الكذب شرعاً إنّما يطلق على ماكان مذموماً فغير المذموم قسم ثالث من الكلام يسمّى إصلاحاً، فهو واسطة بين الصدق والكذب (مرآة العقول: ج١٠ ص٣٣٤).

سمعت من فلان قال فيك من كذا وكذا، خلاف ماسمعت منه[١].

وفي كتاب الخصال: عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ثلاثة يحسن فيهنّ الكذب، المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والإصلاح بين الناس[٢].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: بني الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل، ليدلّ على أنّه لـمّا دخل الآمر في زمرة الخيّرين كان الفاعل أُدخل فيهم، فإنّ العمدة والغرض هو الفعل، واعتبار الأمر من حيث إنّه وصلة إليه، وقيّد الفعل بأن يكون لطلب مرضاة الله، لأنّ الأعمال بالنيّات، وأن من فعل خيراً رياءً وسمعة لم يستحقّ به من الله [أجراً[٣]] ووصف الأجر بالعظيم، تنبيهاً على حقارة مافات في جنبه من أغراض الدنيا[٤].

وقرأ حمزة وابن عمرو «يؤتيه» بالياء.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: يخالفه، من الشقّ، فإنّ كلاً من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾: ظهر له الحقّ.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: غير ماهم عليه من اعتقاد وعمل.

﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نجعله والياً لمن تولّى من الضلال، ونخلّي بينه وبين مااختاره.

﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾: وندخله فيها.

وقرئ بفتح النون من صلى.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: إنّها نزلت في بشير، كما مرّ[٥].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٤١ كتاب الايمان والكفر، باب الكذب، ح ١٦.

(٢) الخصال: ص ٨٧ باب الثلاثة قطعة من ح ٢٠.

(٣) مابين المعقوفتين ليس في النسخة ـ أ ـ واثبتناه من المصدر لاقتضاء السياق.

(٤) من كلام البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٣ لاحظ تفسيره لآية ١١٤ من سورة النساء.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٢ س ١٠.

قال البيضاوي: والآية تدلّ على حرمة مخالفة الإجماع، لأنّه تعالى رتّب الوعيد الشديد على المشاقّة واتباع غير سبيل المؤمنين: وذلك إمّا لحرمة كلّ واحد منهما، أو أحدهما، أو الجمع بينهما، والثاني باطل، إذ يقبح أن يقال: من شرب الخمر وأكل الخنزير استوجب الحدّ، وكذا الثالث، لأنّ المشاقّة محرّمة ضمّ إليها غيرها أو لم يضم، وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرّماً، كان اتباع سبيلهم واجباً، لأنّ ترك اتباع سبيلهم ممّن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم[١].

وفيه: إنّه لاشكّ في حجيّة إجماع جميع المسلمين باعتبار دخول المعصوم فيه، ولايلزم منه حجيّة الإجماع الذي هو مدعاه، فتأمّل.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي: أنّ أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) كان إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات، فيقول: تعاهدوا الصلاة، إلى أن قال (عليه السلام): يقول الله (عزّوجلّ): «ومن يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ماتولّى» من الأمانة[٢]، فقد خسر من ليس من أهلها، وضلّ عمله، عرضت على السماوات المبنيّة، والأرض المهاد، والجبال المنصوبة، فلا أطول ولاأعرض ولاأعلى ولاأعظم، لوامتنعت من طول أو عرض أو قوة أو عزّة امتنعن، ولكن اشفقن من العقوبة[٣]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على مابايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولاللغائب أن يرد، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان

---

(١) قاله: ج ١ ص ٢٤٣ عند تفسيره لآية ١١٥ من سورة النساء.

(٢) (من الأمانة) كذا وجدناه من نسخ الكافي، والصواب (ثم الأمانة) كما يظهر من بعض خطبه (عليه السلام) في نهج البلاغة، وزاد فيه بعد قوله: «ولاأعظم» لفظة (منها) ثم قال: ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عزّ لامتنع، وهو الصواب (الوافي ط حجري: ج٢ ابواب الجهاد ص١٩).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٦ كتاب الجهاد باب ماكان يوصي أميرالمؤمنين (عليه السلام) به عند القتال، قطعة من ح ١.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

ذلك لله رضاً، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ماخرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه ماتولّى[1].

وفي تفسير العياشي: عن حريز، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: لمّا كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) بالكوفة أتاه الناس فقالوا: اجعل لنا إماماً يؤمّنا في شهر رمضان، فقال: لا، ونهاهم أن يجتمعوا فيه، فلمّا أمسوا، جعلوا يقولون: ابكوا في رمضان، وارمضاناه، فأتاه الحارث الأعور في أناس فقال: ياأميرالمؤمنين ضجّ الناس وكرهوا قولك، فقال عند ذلك: دعهم وما يريدون، ليصلّي بهم من شاؤوا، ثم قال: «فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً»[2].

عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن رجل من الأنصار قال: خرجت أنا والأشعث الكنديّ وجرير البجليّ حتى إذا كنا بظهر الكوفة بالفرس مرّبنا ضبّ، فقال الأشعث وجرير: السلام عليك ياأميرالمؤمنين، خلافاً على عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فلمّا خرج الأنصاريّ قال لعلي (عليه السلام): فقال عليّ: دعهما، «فهو (إمامهما)[3] يوم القيامة، أما تسمع إلى الله وهو يقول: «نوله ماتولى»»[4].

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ: تكريره[5]

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٦٦ باب المختار من كتب مولانا أميرالمؤمنين ورسائله (٦) ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية صبحي الصالح.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٥ ح ٢٧٢.

(٣) في النسخة ـ أ ـ: (فهولما فيها) والظاهر أنّه تصحيف من الناسخ والصحيح ماأثبتناه من المصدر.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٥ ح ٢٧٣.

(٥) ذكر سابقاً في آية ٤٨ من سورة النساء.

إما للتأكيد، أو لقصة بشير.

وقيل: جاء شيخ إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال: إنّي شيخ منهمك في المعاصي، إلّا أنّي لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته، وآمنت به، ولم أتّخذ من دونه وليّاً، ولم أوقع المعاصي جرأة، وما توهمت طرفة عين أنّي أعجز الله هرباً، وأني لنادم تائب، فما ترى حالي؟ فنزلت.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: عن الحقّ، فإنّ الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة.

وإنّما ذكر في الآية الأولى «فقد افترى» لأنّها متصلة بقصة أهل الكتاب، ومنشأ شركهم نوع افتراء، وهو دعوى التبنّي على الله تعالى وتقدس[١].

وفي شرح الآيات الباهرة: روي بحذف الإسناد مرفوعاً، عن مولى علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن جدّه أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) قال: المؤمن على أيّ حال مات، وفي أيّ ساعة قبض فهو شهيد، ولقد سمعت حبيبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: لو أن المؤمن خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذنوب، ثم قال (عليه السلام): من قال لاإله إلّا الله بالإخلاص فهو بريء من الشرك، ومن خرج من الدنيا لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ثم تلا هذه الآية: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» وهم شيعتك ومحبّوك ياعلي، فقلت: يارسول الله هذا لشيعتي؟ قال: اي وربّي، لشيعتك ومحبيك خاصّة، وإنهم ليخرجون من قبورهم وهم يقولون: لاإله إلّا الله محمّد رسول الله علي ولي الله، فيؤتون بحلل خضر من الجنة، وأكاليل من الجنة وتيجان من الجنة ويلبس كلّ واحد منهم حلّة خضراء وتاج الملك وإكليل الكرامة ويركبون النجائب، فيطير بهم إلى الجنة لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون[٢].

---

(١) من قوله (وقيل: جاء) إلى هنامقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ص٢٤٤، لاحظ تفسيره لايه ١١٦ من سورة النساء. (٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب ووجدناه في تأويل الآيات الظاهرة: ص ١٥٧.

﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ١١٧ لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ١١٨﴾

وفي هذا المعنى ماذكره الشيخ في أماليه: بإسناده عن محمّد بن عطية، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الموت كفّارة لذنوب المؤمنين[1].

إن يدعون من دونه إلا إناثا: يعني اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، وأساف ونائلة، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه، ويسمّونه أُنثى بني فلان، وذلك إمّا لتأنيث اسمائها، أو لأنّها كانت جمادات، والجمادات تؤنّث من حيث أنّها ضاهت الإناث، لانفعالها.

قيل: ولعلّه تعالى ذكرها بهذا الإسم، تنبيهاً على أنّهم يعبدون مايسمّونه إناثاً، لأنّه ينفعل ولايفعل ومن حقّ المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل، ليكون دليلاً على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم.

وقيل: المراد الملائكة لقولهم: الملائكة بنات الله[2].

وهو جمع أُنثى كرباب وربى، وقرئ (أُنثى) على التوحيد، و(أُنثا) على أنه جمع أُنيث كخبث وخبيث، و(وثنا) بالتخفيف والتثقيل، وهو جمع وثن كأسد وأُسد، و(أثنا) بهما على قلب الواو لضمّتها همزة.

وفي مجمع البيان: عن تفسير أبي حمزة الثمالي قال: كان في كلّ واحدة منهنّ شيطانة أُنثى تترايا للسدنة وتكلّمهم، وذلك من صنع إبليس، وهو الشيطان الذي

---

(١) كتاب الأمالي للشيخ الطوسي: ج ١ ص ١٠٩، س٣.

(٢) الأقوال من البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٤، لاحظ تفسيره لآية ١١٧ من سورة النساء.

ذكره الله ولعنه[١].

وَإِن يَدْعُونَ: وإن يعبدون بعبادتها.

إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا: لأنّه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها، فكان طاعته في ذلك عبادة له.

والمارد والمريد الذي لايعلّق بخير، وأصل التركيب للملابسة، ومنه «صرح ممرد»[٢] وغلام أمرد وشجرة مرداء الذي تناثر ورقها.

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن إسماعيل الرازي، عن رجل سمّاه، عن أبي عبدالله قال: دخل رجل على أبي عبدالله (عليه السلام) فقال: السلام عليك ياأميرالمؤمنين، فقام على قدميه فقال: مه، هذا اسم لايصلح إلّا لأميرالمؤمنين (عليه السلام)، سمّاه ولم يسمّ به أحد غيره فرضي به إلّا كان منكوحاً وإن لم يكن ابتلى به، وهو قول الله في كتابه: «أن يدعون من دونه إلا إناثاً وأن يدعون إلا شيطاناً مريداً» قال: قلت: فماذا يدعى به قائمكم؟ فقال: السلام عليك يابن رسول الله[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «أن يدعون من دونه إلّا إناثاً» قال: قالت قريش: الملائكة هم بنات الله «وان يدعون إلّا شيطاناً مريداً» قال: كانوا يعبدون الجن[٤].

لَّعَنَهُ ٱللَّهُ: صفة ثانية للشيطان.

وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا: عطف عليه، أي شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله، وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس.

والمفروض، المقطوع، أي نصيباً قدّر لي وفرض، من قولهم: فرض له في العطاء.

في مجمع البيان: عن تفسير الثمالي، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٢ في نقله المعنى لآية ١١٧ من سورة النساء.

(٢) النمل: ٤٤. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٦ ح ٢٧٤.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٢ س ٢١ في تفسيره لآية ١١٧ من سورة النساء.

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾

هذه الآية، من بني آدم تسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنة[1].

وفي رواية أُخرى: من كلّ ألف واحد لله وسائرهم للنار ولإبليس[2].

قيل: وقد برهن سبحانه أوّلاً على أنّ الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل، أنّ مايشركون به ينفعل ولايفعل فعلاً اختيارياً، وذلك ينافي في الالوهيّة غاية المنافاة، فإنّ الإله ينبغي أن يكون فاعلاً غير منفعل. ثمّ استدل عليه بأنّه عبادة الشيطان، وهي أفظع الضلال، لثلاثة أوجه، الأوّل: إنّه مريد منهمك في الضلال لايعلّق بشيء من الخير والهدى، فيكون طاعته ضلالاً بعيداً من الهدى، والثاني: أنّه ملعون لضلاله، فلايستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن، والثالث: أنّه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلالة، فضلاً عن عبادته[3].

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ: عن الحقّ.

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ: الأماني الباطلة، كطول العمر، وأن لابعث ولاعقاب.

في أمالي الصدوق: جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: لمّا نزلت هذه الآية «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا:

(١و٢) مجمع البيان: ج٣ ص ١١٣ في نقله المعنى لآية ١١٧ من سورة النساء نقلاً عن تفسير أبي حمزة الثمالي.

(٣) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٤ في تفسيره لآية ١١٧ من سورة النساء.

ياسيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأُمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أُمنيهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة[١].

وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ: قيل: سيشقّقونها إذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها.

وفي مجمع البيان: عن الصادق (عليه السلام) ليقطعنّ الآذان من أصلها[٢].

وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ:

في مجمع البيان: عن الصادق (عليه السلام) يريد دين الله وأمره[٣].

وفيه: ويؤيّده قوله سبحانه: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»[٤]، ويندرج فيه كلّ تغيير بخلق الله عن وجهه صورة أو صفة من دون إذن من الله كفقئهم عين الفحل الذي طال مكثه عندهم وإعفائه عن الركوب، وخصاء العبيد، وكلّ مثلة.

ولاينافيه التفسير بالدين والأمر، بأنّ ذلك كلّه داخل فيهما.

وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ: بأن يؤثر طاعته على طاعة الله (عزّوجلّ)، أو يشركه معه في الطاعة.

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا: إذ ضيّع رأس ماله وبدّل مكانه من الجنة بمكانه من النار.

---

(١) لم أظفر عليه في الأمالي ورواه في الصافي: ج١ ص٤٦٤ نقلاً عن الأمالي في تفسيره لآية ١٢٠ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٣ في نقله المعنى لآية ١١٩ من سورة النساء «فليبتكنّ اذان الأنعام».

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٣ في نقله المعنى لآية ١١٩ من سورة النساء: «ولآمرنهم فليغيرن خلق الله».

(٤) الروم: ٣٠.

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

يَعِدُهُمْ: مالاينجز.

وَيُمَنِّيهِمْ: مالاينالون.

وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا: وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر. وهذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة، أو بلسان أوليائه.

وفي تفسير العياشي: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حديث طويل يذكر فيه ماأكرم الله به آدم (عليه السلام)، وفي آخره فقال إبليس: ربّ هذا الذي كرّمت عليّ وفضّلته، وإن لم تفضّلني عليه لم أقو عليه، قال: لا يولد له ولد إلّا ولد لك ولدان، قال: ربّ زدني؟ قال: تجري منه مجرى الدم في العروق، وقال: ربّ زدني؟ قال: تتخذ أنت وذريّتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني؟ قال: تعدهم وتمنيهم وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً[١].

أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا: معدلاً ومهرباً، من حاص يحيص إذا عدل، و«عنها» حال منه أي من المحيص، وليس صلة له لأنّه اسم

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٦ قطعة من ح ٢٧٧.

مكان، وإن جعل مصدراً فلايعمل أيضاً فيما قبله.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ: أي وعده وعداً وحقّ ذلك حقاً، فالأوّل مؤكّد لنفسه، لأنّه مضمون الجملة الاسمية التي قبلها، والثاني مؤكّد لغيره.

ويجوز أن ينتصب الموصول بفعل يفسّره مابعده. و(وعد الله) بقوله: «سندخلهم» لأنّه بمعنى نعدهم ادخالهم، و«حقاً» على أنّه حال من المصدر.

وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا: جملة مؤكّدة بليغة.

والمقصود من الآية، معارضة المواعيد الشيطانيّة الكاذبة لقرنائه، وعد الله الصادق لأوليائه، أو المبالغة في توكيده ترغيباً للعبادة في تحصيله.

لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ:

في تفسير علي بن إبراهيم: ليس ماتمنون أنتم ولاأهل الكتاب، أي أن لا تعذّبون بأفعالكم[1].

قيل: روي أنّ المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبيّنا خاتم النبيّين، وكتابنا يقضي على الكتب المتقدّمة، فنزلت[2].

وقيل: الخطاب مع المشركين[3].

ويدلّ عليه تقدّم ذكرهم، أي ليس الأمر بأماني المشركين، وهو قولهم: لاجنة ولانار، وقولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء، لنكوننّ خيراً منهم وأحسن حالاً. ولاأماني أهل الكتاب وهو قولهم: «لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى»[4] وقولهم: «لن تمسّنا النار إلّا أياماً معدودة»[5].

مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ: عاجلاً أو آجلاً.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٤.

(٢ و٣) نقلها البيضاوي: ج١ ص ٢٤٥ في تفسيره لآية ١٢٣ من سورة النساء.

(٤) البقرة: ١١١. (٥) البقرة: ٨٠

وفي عيون الأخبار: في باب قول الرضا (عليه السلام) لأخيه زيد بن موسى[١] حين افتخر على من في ملجسه، بإسناده إلى أبي الصلت الهرويّ قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يحدّث عن أبيه أنّ إسماعيل[٢] قال للصادق (عليه السلام): ياأبتاه ماتقول في المذنب منّا ومن غيرنا؟ فقال (عليه السلام): «ليس بأمانيكم ولاأماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به»[٣].

وفي مجمع البيان: عن أبي هريرة[٤] قال: لـمّا نزلت هذه الآية بكينا وحزنا

---

(١) زيد هذا المعروف بـ (زيد النار) خرج بالمدينة فأحرق وقتل ثم مضى إلى البصرة سنة ست وتسعين ومائة وقيل: إنّه بعث إليه المأمون فأسر وحمل إليه فقال له: يازيد خرجت بالبصرة وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا من أميّة وثقيف وغني وباهلة وآل زياد وقصدت دور بني عمك؟ فقال وكان مزّاحاً: أخطأت ياأميرالمؤمنين من كلّ جهة، وإن عدت للخروج بدأت بأعدائنا فضحك المأمون وبعثه إلى أخيه الرضا، وقال: قد وهبت لك جرمه، فاحسن أدبه فلمّا جاؤوا به عنفه وخلّى سبيله، وحلف أن لايكلّمه أبداً ماعاش (تلخيص من تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٧١ تحت رقم ٤٤٥٥).

(٢) عن أعلام الورى: أنّ إسماعيل كان أكبر إخوته وكان أبوه الصادق (عليه السلام) شديد المحبّة له والبر به، وقد كان يظنّ قوم من الشيعة في حياة الصادق (عليه السلام) أنّه القائم بعده والخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته ولميل أبيه إليه وإكرامه له، فمات في حياة أبيه الصادق (عليه السلام) بالعريض وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع، ولمّا مات إسماعيل انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظنّ ذلك، وأقام على حياته طائفة لم تكن من خواصّ أبيه، بل كانت من الأباعد، فلمّا مات الصادق (عليه السلام) انتقل جماعة إلى القول بإمامة موسى بن جعفر، وافترق الباقون منهم فرقتين، فرقة منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، لظنّهم أنّ الإمامة كانت في أبيه، وأنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ، وفريق منه ثبّتوا على حياة إسماعيل، وهم اليوم شذّاذ، وهذان الفريقان يسمّيان الإسماعيليّة، انتهى (تلخيص من تنقيح المقال: ج١ ص ١٣١ تحت رقم ٧٩٤).

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٣٤ باب ٥٨ قول الرضا (عليه السلام) لأخيه زيد بن موسى حين افتخر على من في مجلسه، ح ٥.

(٤) لم يختلف الناس في اسم أحد في الجاهلية والاسلام، مثل مااختلفوا في اسم (أبي هريرة). فلايعرف على التحقيق اسمه الذي سمّاه به أهله ليدعي به بين الناس، لاحظ كتب الرجال: كالإصابة والاستيعاب وكتاب شيخ المضيرة (أبو هريرة) تأليف محمود أبو ريّة.

وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾

وقلنا: يارسول الله ماأبقت هذه الآية من شيء، فقال: أما والذي نفسي بيده، إنّها لكما أُنزلت، ولكن ابشروا وقاربوا وسدّدوا، إنّه لايصيب أحد منكم مصيبة إلّا كفّر الله بها خطيئته، حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه[1].

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام): لـمّا نزلت هذه الآية: «من يعمل سوءً يجز به» قال بعض أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ماأشدّها من آية؟! فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أما تبتلون في أنفسكم وأموالكم وذراريكم؟ قالوا: بلى، قال: هذا ممّا يكتب الله لكم به الحسنات ويمحو به السيئات[2].

وفي الكافي: عنه (عليه السلام): إنّ الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم، فإن لم يفعل ذلك به ابتلاه بالحاجة، فإن لم يفعل ذلك به، شدّد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب، الحديث[3].

وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا: أي وليّاً يواليه ونصيراً ينصره في دفع العذاب عنه.

وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ: بعضها وشيئاً منها، فإنّ كلّ أحد لايتمكّن من كلّها.

مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ: في موضع الحال من المستكن في «من يعمل» و«من» للبيان، أو «من الصالحات» أي كائنة من ذكر وأنثى، و«من» للابتداء.

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٥ في بيان المعنى لآية ١٢٣ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٧ ح ٢٧٨. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٤ ح ١.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ١٢٥

وَهُوَ مُؤْمِنٌ: حال شرط اقتران العمل بها، في استدعاء الثواب المذكور، تنبيهاً على أنّه لااعتداد به دونه.

فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا: بنقص شيء من الثواب.

وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر «يدخلون الجنة» هنا وفي مريم (وغافر)[1] بضمّ الياء وفتح الخاء، والباقون بفتح الياء وضمّ الخاء.

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ: أخلص نفسه لله، لايعرف لها ربّاً سواه.

وقيل: بذل وجهه له في السجود.

وفي الاستفهام تنبيه على أنّ ذلك مايبلغه القوّة البشريّة.

وَهُوَ مُحْسِنٌ: آت بالحسنات تارك للسيئات.

وفي مجمع البيان: وروي أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سئل عن الإحسان؟ فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ؟[2].

وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: الموافقة لدين الإسلام، المتّفق على صحّتها، يعني اقتد بدينه وسيرته وطريقته.

حَنِيفًا: مائلاً عن سائر الأديان، وهو حال من المتّبع، أو من الملّة، أو إبراهيم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم، قال: هي العشرة التي جاء بها إبراهيم التي لم تنسخ إلى يوم القيامة[3].

---

(١) في النسخة ـ أ ـ: (وابن عامر) والظاهر أنّه تصحيف والصحيح ماأثبتناه.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٦ في نقل المعنى لآية ١٢٥ من سو النساء.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٦ في تفسيره لآية ٢٥ من سورة النساء.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾: اصطفاه وخصّصه بكرامة الخلّة.

وإنّما ذكره ولم يضمر، تفخيماً له، وتنصيصاً على أنّه الممدوح.

قيل: والخلّة، إمّا من الخلال، فإنّه ودّ يخلل النفس ويخالطها، أو من الخلل، فإنّ كلّ واحد من الخليلين يسدّ خلل الآخر، أو من الخلّ وهو الطريق في الرمل، فإنّهما يتوافقان في الطريقة، أو من الخلّة بمعنى الخصلة، فإنّهما يتوافقان في الخصال.

والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتّباع ملّته، والإيذان بأنّه نهاية في الحُسن وغاية في كمال البشر(١).

في روضة الكافي: أبان بن عثمان، عن محمد بن مروان، عمن رواه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لمّا اتخذ الله (عزّوجلّ) إبراهيم خليلاً أتاه بشراه بالخلّة، فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماء ودهناً، فدخل إبراهيم (عليه السلام) الدار فاستقبله خارجاً من الدار، وكان إبراهيم (عليه السلام) رجلاً غيوراً، وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه، ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن مايكون من الرجال، فأخذ بيده وقال: ياعبدالله من أدخلك داري؟ فقال: ربّها أدخلنيها، فقال: ربّها أحقّ بها مني؟ فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، ففزع إبراهيم (عليه السلام) وقال. جئتني لتسلبني روحي؟ قال: لا، ولكن اتخذ الله عبداً خليلاً، فجئت لبشارته، قال: فمن هو لعلي أخدمه حتى أموت؟ قال: أنت هو، فدخل على سارة، فقال لها: إنّ الله (تبارك وتعالى) اتخذني خليلاً(٢).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): في حديث طويل عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول فيه (عليه السلام): قولنا: إنّ إبراهيم خليل الله، فإنّما هو مشتقّ من الخَلّة أو الخُلّة(٣)، والخَلّة إنّما معناها الفقر والفاقة، فقد كان

(١) الوجوه المحتملة من البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٦ لاحظ تفسيره لآية ١٢٥ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٩٢ ح ٥٨٩.

(٣) قوله: (من الخلّة أو الخلّة) الأولى بالفتح وهي بمعنى الفقر والحاجة، والثانية بالضمّ وهي بمعنى غاية الصداقة والمحبّة، اشتق من الخلال، لأنّ المحبّة تخلّلت قلبه، فصارت خلاله، أي في باطنه، وقد ذكر ←

خليلاً إلى ربّه فقيراً، وإليه منقطعاً، وعن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً، وذلك أنّه لما أُريد قذفه في النار، فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل، فقال له: ادرك عبدي فجاءه فلقيه في الهواء، فقال: كلّفني مابدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك، فقال: بل حسبي الله ونعم الوكيل، إنّي لاأسأل غيره، ولاحاجة لي إلّا إليه، فسمّاه خليله، أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه، قال: فاذا جعل معنى ذلك من الخلّة، وهو أنّه قد تخلّل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأموره، ولايوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله[1].

وفي عيون الأخبار: في باب ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من العلل إلى الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه (عليه السلام) أنّه قال: إنّما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لأنّه لم يرد أحداً ولم يسأل أحداً قط غير الله[2].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ابن أبي عمير، عمن ذكره قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): اتّخذ الله (عزّوجلّ) خليلاً قال: لكثرة سجوده على الأرض[3].

اللغويون أنّه يحتمل كون الخليل مشتقاً من الخلّة بالفتح أو الضمّ (البحار ط بيروت: ج٩ ص٢٦٧).

(١) الاحتجاج: ص٢٤ فصل في ذكر طرف ممّا جاء عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من الجدال والمحاربة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم س١٥ وصدره (فقال له: يامحمد أولستم تقولون: إنّ إبراهيم خليل الله؟ قال: قد قلنا ذلك، قال: فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول: إنّ عيسى ابن الله؟ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّهما لن يشتبها، لأنّ قولنا أنّ إبراهيم خليل الله فإنّما الخ). ورواه في البحار ط بيروت: ج٩ ص٢٦٠.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٧٩ باب ٣٢ في ذكر ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من العلل ح٤.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٣ باب ٣٢ العلّة التي من أجلها اتّخذ الله (عزّوجلّ) إبراهيم خليلاً ح٢.

وبإسناده إلى سهل بن زياد الآدمي، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: سمعت علي بن محمد العسكري (عليه السلام) يقول: إنّما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، لكثرة صلاته على محمّد وأهل بيته (صلوات الله عليهم)[1].

وبإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً إلّا لإطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام[2].

وبإسناده إلى عبدالله بن الهلال إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لمّا جاء المرسلون إلى إبراهيم (عليه السلام)، جاءهم بالعجل فقال: كلوا فقالوا: لانأكل حتى تخبرنا ماثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، فقال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة جبرئيل رئيسهم، فقال: حَق لله أن يتّخذ هذا خليلاً[3].

وفي الكافي: علي بن محمد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد، عن بعض أصحابه، عن معاوية بن عمار، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ إبراهيم كان أبا أضياف، فكان إذا لم يكونوا عندهم خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح ويطلب الأضياف، وإنّه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال: ياعبدالله بإذن من دخلت هذه الدار؟ قال: دخلتها بإذن ربّها، يردّد ذلك ثلاث مرّات، فعرف إبراهيم أنّه جبرئيل (عليه السلام)، فحمد الله ثم قال: أرسلني ربّي إلى عبد من عبيده يتّخذه خليلاً، قال إبراهيم (عليه السلام) فعلّمني من هو أخدمه حتى أموت؟ قال: فأنت، قال: وممّ ذلك؟ قال: لأنّك لم تسأل أحداً شيئاً قط، ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا[4].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن

(١و٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٣ باب ٣٢ العلة التي من اجلها اتخذ الله (عزّوجلّ) إبراهيم خليلاً ح ٣ و٤.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٤ باب ٣٢ العلّة التي من أجلها اتخذ الله (عزّوجلّ) إبراهيم خليلاً ح ٦

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٤٠ كتاب الزكاة، باب معرفة الجود والسخاء ح ٦.

صدقة، عن جعفر بن محمد (عليه السلام): أنّ إبراهيم أوّل من حوّل له الرمل دقيقاً، وذلك أنّه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام، فلم يجده في منزله، فكره أن يرجع بالحمار خالياً فملأ جرابه رملاً، فلمّا دخل بمنزله خلّى بين الحمار وبين سارة استحياءً منها ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود مايكون فخبزت وقدّمت إليه طعاماً طيّباً، فقال إبراهيم: من أين لك هذا؟ فقالت: من الدقيق الذي حملته من عند خليلك المصري، فقال إبراهيم (عليه السلام): أما أنّه خليلي وليس بمصريّ، فلذلك أُعطي الخلّة، فشكر الله وحمده فأكل[١].

وفي اصول الكافي: محمد بن الحسن، عمن ذكره، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ الله (تبارك وتعالى) اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً[٢] وإنّ الله اتخذه نبيّاً قبل

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٧ في تفسيره لآية ١٢٥ من سورة النساء.

(٢) قوله: (إنّ الله اتخذ إبراهيم عبداً) إلخ قبليّة العبوديّة على النبوّة والنبوّة على الرسالة ظاهرة، فإنّ الرسالة أرفع درجة من النبوّة، والنبوّة أرفع درجة من العبوديّة، فإنّ أكثر الناس لهم درجة العبوديّة، وليست لهم درجة النبوّة. وأمّا قبليّة الرسالة على الخلّة والخلّة على الإمامة فالوجه فيها أنّ الخلّة هي فراغ القلب عن جميع ماسواه والخليل من لايتّسع القلب لغيره، وقد كان إبراهيم بهذه الصفة، كما يرشد إليه قوله: ـحين قال له جبرئيل: ألك حاجة وقد رمي بالمنجنيق ـ امّا إليك فلا، فنفى (عليه السلام) في تلك الحالة العظيمة أن يكون له حاجة إلى غير الله تعالى، ولاشبهة في أنّ هذه الدرجة فوق درجة الرسالة، إذ كلّ رسول لايلزم أن تكون له هذه الدرجة. وأمّا الإمامة فهي أفضل من الخلّة، لأنّها فضيلة شريفة ودرجة رفيعة، وأجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غورا من أن يبلغها البشر بعقولهم، وقد شرّف الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) بها فقال: «أني جاعلك للناس إماماً» بعد ماأعطاه الدرجات السابقة، فن جهة عظم الإمامة في عينه (عليه السلام) قال سروراً بها «ومن ذريتي» فقال الله تعالى إيماء إلى إجابة دعائه، وتصريحاً بأنّ الظالم في الجملة لاينالها: «لاينال عهدي الظالمين» فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ سفيه وتقدّم كلّ ظالم على البرّ التقيّ إلى يوم القيامة، وقرّرتها في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيّة أهل الصفوة والطهارة فقال: «و وهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة و إيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» فلم تزل الإمامة والخلافة في ذرّيّته الطاهرة يرثها بعض عن بعض قرناً بعد قرن حتى ورثها الله تعالى نبينا (صلّى الله عليه وآله

أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، (١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل في مكالمة له بينه وبين اليهودي، وفيه قالوا: إبراهيم خير منك، قال: ولم ذلك؟ قالوا: لأنّ الله اتخذه خليلاً، قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إن كان إبراهيم (عليه السلام) خليلاً، فأنا حبيبه محمّد(٢).

وفي مجمع البيان: وقد روي أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: قد اتخذ الله صاحبكم خليلاً، يعني نفسه(٣).

وفي بعض الروايات: أنّ الملائكة قال بعضهم لبعض: اتّخذ ربّنا من نطفة خليلاً، وقد أعطاه ملكاً عظيماً جزيلاً، فأوحى الله إلى الملائكة: اعمدوا على أزهدكم ورئيسكم، فوقع الاتفاق على جبرئيل وميكائيل، فنزلا الى إبراهيم في يوم جمع غنمه، وكان لإبراهيم أربعة آلاف راع وأربعة آلاف كلب في عنق كلّ كلب طوق وزن منّ من ذهب أحمر، وأربعون ألف غنمة حلابة، وما شاء الله من الخيل والجمال، فوقف الملكان في طرفي الجمع، فقال أحدهما بلذاذة صوت: سبّوح

وسلّم) فقال: «أنّ اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله ولي المؤمنين» فكانت لهم خاصّة فقلّدها (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علياً (عليه السلام) بأمر الله تعالى فصارت في ذرّيّته الأصفياء الأتقياء البررة الكرماء الذين هم أولوا الأمر كما قال الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» ثم طائفة من اللصوص المتغلّبة الذين نشأت عقولهم وعظامهم ولحومهم في عبادة الأوثان، غصبوها من أهل الصفوة فضلّوا وأضلّوا كثيراً (شرح اصول الكافي للمولى المازندراني: ج٥ ص١٣٧).

(١) الكافي: ج ١ ص ١٧٥ كتاب الحجة، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام)، ح٢ وتمام الحديث (فلمّا جمع له الأشياء قال (أني جاعلك للناس إماماً) قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: «ومن ذريتي، قال لاينال عهدي الظالمين» قال: لايكون السفيه إمام التقي).

(٢) الأحتجاج: ج ١ ص ٤٩ احتجاجه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك س ٦.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٧ س ٤ في تفسيره لآية ١٢٥ من سورة النساء.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧

قدّوس، فجاوبه الثاني: ربّ الملائكة والروح، فقال: أعيداهما ولكما نصف مالي، ثم قال: أعيداهما ولكما مالي وولدي وجسدي، فنادت ملائكة السماوات هذا هو الكرم، هذا هو المكرم، فسمعوا منادياً من العرش يقول: الخليل موافق لخيله[1].

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ: خلقاً وملكاً يختار منها مايشاء ومن يشاء.

وقيل: هو متصل بذكر الاعمال مقرّر لوجوب طاعته على أهل السماوات والأرض وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال[2].

وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا: علماً وقدرة، فكان عالماً بأعمالهم الخير والشرّ قادراً على جزائهم فيجازيهم عليهما ماوعد وأوعد.

وَيَسْتَفْتُونَكَ: ويسألونك الفتوى، أي تبيين الحكم.

فِي ٱلنِّسَآءِۖ: في ميراثهن.

قيل: إنّ سبب نزوله أنّ عيينة بن الحصين أتى النبيّ (صلّى الله عليه وآله

---

(١) لم نعثر عليه في كتب الأحاديث من الخاصّة والعامّة، ورواه في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي ط بيروت: ج٢ ص ٢٩٣ في تفسيره للآية الشريفة.

(٢) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٦ في تفسيره لآية ١٢٦ من سورة النساء.

وسلّم) فقال: أُخبرنا أنّك تعطي الابنة النصف، والأُخت النصف، إنّما تورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة؟! فقال (عليه السلام): كذلك أُمرت[1].

في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله «يستفتونك في النساء» فإن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) سئل عن النساء وما لهن من الميراث، فأنزل الله الربع والثمن[2].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾: يبيّن لكم حكمه فيهنّ، والإفتاء تبيين المبهم.

﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: عطف على اسم «الله» أو ضميره المستكن في «يفتيكم» وجاز للفصل، فيكون الإفتاء مسنداً إلى الله، وإلى ما في القرآن من نحو قوله: «يوصيكم الله»[3] والفعل الواحد ينسب إلى فاعلين باعتبارين مختلفين، ونظيره: أغناني زيد وعطاءه. أو استئناف معرض لتعظيم المتلو عليهم، على أنّ «ما يتلى عليكم» مبتدأ، و«في الكتاب» خبره. والمراد به اللوح المحفوظ. ويجوز أن ينتصب على معنى، ويبيّن لكم ما يتلى عليكم في الكتاب. أو يخفض على القسم، كأنه قيل: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب. ولا يجوز عطفه على المجرور في «فيهن» لاختلاله لفظاً ومعنى.

﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾: صلة «يتلى» إن عطف الموصول على ما قبله، أي يتلى عليكم في شأنهنّ، وإلّا فبدل من «فيهن» أو صلة أُخرى لـ«يفتيكم» على معنى الله يفتيكم فيهنّ بسبب يتامى النساء كما تقول: كلّمتك اليوم في زيد. وهذه الإضافة بمعنى (من) لأنّها إضافة الشيء إلى جنسه.

وقرئ «ييامى» على أنّه أيامى فقلبت همزته ياءً.

﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ﴾: لا تعطونهنّ.

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: ما فرض لهنّ من الميراث.

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٣٤٧ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٢٢ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء.

(٣) النساء: ١١.

في مجمع البيـان: عن الباقر (عليه السلام): كان أهل الجاهلية لايورّثون الصغير ولاالمرأة ويقـولون: لانـورّث إلّا من قـاتل ودفع عـن الحريم، فـأنزل الله تـعالى آيات الفرائض التي في أوّل السورة، وهو معنى قوله: «لا تؤتونهن ما كتب لهن»(١)

وفي تفسير علي بن إبراهيم زيادة، وهي قوله: وكانوا يرون ذلك حسناً في دينهم، فلمّا أنزل الله فرائض المواريث وجدوا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا انطلقوا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فنذكر ذلك لعلّه يدعه أو يغيّره، فأتوه فقالوا: يارسول الله للجارية نصف ماترك أبوها وأخوها، ويعطي الصبيّ الصغير الميراث، وليس واحد منها يركب الفرس ولايحوز الغنيمة ولايقاتل العدوّ، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): بذلك أُمرت(٢).

وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ: قيل: في أن تنكحوهنّ، أو عن أن تنكحوهنّ، فإنّ أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ إن كنّ جميلات ويأكلون مالهنّ، وإلّا كانوا يعضلوهنّ طمعاً في ميراثهنّ(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: إنّ الرجل كان في حجره اليتيمة فتكون دميمة وساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرجل أن يتزوّجها ولايعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها، ويمنعها النكاح ويتربّص بها الموت ليرثها، فنهى الله عن ذلك(٤).

والواو يحتمل الحال على تقدير مبتدأ، والعطف.

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ: عطف على يتامى النساء.

مِنَ الْوِلْدَانِ: في موضع الحال من المستضعفين، أو ضميره، ويحتمل الصفة. والعرب ما كانوا يورّثونهم كما ذكر.

وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ: عطف على يتامى النساء، أو المستضعفين، أي ويفتيكم، أو مايتلى عليكم في أن تقوموا. هذا إذا جعلت في يتامى صلة

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٨ في نقل المعنى لآية ١٢٧ من سورة النساء.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٤ س ٦ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء.

(٣) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٧ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٤ س ٣ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩

لأحدهما، وإن جعلته بدلاً فالوجه نصبها، عطفاً على موضع «فيهن».

وقيل: ويجوز أن ينتصب «وأن تقوموا» بإظهار فعل، أي ويأمركم أن تقوموا.

وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ: في أمر النساء واليتامى وغير ذلك.

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا: وعد لمن آثر الخير في ذلك.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا: توقّعت منه لما ظهر لها من المخايل.

و«امرأة» فاعل فعل يفسر الظاهر.

نُشُوزًا: تجافياً عنها وترفّعاً عن صحبتها وكراهة لها، ومنعاً لحقوقها.

أَوۡ إِعۡرَاضٗا: بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗا: أن يتصالحا، بأن تحطّ له بعض المهر، أو القسم أو تهب له شيئاً تستميله به.

في تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في ابنة محمد بن مسلمة كانت امرأة رافع بن خديج، وكانت امرأة قد دخلت في السنّ، فتزوّج امرأة شابّة كانت أعجب إليه من ابنة محمد بن مسلمة، فقالت له بنت محمد بن مسلمة: ألا أراك معرضاً عنّي مؤثراً عليّ؟ فقال رافع: هي امرأة شابّة، وهي أعجب إليّ منك، فإن شئت أقررت لها

على أن لها يومين، أو ثلاثة منّي، ولك يوم واحد فأبت ابنة محمد بن مسلمة ان ترضاها، فطلقّها تطليقة واحدة، ثم طلّقها أخرى، فقالت: لاوالله لاأرضى أو تسويّ بيني وبينها، يقول الله «واحضرت الأنفس الشح» وابنة محمد لم تطلب نفسها بنصيبها وشحّت عليه، فعرض عليها رافع، إمّا أن ترضى وإمّا أن يطلّقها الثالثة، فشحّت على زوجها ورضيت فصالحته على ماذكر، فقال الله (عزّوجلّ) «فلا جناح أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير» فلمّا رضيت واستقرّت لم يستطع أن يعدل بينها، فنزلت «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة» أن تأتي الواحدة وتذر الأخرى، لا أيم ولاذات بعل(١).

وفي تفسير العياشي: عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في قول الله: «وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً» قال: النشوز الرجل يهمّ بطلاق امرأته، فتقول له: أدع ماعلى ظهرك وأعطيك كذا وكذا وأحللك من يومي وليلي على مااصطلحا عليه، فهو جائز(٢).

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي ابن أبي حمزة قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً» فقال: إذا كان كذلك فهمّ بطلاقها، فقالت له: امسكني وأدع لك بعض ماعليك وأحللك من يومي وليلتي، حلّ له ذلك ولاجناح عليهما(٣).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (تبارك وتعالى): «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً» فقال: هي المرأة تكون عند الرجل فيكرهها، فيقول لها: إنّي أريد أن أطلّقك، فتقول له: لاتفعل إنّي أكره أن تشمت بي،

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٤ س ١٤ في تفسيره لآية ١٢٨ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٨ ح ٢٨١.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ١٤٥ كتاب الطلاق، باب النشوز ح ١.

ولكن انظر في ليلتي فاصنع بها ماشئت، وما كان سوى ذلك من شيء فهو لك ودعني على حالتي وهو قوله (تبارك وتعالى): «فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً» وهو هذا الصلح[(١)].

حميد بن زياد، عن ابن سماعة، عن الحسين بن هاشم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (جلّ اسمه): «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً» قال: هذا يكون عنده المرأة لا تعجبه، فيريد طلاقها، فتقول له: امسكني ولا تطلّقني، وأدع لك ماعلى ظهرك وأعطيك من مالي وأحللك من يومي وليلتي، فقد طاب ذلك كلّه[(٢)].

وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ: من الفرقة وسوء العشرة، أو من الخصومة. ويجوز أن يكون المراد أنه من الخيور، كما أنّ الخصومة من الشرور، وهو اعتراض، وكذا قوله.

وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ: ولذلك اغتفر عدم تجانسهما.

والأوّل للترغيب في المصالحة، والثاني لتمهيد العذر في المماكسة.

ومعنى إحضار الأنفس الشحّ، جعلها حاضرة له مطوّعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقّها، ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقّها على ماينبغي إذا كرهها أو أحبّ غيرها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: «وأحضرت الأنفس الشحّ» فمنها من اختارته ومنها من لم يختره[(٣)].

وإن تُحْسِنُوا: في العشرة.

وَتَتَّقُوا: النشوز والإعراض ونقص الحقّ.

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ: من الإحسان والخصومة.

خَبِيرًا: عالماً به وبالغرض منه، فيجازيكم عليه. أقام كونه عالماً بأعمالهم،

---

(١) الكافي: ج ٦ ص ١٤٥ كتاب الطلاق، باب النشوز ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ١٤٥ كتاب الطلاق، باب النشوز ح ٣.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٥ س ٩ في تفسيره لآية ١٢٨ من سورة النساء.

مقام مجازاته لهم الذي هو في الحقيقة جواب الشرط، إقامة السبب مقام المسبب.

وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ : أن تسوّوا بينهنّ في المحبّة والمودّة بالقلب، لأنّ العدل أن لايقع ميل البتة، وهو متعذّر، ولذلك كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: هذه قسمتي فيما أملك، فلا تأخذني فيما تملك ولاأملك، على مانقل[1].

وفي تفسير العياش: عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: يعني في المودّة[2].

وكذا في تفسير علي بن إبراهيم، عنه (عليه السلام)[3].

وفي مجمع البيان: عن الصادق والباقر (عليهما السلام): إنّ معناه التسوية في كلّ الأُمور من جميع الوجوه، من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر وغير ذلك[4].

والمراد به أنّ ذلك لايخف عليكم، بل يثقل ويشقّ، لميلكم إلى بعضهن.

وَلَوْ حَرَصْتُمْ: على تحرّي ذلك وبالغتم.

فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ: بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها، فإنّ مالايدرك كلّه لايترك كلّه[5].

فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ: التي ليست ذات بعل ولامطلّقة.

في مجمع البيان: عن الصادق، عن آبائه (عليهم السلام) أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يقسم بين نسائه في مرضه، فيطاف به بينهنّ[6].

---

(١) نقله في مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢٠ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء، نقلاً عن أبي قلابة، ورواه البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٨ في تفسيره للآية الشريفة أيضاً.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٩ ح ٢٨٥.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٥ س ١٧ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء.

(٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء.

(٥) عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٥٨ ح ٢٠٧.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء.

وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا
حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ
وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾

قال: وروي أنّ علياً (عليه السلام) كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأُخرى[1].

وَإِن تُصْلِحُوا۟: ما كنتم تفسدون من أُمورهنّ.

وَتَتَّقُوا۟: فيما يستقبل.

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا: يغفر لكم ما مضى من ميلكم.

وَإِن يَتَفَرَّقَا: وقرئ «وان يتفارقا» أي وإن يفارق كلّ واحد منهما صاحبه.

يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا: من الآخر ببدل أو متعلق.

مِّن سَعَتِهِۦ: من غناه وقدرته.

وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا: مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه.

وفي الكافي: بإسناده إلى ابن أبي ليلى قال: حدّثني عاصم بن حميد قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) فأتاه رجل فشكا إليه الحاجة، فأمره بالتزويج قال: فاشتدّت به الحاجة فأتى أبا عبدالله (عليه السلام) فسأله عن حاله؟ فقال: اشتدّت بي الحاجة قال: ففارق، ثم أتاه فسأله عن حاله؟ فقال: أثريت وحسن حالي، فقد قال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّي أمرتك بأمرين أمر الله بهما، قال الله (عزّوجلّ):

---

(١) مجمع البيان: ج٣ ص١٢١ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء.

«وانكحوا الأيامى» إلى قوله: «والله واسع عليم»[١] وقال «إن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته»[٢].

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: تنبيه على كمال قدرته وسعته، وأنّه لايتعذر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعد الوحشة.

وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ: من اليهود والنصارى ومن قبلهم.

والكتاب للجنس، و«من» متعلقة بـ«وصينا» أو بـ«اوتوا».

وَإِيَّاكُمْ: عطف على «الذين اوتوا».

أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ: بأن اتقوا الله. ويجوز أن يكون «ان» مفسّرة، لأنّ التوصية في معنى القول.

في مصباح الشريعة: قال الصادق (عليه السلام): وقد جمع الله ما يتواصى به المتواصون من الأوّلين والآخرين في خصلة واحدة، وهي التقوى. وفيه جماع كلّ عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العلى[٣].

وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: على إرادة القول، أي وقلنا لهم: ولكم أن تكفروا فإنّ الله مالك الملك كلّه، لايتضرّر بكفركم ومعاصيكم كما لاينتفع بشكركم وتقواكم، وإنّما وصاكم لرحمته، لا لحاجة، ثم قرّر ذلك بقوله:

وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا: عن الخلق وعبادتهم.

حَمِيدًا: في ذاته، حمد أو لم يحمد.

* * *

---

(١) النور: ٣٢.

(٢) الكافي: ج ٥ كتاب النكاح ص ٣٣١ ح٦.

(٣) مصباح الشريعة: ص ٥٠ الباب الثالث والسبعون، قطعة من الوصية.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ
اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: كلّ مخلوق يدلّ بحاجته على غناه، وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميداً.

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا: قيل: أي حافظاً للجميع، لايعزب عنه مثقال ذرّة فيهما.

وقيل: راجع إلى قوله: «يغن الله كلاً من سعته» فإنّه يوكل بكفايتهما، وما بينهما تقرير لذلك.

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ: يفنيكم، ومفعول «يشاء» محذوف دلّ عليه الجواب.

وَيَأْتِ بِآخَرِينَ: ويوجد قوماً آخرين مكانكم، أو خلقاً آخرين مكان الإنس.

وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ: من الإعدام والإيجاد.

قَدِيرًا: بليغ القدرة لايعجزه مراده.

وقيل: أيضاً تقرير لغناه وقدرته، وتهديد لمن كفر وخالف أمره[1].

والظاهر أنّه خطاب لمن عادى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من العرب، ومعناه معنى قوله: «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم»[2] لمّا قال في مجمع البيان: وروي أنّه لمّا نزلت هذه الآية ضرب النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٩ في تفسيره لآية ١٣٢ من سورة النساء.

(٢) محمّد: ٣٨.

يده على ظهر سلمان (رضي الله عنه)، وقال: هم قوم هذا يعني عجم الفرس[١].

مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا: كمن يجاهد للغنيمة.

فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ: فليطلب الثوابين جميعاً من عندالله، وما له يكتفي بأخسّهما ويدع أشرفهما، على أنه لو طلب الأشرف لم يخطئه الأخسّ.

في كتاب الخصال: جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: كانت الحكماء والفقهاء إذا كاتب بعضهم بعضاً، كتبوا بثلاث ليس معهن رابعة: من كانت الآخرة همّه كفاه الله همّه من الدنيا. ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس[٢].

وفي نوادر من لايحضره الفقيه: وروي عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه[٣].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد بإسناده رفعه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض اليهود وقد سأله عن مسائل: وإنّما سمّيت الدنيا دنيا، لأنّها أدنى من كلّ شيء، وسمّيت الآخرة آخرة، لأنّ فيها الجزاء والثواب[٤].

وبإسناده إلى عبدالله بن يزيد بن سلام، أنّه سأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال له: أخبرني عن الدنيا لم سمّيت الدنيا؟ قال: لأنّ الدنيا دنيّة، خلقت من دون الآخرة، وخلقت مع الآخرة لم يغن أهلها كما لايغنى من أهل

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢٢ في تفسيره لآية ١٣٣ من سورة النساء ورواه البيضاوي أيضاً: ج ١ ص ٢٤٩ في تفسيره للآية.

(٢) الخصال: ص ١٢٩، باب الثلاثة ح ١٣٣.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٩٣ باب ١٧٦ النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح ٦٣.

(٤) علل الشرائع: ج ١ ص ٣ باب ١ العلّة التي من أجلها سمّيت السماء سماء والدنيا دنيا والآخرة آخرة، قطعة من ح ١ س ٥.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ١٣٥

الآخرة، قال: فأخبرني لم سمّيت الآخرة آخره؟ قال: لأنّها متأخرة تجيء من بعد الدنيا، لا توصف نسبتها ولا يحصى أيامها ولا يموت سكّانها، قال: صدقت يا محمد[1]، والحديثان طويلان أخذت منها موضع الحاجة.

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا: عارفاً بالاغراض، فيجازي كلاً بحسب قصده.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ: مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته.

شُهَدَاءَ لِلَّهِ: بالحقّ تقيمون شهاداتكم لوجه الله. وهو خبر ثان، أو حال.

وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ: ولو كانت الشهادة على أنفسكم، بأن تقرّوا عليها، لأنّ الشهادة بيان الحقّ سواء كان عليه أو على غيره.

أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ: أي ولو على والديكم وأقربيكم.

في تفسير علي بن إبراهيم: قال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّ للمؤمن على المؤمن سبع حقوق، فأوجبها أن يقول الرجل حقاً وإن كان على نفسه أو على والديه، فلا يميل لهم عن الحقّ[2].

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب، رجل لم تدعه قدرته في حال

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٧٠ باب ٢٢٢ النوادر ح ٣٣.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ س ٣ في تفسيره لآية ١٣٥ من سورة النساء.

غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعرة، ورجل قال الحقّ فيما له وعليه[١].

عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ لله تعالى جنة لايدخلها إلّا ثلاثة، رجل حكم في نفسه بالحقّ الحديث[٢].

إِن يَكُنْ: أي المشهود عليه، أو كلّ واحد من المشهود عليه ومن المشهود له.

غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا: فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة. أو لاتجوروا فيها ميلاً، أو ترحّماً.

فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا: بالغنى والفقير وبالنظر لهما، فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً، لما شرّعها وهو علّة الجواب أقيمت مقامه، والضمير في «بهما» راجع إلى مادلّ عليه المذكور، وهو جنسا الغني والفقير، لاإليه، وإلّا لوحّد، للترديد فيه بـ«أو» ويشهدعليه إن قرئ «فالله أولى بهم»[٣][٤].

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا: لأن تعدلوا عن الحقّ، من العدول، أو كراهة أن تعدلوا، من العدل.

وَإِن تَلْوُوا: ألسنتكم عن شهادة الحقّ.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بإسكان اللام وبعدها واوان، الأولى مضمومة والثانية ساكنة. وقرئ «وان تلو» بمعنى إن ولّيتم إقامة الشهادة[٥].

---

(١) الخصال: ص ٨١، باب الثلاثة ح ٥.

(٢) الخصال: ص ١٣١، باب الثلاثة ح ١٣٦ وتمام الحديث (ورجل زار أخاه في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله عزّوجلّ).

(٣) من قوله: (أن يكن أي المشهود عليه) إلى قوله: (أو تعرضوا عن أدائها) مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢٤٩، لاحظ تفسيره، لآية ١٣٥ من سورة النساء.

(٤) قوله: (لاإليه وإلا لوحّد) أي لوكان الضمير راجعاً إلى المذكور، وهو أحد الجنسين، لوجب توحّد الضمير. لأنّ المرجع واحد وهو أحد الجنسين (من حاشية الكازروني لتفسير البيضاوي).

(٥) (وان تلووا) قرأ تلووا بواوين، واصله، تلويوا على وزن تفعلوا، من لويت، فنقلت الضمّة من الياء إلى ماقبلها، فبقيت الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فبقي تلووا على
←

﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾: عن أدائها.

وفي مجمع البيان: عن أبي جعفر (عليه السلام) «إن تلووا» أي تبدّلوا الشهادة «أو تعرضوا» أي تكتموها[١].

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمد، عن علي بن إسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تعالى: «وإن تلووا أو تعرضوا» فقال: إن تلووا الأمر أو تعرضوا عمّا أُمرتم به «فإن الله كان بما تعملون خبيراً». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[٢].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيجازيكم عليه.

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في هذه الآية أنّه قال: وإن تلووا[٣] الأمر أو تعرضوا عمّا امرتم به في ولاية عليّ، فإن الله كان بما

وزن تفعوا. وقرأ تلوا بواو واحدة، ويحتمل وجهين أحدهما: أن يكون من لويت، واصله تلويوا على مابيّناه في القراءة الأولى، إلّا أنّه لمّا نقلت الضمّة من الياء إلى الواو، حذفت الياء لالتقاء الساكنين ونقلت الضمّة على الواو، فقلبت همزة وحذفت، ونقلت حركتها إلى اللام، فبقيت تلوا. والثاني أن يكون تلوا اصله توليوا من وليت، الّا أنّه حذفت الواو الاولى التي هي الفاء لوقوعها بين تاء وكسرة، حملاً للتاء على الياء كما تحذف من نعد حملاً على يعد، حملاً لبعض حروف المضارعة على بعض طلباً للتشاكل، وفراراً من نفرة الاختلاف ليجري الباب على سنن واحد ولاتختلف طرق تصاريف الكلمة، فلمّا حذفت الواو الأُولى بقي تليو فاستثقلت الضمّة على الياء فنقلت إلى اللام قبلها، وحذفت الياء لسكونها وسكون واو الجمع بعدها، وكانت أولى بالحذف، لأنّ واو الجمع دخلت لمعنى والياء لم تدخل لمعنى، فكان حذفها أولى. وصار (تلوا) على وزن (تعوا) لذهاب الفاء واللام (البيان لأبن الأنباري: ص ٢٦٩).

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢٤ في نقل المعنى لآية ١٣٥ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢١ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، قطعة من ح ٤٥.

(٣) قوله (ان تلوا الأمر) لواه أي أماله وصرفه من جانب إلى جانب، وقد يجعل كناية عن التأخر والتخلّف، يعني إن تصرفوا أمر الخلافة عن موضعها وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أو تعرضوا عمّا أُمرتم به من ولايته وتخلّفتم عنه، فإنّ الله كان بما تعلمون خبيراً، فيعاقبكم بذلك (شرح العلامة المازندراني: ج ٧ ص ٧٥).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾

تعملون خبيراً[1].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟: بألسنتهم وظاهرهم.

ءَامِنُوا۟: بقلوبكم وباطنكم.

وقيل: خطاب لمؤمني أهل الكتاب، إذ روي أنّ ابن سلام وأصحابه قالوا: يارسول الله إنّا نؤمن بك وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه، فنزلت[2].

فعلى هذا معنى «آمنوا» آمنوا إيماناً عامّاً يعمّ الكتب والرسل.

وقيل: خطاب للمسلمين، أي اثبتوا على الإيمان بذلك، ودوموا على الإيمان[3].

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ: الكتاب الأوّل القرآن، والثاني الجنس.

وقرأ نافع و الكسائي «الذي نزل» و«الذي أنزل» بفتح النون والهمزة والزاي، والباقون بضمّ النون والهمزة وكسر الزاي.

وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ: أي من يكفر

---

(١) غير خفيّ أنّ هذا الحديث هو الذي أورده قبل اسطر ولعلّ نظره رحمه الله إلى ما أوّله شرّاح الأحاديث كما قدمنا نموذجاً منه عن المولى صالح المازندراني.

(٢ و ٣) قالها البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٠ في تفسيره لآية ١٣٦ من سورة النساء.

بشيء من ذلك.

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا : عن المقصد بحيث لايكاد يعود إلى طريقه.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا : كاليهود آمنوا بموسى.

ثُمَّ كَفَرُوا : حين عبدوا العجل.

ثُمَّ ءَامَنُوا : حين يرجع إليهم.

ثُمَّ كَفَرُوا : بعيسى.

ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا : بمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقراراً، لا تصديقاً، ثم كفروا لمّا كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لايردّوا الأمر في أهل بيته أبداً، فلمّا نزلت الولاية وأخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الميثاق عليهم لأميرالمؤمنين، آمنوا إقراراً، لا تصديقاً، فلمّا مضى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كفروا وازدادوا كفراً[1].

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن محمد بن أورَمَة، وعلي بن عبدالله، عن علي بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في هذه الآية، قال: نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في أوّل الأمر، وكفروا حين عرضت عليهم الولاية، حين قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم آمنوا بالولاية لأميرالمؤمنين (عليه السلام) ثم كفروا حيث مضى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم يقرّوا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من تابعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء[2].

وفي تفسير العياشي: عن جابر قال: قلت لمحمد بن علي (عليهما السلام): في قول الله في كتابه «الذين آمنوا ثم كفروا»، قال: هما، والثالث والرابع وعبدالرحمن

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ في تفسيره لآية ١٣٧ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢٠ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٤٢.

وطلحة، وكانوا سبعة عشر رجلاً، قال: لمّا وجّه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر (رحمه الله) إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبيّ ولو بعث غيره بإحذيفة إلى أهل مكة، وفي مكة صناديدها ـ وكانوا في مكة يسمّون علياً، الصبيّ لانه كان اسمه في كتاب الله الصبي لقول الله (عزّوجلّ): «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً» وهو صبيّ، «وقال إنني من المسلمين».(١) والله الكفر بنا أولى ممّا نحن فيه، فساروا فقالوا لهما وحرفوهما بأهل مكة، فعرضوالهما وخوفوهما وغلّظوا عليهما الأمر، فقال علي (صلوات الله عليه): «حسبنا الله ونعم الوكيل»(٢) ومضى، فلمّا دخلا مكة، أخبر الله نبيّه بقولهم لعلي، وبقول علي لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قول الله: «ألم تر إلى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» إلى قوله «والله ذو فضل عظيم»(٣) وإنّما نزلت: ألم تر إلى فلان وفلان لقوا علياً وعماراً فقالا: إنّ أبا سفيان وعبدالله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهما اللذان قال الله: «إن الذين آمنوا ثم كفروا»، إلى آخر الآية، فهذا أوّل كفرهم، والكفر الثاني قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يطلع عليكم من هذا الشعب رجل، فيطلع عليكم بوجهه، فمثله عندالله كمثل عيسى، لم يبق منهم أحد إلّا تمنّى أن يكون بعض أهله، فإذا بعليّ قد خرج وطلع بوجهه، قال: هو هذا، فخرجوا غضاباً، وقالوا: مابقي إلّا أن يجعله نبيّاً، والله الرجوع إلى آلهتنا خير ممّا نسمع منه في ابن عمه، وليصدّنا عليّ إن رام هذا، فأنزل الله «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون»(٤) إلى آخر الآية، فهذا الكفر الثاني، وزادوا الكفر حين قال الله: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»(٥) وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ياعلي أصبحت وأمسيت خير البريّة، فقال له ناس: هو خير من نوح وإبراهيم ومن

---

(١) فصلت: ٣٣. (٢) آل عمران: ١٧٣. (٣) آل عمران: ١٧٤.
(٤) الزخرف: ٥٧. (٥) البيّنة: ٧.

الأنبياء، فأنزل الله: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم» إلى «سميع عليم»[١] قالوا: فهو خير منك يا محمّد؟ قال: (قال-ظ) الله: «قل إني رسول الله إليكم جميعا»[٢]. ولكنّه خير منكم وذرّيّته خير من ذرّيّتكم، ومن اتّبعه خير ممّن اتّبعكم، فقاموا غضاباً وقالوا زيادة: الرجوع إلى الكفر أهون علينا ممّا يقول في ابن عمه، وذلك قول الله: «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً»[٣].

عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام) في هذه الآية قال: نزلت في عبدالله بن أبي سرح[٤] الذي بعثه عثمان إلى مصر، قال: وازدادوا كفراً، حتى لم يبق فيه من الإيمان شيء[٥].

عن أبي بصير قال: سمعته يقول في هذه الآية: من زعم أنّ الخمر حرام، ثم شربها، ومن زعم أنّ الزنا حرام، ثم زنا، ومن زعم أنّ الزكاة حقّ ولم يؤدّها[٦].

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: إذ يستبعد منهم أن يتولّوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان، فإنّ قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت، لا أنّهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم.

وخبر كان في أمثال ذلك محذوف، ومتعلق به اللام، مثل لم يكن الله مريداً ليغفر لهم.

---

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٩ ح ٢٨٦.

(٤) عبدالله بن سعد بن أبي سرح، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكان يكتب له ثم ارتدّ مشركاً وسار إلى قريش بمكة، فلمّا كان يوم فتح مكة أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بقتله أينما وجد حتى لحق استار الكعبة، ففرّ إلى عثمان بن عفان فغيّبه حتى أتى به إلى رسول الله وأسلم ثانياً، وولّاه عثمان في زمانه مصر سنة خمس وعشرين وفتح إفريقية فأعطاه عثمان جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح إفريقية بالمغرب، وهو أخو عثمان من الرضاع، وأسوأ أحواله خاتمته حيث شهد صفّين مع معاوية على ما قيل (تلخيص من تنقيح المقال: ج ٢ ص ١٨٤ تحت رقم ٦٨٧٦).

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٠ ح ٢٨٧.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨١ ح ٢٨٨.

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ
ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ
أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟
مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا: وضع «بشر» موضع «أنذر» تهكماً لهم.

ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ: في محل النصب أو الرفع على الذمّ، يعني اريد الذين، أو هم الذين.

أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ: أيتعزّزون بموالاتهم.

فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا: لايتعزّز إلّا من أعزّه، وقد كتب العزّة لأوليائه، قال «و لله العزّة ولرسوله وللمؤمنين»[1] لايؤبه بعزّ غيرهم بالإضافة إليهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في بني امية حيث خالفوهم على أن لايردّوا الأمر في بني هاشم[2].

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ: يعني القرآن.

وقرأ غير عاصم «نزل» على البناء للمفعول، والقائم مقام فاعله.

أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ: وهي المخففة، والمعنى أنه إذا سمعتم.

يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا: حالان من الآيات، جيء بها لتقييد النهي (عن

---

(١) المنافقين: ٨.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ س١٤ في تفسيره لآية ١٣٩ من سورة النساء.

المجالسة)[١] في قوله:

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من (يجالسه)[٢] هازئاً معانداً غير (مرجو)[٣]، ويؤيده الغاية.

والضمير في «معهم» للكفرة المدلول عليهم بقوله: «يكفر بها ويستهزأ بها».

وفي تفسير علي بن إبراهيم: آيات الله هم الأئمة (عليهم السلام)[٤].

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في تفسيرها: إذا سمعت الرجل يجحد الحقّ ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا تقاعده[٥].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن (القاسم بن بريد)[٦] قال: حدّثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال في حديث طويل: إنّ الله (تبارك وتعالى) فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها. وفرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ماحرّم الله، وأن يعرض عمّا لايحلّ له ممّا نهى الله (عزّوجلّ) عنه، والإصغاء إلى ماأسخط الله (عزّوجلّ) فقال في ذلك: «وقد نزل» إلى قوله «حتى يخوضوا في حديث غيره» ثم استثنى الله (عزّوجلّ) موضع النسيان فقال: «وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين»[٧][٨].

عدّة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد، عن شعيب العقرقوفي قال: سألت أبا

(١ و٢) في النسخة ـ أ ـ: (من المجانسة) و(يجانسه).

(٣) في النسخة ـ أ ـ: (موجود).

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ س ١٧ في تفسيره لآية ١٤٠ من سورة النساء.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨١ ح ٢٩٠.

(٦) في النسخة ـ أ ـ: (القاسم بن يزيد)، وهو اشتباه والصحيح ماأثبتناه من المصدر ومعاجم الرجال.

(٧) الانعام: ٦٨.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ٣٣ كتاب الايمان والكفر، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها، قطعة من ح١.

عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجلّ): «وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها» إلى آخر الآية[١] فقال: إنّما عنى بهذا، الرجل يجحد الحقّ ويكذب به، ويقع في الأئمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان[٢].

إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ: في الكفر إن رضيتم به، وإلّا ففي الإثم لقدرتكم على الإنكار والإعراض.

وفي من لا يحضره الفقيه: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) في وصية لابنه محمد ابن الحنفية: ففرض على السمع أن لا تصغي به إلى المعاصي فقال (عزّوجلّ): «وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم»[٣]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا: فإذا كان القاعدمعهم مثلهم، والله جامعهم في جهنم، فيجمع القاعد معهم فيها.

وقيل: إنّ هذا يؤيّد أن يكون المراد بالقاعدين قوماً من المنافقين، فعلى هذا يكون معناه: إن الله يجمع المنافقين، أي القاعدين والكافرين، أي المقعود معهم في جهنم جميعاً، وعلى هذا يلزم أن يكون قوله: «إذاً» مستدركاً، لأنّ المنافقين مثل الكافرين، قعدوا معهم أم لم يقعدوا، و«إذاً» ملغاة، لوقوعها بين الاسم والخبر، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل: وإفراد «مثلهم» لأنّه كالمصدر، أو بالاستغناء بالإضافة إلى الجمع.

وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني، كقوله: «مثل ما أنكم

(١) وفي الآية إيماء إلى من يجالسهم ولاينهاهم هو من المنافقين كائناً من كان، أي سواء كان من أقاربك أم من الأجانب، وسواء كان ظاهراً من أهل ملّتك أم لا، وسواء كان ظاهراً من أهل العلم أم لا، وسواء كان من الحكّام أو غيرهم إذا لم تخف ضرراً (مرآة العقول: ج١١ ص٩٠).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٧٧ كتاب الايمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٨٢ باب ٢٢٧ الفروض على الجوارح قطعة من ح١.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾

تنطقون»[١].

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ: ينتظرون وقوع أمر بكم، وهو بدل من «الذين يتخذون» أو صفة للمنافقين والكافرين، أو ذمّ مرفوع، أو منصوب، أو مبتدأ خبره:

فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ: مظاهرين لكم، فاسهموا لنا فيما غنمتم.

وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ: من الحرب، فإنّها سجال[٢].

قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ: أي ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم.

والاستحواذ، الاستيلاء، وكان القياس استحاذ يستحيذ استحاذة، فجاءت على الأصل.

---

(١) الذاريات: ٢٣.

(٢) وفي الحديث: عليكم بالتحامي فإنّ الحرب سجال، أي مرّة لنا ومرّة علينا، ومثله في خبر أبي سفيان وهرقل، والحرب بيننا سجال (مجمع البحرين: ج٥ س ٣٩٣ لغة سجل).

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بأن خذلناهم عنكم، بتخييل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، فاشركونا فيما أصبتم.

سمّى ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، لخسّة نصيبهم، فإنّه مقصور على أمر دنيويّ سريع الزوال.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يفصل بينكم بالحقّ.

﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: بالحجّة وإن جاز أن يغلبوهم بالقوّة.

وفي عيون الأخبار: حدّثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشي (رضي الله عنه) قال: حدّثني أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا (عليه السلام): يابن رسول الله إنّ في سواد الكوفة قوم يزعمون أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يقع عليه السهو في صلاته؟ فقال: كذبوا لعنهم الله، إنّ الذي لايسهو هو الله لا إله إلّا هو، قال: قلت: يابن رسول الله وفيهم قوم يزعمون أنّ الحسين بن علي (عليهما السلام) لم يقتل، وأنّه ألقى سهمه على حنظلة بن أسعد الشامي، وأنّه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم (عليه السلام)، ويحتجّون بهذه الآية: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»، فقال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته، وكفروا بتكذيبهم لنبيّ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في أخباره بأنّ الحسين (عليه السلام) سيقتل، والله لقد قتل الحسين وقتل من كان خيراً من الحسين، أميرالمؤمنين والحسن بن علي (عليهم السلام)، وما منّا إلّا مقتول، وإنّي والله لمقتول بالسمّ باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أخبره به جبرئيل عن ربّ العالمين (عزّوجلّ)، فأمّا قوله (عزّوجلّ) «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» فإنّه يقول: لن يجعل الله لهم على أنبيائه (عليهم السلام) سبيلاً من طريق الحجّة[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٠٣ ب ٤٦ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) في وجه دلائل الأئمّة والردّ على الغلاة والمفوّضة لعنهم الله ح ٥.

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ: سبق في سورة البقرة.

وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ: متثاقلين على نحو المكره على الفعل.

وقرئ «كسالى» بالفتح، وهما جمع كسلان.

في الكافي: سهل، عن ابن محبوب، عن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: قال أبي لبعض ولده: إيّاك والكسل والضجر، فإنّهما يمنعانك من حظّك من الدنيا والآخرة[1].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته، ومن كسل عمّا يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه[2].

علي بن محمد رفعه قال: قال أميرالمؤمنين علي (صلوات الله عليه): إنّ الأشياء لمّا ازدوجت، ازدوج الكسل والضجر، فنتجا بينهما الفقر[3].

يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ: ليخالوهم مؤمنين.

والمراءاة، المفاعلة، بمعنى التفعيل، كنعم وناعم، أو للمقابلة، فإنّ المرائي يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه.

وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا: إذ المرائي لا يفعل إلّا بحضرة من يرائيه، وهو أقل أحواله، أو لأنّ ذكره باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب، ولا يذكرونه بالقلب، وإنّما يذكرونه باللسان فقط للمراءاة، أو لأنّ ذكرهم الله بالقلب قليل بالقياس إلى ما يخطر ببالهم من مراءاة من يراؤونه.

وقيل: المراد بالذكر الصلاة.

وقيل: الذكر فيها، فإنّهم لا يذكرون فيها غير التكبير[4].

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ كتاب المعيشة، باب كراهية الكسل ح٢.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ كتاب المعيشة، باب كراهية الكسل ح٣.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٨٦ كتاب المعيشة، باب كراهية الكسل ح٨.

(٤) من قوله (والمراءاة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج١ ص ٢٥١، لاحظ تفسيره لآية ١٤٢ من سورة النساء.

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال لقمان لابنه: يابني لكلّ شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها، إلى قوله: وللمنافق ثلاث علامات، يخالف لسانه قلبه، وفعله قوله، وعلانيته سريرته، وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع، ويضيع حتى يأثم، وللمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده، ويتعرّض في كلّ أمر للمحمدة[1].

وعن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أربع خصال يفسدون القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيد[2].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه: ولا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولامتناعساً ولامتثاقلاً، فإنّها من خلال النفاق، وقد نهى من خلال النفاق، وقد نهى الله (عزّوجلّ) المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى -يعني من النوم- وقال للمنافقين: «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولايذكرون الله إلّا قليلاً»[3].

وفي كتاب معاني الأخبار: حدّثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان قال: كنّا جلوساً عند أبي عبدالله (عليه السلام) إذ قال له رجل من الجلساء: جعلت فداك يابن رسول الله أخاف على أن أكون منافقاً؟ فقال له: إذا خلوت في بيتك ليلاً أو نهاراً أليس تصلّي؟ فقال: بلى، فقال: فلمن تصلّي؟ فقال: لله (عزّوجلّ)، فقال: فكيف تكون منافقاً وأنت تصلّي لله (عزّوجلّ) لالغيره[4].

---

(١) الخصال: ص ١٢١، باب الثلاثة العلامات الثلاث، قطعة من ح١١٣ بتقديم وتأخير بعض الجملات.

(٢) الخصال: ص ٢٢٧، باب الأربعة أربع خصال يفسدن القلب وينبتن النفاق ح٦٣.

(٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٥٨ ب ٧٤ علّة الإقبال على الصلاة وعلّة النهي عن التكفير وعلّة النهي عن القيام إلى الصلاة على غير سكون ووقار، قطعة من ح١.

(٤) معاني الأخبار: ص ١٤٢ باب معنى المنافق، ح ١.

﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ١٤٣﴾

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن محمد بن أحمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن سليمان بن عمرو، عن أبي المغرا الخصاف رفعه قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): من ذكر الله (عزّوجلّ) في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولايذكرونه في السرّ، فقال الله (عزّوجلّ): «يراؤون الناس ولايذكرون الله إلّا قليلاً»[1].

الحسين بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن عبدالله بن عبدالرحمان الأصم، عن الهيثم بن واقد، عن محمد بن مسلم، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: إنّ المنافق ينهى ولاينتهي ويأمر بما لايأتي، وإذا قام إلى الصلاة اعترض، قلت: يابن رسول الله وما الاعتراض؟ قال: الالتفات، وإذا ركع ربض، يمسي وهمّه العشاء وهو مفطر، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، إن حدّثك كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن غبت اغتابك، وإن وعدك أخلفك[2].

أبو علي الأشعري، عن الحسين بن علي الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): مثل المنافق مثل جذع أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنيانه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد، فحوّله في موضع آخر فلم يستقم، فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار[3].

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ: حال من واو «يراؤون» كقوله: «ولايذكرون» أي

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٠١ كتاب الدعاء، باب ذكر الله (عزّوجلّ) في السرّ، ح٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٦ كتاب الايمان والكفر باب صفة النفاق والمنافق ح٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٦ كتاب الايمان والكفر، باب صفة النفاق والمنافق ح٥.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا
﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ
لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو واو «يذكرون»، أو منصوب على الذمّ والمعنى، مردّدين بين الإيمان والكفر، من الذبذبة، وهو جعل الشيء مضطرباً، وأصله الذبّ بمعنى الطرد.

وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم، أو دينهم. أو يتذبذبون، كقولهم صلصل بمعنى تصلصل.

وقرئ بالدال الغير المعجمة، بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة أُخرى، وهي الطريقة[1].

لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ : لايصيرون إلى المؤمنين بالكلّيّة، ولا إلى الكافرين كذلك يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون، ولكن لايضمرونه كما يضمرون، ويضمرون الكفر كما يضمره الكافرون ولكن لايظهرونه كما يظهرون.

وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا : إلى الحقّ والصواب، ونظيره قوله تعالى: «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»[2].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ : فإنه صنيع المنافقين وديدنهم، فلا تتشبهوا بهم.

---

(١) نقل القراءات المذكورة البيضاوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٥١ لاحظ تفسيره لآية ١٤٣ من سورة النساء.

(٢) النور: ٤٠.

أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا : حجة بينة، فإن موالاة الكافرين دليل على النفاق، أو سلطاناً يسلّط عليكم عقابه.

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ: وهي الطبقة التي في قعرجهنم، لأنّهم أخبث الكفرة، إذ ضمّوا إلى الكفراستهزاء بالإسلام و خداع للمسلمين. وللنار دركات وللجنة درجات. وإنّما سمّيت طبقاتها دركات، لأنّها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض.

وقرأ الكوفيّون بسكون الراء، وهو لغة، كالسطر والسطر، والتحريك أوجه لأنّه يجمع على إدراك .

وفي كتاب الاحتجاج: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون، معاشر الناس، إنّ الله وأنا بريئان منهم، معاشر الناس، إنّهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، ولبئس مثوى المتكبّرين[1].

وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا: يخرجهم منه.

وفي روضة الكافي: بإسناده الى أبي عبدالله، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): واعلم أنّ المنكرين هم المكذّبون وأنّ المكذّبين هم المنافقون وأنّ الله قال للمنافقين ـ وقوله الحقّ ـ «انّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً»[2].

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦ احتجاج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم الغدير على الخلق كلّهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من ولده من الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) س٧.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٣٣ س ١٥ قطعة من رسالة أبي عبدالله (عليه السلام) الى جماعة الشيعة. ط النجف.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ
دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ
إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧
۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن
سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ: عن النفاق.

وَأَصۡلَحُواْ: ماأفسدوا من إصرارهم وأحوالهم في حال النفاق.

وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ: وثقوا به وتمسكوا بدينه.

وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ: لايريدون بطاعتهم إلّا وجهه.

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ: ومن عدادهم في الدارين.

وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا: فيساهمونهم فيه.

مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ: يتشفى به غيظاً، أو يدفع به ضرراً أو يستجلب به نفعاً، سبحانههو الغنيّ المتعالي عن النفع والضرر. و إنّما يعاقب المصرّ على كفره، لأنّ إصراره عليه كسوء مزاج يؤذي إلى مرض، فإذا زال بالإيمان والشكر، ونقّى نفسه عنه، تخلّص من تبعته.

و إنّما قدم الشكر، لأنّ الناظر يدرك النعمة أولاً، فيشكر شكراً مبهماً، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به.

وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا: مثيباً يقبل القليل ويعطي الجزيل.

عَلِيمٗا: بحقّ شكركم و إيمانكم.

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ: إلاّ جهر عن ظلم، بالدعاء على الظالم أو التظلّم منه.

في مجمع البيان: المروي عن أبي جعفر (عليه السلام): لايحبّ الله الشتم في الانتصار إلاّ من ظلم، فلا بأس له أن ينتصر ممّن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين[1].

وروى عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّه الضيف ينزل الرجل فلا يحسن ضيافته، فلاجناح عليه أن يذكره بسوء مافعله[2].

وفي تفسير العياشي عنه (عليه السلام) في هذه الآية: من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم، فهي ممّن ظلم، فلاجناح عليهم فيما قالوا فيه[3].

وعنه (عليه السلام): الجهر بالسوء من القول، أن يذكر الرجل بما فيه[4].

وفي تفسير علي بن إبراهيم بعد مايقرب ممّا ذكر في المجمع أولاً: وفي حديث آخر في تفسير هذا إن جاءك رجل وقال فيك ماليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح فلا تقبله منه وكذّبه فقد ظلمك[5].

وقرئ «إلا من ظلم» على البناء للفاعل، فيكون الاستثناء منقطعاً، أي ولكن الظالم يفعل مالايحبّه الله.

وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا: لما يجهر به من سوء القول.

عَلِيمًا: بصدق الصادق وكذب الكاذب، فيجازي كلاً بعمله.

إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا: طاعة وبرّاً.

أَوْ تُخْفُوهُ: تفعلوه سرّاً.

أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ: لكم المؤاخذة عليه، وهو المقصود. وذكر إبداء الخير

(١و٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٣١ في نقل المعنى لآية ١٤٨ من سورة النساء.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٢٩٦.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٢٩٧.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٧ س ٨ في تفسيره لآية ١٤٨ من سورة النساء.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ
بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ
بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠

وإخفائه تشبيب له ولذلك رتّب عليه قوله:

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا: أي يكثر العفو عن العصاة، مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم لعدم كمال قدرتكم أولى بذلك، وهو حثّ المظلوم على العفو بعد مارخّص له في الانتصار حملاً على مكارم الأخلاق.

وفي تقديم العفو على القدير إشارة لطيفة إلى أنّ العافي من كمال عفوه، أن لايشعر بقدرته حين العفو، ليتمّ إحسانه بالنسبة إلى المعفوّ عنه، ولايصير كالمنّ بعد الصدقة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ: بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله.

وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ: نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، كما فعلته اليهود صدّقوا بموسى ومن تقدّمه من الأنبياء، وكذّبوا عيسى ومحمّداً (صلوات الله عليهما)، وكما فعلت النصارى صدّقوا عيسى ومن تقدّمه، وكذّبوا محمّدا (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، هكذا قيل[1].

والأولى أن يفسّر التفريق بالإيمان بالله والإيمان بالرسل، أو ببعضهم، ويجعل قوله: «ويقولون» بياناً للتفريق، ليناسبه قوله:

وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا: طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر،

---

(١) اورده السيوطي في تفسيره الدر المنثور: ج ٢ ص ٧٢٥ نقلاً عن قتادة، لاحظ تفسيره لآية ١٥٠ من سورة النساء.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾

ولا واسطة، إذ الحقّ لا يختلف، فإنّ الإيمان بالله إنّما يتمّ بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلّغوا عنه تفصيلاً وإجمالاً، فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكلّ في الضلال، كما قال:

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ: أي الكاملون في الكفر، لا عبرة بإيمانهم هذا.

حَقًّا: مصدر مؤكّد لغيره، أو صفة لمصدر الكافرين، يعني هم الذين كفروا كفراً حقاً، أي يقيناً محققاً.

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا: يهينهم ويذلّهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: هم الذين أقرّوا برسول الله وأنكروا أمير المؤمنين (عليهما السلام)[1]، ومعناه: أنّ ذلك كفر ببعض الرسل، أي بما جاء به من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكذلك الذين أقرّوا برسول الله (صلّى الله عليه وآله) و بأمير المؤمنين وأنكروا ما قرّراه من الشرع الظاهر وآمنوا بأمر آخر سمّوه باطناً، وسمّوا الإيمان به إيماناً حقيقيّاً.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ: وآمنوا بجميعهم وجميع ما جاؤوا به.

وإنّما دخل «بين» على «أحد» وهو يقتضي متعدّداً، لعمومه، من حيث أنّه وقع في سياق النفي.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٧ س ١٢ في تفسيره لآية ١٥١ من سورة النساء.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ١٥٣

أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ: الموعودة لهم.

سمّي الثواب أجراً، للدلالة على استحقاقهم لها. والتصدية بـ«سوف» للدلالة على أنه كائن لامحالة، وإن تأخر.

وقرأ حفص عن عاصم، وقالون عن يعقوب، بالياء على تلوين الخطاب[1].

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا: لم يزل يغفر مافرط منهم من المعاصي.

رَّحِيمًا: يتفضّل عليهم بتضعيف الحسنات.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ:

في مجمع البيان: روي أنّ كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا: إن كنت صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى[2].

وقيل: كتاباً محرّراً بخط سماويّ على ألواح كما كانت التوراة، أو كتاباً نعاينه حين ينزل، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله[3].

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ: جواب شرط مقدّر، أي إن استكبرت ما

---

(١) قوله: (على تلوين الخطاب) أي على الالتفات من التكلّم إلى الغيبة (من حاشية الكازروني على البيضاوي).

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٣٣ في شأن نزول آية ١٥٣ من سورة النساء.

(٣) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٣ في تفسيره لآية ١٥٣ من سورة النساء وفي مجمع البيان أيضاً.

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

سألوه منك، فقد سألوا موسى أكبر منه.

وهذا السؤال وإن كان من آبائهم، أسند إليهم، لأنّهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم.

والمعنى: إنّ عرفهم راسخ في ذلك وإنّ ما اقترحوه عليك، ليس بأوّل جهالاتهم وخيالاتهم.

فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً: عياناً، أي أرنا نره جهرة، أو مجاهرين ومعاينين.

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ: نار جاءت من السماء فأهلكتهم.

بِظُلْمِهِمْ: بسبب ظلمهم وتعنّتهم وسؤالهم بما يستحيل على الله تعالى.

ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ: هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضاً أوائلهم. و «البينات» المعجزة، ولا يجوز حملها على التوراة، إذ لم يأتهم بعد.

فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ: لسعة رحمتنا.

وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا: حجّة بيّنة تبيّن صدقه.

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ: الجبل.

بِمِيثَٰقِهِمْ: ليقبلوه.

وَقُلْنَا لَهُمُ: على لسان موسى، والجبل مطلّ عليهم.

ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ: أي باب حطّة.

سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ: قيل: على لسان داود. ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلّل الجبل عليهم، فإنّه شرع السبت، ولكن كان

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود[١].

وقرأ ورش عن نافع «لا تعدّوا» على أنّ أصله لا تعتدوا، فأُدغمت التاء في الدال.

وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال، والنصّ عنه بالإسكان.

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا: على ذلك، وهو قولهم: سمعنا وأطعنا.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ: أي فخالفوا ونقضوا، ففعلنا مافعلنا بنقضهم.

و«ما» مزيدة للتأكيد، والباء متعلّقة بالفعل المحذوف، ويجوز أن يتعلّق بـ«حرمنا عليهم» المذكور الآتي، فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله: «فبظلم» لابما دلّ عليه قوله: «بل طبع الله عليها» مثل «لايؤمنون» لأنّه ردّ لقولهم: «قلوبنا غلف» فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور، فلايتعلّق به جاره.

وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ: بالقرآن، أو بما في كتابهم.

وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ:

في تفسير علي بن إبراهيم: قال: هؤلاء لم يقتلوا الأنبياء وإنّما قتلهم اجدادهم فرضي هؤلاء بذلك، فألزمهم الله القتل بفعل أجدادهم، وكذلك من رضي بفعل

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٤ في تفسيره لآية ١٥٤ من سورة النساء.

فقد لزمه وإن لم يفعله[١].

وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ: أوعية للعلوم، أو في أكنّة، وقد مرّ تفسيره.

بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ: فجعلها محجوبة عن العلم بخذلانها، ومنعها التوفيق للتدبّر في الآيات والتذكير بالمواعظ.

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام)، إلى أن قال: وسألته عن قول الله (عزّوجلّ): «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم قال (عزّوجلّ): «بل طبع الله» إلى قوله: «بهتاناً عظيماً»[٢].

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا: منهم كعبدالله بن سلام، أو إيماناً قليلاً ولاعبرة به لنقصانه.

وَبِكُفْرِهِمْ: بعيسى، وهو معطوف على «بكفرهم» لأنّه من أسباب الطبع، أو على قوله: «فبما نقضهم».

ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ماقبله، ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرير كفرهم، فإنّهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمّد (صلّى الله عليه وآله).

وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا: يعني نسبتها إلى الزنا.

في أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى الصادق (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه لعلقمة: ياعلقمة إنّ رضا الناس لايملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران (عليها السلام) إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف[٣].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٧ س ١٥ في تفسيره لآية ١٥٥ من سورة النساء.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٢٣ باب ١١ ماجاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد ح ١٦.

(٣) الأمالي: ص ٩١، المجلس الثاني والعشرون ح ٣ س ٢٣.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ: يعني رسول الله بزعمه. ويحتمل أنهم قالوه استهزاءً، ونظيره «إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون»[1] وأن يكون استئنافاً من الله بمدحه، أو وصفاً للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح.

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ: قد مضى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران عند قوله تعالى: «إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي»[2].

قيل: إنّما ذمّهم الله بما دلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيّه المؤيّد بالمعجزات القاهرة وتبجّحهم[3] به، لالقولهم هذا على حسب حسابهم[4].

والظاهر أنّ ذمّهم لجرأتهم وقولهم كليهما.

و«شبه» مسند إلى الجار والمجرور، وكأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول، أو إلى الأمر، أو إلى ضمير المقتول، لدلالة «إنا قتلنا» على أنّ ثمة مقتولاً.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى سدير الصيرفي. عن أبي

---

(١) الشعراء: ٢٧. (٢) آل عمران: ٥٥.

(٣) بَجَحَ في حديث أم زرع (وبجحني فبجحتُ) أي فرحني ففرحت (النهاية لأبن الأثير: ج ١ ص ٩٦ لغة بجح).

(٤) أي لم يذمّهم الله تعالى لمجرد قولهم المذكور، إذ هو مطابق ظنّهم، أو ليس قصدهم الكذب حتى يذمّوا، بل ذمّهم باعتبار مايستفاد من كلامهم من التبجّح والسرور بقتله (من حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي).

عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه: وأمّا غيبة عيسى (عليه السلام)، فإنّ اليهود والنصارى اتفقت على أنّه قتل، فكذّبهم الله (جلّ ذكره) بقوله: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم»[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ عيسى (عليه السلام) وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثناعشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة ومطهّري من اليهود، فأيّكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شاب منهم: أنا ياروح الله، فقال: فأنت هوذا، فقال لهم عيسى: أما أنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال رجل منهم: أنا هو يانبيّ الله، فقال عيسى: أتحس بذلك في نفسك فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى أما أنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله، في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم قال: رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذي القي عليه شبح عيسى، فقتل وصلب، وكفر الذي قال له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتى عشرة كفرة[٢].

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾: في شأن عيسى.

قال البيضاوي: إنّه لما وقعت تلك الواقعة، اختلف الناس، فقال بعض اليهود: إنّه كان كاذباً، فقتلناه حقاً، وتردّد آخرون فقال بعضهم: إن كان هذا

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣٥٤ الباب الثاث والثلاثون (ماأخبر به الصادق (عليه السلام) من وقوع الغيبة) ح ٥٠ س ١٧.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٣ في تفسيره لآية ٥٥ من سورة آل عمران.

بَلْ رَفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

عيسى، فأين صاحبنا؟ فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه إنّ الله يرفعني إلى السماء: إنّه رفعه إلى السماء، فقال قوم: صلب الناسوت وصعد اللاهوت[1].

لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ: لفي تردّد. والشكّ كما يطلق على مالايترجّح أحد طرفيه، يطلق على مطلق التردّد وعلى مايقابل العلم، ولذلك أكّده بقوله:

مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ: استثناء منقطع،أي ولكنهم يتبعون الظنّ. ويجوز أن يفسر الشكّ بالجهل، والعلم بالاعتقاد الذي يسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره، فيتّصل الاستثناء.

وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا: أي وما قتلوه قتلاً يقيناً، أو ماقتلوه متيقّنين كما ادعوا ذلك في قولهم: «إنا قتلنا المسيح»، أو يجعل «يقينا» تأكيداً لقوله: «وما قتلوه» كقولك: وما قتلوه حقّاً، أي حقّ انتفاء قتله حقّاً، وقيل: هو من قولهم: قتلت الشيء علماً، إذا بالغ فيه علمك. وفيه تهكّم، لأنّه إذا نفي عنهم العلم نفياً كلّياً بحرف الاستغراق ثم قيل: وما علموه علم يقين وإحاطة، لم يكن إلّا تهكّماً بهم.

بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ: ردّ وإنكار لقتله، وإثبات لرفعه.

وفي من لايحضره الفقيه: عن زيد بن علي، عن أبيه سيد العابدين (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): وإنّ لله (تبارك وتعالى) بقاعا في سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول:

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٥ في تفسيره لآية ١٥٧ من سورة النساء.

«تعرج الملائكة والروح إليه»[١] ويقول (عزّوجلّ) في قصة عيسى بن مريم: «بل رفعه الله إليه»[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: رفع وعليه مدرعة من صوف[٣].

وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) قال: رفع عيسى بن مريم (عليهما السلام) بمدرعة صوف من غزل مريم، ومن نسج مريم، وخياطة مريم، فلمّا انتهى إلى السماء نودي ياعيسى ألق عنك زينة الدنيا[٤].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عمّن حدثه، عن إسماعيل بن أبي رافع، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ جبرئيل (عليه السلام) نزل عليّ بكتاب فيه خبر الملوك، ملوك الأرض قبلي وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل، وهو حديث طويل قال فيه (عليه السلام): إنّ عيسى بن مريم أتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغّبهم فيما عندالله ثلاث وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنّما شبّه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه، ولاعلى قتله وصلبه، لأنّهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله تعالى: «بل رفعه الله إليه» بعد أن توفاه (عليه السلام)[٥].

وبإسناده إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل يذكر فيه القائم (عليه السلام). وفيه: فإذا نشر راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) انحطّ عليه ثلاثة عشر ألف ملك، وثلاثة عشر ملكاً كلّهم ينتظر القائم (عليه السلام) وهم الذين كانوا مع نوح (عليه السلام) في السفينة والذين كانوا مع

---

(١) المعارج: ٤.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٩٢٧ باب ٢٩ فرض الصلاة قطعة من ح ٤.

(٣) لم اعثر عليه في تفسير القمي ولكن رواه في الصافي: ج١ ص٤٧٩ في تفسيره لآية ١٥٨ من سورة النساء.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٥ ح ٥٣.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢٥ الباب الثاني والعشرون (أنّ الأرض لاتخلو من حجّة لله) ح٢٠ س٦.

إبراهيم الخليل (عليه السلام) حين أُلقي في النار وكانوا -قيل- مع عيسى (عليه السلام) حيث رفع[١].

وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لمّا قبض أميرالمؤمنين (عليه السلام) قام الحسن بن علي في مسجد الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم قال: أيّها الناس، إنّه قد قبض في هذا الليل رجل ماسبقه الأوّلون ولايدركه الآخرون، والله لقد قبض في الليلة التي قبض فيها وصيّ موسى، يوشع بن نون، والليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم، والليلة التي ينزل فيها القرآن، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني الحسين بن عبدالله السكيني، عن أبي سعيد البجلي، عن عبدالملك بن هارون، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، عن الحسن بن علي (عليهما السلام)، وذكر حديثاً طويلاً، وفيه: قال (عليه السلام): وقد ذكر عيسى بن مريم (عليهما السلام)، وكان عمره ثلاث وثلاثون سنة ثم رفعه الله إلى السماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجّال[٣].

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا: لايغلب على مايريده.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٧١ الباب الثامن والخمسون (نوادر الكتاب) ح٢٢ وصدر الحديث (قال أبو عبدالله (عليه السلام): كأني انظر إلى القائم (عليه السلام) على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق بين عينيه شمراخ، ثم ينتقض فرسه فلا يبق أهل بلدة الآ وهم يظنّون أنّه معهم في بلادهم، فإذا نشر راية...) وتمام الحديث (واربعة آلاف مسوّمين ومردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً يوم بدر واربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي (عليه السلام)، فلم يؤذن لهم، فصعدوا في الاستئذان وهبطوا وقد قتل الحسين (عليه السلام) فهم شعث غبر يبكون عند قبر الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيامة، وما بين قبر الحسين (عليه السلام) إلى السماء، مختلف الملائكة).

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٥٧ كتاب الحجة، باب مولد أميرالمؤمنين (عليه السلام)، قطعة من ح ٨.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٢٧٠ س ٢١ في تفسيره لآية٧ من سورة الشورى.

حَكِيمًا: فيما دبّر لعباده.

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ: قيل: أي وإن من أهل الكتاب أحد إلّا ليؤمنن به، فقوله: «ليؤمنن به» جملة قسميّة وقعت صفة لأحد، ويعود الضمير الثاني إليه، والأوّل إلى عيسى، فالمعنى: مامن اليهود والنصارى أحد إلّا ليؤمنن بأنّ عيسى عبدالله ورسوله قبل أن يموت ولو حين يزهقه روحه ولاينفعه إيمانه.

ويؤيّد ذلك أن قرئ «إلّا ليؤمنن به قبل موتهم» بضمّ النون، لأنّ أحد في معنى الجمع، وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطرّوا إليه ولم ينفعهم إيمانهم.

وقيل: الضميران لعيسى، والمعنى إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: ياشهر، آية في كتاب الله قد أعيتني؟! فقلت: أيها الأمير أيّة آية هي؟ فقال قوله: «وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته» والله إنّي لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير، ليس على ماتأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلايبقى أهل ملّة يهوديّ ولاغيره إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهدي، قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئت به؟! فقلت: حدّثني به محمد بن علي بن

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٥ في تفسيره لآية ١٥٩ من سورة النساء، ثم قال: (وروي أنّه (عليه الصلاة والسلام) ينزل من السماء حين يخرج الدجّال فيهلكه ولايبقى أحد من أهل الكتاب إلّا ليؤمن به حتى يكون الملّة واحدة، وهي ملّة الإسلام، وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيّات، ويلبث في الأرض اربعين سنة ثمّ يتوفى ويصلّي عليه المسلمون ويدفنونه).

الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، فقال: جئت بها من عين صافية[١].

وروي فيه أيضاً: أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذا رجع آمن به الناس كلّهم[٢].

وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسيرها: ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلّا رأى رسول الله وأميرالمؤمنين (عليهما السلام) حقّاً من الأوّلين والآخرين[٣].

وفي مجمع البيان: في أحد معانيها: ليؤمننّ بمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبل موت الكتابي عن عكرمة، ورواه أصحابنا أيضاً، قال: وفي هذه الآية دلالة على أنّ كلّ كافر يؤمن عند المعاينة، وعلى أنّ إيمانه ذلك غير مقبول كما لايقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف[٤].

ويقرب من هذا ما رواه الإماميّة: أنّ المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخلفاءه عند الوفاة[٥].

ويروون في ذلك عن علي (عليه السلام) أنّه قال للحارث الهمداني:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه و أعرفه ... بعينه و اسمه وما فعلا[٦]

وفي الجوامع عنهما (عليهما السلام): حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى محمّداً وعلياً[٧].

وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هذه نزلت فينا خاصّة، إنّه ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولايخرج من

(١و٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٨ في تفسيره لآية ١٥٩ من سورة النساء.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣٠٣.

(٤ و٥ و٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٣٨ س ١ - ١ في تفسيره لآية ١٥٩ من سورة النساء، وفي البحار: ج٨٢ ص١٧٤ كتاب الطهارة، باب النوادرح٨ وفي: ج٨١ باب آداب الاحتضار واحكامه فلاحظ، وفي امالي المفيد: ص٦ و٧ المجلس الأوّل.

(٧) جوامع الجامع: ص١٠١، سورة النساء س ٢٧.

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

الدنيا حتى يقرّ للإمام وبإمامته، كما أقرّ ولد يعقوب ليوسف حين قالوا: «تالله لقد آثرك الله علينا»[١][٢].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدّثني عبيد بن كثير معنعناً، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ياعلي إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم قال الله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» ياعلي إنّه لايموت رجل يفتري على عيسى بن مريم (عليه السلام) حتى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحق حيث لاينفعه ذلك شيئاً وإنّك ياعلي مثله لايموت عدوّك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتى يقرّ بالحقّ من أمرك ويقول فيه الحق ويقرّ بولايتك حتى لاينفعه ذلك شيئاً وأمّا وليّك فإنّه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشراً وقرّة عين[٣].

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا: على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنّهم دعوه ابن الله ويكون الرسول والإمام شهيداً على أعمال كلّ واعتقاداتهم.

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟: أي فبظلم عظيم منهم.

حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ: في الآية التي ذكرت في الأنعام «وعلى

---

(١) يوسف: ٩١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٣٠٠.

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم: ص٣٤ س ٣.

لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

الذين هادوا» الآية[1].

في تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: من زرع حنطة في أرض ولم يزكّ زرعه فخرج زرعه كثير الشعير، فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض، أو بظلم لمزارعيه واكرته، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم» يعني لحوم الإبل والبقر والغنم[2].

وفي الكافي والعياشي عن الصادق (عليه السلام) مثله[3][4].

وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا: أناساً كثيراً، أو صداً كثيراً.

وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ: كان الربا محرّماً عليهم كما هو محرّم علينا.

وفيه دلالية على دلالة النهي على التحريم.

وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ: بالرشوة وسائر الوجوه المحرّمة.

وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا: دون من تاب.

لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ: كعلمائهم المؤمنين.

---

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٨ س١١ في تفسيره لآية ١٦٠ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٠٦ كتاب المعيشة، باب النوادر قطعة من ح٩.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣٠٤.

۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾

وَٱلْمُؤْمِنُونَ: أي منهم، وهو من آمن به غير العلماء، أو من المهاجرين والأنصار.

يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ: خبر المبتدأ.

وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ: نصب على المدح إن جعل «يؤمنون» الخبر، لـ«اولئك» والواو اعتراض، أو عطف على «ما انزل». والمراد بهم الأنبياء، وإن جعل الخبر «اولئك» فيكون «يؤمنون» حالاً، ويحتمل العطف عليه بإرادة التنكير.

وقرئ بالرفع عطفاً على «الراسخون» أو الضمير في «يؤمنون»، أو على أنّه مبتدأ والخبر «أولئك».

وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ: رفعه لأحد الوجوه المذكورة.

وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ: قدّم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع، لأنّه المقصود بالآية.

أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا: على جمعهم بين الإيمان والعمل الصالح.

وقرأ حمزة «سيؤتيهم» بالياء.

إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ: قيل: جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، و احتجاج عليهم

بأنّ أمره في الوحي كسائر الأنبياء[١].

في تفسير العياشي: عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام) قال: إنّي أوحيت إليك كما أوحيت إلى نوح والنبيّين من بعده، فجمع له كلّ وحي[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: بينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالساً وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء، الى أن قال: قال جبرئيل: إنّ هذا حاجب الربّ وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا تكلّم الربّ (تبارك وتعالى) بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم القاه إلينا نسعى به في السماوات والارض[٣].

وفي اصول الكافي: عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديثاً طويل، يقول فيه (عليه السلام): فلمّا استجاب الله لكلّ نبيّ من استجاب له في قومه من المؤمنين يجعل لكلّ منهم شرعة ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنّة وقال لمحمّد (صلّى الله عليه وآله): أنا أوحيت إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسبيل والسنّة وكلّ من السبيل والسنّة التي أمر الله (عزّوجلّ) بها موسى (عليه السلام) أن جعل عليهم السبت[٤].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾: قيل: خصّصهم بالذكر مع اشتمال النبيّين عليهم، تعظيماً لهم، فإنّ إبراهيم أوّل أولي العزم منهم، وعيسى آخرهم، والباقين أشرف الأنبياء ومشاهيرهم[٥].

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٦ في تفسيره لآية ١٦٣ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٣٠٥.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٢٨ في تفسيره آية ٩٥ من سورة الاسراء.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٩ باب كتاب الكفر والايمان قطعة من ح ١.

(٥) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٦ في تفسيره لآية ١٦٣ من سورة النساء.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وكان ما بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله (عزّوجلّ): «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك»[(١)] يعني لم نسمّ المستخفين كما نسمّي المستعلنين من الأنبياء[(٢)].

وفي روضة الكافي: عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله[(٣)].

وَءَاتَيْنَا دَاوُ،دَ زَبُورًا: وقرأ حمزة بضمّ الزاي، وهو جمع زبر بمعنى مزبور.

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن سعد الإسكاف، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أُعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصّل ثمان وستون سورة[(٤)(٥)].

---

(١) سيأتي عن قريب.

(٢) كمال الدين: ص ٢١٥ باب ٢٢ اتصال الوصيّة من لدن آدم (عليه السلام) وأنّ الأرض لاتخلو من حجّة لله (عزّوجلّ) على خلقه إلى يوم القيامة قطعة من ح٢ س ١٢.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ١١٥ (حديث آدم مع الشجرة) ح ٩٢ س ٨.

(٤) السبع الطوال، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة، لأنّها تدعى القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، وإنّما سمّيت هذه السور الطوال، لأنّها أطول سور القرآن. وأمّا المثاني فهي السورة التالية للسبع الطوال، فأوّلها سورة يونس، وآخرها سورة النحل، وإنّما سمّيت مثاني، لأنّها ثنيت الطوال أي تلتها، فكان الطوال المبادئ والمثاني لها ثواني وأمّا المإوون فهي كلّ سورة تكون نحواً من مائة آية، أو فويق ذلك أو دوينه، وهي سبع أوّلها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون، وقيل: أنّ المائين ماولّى السبع الطوال ثمّ المثاني بعدها، وهي التي يقصر عن المائين ويزيد على المفصّل، وسمّيت مثاني، لأنّ المائين مبادئها، أمّا المفصّل فما بعد الحواميم إلى آخر القرآن، طوالها من سورة محمّد إلى النبأ، ومتوسطاته منه إلى الضحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن، وسمّيت مفصّلاً لكثرة الفصول بين سورها بـ«بسم الله الرحمن الرحيم». انتهى (مرآة العقول: ج١٢ ص٤٨١ نقلاً عن مجمع البيان).

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٠١ كتاب فضل القرآن، ح ١٠ وليس في الحديث جملة (عن أبي عبدالله (عليه ←

وفيه: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): وأنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان[١]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وَرُسُلًا: نصب بمضمر دلّ عليه «أوحينا» إليه كأرسلنا أو فسّره.

قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا. قيل: وهو منتهى مراتب الوحي خصّ به موسى من بينهم، وقد فضّل الله محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأن أعطاه ما أعطى كلّ واحد منهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حديث في قصة الإسراء، وفيه يقول (صلّى الله عليه وآله): ثم ركبت فمضينا ماشاءالله، ثم قال لي: انزل فصلّ، فنزلت وصلّيت، فقال لي: أتدري أين صلّيت؟ فقلت: لا، فقال: صلّيت بطور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليماً[٢].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل في مكالمة بينه وبين اليهود، وفيه، قالت اليهود: موسى خير منك، قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ولِمَ؟ قالوا: لأنّ الله (عزّوجلّ) كلّمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلّمك بشيء، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك، قالوا: وما ذاك؟ قال: قوله (عزّوجلّ): «سبحان الذي أسرى»[٣] الحديث[٤].

وروى عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرة المحدّث صاحب شبرمة أن

السلام) وتمام الحديث: (وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٩ كتاب فضل القرآن، باب النوادر، قطعة من ح ٦.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ١ سورة بني إسرائيل س ١٦.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨ احتجاجه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك س١٩.

أدخله الى أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، فاستأذنت فأذن لي، فدخل، فقال له: أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى (عليه السلام)؟ فقال: الله أعلم ورسوله بأيّ لسان كلّمه بالسريانية أم بالعبرانية؟ فأخذ أبو قرة بلسانه، فقال: إنّما أسألك عن هذا اللسان، فقال أبو الحسن (عليه السلام): سبحان الله ممّا تقول! ومعاذالله أن يشبه خلقه، أو يتكلّم بمثل ماهم يتكلّمون، ولكنه (تبارك وتعالى) ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائل فاعل، قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق للمخلوق، ليس ككلام المخلوق للمخلوق، ولايلفظ بشقّ فم ولسان، ولكن يقول له: «كن فيكون»، فكان بمشيئته ماخاطب به موسى من الأمر والنهي عن غير تردّد في نفس[1].

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان ابن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: لم يزل الله متكلّماً؟ قال: فقال: إنّ الكلام صفة محدثة، ليس بأزليّة، كان الله (عزّوجلّ) ولامتكلّم[2].

وفي كتاب الخصال: بإسناده إلى الضحّاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنّ الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيّام ولياليهن ماطعم فيها موسى ولاشرب فيها، فلمّا انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم، مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله (عزّوجلّ)[3].

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى محمد بن الجهم، عن أبي الحسن (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): حاكياً عن موسى (عليه السلام) في قومه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى

---

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٠٥ (احتجاج الامام الرضا (عليه السلام) على أبي قرة المحدث) س١.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٠٧ كتاب التوحيد، باب صفات الذات، قطعة من ح١.

(٣) الخصال: ص ٦٤١ (مابعد الألف) ناجى الله تعالى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين الف كلمة، ح٢٠.

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾

(عليه السلام) إلى الطور، وسأل الله (تبارك وتعالى) أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله (تعالى ذكره) وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله تعالى أحدثه في الشجرة، ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه[1].

وعن أميرالمؤمنين (عليه السلام): كلّم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفة، ولالهوات[2] سبحانه وتعالى عن الصفات[3].

وعنه (عليه السلام) في حديث وقد سأله رجل عمّا اشتبه عليه من الآيات: وكلام الله تعالى ليس بنحو واحد، منه ماكلّم الله به الرسل، ومنه ماقذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله، فإنّ كلام الله ليس بنحو واحد، فإنّ منه ماتبلغ رسل السماء رسل الأرض[4].

رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ: نصب على المدح، أو بإضمار «أرسلنا» أو على الحال ويكون «رسلاً» موطّئاً لما بعده، كقولك: مررت بزيد رجلاً صالحاً.

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ: فيقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فينبّهنا ويعلّمنا ما لم نعلم، واللام متعلّقة بـ «أرسلنا» وبقوله: «مبشرين

---

(١) التوحيد: ص ١٢١ باب ماجاء في الرؤية، ح ٢٤ س ١٣ والحديث عن علي بن محمد بن الجهم.

(٢) في الحديث: يحرّك الرجل لسانه في لهواته، هي بالتحريك جمع لهاة كحصاة، وهي سقف الفم، وقيل: هي اللحمة الحمراء المتعلقة في اصل الحنك (مجمع البحرين: ج١ ص٣٨٥ لغة لها).

(٣) التوحيد: ص ٧٩ باب التوحيد ونفي التشبيه قطعة من ح٣٤.

(٤) التوحيد: ص ٢٦٤ باب الردّ على الثنوية والزنادقة س١٥.

ومنذرين». و«حجة» اسم كان وخبره «للناس»، أو «على الله» والآخر حال[١]، ولا يجوز تعلّقه بـ«حجة» لأنّه مصدر و«بعد» ظرف لها، أو صفة[٢].

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه[٣] ليستأدوهم ميثاق فطرته[٤] ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول[٥] ويروهم آيات المقدرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم[٦] وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة[٧] رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكرمين من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله[٨] على ذلك نسلت

---

(١) أي ما لا يكون خبراً من قوله: (على الله، او للناس) يكون حالاً، فإن كان الخبر هو (على الله) يكون (للناس) حالاً وان كان الخبر للناس يكون على الله حالاً، ولا يجوز أن يتعلّق (على الله) بـ(حجة) وإن كان المعنى عليه، لأنّ معمول المصدر لا يتقدّم عليه (حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية ١٦٥ من سورة النساء.

(٢) أي إن لم يكن (بعد) ظرفاً لها، أو صفة حائل تعلّقه بها منه (كذا في هامش النسخة).

(٣) ارسلهم، وبين كل نبي ومن بعده فترة، لا بمعنى ارسلهم تباعاً بعضهم يعقب بعضاً.

(٤) كان الله تعالى بما أودع في الانسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلّة الهدى، وقد أخذ عليهم ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه، لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبيّين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، اي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم، وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم.

(٥) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للانسان اسرار الكائنات، وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجودات، وقد تحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيّون لاثارة تلك المعارف الكامنة، وابراز تلك الاسرار الباطنة.

(٦) السقف المرفوع: السماء، والمهاد الموضوع، الأرض والأوصاب: المتاعب.

(٧) المحجّة: الطريق القويمة الواضحة.

(٨) من سابق: بيان للرسل، وكثير من الأنبياء السابقين، سمّيت لهم الأنبياء الذين بعدهم، فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة وفي القرآن الكريم أنّ عيسى (عليه السلام) بشّر بخاتم الرسل (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والغابر: الذي يأتي بعد أن يبشّر به السابق جاء معروفاً بتعريف من قبله.

﴿ لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾

القرون [١] و مضت الدهور، و نسلت الاباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) [٢].

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا: لايغلب فيما يريده.

حَكِيمًا: فيما دبّر من أمر النبوّة، وخصّ كلّ نبيّ بنوعٍ من الوحي والإعجاز.

لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ: استدراك عن مفهوم ماقبله، فكأنّه لمّا تعنّتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء، واحتجّ عليهم «إنا أوحينا إليك» قال: إنّهم لايشهدون ولكن الله يشهد، أو إنّهم أنكروه ولكن الله يبيّنه ويقرّره بما أنزل إليك من القرآن المعجز الدالّ على نبوّتك.

نقل: أنه لمّا نزل «إنا أوحينا إليك» قالوا: مانشهد لك، فنزلت.

أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ: متلبّساً بعلمه الخاصّ به، وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كلّ بليغ بحال، أومن استعدّ للنبوّة واستأهل نزول الكتاب عليه، أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم.

والجار والمجرور على الأوّلين حال عن الفاعل، وعلى الثالث حال عن المفعول،

---

(١) نسلت، بالبناء للمجهول، ولدت، وبالبناء للفاعل، مضت متتابعة.

(٢) نهج البلاغة ط بيروت: ص ٤٣ ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم.

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧٠

والجملة كالتفسير لما قبلها.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ: أيضاً بنبوّتك.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا: وإن لم يشهد غيره، أو كفى بما أقام من الحجج على صحّة نبوّتك عن إشهاد بغيره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّما أُنزلت «لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في عليّ) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً»(١).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا: لأنّهم جمعوا بين الضلال والإضلال، ولأنّ المضلّ يكون اعرق في الظلال وأبعد من الانقلاع عنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟: جمعوا بينهما، والظلم أعمّ من الظلم عليه وعلى غيره إذا اجتمع مع الكفر.

لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا: حال مقدّرة.

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا: لايصعب عليه.

في تفسير علي بن إبراهيم: وقرأ أبو عبدالله (عليه السلام) «إن الذين كفروا

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ٣ في تفسيره لآية ١٦٦ من سورة النساء.

وظلموا» (آل محمّد حقّهم) الآية[١].

وفي اصول الكافي: أحمد بن مهران، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: نزل جبرئيل (عليه السلام) بهذه الآية هكذا «إن الذين كفروا ـ وظلموا آل محمّد حقّهم ـ لم يكن الله» الآية[٢].

وفي تفسير العياشي مثله[٣].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ: قيل: لما قرّر أمر النبوّة وبيّن الطريق الموصل إلى العلم بها، وأوعد من أنكرها، خاطب الناس عامّة بالدعوة وإلزام الحجّة والوعد بالإجابة، والوعيد على الردّ[٤].

فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ: أي إيماناً خيراً لكم، أو ائتوا أمراً خيراً لكم ممّا أنتم عليه.

وقيل: تقديره: يكن الإيمان خيراً لكم، ومنعه البصريّون، لأنّ (كان) لا يحذف مع اسمه إلّا فيما لابد منه، ولأنّه يؤدّي إلى حذف الشرط وجوابه[٥].

وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: فهو غنيّ عنكم لا يتضرّر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم، ونبّه على غناه بقوله «ولله ما في السماوات والأرض» وهو ما اشتملتا عليه وماتركّبتا منه.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا: بأحوالهم.

حَكِيمًا: فيما دبّر لهم.

وفي اصول الكافي في تتمّة الخبر الاول[٦].

وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام) «قد جاء كم الرسول بالحق ـ في ولاية عليّ ـ فآمنوا خيراً لكم وأن تكفروا» ـ بولاية علي ـ الآية[٧].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ٦ في تفسيره لآية ١٦٩ من سورة النساء.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢٤ كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح٥٩ وفيه (إنّ الذين ظلموا ـ آل محمّد حقّهم ـ لم يكن الله الآية).

(٣و٧) تفسير العياشي: ج١ ص ٢٨٥ قطعة من ح ٣٠٧.

(٤ و٥) قال البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٧ في تفسيره لآية ١٧٠ من سورة النساء.

(٦) الكافي: ج ١ ص ٤٢٤ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ذيل ح ٥٩.

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ: قيل: الخطاب للفريقين، غلت اليهود في حطّ عيسى حتى رموه بأنّه ولد لغير رشده، والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلهاً. وقيل: للنصارى خاصّة، وهو أوفق بقوله[1].

وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ: يعني تنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد.

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ: أوصلها إليها وحصّلها فيها.

في مجمع البيان: وعيسى (عليه السلام) ممسوح البدن من الأدناس والآثام كما روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[2].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: ثم قال: وصوّر ابن مريم في الرحم دون الصلب وإن

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٧ في تفسيره لآية ١٧١ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٤ في بيان لغة (المسيح) في آية ١٧١ من سورة النساء.

كان مخلوقاً في أصلاب الأنبياء (عليهم السلام)[١].

وَرُوحٌ مِّنْهُ: ذو روح صدر عنه لا بتوسّط ما يجري مجرى الأصل والمادّة.

وقيل: سمّي روحاً، لأنّه كان يحيي الأموات والقلوب[٢].

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة، عن حمران قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله: «وروح منه» قال: هي روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى[٣].

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى أبي جعفر الأصمّ قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن الروح التي في آدم والتي في عيسى ما هما؟ قال: روحان مخلوقان، اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى (عليهما السلام)[٤].

فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ: أي الآلهة ثلاثة، الله والمسيح وأُمّه، ويشهد له قوله: «أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمّي إلهين من دون الله»[٥].

أو «الله» ثلاثة، إن صحّ أنّهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم[٦]، الأب والابن وروح القدس: ويريدون بالأب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة.

ٱنتَهُوا: عن التثليث.

خَيْرًا لَّكُمْ: اقصدوا خيراً لكم، وهو التوحيد.

إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ: أي واحد بالذات لا تعدّد فيه بوجه ما.

سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ: سبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولد، كيف والولد لابدّ أن يكون مماثلاً للوالد، تعالى الله عن أن يكون له مماثل ومعادل.

لَّهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ: ملكاً و خلقاً، لايماثله شيء من ذلك

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير القمي ونقلناه عن تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٥٧٧ ح ٦٨٧.

(٢) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٨ في تفسيره لآية ١٧١ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٣٣ كتاب التوحيد، باب الروح ح ٢.

(٤) كتاب التوحيد: ص ١٧٢ باب ٢٧ معنى قوله (عزّوجلّ): ونفخت فيه من روحي، ح ٤.

(٥) المائدة: ١١٦.

(٦) الأقانيم: الاصول واحدها اقنوم، قال الجوهري: واحسبها رومية (لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٩٦).

فيتّخذه ولداً.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا: تنبيه على غناه عن الولد، فإنّ الحاجة إلى الولد ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمّن يخلفه أو يعينه.

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ: لن يأنف، من نكفت الدمع، إذا نحّيته باصبعك كيلا يرى أثره على وجهك.

أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ: من أن يكون عبداً له، فإنّ عبوديّته شرف يتباهى به، وإنّما المذلّة والاستنكاف في عبوديّة غيره.

في مجمع البيان: روي أنّ وفد نجران قالوا لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يامحمّد لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأيّ شيء أقول فيه؟ قالوا: تقول: إنّه عبدالله ورسوله فنزلت الآية[1].

وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ: عطف على المسيح، أي ولن يستنكف الملائكة المقرّبون أن يكونوا عبيداً لله.

في كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى سلمان الفارسيّ قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): ياعلي تختّم باليمين تكن من المقرّبين، قال: يارسول الله وما المقرّبون؟ قال: جبرائيل وميكائيل[2]. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حاكياً عن جبرئيل (عليه السلام): أنّ بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل، وبيننا وبينه أربعة حجب، حجاب من نور، وحجاب

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٦ في شأن نزول آية ١٧٢ من سورة النساء.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٢ باب ١٢٧ علّة تختّم أمير المؤمنين (عليه السلام) في يمينه، ح٣ وتمام الحديث (قال: بما أتختّم يارسول الله؟ قال: بالعقيق الأحمر، فإنّه أقرّ لله (عزّوجلّ) بالوحدانية ولي بالنبوّة ولك ياعلي بالوصيّة ولولدك بالإمامة ولمحبّيك بالجنة ولشيعة ولدك بالفردوس).

من ظلمة، وحجاب من الغمام، وحجاب من الماء[١].

واحتجّ بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء، وقال: مساقة لردّ النصارى في رفع المسيح عن مقام العبوديّة، وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه.

وجوابه أنّ الآية للردّ على عبدة المسيح والملائكة، فلايتّجه ذلك، وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعلّه أراد بالعطف المبالغة باعتبار آخر دون التكبير[٢]، كقولك: أصبح الأمير لايخالفه رئيس ولامرؤوس[٣].

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ابن عباس، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): لمّا عرج بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام ميكائيل، ثم قيل: ادن يامحمد فقلت: أتقدّم وأنت بحضرتي ياجبرئيل؟ قال: نعم، إنّ الله (عزّوجلّ) فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلك أنت خاصّة، فدنوت وصلّيت بأهل السماء الرابعة[٤].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل، وفيه قالوا: يارسول الله أخبرنا عن علي هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): وهل شرّفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمّد وعلي وقبولها لولايتها، أنّه لاأحد من محبّي علي (عليه السلام) قد نظف

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ١٠ س ٢ في تفسيره لآية ١ من سورة بني إسرائيل.

(٢) قوله: (باعتبار التكثير دون التكبير) الأول بالثاء المثلّثة، والثاني بالباء الموحّدة، يعني أنّ المبالغة تحصل في المعطوف باعتبار الكثرة دون الكبر والعظمة، يعني: لن يستنكف المسيح وهو شخص واحد ولاالأشخاص الكثيرة التي هم الملائكة المقرّبون (من حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي).

(٣) الاحتجاج والجواب من البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٨ في تفسيره لآية ١٧٢ من سورة النساء.

(٤) علل الشرائع: ج ١ ص ٦، باب ٧ العلّة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج (صلوات الله عليهم) أفضل من الملائكة س٨ والحديث منقول عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)، ولفظه: (وأنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ثم قال إلخ).

قلبه من قذر (الغش والدغل ونجاسات الذنوب)[١] إلّا كان أطهر وأفضل من الملائكة[٢].

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لمّا أسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي (جلّ جلاله)، فقال: يا محمّد إنّي اطّلعت على الأرض اطّلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبيّاً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثم اطّلعت الثانية فاخترت منها عليّاً وجعلته وصيّك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذرّيّتك، وشققت له اسماً من اسمائي، فأنا العلي الأعلى وهو عليّ، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوري ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين،[٣] والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم)، حديث طويل يذكر فيه فاطمة (عليها السلام)، وفيه: فإنّها تقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقرّبين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم[٤].

وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ: يترفّع عنها، والاستكبار دون الاستنكاف، وإنّما يستعمل حيث لااستحقاق، بخلاف التكبّر فإنّه قد يكون باستحقاق، كما هو في الله سبحانه.

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا: المستنكف والمستكبر والمقرّ بالعبوديّة، فيجازيهم على حسب أحوالهم.

---

(١) في النسخة ـ أ ـ: النشر والذّعل والفعل ونجاسته الدنيوية.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٦٢ ذكر ماجرى لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من الاحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على العقبة بالليل س٢.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٥٢، باب ٢٣ نص الله (تبارك وتعالى) على القائم (عليه السلام) وانه الثاني عشر من الأئمّة (عليهم السلام) قطعة من ح ٢.

(٤) أمالي الصدوق (رحمه الله): ص ٣٩٤، المجلس الثالث والسبعون قطعة من ح ١٨.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا
وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم
مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم
بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ١٧٤ فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ
وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ١٧٥

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا: تفصيل للمجازاة المدلول عليها من فحوى الكلام، وكأنّه قال: فسيحشرهم إليه جميعاً يوم يحشر العباد للمجازاة، أو لمجازاة المستنكف والمستكبر، فإنّ إثابة مقابليهم، والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغمّ والحسرة.

يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا: قيل: المراد بالبرهان المعجزات، وبالنور القرآن، أي جاءكم دلائل العقل، وشواهد النقل، ولم يبق لكم عذر ولا علة[1].

وقيل: البرهان رسول الله، والنور القرآن[2].

وفي مجمع البيان: عن أبي عبدالله (عليه السلام)، النور ولاية علي (عليه السلام)[3].

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٩ في تفسيره لآية ١٧٤ من سورة النساء.

(٢) الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٤٩ في تفسيره لآية ١٧٤ من سورة النساء نقلاً عن سفيان الثوري.

(٣) مجمع البيان: ج٣ ص١٤٧ في تفسيره لآية ١٧٤.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ: ثواب مستحق.

وَفَضْلٍ: وإحسان زائد عليه.

وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ: إلى الله، أو الموعود من الرحمة والفضل.

صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا: قد مرّ تحقيق معنى الصراط في سورة الفاتحة.

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن سليمان قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) قوله: «قد جاء كم برهان» الآية قال: البرهان محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والنور عليّ (عليه السلام) قال: قلت له «صراطاً مستقيماً» قال: الصراط المستقيم علي (عليه السلام)[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: النور إمامة أميرالمؤمنين، والاعتصام التمسّك بولايته، وولاية الأئمة بعده[2].

يَسْتَفْتُونَكَ: اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه.

نقل أنّ جابر بن عبدالله كان مريضاً، فعاوده رسول الله (صلّى الله عليه وآله

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٣٠٨.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ١٢ في تفسيره لآية ١٧٥ من سورة النساء.

وسلّم) فقال: يارسول الله إنّ لي كلالة، فكيف أصنع في مالي؟، فنزلت[١].

وروي في مجمع البيان مايقرب من ذلك[٢].

قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ: معنى تفسيرها في أوائل السورة.

في الكافي: عدّة من اصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن جميل بن درّاج، عن زرارة قال: إذا ترك الرجل اُمّه أو أباه أو ابنه أو ابنته فإذا ترك واحداً من الأربعة فليس بالذي عنى الله في كتابه: «قل الله يفتيكم في الكلاله»[٣].

عدّة من اصحابنا، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي ابن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي أيّوب وعبدالله بن بكير، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا ترك الرجل أباه أو اُمّه أو ابنه أو ابنته، إذا ترك واحداً من هؤلاء الاربعة فليس هم الذين عنى الله «قل الله يفتيكم في الكلالة»[٤].(وفي الكافي علي بن إبراهيم...)[٥].

إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ: ارتفع «امرؤ» بفعل يفسّره الظاهر، و«ليس له ولد» صفة له، أو حال من المستكن في «هلك» والواو في «وله» يحتمل الحال والعطف.

أي أُخت لأب واُمّ، أو أُخت لأب، كذا عن الصادق (عليه السلام)[٦].

فللأُخت نصف ماترك الميت بالفرض، والباقي يردّ عليها أيضاً.

وَهُوَ يَرِثُهَآ: أي المرء يرث أُخته جميع مالها، إن كانت الأُخت هي الميتة.

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٩ في تفسيره لآية ١٧٦ من سورة النساء.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٩ في سبب نزول آية ١٧٦ من سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ٦٧ ص ٨٣ كتاب المواريث ذيل ح١. (٤) الكافي: ج ٧ ص ٩٩ كتاب المواريث ح ١.

(٥) كذا في النسخة ـ أ ـ، والظاهر ـ والله أعلم ـ إمّا ان هذا الكلام زائد من سهو الناسخ، أو أن هناك حديث أورد بعض سنده وسهى عن إكماله.

(٦) الكافي: ج ٧ ص ١٠١ كتاب المواريث باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ضمن ح٣.

﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾: ولا والد، لأنّ الكلام في ميراث الكلالة، ولأنّ السنّة دلّت على أنّ الإخوة لا يرثون مع الأب كما تواتر عن أهل البيت (عليهم السلام)(١).

﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾: الضمير لمن يرث بالإخوة، وتثنيته محمولة على المعنى، وفائدة الأخبار باثنتين، التنبيه على أنّ الحكم باعتبار العدد، دون الصغر والكبر وغيرهما.

﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾: فيه تغليب، واصله: إن كانوا إخوة وأخوات، فغلب الذكر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن بكير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا مات الرجل وله أُخت، تأخذ نصف الميراث بالآية كما تأخذ البنت لو كانت، والنصف الآخر يردّ عليها بالرحم، إذا لم يكن للميت وارث أقرب منها، فإن كان موضع الأُخت أخ، أخذ الميراث كلّه بالآية، لقول الله «وهو يرثها إن لم يكن لها ولد» فإن كانتا أُختين أخذتا الثلثين بالآية، والثلث الباقي بالرحم «وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين» وذلك كلّه إذا لم يكن للميت ولد، أو أبوان أو زوجة(٢).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى، عن يونس، عن عمر بن أُذينة، عن بكير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر (عليه السلام) فسأله عن امرأة تركت زوجها وإخوتها لأُمها وأُختها لأبيها؟ فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم، وللإخوة من الأُم الثلث سهمان، وللأُخت من الأب السدس سهم، فقال له الرجل: فإنّ فرائض زيد وفرائض العامة والقضاة على غير ذلك يا أبا جعفر يقولون: للأُخت من الأب ثلاثة أسهم تصير من ستة، وتعول إلى ثمانية، فقال أبو جعفر (عليه السلام): فلم قالوا ذلك؟ قال: لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «وله أخت فلها نصف ماترك» فقال أبو جعفر: فإن كانت الأُخت أخاً؟ قال: فليس له إلّا السدس، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فما لكم نقصتم الأخ إن كنتم تحتجون

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٣٤ كتاب الفرائض والمواريث، الباب ١ من ابواب ميراث الأبوين والأولاد، فلاحظ. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س١٨ في تفسيره لآية ١٧٦ من سورة النساء.

للأُخت النصف بأنّ الله سمّى لها النصف، فإنّ الله قد سمّى للأخ الكلّ، والكلّ أكثر من النصف، لأنّه قال (عزّوجلّ): «فلها النصف» وقال للأخ «وهو يرثها» يعني جميع مالها «إن لم يكن لها ولد». فلا تعطون الذي جعل الله له الجميع في بعض فرائضكم شيئاً، وتعطون الذي جعل الله له النصف تاماً؟ فقال له الرجل: أصلحك الله فكيف تعطى الأُخت النصف ولايعطى الذكر لوكانت هي ذكراً شيئاً؟ فقال: تقولون في أم وزوج وإخوة لأُم وأُخت لأب، يعطون الزوج النصف، والأُم السدس، والإخوة من الأم الثلث، والأُخت من الأب النصف ثلاثة، فيجعلونها من تسعة، وهي من ستة فترتفع إلى تسعة قال: وكذلك تقولون: قال: فإن كانت الأُخت ذكراً أخاً لأب، قال: ليس له شيء، فقال الرجل لأبي جعفر (عليه السلام) فما تقول أنت جعلت فداك ؟ فقال: ليس للإخوة من الأب والأُم، ولاالإخوة من الأُم، ولاالإخوة من الأب مع (الأم)[1] شيء.

قال عمر بن أُذينة: وسمعته من محمد بن مسلم يرويه مثل ماذكر من بكير، المعنى سواء، لست أحفظه بحروفه وتفصيله إلّا معناه، قال: فذكرت ذلك لزرارة، فقال صدقا هو والله الحق[2].

محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن بكير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سأله رجل عن أُختين وزوج؟ فقال: النصف والنصف. فقال الرجل: أصلحك الله قد سمّى الله لهما أكثر من هذا، لهما الثلثان فقال: ماتقول في أخ وزوج؟ فقال: النصف والنصف، أليس الله قد سمّى المال فقال: «وهو يرثها إن لم يكن لها ولد»[3].

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن (عبدالله)[4] بن المغيرة، عن موسى بن بكر قال: قلت لزرارة: إنّ بكيراً حدّثني عن أبي جعفر (عليه السلام): إنّ الإخوة للأب والأخوات للأب والأم يزادون وينقصون، لأنّهنّ لايكنّ

---

(١) في النسخة ـ أ ـ: الأب (٢) الكافي: ج٧ ص١٠٢ كتاب المواريث باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ح٤.
(٣) الكافي: ج ٧ ص ١٠٣ كتاب المواريث، باب ميراث الاخوة والأخوات مع الولد ص ١٠٣ ح٦.
(٤) في النسخة ـ أ ـ: (عبيدالله).

أكثر نصيباً من الإخوة والأخوات للأب والأم لو كانوا مكانهن، لأنّ الله (عزّوجلّ) يقول: «إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد» يقول: يرثه جميع مالها إن لم يكن لها ولد، فأعطوا من سمّى الله له النصف كملاً، وعمدوا فأعطوا الذي سمّى الله له المال كلّه أقل من النصف، والمرأة لا تكون أبداً أكثر نصيباً من الرجل لو كان مكانها، قال: فقال زرارة: وهذا قائم عند أصحابنا لا يختلفون فيه[(١)].

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن عيسى، عن يونس جميعاً، عن عمر بن اذينة، عن بكير بن أعين، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، وذكر حديثاً طويلاً يقول (عليه السلام) في آخره: وفي آخر سورة النساء «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت» يعني أُختاً لأُم وأب أو أُختاً لأب «فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، وإن كانوا اخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين» فهم الذين يزادون (وينقصون)[(٢)(٣)].

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا: أي يبيّن لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطبائعكم لتحترزوا عنه وتتحرّوا خلافه، أو يبيّن لكم الحقّ والصواب كراهة أن تضلّوا.

وقال الكوفيّون: لئلّا تضلّوا، فحذف «لا»[(٤)].

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ: فهو عالم بمصالح العباد في المحيى والممات.

قيل: هي آخر آية نزلت في الأحكام[(٥)].

---

(١) الكافي: ج ٧ ص ١٠٤ كتاب المواريث، باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد ح ٧.

(٢) في النسخة ـ أ ـ: وينفقون.

(٣) الكافي: ج ٧ ص ١٠١ كتاب المواريث، باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد قطعة من ح ٣.

(٤) تقديره، كراهة أن تضلّوا، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهو مفعول له، وقيل: تقديره، لئلّا تضلّوا فحذف (اللام ولا) من الكلام، لأنّ فيما أبقى دليلاً على ما ألقى والوجه الأوّل أوجه الوجهين (البيان لأبن الأنباري: ص ٢٨١).

(٥) قال البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٩ في تفسيره لآية ١٧٦ من سورة النساء.

الفهرس

ايضاح ٣
سورة آل عمران ٩
الآية ٤ - ٦ ١١ - ١٥
الآية ٧ ١٦ - ٢٧
الآية ٨ - ١٨ ٢٨ - ٤٠
الآية ١٩ - ٢٧ ٤١ - ٥١
الآية ٢٨ - ٣٧ ٥٢ - ٧٥
الآية ٣٨ - ٤٩ ٧٦ - ٩٨
الآية ٥٠ - ٧٢ ٩٩ - ١٢٣
الآية ٧٣ - ٨١ ١٢٤ - ١٤٤
الآية ٨٢ - ٩٧ ١٤٥ - ١٧٦
الآية ٩٨ - ١١٢ ١٧٧ - ٢٠٣
الآية ١١٣ - ١٢١ ٢٠٤ - ٢١٤
الآية ١٢٢ - ١٣٢ ٢١٥ - ٢٢٤
الآية ١٣٣ - ١٤٤ ٢٢٥ - ٢٥٠
الآية ١٤٥ - ١٦٤ ٢٥١ - ٢٧٣
الآية ١٦٥ - ١٦٩ ٢٧٤ - ٢٨١
الآية ١٧٠ - ١٧٥ ٢٨٢ - ٢٩٠
الآية ١٧٦ - ١٨١ ٢٩١ - ٢٩٩
الآية ١٨٢ - ١٨٦ ٣٠٠ - ٣١٠
الآية ١٨٧ - ١٩٠ ٣١١ - ٣١٥
الآية ١٩١ - ١٩٦ ٣١٦ - ٣٢٦
الآية ١٩٧ - ٢٠٠ ٣٢٧ - ٣٣٤
سورة النساء ٣٣٧
الآية ١ ٣٣٨ - ٣٤٩
لآية ٢ - ٤
الآية ٥ - ٧ ٣٥٠ - ٣٥٨
الآية ٨ - ١١ ٣٥٩ - ٣٦٨
الآية ١٢ - ١٨ ٣٦٩ - ٣٨٤
الآية ١٩ - ٢٤ ٣٨٥ - ٤١٠
الآية ٢٥ - ٣٤ ٤١١ - ٤٣٣
الآية ٣٥ - ٤٣ ٤٣٤ - ٤٥٣
الآية ٤٤ - ٥٦ ٤٥٤ - ٤٧٥
الآية ٥٧ - ٦٥ ٤٧٦ - ٥٠٦
الآية ٦٦ - ٧٦ ٥٠٧ - ٥٢٦
الآية ٧٧ - ٨٥ ٥٢٧ - ٥٤٦
الآية ٨٦ - ٩٢ ٥٤٧ - ٥٦٦
الآية ٩٣ - ١٠١ ٥٦٧ - ٥٨٦
الآية ١٠٢ - ١١٦ ٥٨٧ - ٦١٣
الآية ١٢٠ - ١٢٧ ٦١٤ - ٦٣٠
الآية ١٢٨ - ١٣٥ ٦٣١ - ٦٤٠
الآية ١٣٦ - ١٤٢ ٦٤١ - ٦٥١
الآية ١٤٣ - ١٥٢ ٦٥٢ - ٦٦٢
الآية ١٥٣ - ١٥٩ ٦٦٣ - ٦٦٩
الآية ١٦٠ - ١٦٤ ٦٧٠ - ٦٨٠
الآية ١٦٥ - ١٧٠ ٦٨١ - ٦٨٧
الآية ١٧١ - ١٧٢ ٦٨٨ - ٦٩٢
الآية ١٧٣ - ١٧٦ ٦٩٣ - ٧٠٣

VETVS TESTA NOVUM MENTUM
DEI SVB NVMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

الثمن ٢٤٥٠ ريال